

الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

الموسم الثقافي الثالث (٢٠٠٣ـ ٢٠٠٤ م)
الموسم الثقافي الرابع (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥ م)

محاضرات الموسم الثقافي
لمركز تحقيق التراث



تحرير
د. حسام أحمد عبد الظاهر



حمد الجاسر

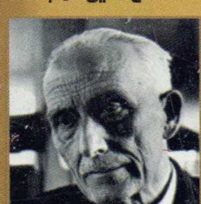


طه الحاجري



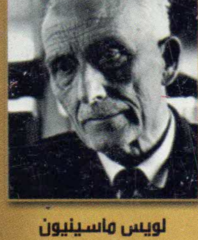
عزيز سوريال عطية

صلاح الدين المنجد





حسين نصار



لويس ماسينيون



إحسان عباس



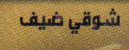
فؤاد سيد



محمود الطناحي



شوقي ضيف



مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

محاضرات الموسم الثقافي
لمركز تحقيق التراث

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
رئيس مجلس الإدارة
حلمى النمنم

عبدالظاهر، حسام أحمد.
محاضرات الموسم الثقافى لمركز تحقيق التراث/
إعداد وتحرير حسام أحمد عبدالظاهر. ـ القاهرة: دار
الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية،
مركز تحقيق التراث ، ٢٠١٤.
مج ٢ ؛ 24 سم.
فى رأس العنوان: الموسم الثقافى الثالث (٢٠٠٣ - ٢٠٠٤م)
الموسم الثقافى الرابع (٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م)
المحتويات: شوامخ المحققين
تدمك 2 - 1131 - 18 - 977 - 978
١ - الثقافة . مقالات ومحاضرات
أ - عبدالظاهر، حسام أحمد (محرر)
ب - العنوان
٣٠١,٢٠٤

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٥٨٩٥ / ٢٠١٤
I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1131 - 2



الموسم الثقافي الثالث (٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤م)
الموسم الثقافي الرابع (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥م)

محاضرات الموسم الثقافي
لمركز تحقيق التراث

شوامخ المحققين

الجزء الثاني

إعداد وتحرير
د. حسام أحمد عبد الظاهر



المحتويات

صفحة

صفحة

صفحة

الموسم الثقافي الرابع (٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥م)

ندوة (إحسان عباس):

ندوة (فؤاد سيد):

ندوة (محمود الطناحي):

صفحة

صفحة

ندوة (فريتس كرنكو):

مطبوعات مركز تحقيق التراث (١٩٦٦ـ٢٠١٤م)

تصدير

أ.د.حسين نصار

أعلن مركز تحقيق التراث في دار الكتب المصرية، في كلمة الجزء الأول، أن وظيفته تفرض عليه أن يذكِّر بشوامخ المحققين، فهم الذين تعهدوا مناهج التحقيق بالتقويم والإضافة إلى أن وصلوا بها إلى مستوى يحظى بالقبول والإعجاب من كل متصل بالتراث. يفعل المركز ذلك ليحفظ لهم حقهم فيما بذلوه، ويرفع منهم مثلًا أمام الناشئين يحتذون أحسن ما قدموا، ويطمحون إلى أن يواصلوا العمل على تنقيح مناهجهم وإضافة الجديد النافع إليها.

فقرر أن يخصص أمسية لكل واحد منهم، يكل إلى واحد أو أكثر من كبار المشتغلين بالتحقيق أو المهتمين به أن يكتب عنه، وعن جهده في التحقيق خاصة.

ووعد المركز أن يوالي إصدار مجلدات تضم هذه البحوث، إن وجد من القارئ ترحيبًا بها.

وهاهو يفي بوعده، ويصدر المجلد الثاني، الذي يضم بحوث الموسمين الثالث (عام ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤) والرابع (عام ٢٠٠٤/ ٢٠٠٥).

وقد توسع المركز في هذين الموسمين في اختيار الشوامخ الذين احتفى بهم، والدارسين الذين كتبوا عنهم.

فاختار من الشوامخ سبعة من المصريين، وأربعة من الإخوة العرب، وعديدهم من المستشرقين. ووزع المصريين على جامعات القاهرة والإسكندرية وحلوان ودار

الكتب. وجعل من الإخوة العرب سعوديًا، وسوريًا، وفلسطينيًا، ومغربيًا. كما جعل من المستشرقين إسبانيًا، وفرنسيًا، وألمانيين تحول أحدهما إلى الجنسية الإنجليزية.

وكان من المحتفىٰ بهم ثلاثة من الأحياء، علىٰ عكس ما راعاه في جميع من احتفىٰ بهم. وكان ذلك لمناسبات خاصة، اقتضت الاحتفال. كانت المناسبة الأولىٰ وفاة المحتفىٰ بهما، والثانية حصوله علىٰ جائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الأدبية.

وضم الدارسون فلسطينيين، وتونسيًا، وسعوديًا، وسوريًا، إلىٰ جانب المصريين. وراعىٰ المركز في المصريين أن يكونوا من جامعات القاهرة (آداب ودار العلوم)، والإسكندرية، وعين شمس، وحلوان، ودار الكتب ؛ وأن يكون منهم المتخصصون في الدراسات الإنسانية (الأدبية واللغوية والتاريخية والإسلامية)، والدراسات العلمية والببليوجرافية.

لقد حاول المركز التنوع ما استطاع إلىٰ ذلك سبيلًا، سواء في المحتفل بهم أو الدارسين، ليطل علىٰ نوافذ متعددة، ويفتح أبوابًا متنوعة، لأن دار الكتب بيت الشعب بجميع فئاته وطبقاته، بل بيت العرب من مصر وغير مصر، بل بيت جميع من يرغب في المطالعة، سواء من العرب أو غير العرب، في الثقافة العربية خاصة والثقافة العالمية عامة.

الموسم الثقافى الثالث

٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ م

* حمد الجاسر
* مصطفى السقا
* فرانسيسكو كوديرا
* طة الحاجرى
* عزيز سوريال عطية
* صلاح الدين المنجد
* جوستاف فلوجل
* حسين نصار
* لويس ماسينيون

ندوة
(حمـــد الجاســـر)

رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث

أ/ عصام الشنطي

[كتب الأستاذ الكريم عصام محمد الشنطي ، أحد الأساتيذ الأجلة المتخصصين بالشؤون المتعلقة بالمخطوطات العربية هذا البحث المستفيض عن كتاب «رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث» ونشر في الجزء الثاني – رجب ١٤١٧ (تشرين الثاني ١٩٩٦م) - من المجلد الأربعين من « مجلة معهد المخطوطات» التي تصدرها (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) في القاهرة ص ٢٤٥ إلى ٢٨١ ، ولكون كثير من قراء مجلة «العرب» لا يطلعون على مجلة المعهد ، ورغبة في اطلاعهم على هذا البحث الممتع ، وتقديراً لكاتبه الأستاذ الجليل الشنطي ، رأت «العرب» إعادة نشره] .

الشيخ حمد الجاسر من قمم المشتغلين بالتراث العربي ، ومن قمم من قدمُّوا لهذا التراث خدمات جليلة .

علاقته بالمعهد ، منذ تأسيسه ، علاقة متينة ، تجاوزت الباحث الذي يطّلع على مقتنياته ويُصوِّر منها ، فهو عضو فاعل في مجلسه الاستشاري ، وقدَّم من خلاله للمعهد فوائد عظيمة .

لقد نال هذا العالم الجليل ، في رمضان ١٤١٦هـ (كانون الثاني ١٩٩٦م) ، جائزة الملك فيصل العالمية في أدب الرحلات ، ووجب على المعهد أن يشارك في التهنئة والتكريم ، وهاهو يقدِّم لقرّاء مجلته المتخصصة هذا البحث الذي كتبه الأستاذ عصام محمد الشَّنْطِي ، في جانب من جوانب رحلاته ، إسهامًا متواضعًا لتكريمه .

نعلم أن كتب الرحلات عند العرب ، يمكن تقسيمها عمومًا إلى أقسام ثلاثة ، الأول منها رحلات جغرافية يرصد العالم فيها أحوال الناس والعمران ، وثانيها رحلات بحرية رواها تجّار وملاَّحون ، تضمنت معلومات مفيدة عن البحار وأسماكها وأصدافها ، والأقوام الذين يسكنون على شواطئها ، وثالثها رحلات برية تخترق الأمم والبلدان ، إسلامية وغير إسلامية ، عن طريق البر وفي القوافل . وهي رحلات كثيرة ، أشهرها رحلتا ابن جُبَيْر في العالم الإسلامي ، ورحلة ابن بطوطة وما توغل فيه من الأقطار النائية كبلاد البلغار والمغول والهند والصين[1] .

أما رحلات الشيخ حمد الجاسر – علاَّمة الجزيرة العربية – فهي الأخرى متنوعة

---

* بحث نشر بمجلة العرب (ج٣ ، ٤ س٣٢ – رمضان ، شوال سنة ١٤١٨هـ/كانون٢ ، شباط (يناير ، فبراير) سنة ١٩٩٨م)

الأهداف ، ومختلفة الدواعى والمقاصد . فهى إما إلى بلاد عربية أو إسلامية ، أو أجنبية ، أوروبية وأمريكية ، بقصد الاطلاع على التراث العربى متمثلاً فى مخطوطاته ، يصف مايتخيره منها ، ويصوِّر مايستطيع ، أو رحلات داخل بلاده من الجزيرة العربية ليحقق مواضع تاريخية ، أو أصول قبائل ، أو رحلات للعلاج والاستشفاء ـ عافاه اللّٰه وشفاه ـ وقد خصَّ هذا الكتاب الذى بين أيدينا لرحلاته من أجل البحث عن التراث ، دون الأهداف الأخرى .

ولعلّى لا أُغالى إذا عددتُ هذا الكتاب من أنفع وأمتع ما صنَّفه الشيخ المؤلف من كتب ، ونَشَرهُ من بحوث ومقالات ، وما حقّقه من نصوص تراثية وعقَّب عليها ، على كثرتها وتنوّعها . والحق أن كثيرًا من مباحث هذا الكتاب كان قد نشره المؤلف منجّمًا فى مجلته التراثية النفيسة «العرب» ثم نشرها مجمعة بين دفَّتَىْ هذا الكتاب عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠م) وجاء فى ما يزيد على أربع مئة صفحة من قطع فوق المتوسط ، منها نحو خمسين صفحة صنعها للفهارس ، فجعل الأول منها لموضوعات الكتاب ، والثانى لأسماء الأعلام ، أفراد وجماعات ، والثالث لأسماء الكتب ، والأخيرة لأسماء المواضع ، ولايخفى على الباحثين ما للفهارس من قيمة بالغة تكشف عن فوائد الكتاب ، وتسهل الانتفاع بها ، خاصَّةً ما يتعلق بالمخطوطات العربية التى اطلع عليها ، وأسماء مؤلفيها ، والمكتبات التى زارها ووجدها فيها .

ولايبخس من قيمة الكتاب ، أو الحديث عنه ، أنه صدر فى طبعته الأولى ، منذ ستَّ عشرة سنة ، فالكتاب بجانب نفاسته وإمتاعه ، حافل بالفوائد الثرَّة نحو موضوع عزيز وأصيل ، وهو البحث عن المخطوطات العربية ، والتنقيب فيها ، ووصفها ، واستخراج ما فيها من كنوز وذخائر ، خاصةً أن موضوع تغريب التراث العربى وبعثرة مخطوطاته خارج العالمين العربى والإسلامى مازال قيد النَظر ، ويحتاج إلى مزيد من البحث والتقصّى والحصر ، فهذا الكتاب من الكتب التى يرجع إليها الباحث المتخصص فى كل حين ، لأنه كالصُّوَّة أو المنارة على الطريق ، تهدى كل مسافر ، راكب وراجل .

لقد خصَّ المؤلف هذا الكتاب برحلاته خارج الجزيرة العربية لمهمة جليلة ، فطاف فى كثير من أقطار العرب ، وأقطار المسلمين ، والأقطار الأجنبية ، وكان لا يبخل بشدِّ الرحال إلى كل صُقْع من هذه الأصقاع ، فيه من المخطوطات مايستحق أن يشَدَّ الرحال إليه ، وهو الشيخ المسنّ ، الذى أوصاه الأطباء ، منذ زمن ، بألاَّ يرهق عينيه بقراءة الكتب ، فكيف بقراءة المخطوطات والتمحيص فيها ، وهى تحتاج إلى أناة وصبر ، وإلى عيون كعيون زرقاء اليمامة ، أو إلى عيون صقر على أقل تقدير ، ولعلّ صنيعه هذا يذكرنا بما كان يفعله الأجداد الأوائل

الذين كانوا يَشدُّون الرحال ، ويطوفون الفيافى والقفار ، من أجل التحقق من حديث نبوى ، نصًا أو سندًا ، أو شاهد لغة ، أو خدمة علم من علوم العربية الأخرى فى عصر التصنيف والتدوين ، فضلاً عمًا كان يتكبده المؤلف فى سفره من نفقات يدفعها من حرِّ ماله فى سبيل هذا الهدف العلمى الرفيع ، مما يندر أن نلقاه عند القدامى والمحدثين .

١ ـ **نفائس المخطوطات ومشكلاتها** : من يقرأ هذا الكتاب النفيس ، يرى كيف أن المؤلف جاب أقطار الدنيا لهدف واحد ، وهو البحث عن المخطوطات العربية المبعثرة فى أنحاء شَتَّى من مكتبات العالَم ، لا يشغله عنها شاغل آخر . والخطاب الأول فى الكتاب هو خطاب المخطوطات العربية ، والحديث عن نفائسها ومسائلها ومشكلاتها . وسنأتى في الكتاب إلى موضوعات أخرى طرقها المؤلف ، لكنها موضوعات ثانوية لاتَرْقَى إلى رغبته الملحة فى السفر وتحمّل المشاق فى سبيل هذا الهدف . وبهذا يتطابق هدفه من هذه الرحلات مع تسمية كتابه : «رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث» .

ويتضح اهتمام المؤلف بالمخطوطات العربية فى أكثر من موضع من الكتاب ، فحين يزور مدينة (بورصة) التركية ، يقول : لا أريد الحديث عن جمال هذه المدينة ، ولا عن حمامتها ومياهها الحارة ، ولا عن جبالها الشاهقة . . فالحديث عن المكتبات[٢] . ويكرر مثلَ هذا القول حين يصل إلى مدينة (قونية) التى عدّها من أجمل المدن التركية ، وأبهجها فى النفس ، ولكنه مشغول عنها بما أتى من أجله[٣] ، أما أربه من لندن حين يزورها فمحصور ــ على حدّ قوله ــ فى زيارة بعض المكتبات[٤] .

وهو دائم التكرار فى أن الغاية الأولى من رحلاته هى البحث عن المخطوطات العربية . فحين يزور من أوروبا هولندا ولندن وبعض المدن السويسرية وألمانيا وإيطاليا ، يرغب بعض إخوانه أن يتحدث عن مشاهداته هناك ، فيضطر أن يسجّل لمحات خاطفة عن رحلته الأوروبية ، تأتى بعيدة عن الطرافة التى يرغبها الإخوان ، والتى اعتاد القارئ أن يجدها فى أحاديث الرحالة إلى تلك البلاد ، ويقطع بأن الغاية من رحلته تكاد تكون محصورة فى البحث عن المخطوطات العربية ، وهذه غاية بعيدة ــ فى رأيه ــ عن الإطراف والتشويق للقارئ العادى[٥] .

ولم يعقه عن هدفه هذا ما كان يتحمل من مشاق ، فقد كان يقضى الساعات الطوال فى التنقل من مطار إلى مطار ، ومن مدينة إلى أخرى ، وكان يتعرض لمشقات أشدّ ، نَصَبًا وألمًا ،

حين تكون المسافات طويلة ، يسافر مرة من إستانبول إلى مدينة (قونية) عبر أنقرة ، فيقضى النهار وهزيعًا من الليل وهو فى أكثر من (حافلة) إلى أن يصل إلى مراده ، ويقضى مرة اثنتين وعشرين ساعة في القطار ساعيًا إلى مدريد من باريس ، بهدف التردد على مكتبة الإسكوريال التى تبعد عن مدريد نحو سبعين كيلاً . ويزورها أكثر من مرة ، ويَطَّلع على كثير من مخطوطاتها ، ويصفها ، وينسخ منها ، ويعلِّق على مادتها ، ويصوِّر بعضها .

وكان حين يحطُّ رحاله فى مدينة ليطلع على مخطوطاتها ، يسمع أن بمدينة أخرى مخطوطات ، ولم يكن فى خطته زيارتها ، فيسافر إليها غير يائس من مظنة فائدة علمية يجنيها ، على أن يعود إلى إكمال مأربه الأول . قيل له ، وهو فى الرباط مرة : إن بمراكش مخطوطات ، فيسافر إليها ، يقول : (ولقد كانت رؤية هذه المكتبة[مكتبة ابن يوسف العامة] من أقوى البواعث لزيارة مراكش ، لعلِّى أن أرى فى مخطوطاتها ما أستفيد بمطالعته)[٦] ، وكان يصل ليلاً إلى بعض هذه المدن التى يزورها ، والمطر منهمر ، والبرد شديد ، فيقضى ساعات وهو يسعى ويشقى للحصول على غرفة فى فندق ، يأوى إليها[٧] .

ويندر أن يظهر فى كتابه ، وهو يشدّ الرحال للمخطوطات ، أنه جاء - بإزاء هذا الهدف الأول - للعلاج ، فقد كانت المخطوطات تنسيه نفسه ، وتستنفد صحته وماله ، فيرهق من كثرة المطالعة والنسْخ ، ويصرف الأموال فى تصوير مايريد منها . يقول فى مكتبة الإسكوريال بإسبانيا : (لم يعد لِى أرب فى المكتبة ، فقد أرهقتنى كثرة المطالعة والنقل ، ولم يبق معى من النقود مايزيد عن حاجتى فى العلاج ، ولم أشاهد فى الفهرس من أسماء الكتب التى أتطلع إلى معرفة محتوياتها ما يغرينى بمراجعة المكتبة . ولهذا قررتُ السفر إلى روما)[٨] .

على أنه أمكننى أن أحصر هذه الرحلات تاريخًا ، فأقدمها مما ظهر فى الكتاب وقع فى الربع الأخير من عام ١٩٦٠م (١٣٨٠هـ) ، وأحدثها وقع فى صيف ١٩٧٣م (١٣٩٣هـ) ، بمعنى أن الزمن الذى قُطعت فيه هذه الرحلات نحو ثلاثة عشر عامًا . وليس من هَمِّى هنا أن أسرد المكتبات التى زارها فى رحلاته ، ولو فعلت لصنعت قائمة مطوّلة ربما تبعث على الإملال لغير المتخصص . فليس هذا مكانها من هذا العَرْض والتحليل . وسنأتى على ذكر بعضها فى تضاعيف الحديث عن تفصيلات هذا الكتاب .

وحسبنا أن نعلم هنا أنه ما كان يسمع عن مدينة أو مكتبة تضم مخطوطات عربية إلاَّ يسارع إليها . ويحدث أن يزور المدينة أكثر من مرة إذا ما أحس أن زورة واحدة لا تشبع رغبته

فى الاطلاع ، فيزور إستانبول ثلاث مرات لأنها تحوى من تراث العرب والمسلمين مالم تحوه مدينة غيرها ، يطوّف فى مكتباتها ، وينقّب عن نفائسها . ومثلها باريس التى يزورها مرتين(٩) ، ومكتبة الإسكوريال فى إسبانيا التى يزورها مرارًا فى أعوام مختلفة(١٠) .

وبإزاء ما يعلمه المؤلف من إشكالية هامة من إشكاليات المخطوطات العربية المتعددة ، وهى توزّعها فى أنحاء شتى من العالم ، دون أن نملك حتى الآن إحصاءً ، ولو مقرّبًا عن أعدادها ، حرص المؤلف ، كلما تيسّر له ذلك ، على ذكر أعداد مخطوطات المكتبات التى يزورها ، ومن ثَمّ يفصّل فى تاريخ هذه المكتبات ونشأتها ومصادرها(١١) ، وبهذا كان يسهم فى وضع لبنة ـ وإن كانت صغيرة ـ للوصول إلى حلّ هذه الإشكالية ووضوحها .

ومن الأمثلة على ذلك ما سجّله فى كتابه من أن بالمكتبة السليمانية العامة فى إستانبول ما يقارب عشرين ألف مخطوطة ، ويفصّل فى مكونات هذه المكتبة وفهارسها ، ومدى قدرة هذه الفهارس على الكشف عن كنوزها ، ويذكر ما ضُمّ إليها من مكتبات أُخرى ، تقدر باثنتين وتسعين مكتبة ، ذكر منها سبعًا وعشرين(١٢) ، ومما يبين أن دار الكتب الوطنية فى تونس تحتوى على اثنتين وعشرين ألف مخطوطة ، منها مخطوطات الأحمدية والعبدلية وحسن حسنى عبد الوهاب ، وفى المكتبة الوطنية فى الجزائر ١٩٨٧ مخطوطة موصوفة فى فهرس مطبوع(١٣) ، وفى مكتبة ابن يوسف العامة بمراكش نحو ١٦٠٠ مخطوطة .

وطبيعى أن تُفْضى هذه الإشكالية إلى إشكالية أزلية كبرى للمخطوطات العربية ، وهى قضية تغريب التراث العربى ، وانتقال آلاف مخطوطاته إلى غير أماكنها الأصلية من العالمين العربى والإسلامى ، واستقرارها فى عالمين غريبين عنهما ، هما العالم الأوروبى والأمريكى ، فحين يزور مكتبة جامعة لَيْدِن فى هولندا تثور فى نفسه إشكالية التغريب متمثلة فى قضية الشيخ أمين بن حسن الحلوانى المدنى الشهيرة ، الذى باع مخطوطات عربية إلى مكتبة بريل .

وقد وضع لها المستشرق كارلو لندبرج فهرسًا يقع فى ١٨٣ صفحة ، يصف فيه ٦٦٤ مخطوطة ، وقد طبع فى ليدن سنة ١٨٨٣م(١٤) ، وظلت هذه القضية فى فكره ، وظلّ يلاحق محاولة حصوله على كراسة طبعت قديمًا عن زيارة الشيخ أمين هولندا ، وحضوره مؤتمر المستشرقين أثناء انعقاده سنة ١٨٨٣م (١٣٠٤هـ) (١٥) .

كما ظلّ – من ناحية أُخرى – يلاحق انتقال بعض نسخ المخطوطات من المشرق العربى إلى مغربه ، ومن ثَمّ إلى أوروبا ، فهذه مخطوطة «الحماسة البصرية» القابعة فى مكتبة دير الإسكوريال فى إسبانيا ، وجد فيها مايدل على أنها كانت فى شمال بلاد العرب ، ثم انتقلت

إلى غرب البلاد ، فالمغرب الأقصى ، ومنه نُهبت فيما نهب من الكتب المغربية فى البحر المتوسط ، واستقر قرارها فى هذا الدير (١٦) .

ويلمس المؤلف إشكالية حادّة ثالثة من إشكاليات المخطوطات العربية ، وهى أن معظمها حتى الآن فى المكتبات العامة لم يتم إلاَّ فهرسة جزء بسيط منها ، فضلاً عَمَّا فى المكتبات الخاصة . ولو سَلِمت هذه الفهارس أو القوائم المصنوعة مما وقعت فيه من خلط وخطأ لكان الأمر هَيِّنًا ، فقد عانى المؤلف منها كثيرًا ، واتضحت شكواه وضوح الشمس فى ضحى يوم صائف . وربما تتوجه معاناته أكثر ما تتوجه إلى فهارس المكتبات التركية . يقول فى هذا الصدد : (وينبغى أن يلاحظ كلّ من يزور إحدى المكتبات فى البلاد التركية عدم الاعتماد على الفهارس فهى كثيرة الأخطاء)(١٧) ، ويكرر عدم ثقته فى هذه الفهارس فى أكثر من موضع ، فحين يزور مكتبة (نور عثمانية) فى إستانبول ، يقول : (ولها فهرس مطبوع ، غير أنه لايصحّ الاعتماد عليه ، وكثيرًا ما تتفق فهارس مكتبات إستانبول على الغلط)(١٨) ، وتخرج دائرة عدم ثقته فى فهارس تركيا إلى فهارس المخطوطات العربية عمومًا .

وتتعاظم هذه المشكلة عنده نظرًا لاتساع أُفقه ، ورحابة معارفة فى التراث العربى . وتتنوع الأوهام فى هذه الفهارس تنوعًا عجيبا . فحينًا توضع المخطوطة فى غير موضعها عند التصنيف . فمثلاِ مخطوطة «محاسن المساعى ، فى مناقب الأوزاعى» ، وضُعت فى فهرس مكتبة نور عثمانية فى التصوف ، لا فى التاريخ والتراجم (١٩) ، وكتاب « خلاصة الوفاء» من حقه أن يوضع بين كتب الجغرافية ، لكنه وضع فى الفهرس بين كتب (السِّيرَ وقصص الأنبياء» . وكذا كتاب «أُسْد الغابة» الذى ينبغى أن يجعل ضمن كتب التاريخ والتراجم(٢٠) .

ومن أنواع أخطاء الفهارس نسبة المخطوطات إلى غير مؤلفيها ، مما يكثر وقوعه فى فهارس مكتبات إستانبول(٢١) ، ومن أمثلة ذلك أن مخطوطة «غلطات العوام» منسوبة فى الفهرس إلى ابن الجوزى ، ولكنه بعد مطالعته إيّاها تبيَّن له أنها للسيوطى(٢٢) .

ونوع ثالث من أوهام الفهارس التركية مما يشمل عنوان المخطوطة ومؤلفها ، كأن يُذكَرَ الاثنان بصورة غير صحيحة ، ففى فهرس مكتبة السلطان أحمد الثالث فى إستانبول مخطوطة «فتوح اليمن» للوزير إبراهيم سنان باشا ، وبعد اطلاع المؤلف عليها تحقق أنها «الفتوحات العثمانية للأقطار اليمنية» ، وهى نسخة ثانية من كتاب «البرق اليمانى فى الفتح العثمانى» لقطب الدين النهروالى المكى الحنفى ، المتوفى ٩٨٨هـ ، وهى نسخة نفيسة لأنها كتبت فى حياة المؤلف .

ونوع رابع من الأوهام ، وهو المتعلق بالمجاميع ، الذى يضم المجلد منها كتابين أو أكثر . فيكتفى المفهرس بذكر اسم الكتاب الأول ، دون تسجيل عناوين الباقى منها وأسماء مؤلفيها[٢٣] .

وهذا كله يدل على جهل المفهرس جهلاً شديدًا بالتراث ، وعلى قلة هذه الفئة من المفهرسين الأكفاء ، وفقداننا لأمثالهم ، وأمام قصور هذه الفهارس يحسّ المؤلف أن الباحث يحتاج إلى طول وقت ، وشدة تعمّق ، وصبر وجلد ، وهى أمور - على حدّ تعبيره - لا تتاح لكلِّ إنسان .

ونعثر فى كتابه على إشكالية رابعة من إشكاليات المخطوطات العربية ، وهى تعرضها للتلف من أكل أرَضة ، وطمس رطوبة ، الأمر الذى يدعو إلى الاهتمام بسرعة الترميم الفنى ، والتصوير ، قبل استفحال هذا التلف ، أو قبل السطو عليها . يقول فى مخطوطة اطلع عليها : (وقد أفسدت الرطوبة جلّ صفحات القسم الأخير من الكتاب ، بحيث لايمكن قراءتها بسهولة ، وعبثت العتة بورق الكتاب ، فأصبح مهلهلاً ، ثم رُقع جميع الورق بورق شفاف)[٢٤] .

ويلقى مخطوطة فى مكتبة أيا صوفيا بإستانبول ، وهى : «تصحيح التصحيف ، وتحرير التحريف» ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدى ، المتوفى ٧٦٤هـ ، وهى بخطه ، ومايلبث أن يضع يده على هذه النسخة النفيسة ، ويستبشر بعلوّ قيمتها ، إلاّ أن تتبدد فى نفسه هذه الفرحة منقلبة إلى أسف وحسرة ، لأنه اكتشف أن النسخة قد سطت عليها يدٌ أثيمة ، فنزعت أكثرها ، بحيث لم يبق من الكتاب إلا من حرف الألف إلى نهاية حرف الزاى ، فى تسعين ورقة[٢٥] .

والمؤلف بدرايته الفذّة بالمخطوطات العربية ، وبسعة خبرته حولها ، يفتح عيون الخريجين من الشباب العرب الذين لديهم استعداد للتوجه إلى التراث ، والنظر فى المخطوطات اختيارًا وتحقيقًا ودرسًا ، إلى مسائل لايعرفها المبتدئ فى هذا الميدان ، وبهذا يعلّمهم دروسًا نافعة فيه ، ومن الدروس الأولى اهتمامه بالنُّسخ الأُم النفيسة ، وبرصد السماعات على العلماء ، وذكر التملكات والخطوط المسجلة على المخطوطة من قِبَل علماء معروفين[٢٦] ، ويتعقب فى النسخ المخطوطة النُّسَّاخين العلماء ، ويهتم بجمع تراجمهم وتنقلاتهم من أجل العلم إلى دمشق ، ثم إلى مصر وغيرها ، ويذكر مؤلفاتهم[٢٧] .

ويعرّفنا بالمجاميع من المخطوطات ، وهى التى تحتوى على أكثر من مخطوطة أو رسالة ، ويلتقط بحسّه التراثى العالى ، النفيس منها ، يطلع فى الخزانة العامة بالرباط على مخطوطة «الرحلة إلى بيت الله الحرام» لأبى مَدْيَن بن أحمد الدرعى ، المتوفى ١١٥٧هـ . وهى ضمن مجموعة ، وقد كتبت قبل وفاة مؤلفها بعام واحد[٢٨] ، ويصور من مكتبة الجزائر الوطنية رسالة بعنوان :«حكم قناديل المدينة» ، للفيروز آبادى ، وهى مكتوبة سنة ٨١٦هـ ، أى بعد وفاة مؤلفها بثلاث سنوات[٢٩] وبهذا ينبّه إلى أهمية المجاميع والتنقيب فيها مخطوطة مخطوطة ، ورسالة رسالة .

ويعرّفنا أيضًا بأهمية نسخة المؤلف المهداة إلى سلطان أو وزير ، أو غيرهما ، وقريب من هذا الباب يعرّفنا ببعض مصطلحات التراث كمصطلح النسخة الخزائنية التى برسم خزانة ملك أو أمير ، فتُزين طُرّتها ، وتزخرف وتزوّق ، ويكتب فيها اسم من كتبت النسخة له ، وكان قد اطلع على نسخة خزائنية من كتاب «الممالك والمسالك» لأبى عبيد البكرى ، كتبت برسم أحد أمراء المماليك فى مصر[٣٠] .

ويولى عنايته بفروق النسخ حيث تكون هذه الفروق فى المادة نقصًا أو تمامًا . يقارن فى هذه الحالة بين نسخة وأخرى فى بلد آخر كان قد رآها وسجّل ملاحظاته عليها . والعجيب أن ذاكرته تتسع لكثير من هذه الفروق فيستطيع أن يقرر أن نسخة مكتبة كذا هى من أجود نسخ الكتاب[٣١] ، نراه يكشف فى الخزانة العامة بالرباط عن نسخة نادرة من «الحماسة» ، للأعلم الشَّنْتَمَرى ، فيطالعها ويقارن بينها وبين نسخة المكتبة الوطنية فى تونس ، ويربط بينهما بعد أن يقوم بوصف النسختين[٣٢] ، والأعجب من هذا قوة ذاكرته وكثرة محفوظه ، فما إن يسمع من عالم عن نسخة من مخطوطة لابن خَلْدون من كتاب «العبر» فيها زيادات على المطبوعة تتعلق بتاريخ البربر ، حتى يذكر له فائدة عظيمة ، وهى أن نسخة من الكتاب محفوظة فى مدينة صوفيا (بلغاريا) تحتوى على بضعة عشر فصلاً ليست فى المطبوعة[٣٣] .

وتطول خبرة المؤلف ، وتتسع دائرة معارفه فى التراث اتساعًا عظيمًا ، فنرى منه عجبًا حين ينقّب فى مخطوطة ، فيكشف عن جديدها ، أو يعرف مكنونها ، أو يصحح خطأها دون الرجوع إلى مصدر من المصادر ، ولاشك فى أن مثل هذه الثمار ، هى حصاد سنين من القراءة والاطلاع والدرس . وينفع هذا كدرسٍ خصوصى مجانى للناشئة ليتحققوا من صحة المثل القائل : مثلما يزرعون يحصدون .

ويشيع فى الكتاب أمثلة كثيرة من هذا القبيل يتضح فيها أن مغاليق المخطوطات قد فتحت لهذا العالم . ونجتزئ هنا ببعض الأمثلة ، يطلع على مخطوطة محفوظة فى المكتبة الوطنية العامة فى تونس . موسومة بـ «التحرير فيما وقع بين الفرزدق وجرير» . فيكشف عن أنه كتاب «النقائض» لأبى عُبيدة مَعْمَر بن المُثنى ، وجاء أحدهم واختصره وجرّده وسمّاه بهذا الاسم الآنف الذكر[٣٤] .

ويستطيع أن يصحح أسماء مؤلفات مثبتة على المخطوطات خطأ ، فكتاب «اقتضا الوفا بأخبار دار المصطفى» ، يصححه باسم :« وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى» ، وهو كتاب للسمهودى[٣٥] ، ويصحح أسماء مؤلفين أيضًا ، ففى مخطوطة محفوظة فى مكتبة أيا صوفيا فى إستانبول مثبت عليها اسم (جمال الدين أبو أحمد يعقوب بن أبى بكر الطبرانى) ، فيصوبه بالطبرى[٣٦] . وتسوقه المعرفة إلى ملاحظات دقيقة واجتهادات متميزّة ، يقول بعد الاطلاع على مخطوطة : (ويظهر أن الناسخ يمنى ، فهو يُعنى بضبط بعض أسماء البلدان اليمنية)[٣٧] .

ومن دروسه التى لا تتوفر إلاّ لمن طالت خبرته وعظمت معرفته ، درايته بحيل الورّاقين وتزويرهم ، نراه فى كتابه بصيرًا بهذه الحيل دون أن تنطلى عليه ، اطلع على مخطوطة وقد كتب فى طُرّتها أنها نقلت من المسودة قبل تحريرها وترتيبها . . كتبها مؤلفها ، ويدقق فى العبارة ويلاحظ أن عابثًا كشط كلمة (قبل) كشطًا خفيفًا ، وكتب مكانها (بعد) ليبرز هذا العابث الذى فعل هذه الفعلة أن نسخته تتصف بالكمال والندرة[٣٨] . وفى مخطوطة أخرى ناقصة ، يطلع عليها ، تعبث بها يدُ عابث فتضيف نحو سطر بكتابة حديثة ، لتبدو النسخة كأنها كاملة[٤٠] .

على أن الدرس الأكبر الذى يوجهه للناشئة من الشباب المتحمس لاقتحام ميدان التراث العربى ألاّ ينظروا إليه ـ بإزاء حماستهم له ـ بعين التقديس المطلق ، بعيدًا عن النقد أو التصفية ، فالمؤلف برغم مانرى فيه من شغف كبير بالتراث ، وتقدير عظيم له ، تلقاه غير متوانٍ عمّا فيه من خرافات لايصدقها ذو عقل . فهو ينفى قبول ما قرأه فى كتاب «الترجمانة الكبرى فى أخبار المعمور بَرًا وبحرًا» ، للزياتى ، المتوفى ١٢٤٩هـ ، من خرافات كثيرة ، منها أن (الكُسْكُس) ، وهو من المأكولات المغربية الشعبية ، اخترعه طبيب الجان لنبىّ الله سليمان ، لمّا حصل له السهر والأرق ، فصنعه له ، ولما أكله نام[٤٠] ، والعجيب أن هذا الكتاب من الكتب التى لها قيمتها فى المغرب ، وقد نشرته وزارة الأنباء فى منشورات (لجنة إحيار التراث القومى) .

وكذلك حين يطالع مخطوطات فى خواص الأحجار والمعادن يراها تعجّ بالتخريف . وهذه المؤلفات على قلتها بين كتب التراث العربى ، حُشيت بالخرافات لايُستثنى منها ـ فى رأيه ـ إلا بعض مخطوطات البيرونى والهمدانى وابن ساعده الأنصارى ، وضرب من الأمثلة على ما استنكره من تخريف هذه الكتب نصًا نقله إلينا ، يقول فيه : (باب حجر فيلقوس : هو كثير التلون ، ويلمع بالليل كالمرآة ، ماكان بموضع إلا هرب منه الجن والوحش ، وسائر الهوام)(٤١) .

ويطلع على مخطوطة فى مكتبة على أميرى بإستانبول ، المحفوظة فيها برقم ٢٥٢٨ ، وهى «نسيم الصَّبا ، ونديم الصِّبا» ، لإبراهيم بن يوسف المهتار ، من شعراء مكة فى القرن الحادى عشر الهجرى ، ويقرأ فيه ، فى الورقة الحادية عشرة منها قصيدة فرج بن سعد الطائى التى خاطب بها الجنّ ، بعد أن طرقته ليلاً ، فسألته عن شئ من غريب اللغة ، بشعر قالوه ، فأجاب على كل بيت بمثله . فلا يتردد الشيخ المؤلف بحكمه العادل ، أن (هذا من خزعبلات العرب)(٤٢) .

ولاشك فى أن مثل هذا الفكر المستنير يجعلنا نعتقد أن المؤلف لا يعدّ التراث ذا قدسية مطلقة ، وأنه بمنأى عن النقد ، وهى دعوة منه صريحة على أن هذا التراث لا يخلو من شوائب ، لابدّ من تصفيته منها ، وإقصائها عنها .

وكان يقف فى مكتبة من المكتبات على مئات منها ، فلا يطلب الاطلاع عليها كلها ، لا لضيق الوقت فحسب ، بل كان بعينه الباصرة يترك ما ليس فيه كبير فائدة ، ويتوجّه إلى النوادر منها(٤٣) ، وواضح من كتابه أنه كان يتوجّه بالاهتمام من حيث الموضوعات إلى المخطوطات التى تتعلق بتاريخ العرب وأنسابهم وجغرافية بلادهم(٤٤) ، ويتوجّه بصفة خاصة إلى تاريخ الحجاز وجغرافيته(٤٥) ، ومن هنا كان ينفذ باهتمامه إلى المخطوطات التى تذكر طريق الحج ، لأنها عنده جديرة بالدراسة ، لا لصلتها بالمشاعر المقدسة فحسب ، بل لتعلقها بجغرافية بلاده وتاريخها ، ولحاجة بعضها إلى التصحيح والتحقيق(٤٦) .

ولهذه الأسباب والتوجهات اهتم بمخطوطات الرحلات المغربية التى تتعلق بالحج ، وبالحجاز على وجه الخصوص ، وقد وجدها وفيرة فى مكتبات المغرب الأقصى ، لأن علماء المغرب بزّوا المشارقة فى هذا الفن ، وكان حريصًا على أن يصوّر منها كلما تيسّر له ذلك ، أو يسجّل فوائدها عنده على أقل تقدير(٤٧) . وقد اتصل اهتمامه بتاريخ جزيرة العرب

وبالرحلات إليها ، أن اهتم بالحصول على بعض المؤلفات المتأخرة المطبوعة المتعلقة بهما ، فيستقصى ، وهو فى باريس ، عن هذه المطبوعات ، خاصةً رحلة شارل هوبر والكتاب المتعلق بآثار الحجر[٤٨] . وفى لندن يهتم بمؤلفات فلبى ، ورحلَتَىْ دوتى Doughty وبركهارت Purk-hardt[٤٩] .

ولم يهمل شعر العرب ، فكان يطلب للاطلاع والاختيار والتصوير دواوين الشعراء من النسخ النادرة ، أو الدواوين غير المتداولة ، أو للمغمورين منهم ، كالذى وجده من نسخة ديوان ابن الحكاك ، الشاعر المكى المغمور[٥٠] .

ومن المدهش حقًا أن يزوِّد المؤلف القارئ بمعلومات فلكية طيبة . ومهما كانت هذه المعلومات ، فإنها تدل على سعة اطلاعه ، وعلى تنوع معارفه[٥١] .

والحق أنه فى كتابه يكشف لنا بوضوح عن مجمل طريقته ومنهجه فى اختيار المخطوطات والموضوعات أمام هذا الكم الهائل منها في المكتبات . يقول : (ومما ينبغى ملاحظته أننى فى حديثى عن المكتبات لا أتعرض لوصف ما فيها من نسخ للكتب المشهورة المطبوعة أو المخطوطة ، التى تكثر نسخها فى المكتبات الأخرى ، ولهذا تقلّ المخطوطات التى أشير إليها أو أصفها ، وينصبّ حديثى فى كثير من الأحيان على المؤلفات النادرة التى لها صلة بتاريخ بلادنا (جزيرة العرب) ، أو أدبها أو جغرافيتها ، فى العهد القديم ، مما هو غير معروف)[٥٢] .

وطبيعى أن نجده على اهتمام بما يُعَدُّ من مكملات موضوع المخطوطات العربية ، وهو حرصه على اقتناء كتب التراث المطبوعة ، والعناية بمراكز الدراسات العلمية واللغوية والجامعات المعنية بالتراث نصًا ودرسًا ، وما تُصدره من مجلات وبحوث ودراسات . ويحرص على زيارتها ، ويذكر سنة تأسيسها وتطوّرها . ومما زاره ـ على سبيل المثال ـ المركز الإسلامى الثقافى فى مدريد ، ويسأل عن منشوراته وبحوثه ومجلته الأكاديمية[٥٣] .

٢ ـ الاستشراق والمستشرقون : وحين نخرج من دائرة المخطوطات العربية الواسعة ، نراه يدخل فى دائرة أصغر ذات علاقة وثيقة بالتراث العربى وتحقيقه ، وهى دائرة المستشرقين ، فقد كان لهذا العالم صلة ببعضهم ، وله رأى سديد فى غاياتهم وأعمالهم ، ودورهم فى خدمة التراث وتحقيقه ودراسته ، وما وقعوا فيه من أخطاء .

وكان حريصًا على أن يزور مراكز الاستشراق والجامعات والمعاهد التى تعنى بنشر النصوص العربية والدراسات حولها ، فحين يصل إلى هولندا يسارع إلى زيارة مدينة لِيْدن ، لأنها من أهم مراكز الاستشراق فى أُوروبا ، ففيها مطبعة بريل ومكتبتها التى تُعد من أكبر مطبعة أصدرت ، ومازالت ، تصدر نوادر كتب التراث العربى ، ومن أهم ما أخرجته « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث» و «دائرة المعارف الإسلامية»[٥٤] .

ويزور معهد الشرق للدراسات الإسلامية والعربية فى روما ، ومكتبة المجمع العلمى الإيطالى ، ومؤسسة المستشرق الإيطالى الأمير كَايْتَانِى للأبحاث عن تاريخ الإسلام وحضارته ، الواقعة فى داخل المكتبة[٥٥] .

كما كان حريصًا على أن يلتقى بالمستشرقين فى بلادهم ، أو فى مؤتمراتهم ، كالمؤتمر الذى عقد فى جامعة السوربون فى صيف عام ١٩٧٣م [٥٦] .

ومن التقى بهم فى مدينة ليدن المستشرق الهولندى بروخمن الذى يجيد اللغة العربية ، وألف كتابًا عن «الشريعة الإسلامية فى مصر الحاضرة» ، وتحدث الشيخ حمد معه عن العرب وآثارهم ، وعن الاستشراق والمستشرقين فى هولندا .

وقد زار بصحبة بروخمن بيت المستشرق الهولندى المعروف سنوك هرغرونيه ، الذى أُضيف منزله إلى جامعة ليدن ، وأصبح تابعًا لقسم الدراسات الشرقية وكان سنوك قد أتى إلى مكة متنكرًا فى زىّ حاج وتسمّى باسم (عبد الغفار) فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، وأقام فى مكة خمسة أشهر ونصفًا وألف عن تاريخها وعادات أهلها وجغرافيتها كتابًا له شهرة كبيرة عند المستشرقين[٥٧] .

ومن التقى بهم فى إيطاليا ، فى أواخر عام ١٩٦٠ [٥٨] ليفى دلافيدا الذى يلقبه بشيخ المستشرقين فى بلاده ، وكان عمره آنذاك يقارب الثمانين عامًا بحساب السنين القمرية ، وبيَّن المؤلف بهذه المناسبة شيئًا من إنتاجه ودراساته . والتقى فى روما بالمستشرق غِبْرِ يَلّى وهو شيخ فى سن الخامسة والستين[٥٩] .

ولقى أيضًا ماريا نالِّينو الإيطالية ، وهى ابنة المستشرق المعروف كارلو نالِّينو . ولها دراسات عربية ، وهى التى جمعت شعر النابغة الجعدي ونشرته مع دراسة وتعليقات عليه[٦٠] ، وجيوفيانى أومان المشتغل بتحقيق كتاب الإدريسى فى الجغرافيا ، ولورا فيشيا فاغليرى[٦١] وكان فى حديثه معهم جميعًا يدل على عالم ذى باع طويل فى تتبع إنتاجهم ، ودراية عميقة بمؤلفات العرب ومخطوطاتهم وتراثهم[٦٢] .

ويشيد بأخلاق بعض المستشرقين وتقبلهم للنقد والانتفاع به بصدر رحب ، وهو مدعاة عندهم للتواصل والتوادّ ، بينما لا يحتمل بعض علماء العرب نقد أعمالهم ، وتكون عندهم مدعاة للكراهية والعداوة . يقول إن المستشرق الألمانى رودلف زلهايم حين حقق كتاب «نور القبس»[٦٣] جرى التعارف بينهما بعد أن نشر المؤلف كلمة عن ذلك العمل فى مجلته التراثية « العرب» أوضح فيها ملاحظات تتعلق بالكتاب ، فكان هذا سبب التعارف والتواصل بينهما ؛ بينما كانت كتاباته ــ على حدّ قوله ـ عن بعض المطبوعات التى يقوم بها بعض الأساتذة والإخوان من العرب سببًا للقطيعة ومدعاة للوقيعة أيضًا[٦٤] .

وبإزاء أخلاق المستشرقين الحميدة التى تتقبل النقد وتنتفع به وتقدّره ، أشاد بما لبعض فضلائهم من آثار معروفة نافعة فى مجال التراث ، من أبرزها توجيه الدراسات التاريخية والأدبية واللغوية توجيهًا جديدًا ، أمدت الثقافة العربية بحيوية وثروة ، واتخاذ طريقة جديدة فى إحياء التراث العربى تسهِّل للباحث الاستفادة منه بأسهل الطرق ، والاهتمام بصنع فهارس شاملة للمخطوطات العربية فى مكتبات بلاد الغرب ، ونشر دراسات وافية عن نوادر المخطوطات ، وعناية كثيرين منهم بدراسة تاريخ العرب من خلال آثارهم ، والتنقيب عنها ، ورحلاتهم فى أنحاء مختلفة من الجزيرة العربية وغيرها .

غير أنه ينبّه إلى إن الدافع لكل ما تقدم لايخفى على أحد ، لقد كانت هذه الوسائل ، فى أول الأمر ، بهدف السيطرة على الشعوب بأى نوع من أنواع السيطرة ، سياسية أو فكرية أو دينية ، ثم اتجه بعض أولئك المستشرقين ـ وقليل ماهم ـ وجهة أخرى هى الوجهة العلمية الخالصة ، بعد أن تطورت الحياة وتغيرت أساليبها ، وانتفضت الشعوب انتفاضة القوة والعلم . ووجد بين العرب أنفسهم من العلماء من لايقل معرفة وسعة اطلاع عن كبار أولئك العلماء منهم ، بل يفوقهم بفهمه لكثير من أحوال أمته . ومن هنا يصحّ القول – عنده – بأن دور المستشرقين قد انتهى ، ولايعنى هذا إنكار ما لفضلائهم من الفضل وسعة العلم والتجرد من كل غاية تنحرف عنه[٦٥] .

وبجانب هذا التحذير حول نشأة الاستشراق ، فإنه لا يغْفل أيضًا عن سلبيات بعض هؤلاء المستشرقين ، فهو ينقد بحوث مؤتمرهم الذى عقد فى باريس فى صيف عام ١٩٧٣م ، ويصفها بالضعف عامةً . كما يبدى استغرابه من شدة عناية بعضهم بدراسة اللهجات العربية ، وتوجيه بعض طلابهم من العرب لدراسة هذه اللهجات . ويظن أن مثل هذا التوجه ليس للفائدة التى يمكن أن تتحقق من دراسة اللهجات من الناحية اللغوية الصرفة ، ويقيم

الدليل على هذا الشك بأنهم يطلقون على بعض لهجات الشعوب التى تجمعها لغة واحدة ، لغة بدلاً من لهجة ، فيقولون - مثلاً - اللغة المصرية ، والحقيقة أنها لهجة ، وليست لغة(٦٦) .

وتعقّب أخطاء المستشرقين فى ما صنعوا من فهارس المخطوطات العربية ، والتى يقول : إننا نأخذها عنهم دون تمحيص وتدقيق ، ويضرب على ذلك بعض الأمثلة(٦٧) .

٣ ـ الآثار والحركة الثقافية : وإذا خرجنا من دائرة علاقة المؤلف بالمستشرقين وتقييمه لإنجازاتهم فى التراث ، دخلنا فى دائرة أصغر ، وهى دائرة الآثار . ولم يكن هذا فى الغالب هدفه ، بل كان يتوجه إليها إذا ما أحسّ فى رحلة من رحلاته أنه يملك وقتًا فارغًا ، أو لا يُمَكّن من الاطلاع على المخطوطات ويصوِّر منها ، يذهب لزيارة بعض معالم باريس الأثرية حين يخفق فى تصوير المخطوطات من المكتبة الوطنية فيها ، لكثرة طلبات التصوير من أساتذة الجامعات وغيرهم(٦٨) ، ويزور الأماكن الأثرية فى داخل دير الإسكوريال فى إسبانيا حين يذهب مرة متأخرًا فيلقى المكتبة مغلقة(٦٩) ، ويزور متحف الأمة فى برلين الشرقية ، ويشاهد فيه آثارًا شرقية قديمة(٧٠) .

وفى طليطلة بعد أن يصف موقعها وجمالها ، يشاهد قصرها الأثرى العظيم ، ثم متحفها ، وبعض آثارها الأُخرى ، ويتفحص نقوش أبنيتها التى كتبت بخط كوفى وغيره من الخطوط ، ويزور مسجدًا من مساجدها القديمة ، ويفصّل فى وصفه(٧١) .

ويهتم بآثار إستانبول من قصور ومتاحف ، ويشاهد فيها آثارًا من عهد الأمويين والقرن الثانى الهجرى . ويمرّ بمساجدها المشهورة الكثيرة ، ويَلْفِت نظره بناؤها وعمرانها وفنيتها وزخرفتها وخطوطها من الداخل .

وفى مدينة مراكش يزور مسجدها العظيم ، الكتبية(٧٢) ، وقصرَ البَديع من آثار دولة السعديين ، التى حكمت مراكش حقبة من الزمن ، ولا يهتم بقبور السلاطين ، ولا يعبأ بزيارتها ، ويسأل عن قبر القاضى عياض (المتوفى ٥٤٤هـ) ، وهو من علماء المغاربة المرموقين ، فلا يعرفه مرافقه(٧٣) ، وملاحظتنا العامة على رؤيته هذه الآثار ، وعلى ما كان يشاهد من مبان فى أقطار المغرب العربى ، قديمها وحديثها ، أنه كان دقيق النظر ، دقيق الملاحظة فيما يرى ويشاهد ، وكأنه اكتسب هذه الصفة من همّه الأول ، وهو التدقيق فى المخطوطات كشفًا واطلاعًا ووصفًا وتحقيقًا ودرسًا .

ولم يهمل المؤلف فى رحلاته الحركة الثقافية فى بعض بلاد العرب ، خاصةً أقطار المغرب العربى ، فهو يقرر أن الصلة الثقافية بينها وبين المشرق العربى صلة واهنة ، بل معدومة ، بسبب الحدود بينهما . وكثير من القيود والتعقيدات والأحوال السياسية ، الأمر الذى جعل الفكر العربى فى دائرة ضيِّقة ، والنشاط الثقافى بينهما مقطوعًا .

ويذكر فى هذا المجال المؤسسات الثقافية ومدى نشاطها فى نشر الكتب العربية[٧٤] ، ويشير إلى المجلات الثقافية والصحف التى تصدر عن تلك الأقطار ، ويعلق على بعض مقالات تلك المجلات ، ويتابع تطور الفنون الأدبية كالقصّة والمقال الأدبى[٧٥] .

٤ ـ المجتمع الأوروبى والعربى : ولا نعدم فى هذه الرحلات ، برغم بعدها عن هدفه الأول ، إعجابه بمظاهر التقدم الحضارى فى أوروبا وغيرها ، وما شاهده فيها من أنظمة وإنجازات إدارية ناجحة . مع مانجده من نظرات ثاقبة ، ونقدات صائبة فى صميم حياتهم الاجتماعية . يدخل مدينة فرانكفورت (ألمانيا) لأول مرة فيندهش ويقول : (أبرز مظهر لفت نظرى فى هذه المدينة محطة سكة الحديد التى يتفرع منها عشرات الخطوط الحديدية ، والحركة الهائلة فى تلك المحطة)[٧٦] .

وفى إستانبول يُعجب بشباب تركيا المنهمك بالقراءة والدرس ، فقلَّ ما كان يزور مكتبة فيها إلاَّ يجد الأمكنة المخصصة للمطالعة مزدحمة بالشباب من فتيان وفتيات ، يشاهدون منهمكين فى المطالعة أو النَّسْخ[٧٧] .

ولكنه لم ينبهر ، ولم يعش بصره بهذا التقدم الأوربى ، فيرصد بعضَ سلبيات حياتهم مما لايرضى عنه ، فهو فى الوقت الذى يعجب بالتقدم فى ألمانيا ينقد الحياة السياسية فيها ، ويؤاخذهم لعلاقتهم بإسرائيل ، وما دفعوه لها من تعويضات[٧٨] .

ويتغلغل فى عادات الأوروبيين فى بلادهم ، ويبدى رأيًا مخالفًا فيما يقال عن حسن معاملتهم وأمانتهم ونظافتهم . ويضرب الأمثلة من مدينة لَيْدن بهولندا[٧٩] ، ومن سكان باريس ولندن من طبقات الشعب ، ومن حياتهم العامة ، يشكو من زيادة الحساب فى مطعم ، ومن قلة النظافة فى مطعم آخر ، ويشاهد فأرة على مقربة من سور حديقة صغيرة تقفز أمام ابنته ، مع كثرة القطط والكلاب . ولا يعجبه من عاداتهم ما كان يراه فى الصباح الباكر من قيادتهم لكلابهم يطلقونها فى الشوارع تفعل ما تشاء[٨٠] .

ويكشف عن رأيه هذا بصراحة ، يقول : (وليس صحيحًا ما يقال عن نزاهة الأوروبيين وغيرهم ، ولا عن حسن معاملاتهم على الإطلاق)[٨١] . ويكرر هذا الرأى بقوله : (توهمت ـ

وخطأ ماتوهمته - أن ما يقال عن نزاهة الغربيين فى معاملاتهم كان حقًا)[٨٢] ، والحق أنه لايخص الأوربيين دائمًا بهذه الصفات ، وإنما يعيدها إلى طبيعة الإنسان حيث كان ، يقول : (فالمرء لا يعدم فى أية بقعة من بقاع الأرض ، من يحاول خديعته وغشّه)[٨٣] .

وكانت بعض هذه المشاهد والنقدات فى المجتمع الأوروبى وغيره ، تعيده إلى واقع بلاده العربية ليقارن فيها أوضاعًا بأوضاع ، ويسجِّل ما فى أقطار العرب من سوء الإدارة ، وسوء المعاملة والخدمات لمواطنيها وزوّارها ، وقلة الأمانة وطلب الهدايا والرِّشوة ، ويحزّ فى نفسه ما وَجَد عليه شباب العرب من ظروف سيئة ، ويلاحظ كثرة المقاهى فى الأقطار العربية ، وازدحامها بروّادها من الشباب العاطل عن العمل[٨٤] .

٥ ـ آراؤه وطباعه : ونعلم من الكتاب بعض آرائه ومعتقداته فى مسائل دينية ، وإقباله على العلم ، وخدمة أصدقائه فى سبيله ، وتعليقات علمية فى اللغة والأنساب والجغرافيا لاتخلو من فوائد .

ويدهشنا ما له من أفكار متقدمة ، وآراء جريئة . وهو إيمانه بأن يتجه رسم الكلمة العربية عند كتابتها على نحو ما نقرأها ، ويدعم رأيه هذا بما وجده فى نصوص العلماء المتقدمين من أقوال تدل على كتابة الكلمة كما تُقرأ ، فالقواعد الإملائية ـ هذه ـ وسيلة لصحة القراءة ، وليست غاية[٨٥] .

وقد أخذ يطبق هذا الرأى فى كتابته بجرأة واقتدار . فهو يكتب اسمَىْ ابنتيه سَلْوَا ومُنَا ، وكذلك الاسم يَحْيا ، بألفات ممدودة ، مع علمه بالقاعدة السائدة التى ترسمها بألفات مقصورة ، ولكنه يؤثر كتابتها كما ننطقها ، رفعًا للخطأ ، ودفعًا للبس عند قراءتها . ويشيع هذا التطبيق العملى لقاعدته بهذه الصور الجديدة فى أكثر من موضع من كتابه[٨٦] ، ولاشك فى أنه لو أخذنا بهذه القاعدة على إطلاقها لحللنا كثيرًا من صعوبات الكتابة العربية ، وسهّلنا الأمر على أطفالنا وناشئتنا على وجه الخصوص .

والعجيب أننا نجد المؤلف فى كتابه - وهو صاحب هذا الرأى الأصيل - حين ينقل نصًا من نصوص المخطوطات يرسم بعض كلماتها برسمها القديم على نحو ما يجد صورتها الإملائية فى النص ، ورد مثل هذا فى أكثر من موضع من الكتاب مثل كلمة إسماعيل التى يرسمها بدون ألف بعد الميم[٨٧] ، والمؤلف سيّد من يعلم أن من أسس قواعد تحقيق النصوص أن تُكتب الهيئة الإملائية لكلمات النص بصورتها الحديثة على نحو ما نكتب فى الوقت الحاضر ، ولاتختلف مناهج التحقيق الحديثة ، مهما تنوعت ، فى هذه القاعدة ، ولانجد من

يتشدّد بالرسم القديم إلاّ حين يكتب الآيات القرآنية ، كما لانجد فائدة تذكر فى إبقاء النصّ على رسمه الأول ، خاصة لو وضعنا نصب أعيننا التوجّه إلى مطابقة الكتابة باللفظ ، آخذين بقول المؤلف إن القواعد الإملائية وسيلة لصحة القراءة وليست غاية .

وله رأى موفّق فى التصوف المنحرف ، والذى هو أقرب إلى الخمول منه إلى الحياة ، ويهاجم زوايا الذِّكر . فالمؤلف ، بجانب أنه رجل دين وعلم ، رجل دنيا وعمل . يؤمن بقوة الأمة فى كلّ زمان حتى تستطيع أن تشق طريقها فى حياة مِلْؤها التقدم بالعلم والعمل ، بعيدًا عن الخرافات .

فى معرض حديثه عن القرن الحادى عشر الهجرى فى الوطن العربى ، الذى عَمَّهُ الركود الفكرى آنذاك ، يعيد سبب ذلك إلى شيوع ظاهرة التصوف ، التى هى - فى رأيه - ظاهرة أقرب إلى الخمول منها إلى الحياة(٨٨) . وفى تضاعيف تعليقاته على النشاط الثقافى فى بعض البلدان العربية ، ينقد تصوف ابن عربى ، لأنه يدعو للخنوع والاستكانة ، ويقارنه بشيخ الإسلام ابن تيمية - وهو عدو التصوف المنحرف - الذى كان يدعو للقوة . وينهى تعليقه هذا برأى سديد ، بقوله : (وما أحوجنا إلى القوة فى كلّ زمان)(٨٩) .

ولاشك فى أن الشيخ حمدًا متأثر بتوجّه ابن تيمية ، المتوفى ٧٢٨هـ ، وتلميذه ابن قيم الجوزية ، المتوفى ٧٥١هـ ، فى موقفهما الشديد من الصوفية المنحرفين عن جادة الإسلام الصحيح ، والبعيد عن منهج القرآن الكريم(٩٠) . وطبيعى أن يحمل المؤلف - وهذا رأيه- على زوايا الذِّكْر ما له صلة بالتصوف ، يقول : (وزوايا الذِّكْر أفضل منها المساجد التى أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه)(٩١) ، ومن هذا القبيل نعرف رأيه فى إقامة المساجد على القبور ، والبناء عليها وتزويقها وزخرفتها والكتابة عليها ، كلها من الأمور المحرَّمة . ويذكر هذا فى أكثر من موضع(٩٢) .

وكان مُحِبًّا للعلم ، والحديث فى موضوعاته ، وكان ينغمس فى حديثه مع العلماء ويستمتع به ، وينسيه هذا صخب الحياة فى المدن الأوروبية الكبرى . فينعم مع عالمين عربيين التقى بهما بحديث مطوّل فى أغوار التاريخ . ويمضى - كما يقول - سويعات سعيدة بهذا الحديث بعيدًا عن مباهج باريس ومفاتن الحياة فيها(٩٣) . وفى تونس يلتقى بالأصدقاء من المشتغلين بالتراث فتنحصر أحاديثه معهم فيه ، وفيما يتصل به ، ويسترسل استرسالاً يجعله لا يشعر بمرور الوقت حتى ينتصف الليل(٩٤) ، وكان بجانب ذلك متواضعًا تواضع العلماء ، لايأنف ـ وهو العالم ـ أن يسأل علماء البلاد التى يزورها عن فائدة يفيد منها ، أو عن نسخ مخطوطة ، أو نسبتها لمؤلفيها(٩٥) .

ومن باب حبه للعلم ، وحديثه عنه ، اهتم بالغ الاهتمام بأصدقائه وتلاميذه من المشتغلين بالتراث ، وكان وفيًا لهم ، كريمًا معهم وفى فكره دائمًا أخبارهم العلمية وما يحتاجون إليه من نسخ المخطوطات ، وكان فى تجواله للبحث عنها يصوِّر ما يحتاجه ذلك الصديق ، أو أحد التلاميذ ، دون أن يكون قد طلبه منه ، ويهديه المصوَّرة دون مقابل ، أو كان - على أقل تقدير - يكتب إلى الصديق أو التلميذ بفائدة وجدها ، وهو يعلم أنها تهمّه ، أو يبعث إليه بخبر عن نسخة عثر عليها ، أو ملاحظة يفيد منها(٩٦) .

ويذهب كرمه العلمى ، ورغبته الجامحة فى خدمة العلم إلى أبعد من هذا ، فيطلع فى مكتبة أيا صوفيا بإستانبول على مخطوطة «العلل ومعرفة الرجال» للإمام أحمد بن حنبل . وكان الجزء الأول منه قد صدر فى أنقرة محققًا عن هذه النسخة الوحيدة . ولاحظ أن صعوبة قراءتها قد أوقع المحققين فى كثير من التحريف . ويعلم أن من هذا الكتاب قطعة محفوظة فى دار الكتب الظاهرية بدمشق ، فيبعث إلى صديقه هناك ليرسل إليها صورتها ، ويقوم هو بدوره فيدفعها إلى المحققين ليستعينا بها فى تقويم معوج الجزء المطبوع(٩٧) .

ونلقى فى كتابه تعليقات متناثرة ، وخواطر عابرة مبثوثة تأتى مناسبة لمقتضى الحال . وفى هذه التعليقات فوائد لغوية مما يدخل فى علوم اللسانيات ، منها ما يشير إلى نطق بعض الحروف فى الأقطار العربية ، ويقارنها بنطقها كما رُصدت فى كتب التراث(٩٨) ، ومن هذا الباب اللغوى يعجبه استعمال المغاربة لكلمة (الحافلة) ، ويقصدون السيارة الكبيرة لنقل المسافرين ، ويبادر فى استخدامها فى كتاباته ، يقول فى هذا الصدد : (وهو اسم عربى اختير ليحل محل كلمة (أوتوبيس) أو (لُورى) فى بعض البلاد العربية . وليت اسم الحافلة يستبدل بذينك الاسمين ، فهو أجمل منهما وأسهل نطقًا)(٩٩) .

وفى الكتاب فوائد فى الأنساب حول آل الطبرى وآل ظهيرة ، وهم من علماء مكة المعروفين ، وفوائد جغرافية حين يذكر سوقًا من أسواق مكة ، وحين يسمِّى المدن الكبرى بالمغرب الأقصى ، وعدد سكانها(١٠٠) . وفوائد اقتصادية تكشف عن أحوال البلاد فى هذا الميدان(١٠١) .

ويتضح فى ثنايا الكتاب ميوله الوطنية وأخلاقه وطباعه ومسلكه مع الناس . كان انتماؤه العربى ظاهرًا ، فحين يمرّ به شاب مغربى كان قد تعرّف إليه فى باريس ، يقول : (مرَّ بنا أخونا العربى المغربى)(١٠٢) ، فهو يحرص على ذكر صفة الشاب المغربى العامة ، وهى انتسابه إلى العرب ، ويتضح انتماؤه هذا أكثر حين يزور الجزائر ، فيحزن لتغلغل اللغة الفرنسية فيها(١٠٣) .

ويبتهج حين يراها تسير قدمًا نحو عروبتها وإسلامها ، وتبعد عن المظهر الفرنسى متجهة إلى المظهر العربى . وينشد أبياتًا يحفظها للإمام المصلح عبد الحميد بن باديس ، يقول فيها[١٠٤] :

شَعْبُ الجـــزائر مسلمٌ ... وإلى العُروبَـة يَنْتَسِبْ

من قال : حاد عنَ أصْلـهِ ... أو قال ذاب ، فقد كَذَبْ

أو رام إدْمـاجًـا لـه ... رامَ المُحالَ من الطَّلَبْ

ومن طباعه أنه يغلب عليه الانقباض عن الناس ، والرغبة فى عدم مخالطتهم . يقول ذلك بنفسه : (يغلب على طبعى الانقباض وعدم الرغبة فى مخالطة الناس)[١٠٥] ، ولهذا اتصف أيضًا بخفة الظلّ ، وأبعد ما يكون عن الثقلاء . وكان لايحب أن يثقل فى رحلاته على أحد من معارفه ، فيخفى اسم الفندق الذى يقيم فيه ليتجنب إشغاله أو الاستجابة لإكرامه فى طعام أو غيره ، ولم يكن يستجيب إلاَّ عند الضرورة القصوى ، أو للتخلص من عتاب[١٠٦] .

ومن صفاته اللازمة له أنه كان فكه الروح ، لايفقد هذه الروح فى أحلك الأوقات وأضيقها . وكان يبتدع صورًا مضحكة ولو كانت على نفسه ، وكأن طبعه الفكه يغلبه فلايضيع الفرصة لقولها . وتظهر مثل هذه المواقف الساخرة فى أكثر من موضع من كتابه ، وكأنها تجىء تخفيفًا لجدية الموضوع الأول فيه ، وتحمل كثيرًا من معانى شخصيته البسيطة المتواضعة ، البعيدة عن كلّ تعقيد ، يقول حين لم يستطع الحصول فى لندن بعد مشقة وطول عناء إلاَّ على غرفة صغيرة فى فندق ، ذات سرير صغير : (فرميت بجسمى فوق ذلك السرير القصير ، وتقرفصتُ فيه - مع قِصرى - فاستغرقت فى نوم عميق حتى الساعة السابعة)[١٠٧] .

ويستعد لحضور مؤتمر المستشرقين فى باريس ، فى يومه الأول ، فيرتدى حلّة جديدة ، وكان حذاؤه قديمًا ، كالح اللون ، يبدو كجلد الأجرب ، يقول فى هذه الهيئة المتناقضة : (وكنت من تأثير ما أحسستُ به من عدم التناسق فى لباسى أن صرْتُ أُركز نظرى فى أحذية من أُشاهده فى الطريق ، لعلّى أرى من يماثلنى ، وكنتُ أتصوَّر أن كلَّ إنسان يقابلنى يفعل فعلى ، بلغنا مكان الاجتماع ، ولحسن الحظ لم أجد واحدًا ينظر إلى وجهى فضلاً عن قدمى . . كل واحد منهم مشغول بشأنه)[١٠٨] .

ويرسمه رسّام فى مطعم بباريس ، ويهديه الرسم ، فلما رأى صورته تداعى إلى ذهنه قصة الجاحظ والصائغ والشيطان(١٠٩) ، وفى موقف آخر يستحضر فى ذهنه قصة مشهورة لجحا ، وغيرها(١١٠) .

٧ ـ أسلوبه وأدبه : أما أسلوبه حين يكتب ، فهو أسلوب أديب ، تأتى ألفاظه عفوية ، لايقصد اختيارها أو انتقاءها ، وعباراته سلسلة تأتى من باب السهل الممتنع ، وأكثر مايظهر أسلوبه الأدبى فى الوصف المبثوث فى تضاعيف الكتاب ، ونراه ينمُ حينئذٍ عن أديب حقًا . كان يحسن الوصف فيما يرى فى رحلاته من مدن ومشاهد ، وهو وصف واقعى بعيد عن الوصف الخيالى المجموج . ويأتى وصفه عامًا مقتضبًا حينًا ، وملمًا شاملاً أقل اقتضابًا حينًا .

ومن أوصافه العامة شديدة الإيجاز ، قوله : (مدينة الإسكوريال من أجمل المدن وأنظفها ، فهى واقعة فى سفح جبل ، وتحيط بها الحدائق ، وفيها مطاعم نظيفة ، وأخرى شعبية)(١١١) ، ومثله وصفه من الطائرة غرب أوروبا وشمالها وصفًا عامًا بعبارات موجزة ، يقول :(تكاد المناظر التى يشاهدها راكب الطائرة . . تكون متشابهة ، أراضٍ منبسطة ممتدة امتداد النظر ، مكسوة بالنبات ، وجبال قليلة الارتفاع ، وتلال مستطيلة ، وأنهار وبحيرات وأودية)(١١٢) .

وأجمل من هذا حين يصف الطريق إلى مطار فرانكفورت فى ألمانيا ، بشىء من البسط ، بقوله : (ومرت الثلاث الساعات كلمح البصر ، فقد كان الجو صافيًا ، والبصر يمتد إلى نهايته ، متنقلاً بين غابات كثيفة بالأشجار الباسقة ، وتلال مكسوة بالنباتات المختلفة الألوان ، وأودية تزدان انسياب المياه فى أغوارها ، وحقول منسقة ، وقرى صغيرة وكبيرة منتشرة بمبانيها الجميلة فى سفوح التلال وفى أعاليها)(١١٣) .

ولعلّ من أجمل أوصافه للمدن والمشاهد ، ماوصف به مدينة مرّاكش بقليل من التفصيلات ، نجتزئ منها بهذا القدر ، يقول : (مرّاكش - خارج المدينة القديمة - فسيحة الأرجاء ، كثيرة الميادين والحدائق ، واسعة الشوارع التى تزين جوانبها الأشجار الكثيرة ، ومنها ماهو مثمر كشجر النارنج ، وتكثر (أشجار) النخيل عند مدخلها ، ولكنها من النوع الذى لايثمر . وقلّ أن يرى المرء بيتًا لاحديقة له ، ومع قربها من الجبال فهى شديدة البرودة ، وأسواقها رطبة بسبب كثرة الحدائق بداخلها . ومع ذلك فقد شاهدت السقّاء بقربته يرش أرض السوق الكبير فى المدينة القديمة)(١١٤) .

وأكثر ما يميز كتاباته كثرة محفوظه من الأشعار والأمثال . ويأبى محفوظه من الشعر إلا أن يبدو للقارئ فى كل موقف ومناسبة ، كان يركب (الحافلة) إلى مدينة مراكش ، فتثير مشاهد الطريق أشجانه ، فيرى المنظر يشابه بلاده لولا خصوبة هذه الأرض ، ولكنه يتحسَّر- وهو ابن الصحراء - على صحراء الجزيرة العربية التى أوشكت مظاهر البداوة أن تزول منها ، بسبب الجفاف وقلة الأمطار(١١٥) ، وينشد حينئذٍ إطراء أبى العلاء المَعَرِّى البداوة ، وهى أبرز مظاهر الصحراء ، بقوله :

الموقدون بنجـــد نـــارَ باديـــة لايحضرون ، وفَقْدُ العزِّ فى الحضرِ

وينشد كذلك قول أبى الطيب فى جمال فتيات الصحراء :

أَفْـدِى ظبـاءَ فلاةٍ ما عَرَفْـن بهـا مَضْغَ الكلام ولا صَبْغَ الحـواجِبِ

٧ ـ خاتمة : وهكذا أتينا على هذا الكتاب النفيس عرضًا وتحليلاً . وليس لى عليه إلاَّ مأخذان ، أو عتابان ، الأول ما يصادفه القارئ من أخطاء مطبعية بين الحين والحين . ولعلّ هذا قد جاء من أحد تلاميذ أو مريدى الشيخ الجليل الذى نهد بتصحيح تجارب الطباعة ، فقام ببعض واجبه ، وهو أمر ـ على كلّ حال ـ هيِّن يمكن تداركه فى طبعة مقبلة .

أما العتاب الثانى ، فهو متعلق بما جاء على غلاف الكتاب من أنه الجزءُ الأول . وبهذا يتضح أنه طال الانتظار للجزء الثانى ، الذى نتمنى أن نراه فى وقت غير بعيد ، شريطة أن يكون أيضًا فى رحلاته العلمية للانتفاع به على نحو ما انتفعنا بهذا الجزء .

وقد كان هدفى من هذا العرض إظهار ما حواه من فوائد لا حصر لها ، مع تكريم متواضع للمؤلف لقاء ما قدَّم من جهد كبير فى سبيل خدمة التراث العربى .

الحواشى :

(١) «الرحلات» ، د. شوقى ضيف ، ص ٥ ـ ٦ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٤ ، ١٩٨٧م .

(٢) «رحلات حمد الجاسر» ، ص ١٥٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٤) المصدر السابق ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

(٥) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٦) المصدر السابق ، ص٩٣ وانظر ص٧٨ .

(٧) المصدر السابق ، ص ١٦ ومابعدها .

(٨) المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ، وانظر ص ٣٣٦ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ .

(١٠) المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

(١١) انظر مثلاً المصدر السابق ، ص ١٢٤ ومابعدها .

(١٢) المصدر السابق ، ص١٢٥ ـ ١٢٨ .

(١٣) المصدر السابق ، ص١٩ .

(١٤) المصدر السابق ، ص٢١٣ .

(١٥) المصدر السابق ، ص٣١٣ .

(١٦) المصدر السابق ، ص١٦٢ . وانظر أيضًا ص ١٦٩ ، ٣٣٥ .

(١٧) المصدر السابق ، ص٢٠٢ .

(١٨) المصدر السابق ، ص١٧٨ . وانظر أيضًا ص١٥٤ .

(١٩) المصدر السابق ، ص١٧٨ .

(٢٠) المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(٢١) المصدر السابق ، ص١٥٥ .

(٢٢) المصدر السابق ، ص١٤١ .

(٢٣) المصدر السابق ، ص١٢٩ .

(٢٤) المصدر السابق ، ص١٧٥ ، وانظر أيضًا ص ٢٨٥ .

(٢٥) المصدر السابق ، ص١٤١ .

(٢٦) المصدر السابق ، ص١٥٩ ، ١٦٢ ، ٣٣٤ .

(٢٧) المصدر السابق ، ص٢٤٨ .

(٢٨) المصدر السابق ، ص٧٨ .

(٢٩) المصدر السابق ، ص٢٠ .

(٣٠) المصدر السابق ، ص١٨٨ ، وانظر ص١٣١ .

(٣١) المصدر السابق ، ص١٦١ .

(٣٢) المصدر السابق ، ص٧٤ ، ١٠٣ ـ ١٠٥ .

(٣٣) المصدر السابق ، ص٣١٤ .

(٣٤) المصدر السابق ، ص١١٣ / ١١٤ .

(٣٥) المصدر السابق ، ص٧٩ .

(٣٦) المصدر السابق ، ص١٤٨ / ١٤٩ .

(٣٧) المصدر السابق ، ص١٨٨ .

(٣٨) المصدر السابق ، ص١٧٣ .

(٣٩) المصدر السابق ، ص١٥٢ .

(٤٠) المصدر السابق ، ص٨٩ . ونص الزياتى من كتابه فى ص ٢٨٠ .

(٤١) المصدر السابق ، ص١٨٨ .

(٤٢) المصدر السابق ، ص١٤٦ .

(٤٣) المصدر السابق ، ص٢٩٢ ، انظر ص ١٣٣ .

(٤٤) المصدر السابق ، ص٧٩ ، ٢٢ .

(٤٥) المصدر السابق ، ص٢٦٤ .

(٤٦) المصدر السابق ، ص١٦٨ .

(٤٧) المصدر السابق ، ص٥٨ ومابعدها .

(٤٨) المصدر السابق ، ص٣١٢ .

(٤٩) المصدر السابق ، ص٢٣٣ .

(٥٠) المصدر السابق ، ص٣٣٤ .

(٥١) المصدر السابق ، ص٢٩٣ .

(٥٢) المصدر السابق ، ص١٤٨ .

(٥٣) المصدر السابق ، ص٣٤٥ .

(٥٤) المصدر السابق ، ص٢١١ ، وانظر ص ٣٨ .

(٥٥) المصدر السابق ، ص٢٧٢ ، ٢٨٤ .

(٥٦) المصدر السابق ، ص٢٩٦ .

(٥٧) المصدر السابق ، ص٢١١ .[«العرب» : انظر عن مؤلفه هذا كتاب«رحالة غربيون فى بلادنا» ص[١٠١ ـ ١٩٢] .

(٥٨) المصدر السابق ، ص٢٧٣ .

(٥٩) المصدر السابق ، ص٢٨٣ .[«العرب» : وانظر عنه كتاب«رحالة غربيون فى بلادنا» ص ٣٦٨] .

(٦٠) المصدر السابق ، ص٢٧٢ .

(٦١) المصدر السابق ، ص٢٨٥ .

(٦٢) المصدر السابق ، ص٢٧٥ .

(٦٣) «نور القبس المختصر من المقتبس» للمرزبانى ـ اختصار الحافظ اليغمورى ـ ط . فيسبادن ، ١٩٦٤ م .

(٦٤)« رحلات حمد الجاسر» ، ص ٣١٤ ـ ٣١٥ .

(٦٥) المصدر السابق ، ص٣١٧ ـ ٣١٨ .

(٦٦) المصدر السابق ، ص٣١٠ ـ ٣١١ .

(٦٧) المصدر السابق ، ص٢٢١ .

(٦٨) المصدر السابق ، ص٣٢٣ .

(٦٩) المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

(٧٠) المصدر السابق ، ص٢٦٦ .

(٧١) المصدر السابق ، ص٣٢٦ .

(٧٢) المصدر السابق ، ص٩٨ .

(٧٣) المصدر السابق ، ص٩٣ .

(٧٤) انظر ، على سبيل المثال ، ماذكره من مؤسسات المغرب الأقصى ، فى «رحلات حمد الجاسر» ص ٤٤ ـ ٥١ .

(٧٥) «رحلات حمد الجاسر» ، ص ٣٣ ومابعدها .

(٧٦) المصدر السابق ، ص٢٥٨ .

(٧٧) المصدر السابق ، ص١٣٦ .

(٧٨) المصدر السابق ، ص٢٦٠ .

(٧٩) المصدر السابق ، ص٢١٦ .

(٨٠) المصدر السابق ، ص٢٩٣ .

(٨١) المصدر السابق ، ص٣٢٣ .

(٨٢) المصدر السابق ، ص٣٢١ .

(٨٣) المصدر السابق ، ص٣٢٣ .

(٨٤) المصدر السابق ، ص٢١ ، ٤١ ، ٢٩٨ .

(٨٥) المصدر السابق ، ص٢٣١ .

(٨٦)انظر « رحلات» ص ٢٣١ ، ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٣٠٦ ، ٣٢٣ . ويُذكَر أنه بقى على هذا الرأى إلى يومنا هذا ، بل وسَّع تطبيقه وأمثلته وشواهده فى مجلته الغرّاء «العرب» . انظر المجلة ، العدد ٣ ، ط (معًا) ، رمضان ــ شوال ١٤١٦هـ / شباط ــ آذار ١٩٩٦م ، ص ٢٦٣ ومابعدها .

(٨٧) المصدر السابق ، ص٢٤ .

(٨٨) المصدر السابق ، ص٥٣ .

(٨٩) المصدر السابق ، ص٥٥ .

(٩٠) «مدارج السالكين» ، لابن قَيِّم الجوزية ، ١ / ٧ ، تحقيق محمد حامد الفقى ، ط ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م .

(٩١) « رحلات حمد الجاسر» ، ص ٧٥ . وعبارته إشارة إلى الآية ٣٦ من سورة النُّور .

(٩٢)« رحلات» ، ص٩٢ ، ١١٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ .

(٩٣) المصدر السابق ، ص٣١٩ .

(٩٤) المصدر السابق ، ص١٠٦

(٩٥) المصدر السابق ، ص٢٤٥ .

(٩٦) انظر «رحلات» ، ص ٢٦ ، ٩٥ ، ٣٣١ .

(٩٧) المصدر السابق ، ص١٤٩ .

(٩٨) المصدر السابق ، ص٣٠ .

(٩٩) المصدر السابق ، ص٨٤ .

(١٠٠) المصدر السابق ، ص ٩٧ ، ١٨٦ ، ١٨٧ .

(١٠١) انظر مثلاً «رحلات» ، ص ١٢ .

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٢٩٤ .

(١٠٣) المصدر السابق ، ص٣٣ ومابعدها .

(١٠٤) المصدر السابق ، ص٢١ .

(١٠٥) المصدر السابق ، ص٢٥١ .

(١٠٦) المصدر السابق ، ص٢٩ ، ٦٦ ، وانظر أيضًا ص ٣٤٤ .

(١٠٧) المصدر السابق ، ص٢١٩ .

(١٠٨) المصدر السابق ، ص٢٩٦ .

(١٠٩) المصدر السابق ، ص٣٠٨ ـ ٣٠٩ .

(١١٠) المصدر السابق ، ص٣٠٠ ، ٣٠١ ، وانظر ص٤٠ .

(١١١) المصدر السابق ، ص٣٢٦ .

(١١٢) المصدر السابق ، ص٢٧١ .

(١١٣) المصدر السابق ، ص٢٥٨ .

(١١٤) المصدر السابق ، ص٨٧ .

(١١٥) المصدر السابق ، ص٨٦ .

حمد الجاسر محققا للتراث العلمي

أ.د / أحمد فؤاد باشا

* مقدمة :

الشيخ حمد الجاسر ، علاّمة الجزيرة العربية ، غنيٌ عن كل تعريف ، وتقصر أى كلمات عن أن توفيه حقه من الإشادة والتكريم لقاء ماقدم من أعمال علمية وأدبية متميزة ، تمثل ذاكرةً مُهمّة لتاريخ شبه الجزيرة والخليج العربى ، فقد عمل فى ميادين معرفية كثيرة ، وترك بصمته بجدارة كأديب ومؤرخ ومحقق . . . وعادة ما يحار المرء أمام البحر الزاخر . . . من أى الشواطئ يأتيه .

لهذا سأكتفى هنا بالحديث عن واحد فقط من تحقيقات الشيخ حمد ، لعله من أهم ما حقق من كتب التراث العلمى العربى ، إن لم يكن أهمها على الإطلاق ، ذلكم هو «كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء» ، تأليف لسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانى (٢٨٠ - ٣٤٥هـ تقريبا) ، الطبعة الأولى (الرياض : ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) .

وكان اهتمامى بلسان اليمن ومؤلفاته العلمية قد بدأ منذ ثلاثة وعشرين عامًا ، بداية إعاراتى للعمل بجامعة صنعاء ، وأُتيح لى أن أشارك فى الندوة العلمية العالمية التى نظمتها جامعة صنعاء فى الفترة من ١٩ ـ ٢٥ أكتوبر ١٩٨١م بمناسبة الذكرى الألفية للهمدانى وجذب انتباهى ـ بحكم تخصصى فى العلوم الطبيعية بحث مهم للمستشرق السويدى كريستوفر تول Christopher Toll بعنوان الهمدانى كعالم Al-Hamadani as a Scholer وبلغ من إعجابى بالهمدانى أننى لقبته «بلسان اليمن وعقله أيضًا» ، وذلك فى إحدى المقالات التى نشرتها خلال فترة الندوة بجريدة «الثورة» اليمنية حول «دور العرب فى تقدم العلوم والتكنولوجيا» . وكان من بين مؤلفات الهمدانى التى تعرضت أكثر من غيرها لجوانب مختلفة من العلوم الطبيعية «كتاب الجوهرتين» الذى قام بتحقيقه وترجمته إلى الألمانية عام ١٩٦٨م ، طبعة جامعة « أوبسالا» ، الدكتور كريستوفر تول بعد أن عثر على إحدى النسخ الأصلية للمخطوطة فى إحدى المكتبات الأوربية .

* القيمة العلمية لكتاب الجوهرتين :

يحتوى كتاب الجوهرتين على سبعة وخمسين بابًا تضمنت معلومات قيمة عن مناجم الذهب والفضة ومواقعها وأسمائها فى بلاد العرب والأعاجم ، والتى اندرس معظمها من

أذهان الناس نتيجة لتقادم العهد . وقد ساعدت هذه المعلومات فى عمليات المسح الچيوفيزيائى التى تجرى منذ سنوات فى أرض اليمن لمعرفة موارده المعدنية والبترولية ، وتم اكتشاف العديد من المناجم الهامة لخامات الفضة والزنك والحديد والرصاص وغيرها .

وفى هذا الكتاب سعى المؤلف ، عن قصد ومنهجية ، إلى تأسيس علم تعدين الذهب والفضة ، فلم يترك مسألة تتعلق بهما لغويًا أو تاريخيًا أو دينيًا ، أو علميًا وفلسفيًا ، أو عمليًا وتقنيًا ، إلا توقف عندها طويلاً وأسهب فى شرحها والتعريف بها ، مستعينًا بالأدوات والآلات كلما وجد إلى ذلك سبيلاً ، وموضحًا بالرسوم والأشكال تفاصيل الأوانى والتنور ، وعلامات العيار وأوضاعه ، وصح الوزن ومعرفة التقسيم .

وأهم ما يميز الهمدانى فى هذا الكتاب أنه كان باحثًا دقيق الملاحظة وصائب النقد ، يستوعب كل آراء سابقيه ومعاصريه ، ولا يأخذ منها إلا ما يعتمد على المشاهدة والتجربة ويوافق العقل ، فقد عارض نظرية أرسطو عن تكوين الفلزات والمعادن النفيسة ، ونظرية الزئبق والكبريت . وكان له تصور خاص عن الحركة والتفاعل فى أعماق القشرة الأرضية بعيدًا عن المؤثرات الفلكية للكواكب والأجرام حسب تصور الفلسفات القديمة . وقد أفرد عدة فصول لمعالجة موضوع المواد المتفاعلة فى باطن الأرض وما ينتج عنها من بخارات (غازات) وبراكين وزلازل ، وتفنيد أخطاء الفلاسفة السابقين حول أسباب نشوء المواد المعدنية وتكوّنها وكيفية تفاعلها واستخراجها . وامتد اهتمام الهمدانى فى مجال التعدين إلى صناعة السبائك ومعالجة المعادن الأخرى غير الذهب والفضة ، كمعالجة الحديد الخام والحصول على الفولاذ اللازم لصناعة السيوف وبعض أنواع الأسلحة .

وخصص الهمدانى من كتابه هذا جزءاً كبيرًا لمعالجة عمليات استخراج الذهب والفضة وتنقيتها من الشوائب ، وشرح خطوات هذه العمليات من جميع النواحى النظرية والعملية والتقنية ، ابتداءً من الحصول على الخام من منجمه ، وانتهاءً بصب قوالب الذهب أو الفضة الخالصتين ، وإيضاح استخدامها فى صناعة الحلى وترصيع التيجان وتزيين صفحات القرآن الكريم ، ولأغراض الطلاء وغيرها .

وتعرض الهمدانى لمجال الكيمياء الطبية ، فخصص بابًا فى كتابه لبيان منافع الذهب والفضة وما يتولد منهما فى فنون الطب . وتطرق إلى ذكر معلومات قيمة عن علاقة الكيمياء بالطب وتأثير الأبخرة المنبعثة أثناء عمليات الطبخ والتعدين على مختلف أجزاء الجسم ، ولم يفته أن يوضح طرق العلاج أو الوقاية منها .

ويحتوى كتاب« الجوهرتين» على عدة نصوص تؤكد سبق الهمدانى المطلق فى تاريخ العلم إلى القول بكروية الأرض وجاذبيتها وحركتها الدائرية ، وإلى حدوث المد والجزر بتأثير جاذبية القمر . وحاول تفسير ظاهرة الزلازل ، بعيدا عن الأساطير والخرافات ، فتحدث عن «الطاقة الزلزالية» فى باطن الأرض ، ولكنه يسميها «الرياح المحتقنة» أو «المحبوسة» ، ويصف ما ينتج عنها من هزات متفاوتة الشدة ، يصحبها أحيانًا حدوث خسف (*) على نطاق واسع . كما نجد الكثير من سمات الأسلوب العلمى والتعبير عن الأشياء والكميات بمقاديرها ، توخيًا للدقة فى الوزن والقياس ، وتمسكًا بالأمانة فى عرض شروط التجارب وتدوين ما يصل إليه من نتائج ومعلومات ، ونراه قد توصل من خلال ذلك إلى بعض التعميمات غير المسبوقة ، مثال ذلك قوله عن الوزن النوعى للمواد بأن الزئبق أثقل الأشياء السائلة ، وإن الحصاة من الياقوت الأحمر تزيد فى الوزن على ماسواها فى الجسم من ألوان الياقوت الأخرى .

والكتاب على هذا النحو يعتبر إضافة قيمة لأمهات كتب التراث العلمى الإسلامى ، وكان لظهوره فضل كبير فى إلقاء مزيد من الضوء على سيرة الحسن بن أحمد الهمدانى والتعرف عليه عالمًا موسوعيًا ، ملك ناصية العلم والتقنية مثلما كان مؤرخًا ولغويًا ورجل فكر وسياسة وأدب .

* الكتاب منشورًا بتحقيق حمد الجاسر :

كتبت عن كتاب الجوهرتين فى سلسة مقالات بمجلة الأزهر الغراء عن «أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى» ، وذكرت أن حمد الجاسر كان أول من وصف مخطوطة الهمدانى عن «الجوهرتين العتيقتين» ، وذلك فى مجلة المجمع العلمى العربى ـ سابقا ـ الصفحة ٨٦ / المجلد ٢٦ الجزء الرابع بتاريخ تشرين الأول ١٩٥١م الموافق المحرم ١٣٧١هـ . كما أشرت إلى النسخة المنشورة بتحقيق وترجمة كريستوفر تول عام ١٩٦٨م ، وإلى ظهور الطبعة العربية الأولى للكتاب بعد ذلك من إعداد وتحقيق محمد محمد الشعيبى الذى قدم لها بتاريخ عام ١٩٨٣م ، ولم تحدد سنة أو جهة النشر .

(*) الخسف الذى ذكره الهمدانى هو المقابل للمصطلح الأجنبى الحديث Taphrogenesis ويعنى الحركات التى تحدث رأسيًا إلى أسفل على نطاق واسع ويصاحبها تصدع كبير الزاوية (انظر : معجم الجيولوجيا ، مجمع اللغة العربية ، مصر)

وجاءتنى رسالة كريمة من الشيخ حمد الجاسر بعد اطلاعه على الجزء الأول من مقالنا عن كتاب «الجوهرتين» فى عدد ربيع الأول ١٤٢٠هـ - يوليو ١٩٩٩م من مجلة الأزهر، هذا نصها :

الأستاذ الكريم الدكتور أحمد فؤاد باشا رعاه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد - فقد اطلعت على مقالكم عن كتاب «الجوهرتين» ورأيتكم - وفقكم الله- أشرتم إلى وصفى للمخطوطة وقيام (كريستوفر تل) بنشرها وهى مخطوطة (أبسالا) التى وصفتها وأشرتم إلى مطبوعة لا قيمة لها نشرت فى اليمن وفاتكم الإشارة إلى أمرين :

أولهما : أننى نقدت طبعة (تل) فى«مجلة المجمع العلمى العربى» بدمشق سنة ١٣٧١ المجلد الـ (٢٦) ص٥٣٣ / ٥٤٤(*) .

الأمر الثانى : أننى حققت الكتاب ونشرته مضيفًا إليه بحث عن التعدين والمعادن فى جزيرة العرب، وقد رغبت من أخى الدكتور عائض الردادى أن يتفضل بإرسال نسخة منه إليكم لعدم معرفة عنوانكم، حيث أرسلت هذا الكتاب إلى مجلة «الأزهر» ولا أدرى هل يصل أم لا؟

مع أطيب تحياتى

إمضاء

أخوكم

حمد الجاسر

وقد تسلمت - بكل الشكر والتقدير- رسالته الكريمة والنسخة التى تفضل مشكورًا بإرسالها من الكتاب فى طبعته الأولى(١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) بتحقيقه مضيفًا إليه دراسة ضافية عن التعدين والمعادن فى جزيرة العرب، وموضحًا الكثير من غوامضه، استنادًا إلى ماوصل إليه من مخطوطات، وهى :

(*) هكذا فى الخطاب، ولكن ملاحظات الشيخ حمد حول مطبوعة «تول» الأولى نشرت فى مجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق - المجمع العلمى العربى - المجلد الرابع والأربعين ص٥٥٤/٥٦٨) . وربما اختلط الأمر على الشيخ رحمه الله فذكر المرجع الأول سهوًا .

١ ـ مصورة مخطوطة مكتبة جامعة أوبسالا فى السويد ، وهى موجودة فى دار الكتب المصرية ، وتاريخ كتابة هذه النسخة سنة ٨٩٨هـ ، ويبدو أن هذا هو تاريخ النسخ .

٢ ـ مصورة مخطوطة خزانة جامعة توبنجن فى ألمانيا ، وتاريخ كتابة هذه النسخة سنة ٩٦٦هـ ، وهى منقولة عن المخطوطة السويدية .

٣ ـ نسخة مكتبة الأمبروزيانا فى مدينة ميلان فى إيطاليا ، وهى فى الواقع قطعة من الكتاب ، وتاريخ النسخ سنة ١٣١٤هـ .

٤ ـ مطبوعتا كريستوفر تول .

٥ ـ مخطوطة القاضى محمد بن على الأكوع ، والتى نسخها عن مطبوعة «تول» وزيّنها بحواشى مفيدة .

ولقد اطلعت على هذه المطبوعة القيمة بتحقيق الشيخ حمد الجاسر ، وأفدت كثيرًا مما جاء فيها من شروح وتعليقات تشهد على ثقافته الواسعة وعلمه الغزير ، وتمكنه الواثق من فن التحقيق ، والاعتناء به دراسةً وتحليلاً ، وتقديماً ، وتعليقاً ، ومقابلة ، وضبط نصوص ، بل إن مايفرده الشيخ حمد ، ويخصصه للدراسة ، والتحليل ، والإثراء المعرفى الواسع فى مقدمات تحقيقاته يتفوق على ماسواه ، وتجعل تحقيقاته لا تقل أهمية ومنهجية واستيفاء بمتطلباتها العلمية عن تلك الدراسات الأكاديمية التى تقدم لنيل درجات علمية من أعرق الجامعات . ويكفى دليلا على ذلك أن كتاب «الجوهرتين» الذى حققه الشيخ حمد الجاسر يقع فى ٤٩٣ صفحة من القطع المتوسط ، فيها ١٥٧ صفحة فقط هى كل المتن و٣٣٦ صفحة لمقدمة الكتاب والتعليقات والإضافات والشروح والفهارس المفصلة .

* منهج الجاسر فى التحقيق :

١ ــ معروف عن الشيخ حمد حُبُّهُ للعلم وإجلاله للعلماء ، خاصة أولئك الذين سبقوه من علماء الجزيرة العربية لقاء ما تركوه من كنوز معرفية غالية ، فهو يثنى كثيرًا على كتاب «الجوهرتين» ومؤلّفه ، ويقرر فى مقدمة التحقيق أنه ظل ما يقرب من أربعين عامًا ، منذ اطّلع على مصوَّرة مخطوطة هذا الكتاب القيم ، حريصا على نشره ، دؤوبا فى البحث عن أصل صحيح يمكن الاعتماد عليه عند تحقيقه ، فالغاية – فيما يعتقد – من تحقيق أى كتاب إبرازه للقارئ بالصورة التى رسمها المؤلف ، أو بأقرب صورة مماثلة لها بقدر الإمكان .

ولهذا فإنه يقول فى تقديم الكتاب « . . . فقد حافظت ما استطعت على نصوص النسخة التى اعتبرتها أصلاً ، ورأيتها كاملة ، وأضفت إلى الأصل – ملحقًا به من

الإيضاحات ما رأيت فى إضافته فائدة للقارئ لكى يستعين به على فهم النص ، مع استعصاء كلمات كثيرة على فهمى ، أوردتها كما هى ، كما أوردتُ فى حواشى الأصل الاختلاف بين الأصل وبين ما ورد فى مطبوعة الأستاذ كريستوفر تل الثانية ، وإن كنت لا أتفق معه على كثير مما خالف فيه الأصل ، ولا يمنع هذا من الاعتراف بأنه بذل جُهْدًا ليس باليسير فى فك كثير من مغلقات كتابة الأصل ، واستطاع تصحيح كثير من أخطائه ، واستفاد مما نشرته عن مطبوعته الأولى فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق» .

٢ ـ لما كان الاهتمام البالغ بتحديد المواضع وضبط الأسماء من أهم سمات منهج الجاسر فى التحقيق منذ أوائل أربعينات القرن الماضى ، فلا تكاد تخلو كلمة أو بحث من البحوث التى كتبها من التفاتة إلى تحديد موضع أو تصحيح نُطْقه أو إزالة لبس يتصل به . . لما كان ذلك كذلك فإنه بعد أن أوشك أن ينتهى من إعداد الكتاب للنشر قام برحلة إلى صنعاء فى الثامن من ذى القعدة سنة ١٤٠٦هـ (١٥ / ٦ / ١٩٨٦م) يقول عنها : «لعل من بواعثها أننى توقعت أن أجد بين الإخوة فى هذه البلاد من أستعين به فى فهم بعض الكلمات اليمنية الواردة فى الكتاب مما استغلق علىّ فهْمُه ، ومنها أسماء الموازين الواردة فى (باب صحة الوزن ومعرفة التقسيم) ، ومع أنه لم يتمَّ لى ما توقعتُ إلا أننى استفدت كثيرا من الأخوين الكريمين الباحث المحقق الأستاذ عبد الله محمد الحِبْشى والأستاذ الدكتور يوسف محمد عبد الله» .

من ناحية أخرى ، وجد الجاسر فى كتاب الجوهرتين كلمات وأسماء آلات ذات صلة بالتعدين ، استقاها الهمدانى من أهل عصره من ذوى الصناعة فى اليمن ، وأغلبهم من الفرس ، مما لم يجده فيما اطلع عليه من كتب اللغة ، ومن هذه الأسماء أو الكلمات ماوردت فى المخطوطات بصور تُقرأ على عدة أوجه لإهمالها من الإعجام . يقول الجاسر : «وقد حاولتُ إبرازها كما وَرَدَتْ عندما لا أستطيع إدراك الوجه الصحيح منها ، وكثير منها غير عربى . . وقد حاولت الاستعانة بأحد الإخوة الذين يحسنون اللغة الفارسية ، وهو الأستاذ أحمد الواسانى - الملحق الثقافى فى السفارة الإيرانية فى بيروت . . . ، وبقيت صورة المخطوطة عنده أياما ، ولكنه بعد أن أرجعها إلىّ قال لى : إن الكلمات الفارسية الواردة فى الكتاب خلاف اللغة الفارسية المستعملة الآن ، ولهذا لم يستطع معرفة أكثرها» .

٣ ـ جريًا على عادته فى الإثراء المعرفى لتحقيقاته ، استشعر الجاسر حاجة القارئ إلى إيضاح بعض جمل وردت فى كتاب الجوهرتين ، فوضع لذلك حواشى موجزة ، يقول

عنها :« . . ولكي لا أثقل بكثرتها رأيت أن ألحقها بآخر الكتاب مرتبة حسب صفحات المخطوطة السويدية ، وأن ألحق بالكتاب فهارس مفصلة لأسماء المعادن ، وأسماء آلات الصياغة وأدواتها ، وذكر الأعلام عامة للأشخاص والجماعات والمواضع وغيرها . وقد أبسط القول في الكلام على المعادن أو ما له صلة بها من الآلات لأن كثيرًا من قرّاء هذا الكتاب قد لاتكون صلتهم بكتب المعادن بالدرجة التي تمكنهم من فهم بعض عباراتها ، وإن لم أكُنْ خبيرًا بشئ مما له صلة بالموضوع» . ثم يقول : «موضوع الكتاب عن التعدين ، وعن المعادن في بلاد العرب ، وهذا مما لم يستوف الهمدانيُّ الكلام فيه ، ولهذا ألحقت بالكتاب بيانًا يحوى ما عرفتُ من أسماء المعادن القديمة في بلاد العرب ، كما تحدثت في المقدمة عن التعدين حديثًا موجزًا» .

وحرصًا من الجاسر على استيفاء كل عناصر التحقيق الجيد ، فإنه حاول استكمال الرسوم التي أهملها النساخ .

٤ ـ لايمكن إغفال الجانب الأخلاقي في منهج التحقيق عند الجاسر ، فقد وهبه الله صفات ذاتية فريدة أهلته لأن يصل إلى ماوصل إليه من معرفة موسوعية عظيمة ، وأحلّته المكانة الرفيعة في نفوس الباحثين بخاصة ، والقراء بعامة . ويأتي في مقدمة هذه الصفات صبره اللا محدود على البحث ، والجلد المتناهي في سبيل الوصول إلى الهدف ، والدليل على ذلك ماذكرناه من مثابرته عشرات السنين على تحقيق كتاب الجوهرتين من نسخة أصلية ، أو قريبة من الأصل ، وما تحمله من مشاق الترحال للتحقق من دقة المواضع وصحة الأسماء .

وعندما عرضت عليه وزارة الإعلام اليمنية في عام ١٩٨٠م استعدادها للقيام بطبع كتاب الجوهرتين بعد أن يقوم بتحقيقه ، وكان قد علم من مؤرخ اليمن الأستاذ القاضي محمد بن علي الأكوع أنه يُعنَى بتحقيقه ، كتب إلى وزارة الإعلام اليمنية بذلك ، قائلا في أدب جمّ : «إن الأستاذ الأكوع أوْلى وأقدر مني على تحقيق الكتاب ، وخاصة أن فيه عبارات وكلمات وأسماءَ استقاها المؤلف من بيئته (اليمن) ، وإذَنْ فابن هذه البيئة أقدر من غيره على فهم ماورد في هذا الكتاب» .

لكنه لم يرَ للصديق الكريم الأستاذ القاضي الأكوع – وقد مضى زمن ـ مايدلُّ على اتجاه لنشر الكتاب ، فعقد العزم على المضي قدمًا في إعداد كتابه للنشر ، ويقول في تبرير ذلك : «إن التعاون في نشر كتاب من الكتب قد يبرزه بصورة خيرٍ من الصورة التي ينفرد بها واحد ،

وإ كان من الخير توحيد الجهد ، واهتمام كل ناشر بما لم يقم به غيره ، إلا أننى وقد حرصت منذ اطلّعت على هذا الكتاب أن أجمع معلومات هى وإن كانت يسيرةً إلا أننى أعتقد أن المعنيين به وبأمثاله قد يستفيدون منها ، وهذا مادفعنى إلى إعداده للنشر» .

وقابل القاضى الأكوع الذى قدم له مخطوطته التى نسخها بقلمه وأعدها للنشر ، وحثه على أن يتولى ذلك .

وأخيرًا ، يقول علامة الجزيرة بتواضع شديد :« ولا أدّعى بأننى سأتى بشئ جديد ، حول قيامى بنشر هذا الكتاب ، غير أن جُهْدًا صرفتُه حياله لم أُرِدْ أن أحرم القراء من ثمرته على ماهى عليه» .

* خاتمة :

لقد حاولنا إلقاء بعض الضوء على نصيب التراث العلمى من فكر حمد الجاسر وتحقيقاته ، ولعله اتخذ من كتاب الجوهرتين للهمدانى نموذجًا يدعو من خلاله إلى ضرورة التركيز على إحياء أمهات الكتب العلمية فى التراث الإسلامى بلغة العصر وأسلوبه ومصطلحاته ،لكى تتاح الفرصة أمام جموع الباحثين للقيام بدراسات تأصيلية توضح ماخفى من تراث المسلمين من نظريات وأراء وأفكار ذات قيمة معرفية أو منهجية فى تاريخ العلم والحضارة ، وتكشف عن المفاهيم التى تشكل أساسًا للكثير من المباحث العلمية الدقيقة التى تُعامل اليوم كعلوم تخصصية مستقلة ، نظراً لاتساع دائرة البحث فى موضوعاتها . إن مثل هذه الدراسات التأصيلية ، التى ندعو إليها أهل الاختصاص فى مختلف العلوم ، من شأنها أن تعود بالعلوم التخصصية المعاصرة إلى جذورها فى المجتمع الذى كان شاهدًا على ميلادها ، وتتعرف على طبيعة الظروف التى سمحت للمفاهيم والأفكار الوليدة أن تنمو وتزدهر ، وتصبح بعد ذلك فروعًا فى شجرة المعرفة ، وروافد لا غنى عنها لتغذية الحضارة الإنسانية .

وهنا تتطلب أمانةُ العرض فى هذه المحاضرة أن أبدى بعض الملاحظات التى أراها بالغة الأهمية ، مع كل التقدير للجهد الكبير الذى بذله علامة الجزيرة العربية فى تحقيق كتاب الجوهرتين للهمدانى :

أولاً : موضوع كتاب الجوهرتين علميٌّ بالدرجة الأولى ، ومن ثم فإن ما به من مصطلحات علمية تحتاج إلى شرح وتدقيق يصعبان على غير المتخصص .

على سبيل المثال : ورد فى صفحة ١٥ ب من نسخة «تول» مصطلح : الكواكب المتحيرة» ، وعدّله الجاسر فى نسخته إلى «الكواكب المتحيزة» . والأول هو الأصح كما عرفه قدماء الفلكيين ، فتحيرّ الكواكب : مسيرها ورجوعها وظهورها واستتارها ، كالحال فى كوكب الزهرة ، يكون حينا كوكب صباح ، وحينا كوكب مساء . والكواكب المتحيرة هى التى تظهر فى السماء كأنها تسبق الشمس والقمر مرة ، ويسبقها القمر والشمس مرة ، وأشهرها الزهرة والمريخ ، وأبرزها فى رأى العين الزهرة . وكان أمر هذه الكواكب أكثر ما شغل بال فلاسفة الإغريق وعلماء الحضارة العربية الإسلامية .

ثانيًا : استعان الشيخ حمد ، رحمه الله ، فى إيضاحه لمعانى بعض الكلمات الواردة فى كتاب الجوهرتين بمؤلفات التيفاشى والبيرونى وغيرهما لتعريف المعادن ، لكنّى أرى أن الأمر يحتاج إلى بيان الأسماء الحديثة لهذه المعادن :

فالأُسْرُب – مثلا – هو الرصاص ، والفيروزج هو التركواز (فوسفات النحاس والألومونيوم المائية) . والزّنجفَرْ هو كبريتوز الزئبق الأحمر ، والإِثْمِد هو حجر الكحل (الجالينا أو كبريتيد الأنتيمون) ، وهكذا .

ثالثًا : أوضح الجاسر نفسه أنه لم يجد ضالته عند كل من لجأ إليهم لاستيضاح ما استغلق عليه فهمه من كلمات يمنية أو فارسية قديمة . وهو يقول فى مقدمة الكتاب الذى حققه بمنتهى الأمانة العلمية :«إننى لواثق الثقة كلِّها بأننى لم أقدمه على وجهه الصحيح من جميع جهاته لتعسُّر فهم كثير من نصوصه عليه ، ولكن هذا هو غاية جهدى ، وعسى أن يجود الزمن بأصل صحيح لهذا الكتاب تكون الاستفادة منه أوْفى وأكمل» .

والكتاب على هذا النحو لايزال بحاجة إلى المزيد من القراءة الفاحصة من جانب المتخصصين فى مجال العلوم الطبيعية ، وقد دفعنى هذا إلى إعادة تحقيق كتاب الجوهرتين والتقديم له بدراسة وافية عن الاتجاه العلمى عند الهمدانى ، وذلك استنادًا إلى مطبوعة العلامة حمد الجاسر – رحمه الله – باعتبارها أوْفى نسخة متاحة من الكتاب يمكن الاعتماد عليها . وقد سبق أن دعوت فى مقالنا بمجلة الأزهر ـ وأكرر اليوم نفس الدعوة ـ إلى توسيع دائرة نشر هذه المطبوعة لتكون فى متناول أهل الاختصاص من الباحثين المعنيين بالكشف عما فى تراثنا الإسلامى من كنوز ثمينة لاتزال تحتفظ بقيمتها إلى اليوم .

هذا ، والله من وراء القصد . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أهم المراجع :

١ - الحسن بن أحمد الهمدانى ، كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين الصفراء والبيضاء ، تحقيق حمد الجاسر ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٢ - حمد الجاسر ، دراسة لحياته مع ببليوجرافية شاملة لأعماله المنشورة ، إعداد : إدارة التكشيف والاستخلاص ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٣ - حمد الجاسر ذاكره خصبة لقرن كامل ، ملف مجلة العربى عدده٥٠٥ ، ديسمبر ٢٠٠٠ م .

٤ - د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى للحضارة الإسلامية ومكانته فى تاريخ العلم والحضارة ، القاهرة ١٩٨٣م .

٥ - د . أحمد فؤاد باشا ، أساسيات العلوم المعاصرة فى التراث الإسلامى - دراسات تأصيلية ، دار الهداية ، القاهرة ١٤١٨هـ - ١٩٨٧م .

٦ - د . أحمد فؤاد باشا ، التراث العلمى الإسلامى شئ من الماضى أم زاد للآتى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .

٧ - د . أحمد فؤاد باشا ، الاتجاه العلمى عند الهمدانى ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٥٧ ، ١٩٩٠م .

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد الجاسر
صاحب مجلة «العرب»
الرياض (ص ب ١٣٧) الرمز البريدي (١١٤١١) هاتف ولاقط (٤٦٢١٩٢٣)

الرقم : ٣٦ التاريخ : ١٢/١٠/٣٠/١٤٢٠ المرفقات : كتاب

الأستاذ الكريم الدكتور أحمد فؤاد باشا رعاه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد - فقد اطلعت على مقالكم عن كتاب «الجوهرتين» ورأيتكم -وفقكم الله- أشرتم إلى وصفي للمخطوطة وقيام (كرستوفر تل) بنشرها وهي مخطوطة (ابسالا) التي وصفتها وأشرتم إلى مطبوعة لاقيمة لها نشرت في اليمن وفاتكم الإشارة إلى امرين:

أولهما : انني نقدت طبعة (تل) في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق سنة ١٣٧١ المجلد الـ (٢٦) ص ٥٣٣/٥٤٤.

الأمر الثاني:أنني حققت الكتاب ونشرته مضيفا إليه بحث عن التعدين والمعادن في جزيرة العرب ، وقد رغبت من أخي الدكتور عائض الردادي أن يتفضل بإرسال نسخة منه إليكم لعدم معرفة عنوانكم ، حيث أرسلت هذا الكتاب إلى مجلة «الأزهر» ولا أدري هل يصل أم لا ؟

هذا ما أحببت لفت النظر إليه .

مع أطيب تحياتي،

أخوكم

حمد الجاسر

حمد الجاسر

جهود حمد الجاسر فى تحقيق التراث ونشره

د /محمد بن عبدالرحمن الربيع

* تقديم :

عندما حدثنى الأستاذ الدكتور حسين نصار عن فكرة هذه المحاضرة أثناء الدورة الماضية للهيئة المشتركة للتراث بمعهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية ورشحنى لإلقاء المحاضرة شكرت له هذا الصنيع وحمدت لمركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية المصرية هذه العناية والتكريم لعمالقة المحققين من العرب والمستشرقين الذين خدموا تراثنا الخالد بتحقيق روائعه ونفائسه ومنهم علامة الجزيرة الشيخ حمد الجاسر رحمة اللّه .

وتابعت الموضوع من الأستاذ الدكتور حسين نصار والأستاذ الدكتور أحمد مرسى المدير العام لدار الكتب والوثائق القومية وعرضت الأمر على الأستاذ معن بن حمد الجاسر ، فرحب بذلك وأبدى استعداد مؤسسة حمد الجاسر ومركز حمد الجاسر الثقافى للاشتراك فى هذه الاحتفالية بإقامة معرض لمؤلفات الشيخ ولمطبوعات (دار اليمامة) ، ولتقديم معلومات عن الشيخ والمؤسسة وتوزيع بعض المطبوعات التى تتحدث عن الشيخ الجليل رحمه اللّه تعالى .

كما أبدى سعادة الملحق الثقافى السعودى بالقاهرة الأستاذ محمد بن عبد العزيز العقيل حماسة لفكرة تكريم الشيخ فى القاهرة واستعداد (الملحقية) للمشاركة فى ذلك .

وهكذا تكاملت الاستعدادات لهذا اليوم المبارك .

موضوع المحاضرة :

أما الموضوع الذى سأتحدث عنه فقد اقتضت الضرورة تعديل مساره ففى البداية ظننت أنه سيتم تقديم أكثر من بحث فى هذه المناسبة لأن الشيخ رحمه اللّه بحر من بحور العلم والمعرفة والثقافة وعالم موسوعى فى جغرافية الجزيرة وفى الأنساب وفى الصحافة والرحلات وله مآثر تجلّ على الحصر ويصعب أن يلمّ بها محاضر واحد فاخترت أن أكتب بحثًا بعنوان :

(جهود الشيخ حمد الجاسر فى خدمة الشاعر العربى القديم)

ووضعت لذلك مخططًا يحتوى على دراسة عن جهوده فى جمع الشعر القديم ونشر المخطوطات المعنية بالشعر ونقد الدواوين المحققة وأنساب الشعراء وبلدانهم وأخبارهم وتحديد المواضع الواردة فى الشعر القديم وتصحيح الأخطاء فى نسبة الشعر لغير أصحابه . .

لكنى أمام عنوان سلسلة المحاضرات التى تنظم هذه المحاضرة فى سلكها وتدرج ضمن عقدها وهو (شوامخ المحققين) اضطررت إلى التعديل والتكيف مع كل ذلك والالتزام بالعنوان المختار من قبل الدار وفيه الخير والبركة والنفع إن شاء اللّه .

ولا أدعى أن فى المحاضرة ما يحيط بالموضوع فالوقت ضيق والطاقة والقدرة محدودة ومقام الشيخ الجليل رحمه اللّه ومكانته أكبر من ذلك ، ولكن أعزى نفسى بأن أقول يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق وأن ما سأقدمه الليلة هو (جهد المقل) ، وأن فيما سيتفضل به الأخوة الكرام الذين سيعلقون على المحاضرة ما يسدّ خللها ويسدد مسارها ويجبر كسرها ، وهى فى كل الأحوال وقفات ولقطات ورشفات من بحر علمه وفيض إدراكه ونتاج فكره وبحثه .

ـ ٣ ـ

ترجمة موجزة للشيخ الجاسر :

وشيخنا العلامة حمد الجاسر ـ رحمه اللّه ـ علم شامخ وأستاذ جيل وإذا كنا نقول إن المعروف لايعرف به وهذا للهروب من تقديم التعريف فإن الأصح أن مثل حمد الجاسر يصعب التعريف به فى عجالة سريعة لتنوع معارفة وتعدد مأثره وكثرة إنتاجه وجليل أعماله لكنى أعرف أنه ليس من العلماء المحليين المعروفين داخل المملكة المجهولين خارجها بل هو معروف فى الأوساط العلمية فى كل البلاد العربية وعلى المستوى العالمى فى مجال اهتمامه وهو ما يمكن اختزاله فى أمرين(الجزيرة العربية : تاريخًا وجغرافية وأنسابًا وأدبًا ، والتراث العربى الخالد تعريفًا وجمعًا وتحقيقًا ودفاعًا» .

أما على مستوى (مصر) الخالدة فهى تعرفه ويعرفها نهل من علمها واستفاد من كنوزها وكرمته فى مؤسساتها الثقافية فقد درس فى كلية الآداب بجامعة القاهرة ، ونهل من معين هذه الدار (دار الكتب المصرية) وقضى فيها الأيام الطوال ناسخًا ومحققًا ومراجعًا ثم شرف بعضوية مجمع الخالدين (مجمع اللغة العربية) ، وكانت له صولات وجولات فى دورات المجمع ، وكان المرجع والمستشار فى كل ما له علاقة بالجزيرة العربية تاريخًا وأنسابًا وجغرافية ،

وقد قال عنه الأستاذ الدكتور شوقى ضيف رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة يوم وفاته :«برحيل الشيخ الجاسر انتهى عصر المحققين العظام فى العالم العربى فكان هو والشيخ محمود شاكر أشهر محققى التراث فى المملكة والعالم العربى إلى جانب عضويته الفعالة فى مجمع الخالدين باعتباره أكبر الأعضاء سنًا وأوسعهم ثقافة وأشدهم عزيمة وأكثرهم انتشارًا وأطولهم باعًا وأوسعهم ثقافة وأجلهم هيبة ومكانة ، وتعتبر وفاة علامة الجزيرة خسارة فادحة لمجمع الخالدين»[1] .

وقال الأستاذ إبراهيم الترزى - رحمه الله - الأمين العام السابق لمجمع اللغة العربية بالقاهرة : «يعز على مجمع اللغة العربية بالقاهرة أن يفقد عضوه الجليل علامة الجزيرة العربية الشيخ حمد الجاسر الذى أفاد المجمع بعلمه الفذّ وبخاصة فى جغرافية الجزيرة العربية التى يعد قائدها فى هذا العصر ، وذلك فى أكثر من أربعين عامًا منذ انتخابه عضوًا بالمجمع عام ١٩٥٨م . . ويحسب له إسهاماته ونقاشاته الهامة التى كانت تثرى جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة وكذلك غيرته الواضحة على اللغة العربية الفصحى من أى أشياء دخيلة عليها[2] .

ومع كل ذلك فلا بأس بتقديم موجز عن حياته فى لقطات سريعة ونقاط موجزة :

* ولد الشيخ حمد بن محمد الجاسر فى قرية (البرود) من إقليم (السر) بنجد عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) ، وهو ينتمى إلى (الكثمة) من بنى (على) من قبيلة (حرب) المشهورة .

* تلقى تعليمه الأولى فى قريته (البرود) ، ثم انتقل إلى (الرياض) ، ودرس على علمائها وبعد مدة انتقل إلى (مكة المكرمة) ، ودرس على علمائها وفى (المعهد السعودى) بمكة المكرمة ثم حصل على بعثة للدراسة بمصر والتحق بكلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) لكنه لم يكمل الدراسة بها بسبب ظروف الحرب العالمية الثانية .

* عمل فى القضاء والتدريس والوظائف الفنية فتولى إدارة (مراقبة التعليم بالظهران) ، ثم (إدارة التعليم بنجد) ، ثم إدارة كليتى الشريعة واللغة العربية بالرياض ، ثم ترك العمل الحكومى مبكرًا وتفرغ لأعماله الصحفية والعلمية وللبحث والتأليف وتحقيق المخطوطات .

---

(١) حمد الجاسر فى عيون الآخرين ، ص٨٢٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص٨٣٠ .

* اتجه إلى الصحافة[١] فأصدر عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) مجلة (اليمامة) وأنشأ أول مطبعة بالرياض عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) كما أنشأ مكتبة(العرب) بالرياض .

* وفى عام ١٣٨١هـ أصدر اليمامة (أسبوعية) ، وفى عام ١٣٨٥هـ رأس تحرير جريدة الرياض ، وفى عام ١٣٨٦هـ أصدر مجلته الشهيرة (العرب) وأنشأ (دار اليمامة للبحث والترجمة) التى صدرت عنها مجلته (العرب) وأغلب كتبه وتحقيقاته كما قامت بنشر العديد من الكتب تحت إشرافه .

* ذاع صيته العلمى واشتهر بتحقيقه الدقيق للمواضع والأنساب والأحداث التاريخية وبخاصة ما يتصل بالجزيرة العربية فانتخب عضوًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٨م) ، ومجمع اللغة العربيةبدمشق ، والمجمع العلمى العراقى ، ومجمع اللغة العربية بعمّان ، والمجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية بعمّان ، وأكاديمية المملكة المغربية بالرباط والمجمع العلمى فى الهند وغير ذلك من المجامع والجمعيات العلمية .

* نال العديد من الجوائز والأوسمة مثل (جائزة الدولة التقديرية فى الأدب عام ١٤٠٤هـ ، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربى عام ١٤١٦هـ وجائزة الكويت للتقدم العلمى ١٤١٦هـ) وغير ذلك من الجوائز .

* كما منحته الدولة وسام الملك عبد العزيز عام ١٤١٧هـ .

* توفى الجاسر - رحمه اللّٰه - يوم الخميس ١٦ / ٦ / ١٤٢١هـ (١٤ / ٩ / ٢٠٠٠م) ودفن بالرياض بعد أن صلت عليه الجموع الغفيرة من طلابه ومحبيه والمنتفعين بعلمه والمعترفين بفضله وريادته .

وتكريماً له واستمرارًا لنهجه وسيرًا على خطاه ومواصلة لعطائه الفكرى فقد تمّ إنشاء مؤسسة علمية ثقافية باسمه هى (مؤسسة حمد الجاسر الخيرية)[٢] و (مركز حمد الجاسر الثقافى) وقد باشر المركز عمله وكان باكورة إنتاجه كتاب وثائقى ضخم تحت عنوان (حمد الجاسر فى عيون الآخرين) ، وهو جمع لما كتب من مقالات ومراثٍ فى الشيخ رحمه اللّٰه ، ويقع فى (٨٦٢) صفحة من الحجم الكبير .

---

(١) عن جهوده فى الصحافة . انظر كتاب الدكتور عبدالعزيز بن سلمه : حمد الجاسر ومسيرة الصحافة والطباعة والنشر فى مدينة الرياض ، وهو دراسة شاملة .
وانظر أيضًا : تطور الصحافة فى المملكة العربية السعودية ، لعثمان حافظ ، وكتاب (حمد الجاسر فى حوار تلفزيونى) ، للدكتور عبد الرحمن الشبيلى .

(٢) عن (مؤسسة حمد الجاسر الخيرية) ، ومركز حمد الجاسر الثقافى . انظر (دليل المركز) والنشرات التعريفية به .

وقد استمرت مجلته الشهيرة (العرب) فى الصدور بعد وفاته ويرأس تحريرها معالى الأستاذ الدكتور أحمد الضبيب ، وهى تسير على المنهج الذى رسمه لها مؤسسها (الجاسر) رحمه الله .

وكما أن (مركز حمد الجاسر الثقافى)قد شرع فى جمع مقالات الشيخ وبحوثه وكتبه التى لم ينشرها فى حياته تمهيدًا لطباعتها .

كان الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - موضع التقدير والتكريم من العلماء والأدباء والمسؤولين فى حياته وبعد وفاته ولذلك تم إنشاء (المؤسسة) و(المركز) ، كما أن بعض المؤسسات العلمية والثقافية قد تسابقت فى تنظيم (ندوات علمية عنه فقد نظمت الملحقية الثقافية السعودية بدمشق ندوة عنه شارك فيها عدد من العلماء والمتخصصين عام ١٤٢١هـ (٢٠٠٠م) ، ثم صدرت بحوث الندوة فى مجلد كبير يقع فى (٣٥٠) صفحة ، كما أقامت (جامعة آل البيت) بالأردن ندوة عنه بعنوان (الحلقة الاستذكارية للعلامة المرحوم الشيخ حمد الجاسر) ، يوم الأربعاء ١٦ صفر ١٤٢٣هـ .

كما أن جامعة الملك سعود بالرياض ستقيم - قريبًا - ندوة علمية عنه تحت عنوان (حمد الجاسر وجهوده العلمية) .

وتشتمل الندوة على المحاور التالية :

١ ـ جهود الشيخ حمد الجاسر فى مجال التاريخ .

٢ـ جهود الشيخ حمد الجاسر فى مجال الجغرافيا .

٣ ـ جهود الشيخ حمد الجاسر فى مجال الآثار .

٤ـ جهود الشيخ حمد الجاسر فى مجال اللغة العربية وآدابها .

٥ ـ جهود الشيخ حمد الجاسر فى مجال تحقيق التراث .

٦ ـ جهود الشيخ حمد الجاسر فى مجال الصحافة .

٧ ـ جهود الشيخ حمد الجاسر فى تناول قضايا المجتمع .

ولا ننسى أن نشيد بمبادرة مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة بإقامة هذه الندوة وفاءً للشيخ الجاسر وتقديرًا لجهوده المباركة فى خدمة تراثنا الخالد .

- ٤ -

أعماله العلمية :

وللشيخ حمد الجاسر مؤلفا كثيرة منها :

١ ـ ابن عربى موطد الحكم الأموى فى نجد .

الرياض ، ١٤١٤هـ .

٢ ـ أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع .

دار اليمامة للبحث والنشر ، الرياض ، ١٣٨٨هـ .

٣ ـ أشهر رحلات الحج . ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى .

دار الرفاعى للنشر والطباعة والتوزيع ، الرياض ، ١٤٠٢هـ .

٤ ـ أصول الخيل العربية الحديثة .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٥هـ .

٥ ـ إطلالة على العالم الفسيح بين الشرق والغرب . رحلات حمد الجاسر(٣) .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

٦ ـ باهلة : القبيلة المفترى عليها .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٠هـ .

٧ ـ بلاد ينبع .

لمحات تاريخية جغرافية وانطباعات خاصة .

٨ ـ جمهرة أنساب الأسر المتحضرة فى نجد (جزءان) .

دار اليمامة ، الرياض .

٩ ـ رحالة غربيون فى بلادنا .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

١٠ ـ رحلات حمد الجاسر للبحث عن التراث(٩) .

الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون .

دار اليمامة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ .

١١ ـ في سراة غامد وزهران .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

١٢ ـ في شمال غرب الجزيرة .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٠هـ .

١٣ ـ في الوطن العربي .

من رحلات حمد الجاسر (٢) .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

١٤ ـ مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٦هـ .

١٥ ـ مع الشعراء .

مختارات ومطالعات .

منشورات النادي الأدبي ببريدة .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .

١٦ ـ معجم أسماء الخيل وفرسانها : الخيل القديمة .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠١هـ .

١٧ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ، معجم مختصر من ثلاثة أجزاء .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٧هـ .

١٨ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .

شمال المملكة (ثلاثة أجزاء) .

دار اليمامة ، الرياض .

١٩ ـ المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .

المنطقة الشرقية (أربعة أجزاء) .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٩هـ .

٢٠ ـ معجم قبائل المملكة العربية السعودية (جزءان) .

النادى الأدبى بالرياض ، ١٤٠١هـ .

٢١ ـ نظرات فى كتاب تاج العروس من جواهر القاموس .

للسيد محمد مرتضى الحسينى الزبيدى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٧هـ .

٢٢ ـ نظرات فى المعجم الكبير .

إعداد الدكتور إبراهيم السامرائى ، وحمد الجاسر .

الرياض ، ١٤١٤هـ .

وله مؤلفات أخرى عديدة لم تنشر بعد ، ومنها :

١ ـ الإقطاعات النبوية .

٢ ـ الطرق القديمة فى جزيرة العرب .

٣ ـ المعادن القديمة فى بلاد العرب .

٤ ـ مذكراته .

كما قام الجاسر بتحقيق الكثير من الكتب التراثية ومنها :

١ ـ أدب الخواص .

فى المختار من بلاغات قبائل العرب وأخبارها وأنسابها .

للحسين بن على بن الحسن الوزير المغربى .

النادى الأدبى بالرياض ، ١٤٠٠هـ .

٢ ـ الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة .

للإمام الحافظ محمد بن موسى الحازمى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٥هـ .

٣ ـ الإيناس فى علم الأنساب .

للحسين بن على الوزير المغربى .

ومعه كتاب : مختلف القبائل ومؤتلفها .

لأبى جعفر محمد بن حبيب البغدادى .

النادى الأدبى بالرياض ، الرياض ، ١٤٠٠هـ .

٤ ـ البرق اليمانى فى الفتح العثمانى .

لقطب الدين النهروالى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٧هـ .

٥ ـ بلاد العرب للأصبهانى .

تحقيق حمد الجاسر وصالح العلى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٨هـ .

٦ ـ تاريخ بعض الحوادث الواقعة فى نجد .

لإبراهيم بن صالح بن عيسى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٦هـ .

٧ ـ الدرر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطرق مكة المعظمة .

لعبد القادر الأنصارى الجزيرى (ثلاثة مجلدات)

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٣هـ .

٨ ـ رسائل فى تاريخ المدينة (٦ رسائل)

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٢هـ .

٩ ـ نبذة تاريخية عن نجد .

لضارى بن فهيد الرشيد

ومعها : القول السديد فى أخبار إمارة آل رشيد .

لسليمان بن صالح الدخيل .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٦هـ .

١٠ ـ كتاب الجوهرتين العتيقتين المائعتين : الصفراء والبيضاء .

للسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠٨هـ .

١١ ـ المغانم المطابة فى معالم طابة .

للفيروز آبادى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٨٩هـ .

١٢ ـ المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة .

لأبى إسحاق الحربى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤٠١هـ .

وأخيرًا فقد أعد الشيخ للنشر قبل وفاته كتاب (الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة فى الأخبار والأشعار لأبى الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندرى) ، وسيصدر قريبًا عن مركز الملك فيصل للبحوث الإسلامية بالرياض فى ثلاثة مجلدات كبار وقد أطلعنى الأستاذ الدكتور يحيى بن محمود جنيد (الساعاتى) الأمين العام للمركز قبل أيام على التجارب الأخيرة لطباعة الكتاب وسيصدر قريبًا جدًا إن شاء الله .

كما أشرف على طباعة ونشر عدد من الكتب من مؤلفات أصدقائه ومعارفه ومنها :

١ ـ تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد .

لمحمد بن عبد الله آل عبد القادر .

مطابع الرياض ، ١٣٧٩هـ .

أعيد طباعته من قبل دارة الملك عبد العزيز .

٢ ـ شعر الشنفرى الأزدى .

لأبى فيد مؤرخ بن عمر السدوسى .

تحقيق على ناصر غالب ، ومراجعة الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٩هـ .

٣ ــ صفة جزيرة العرب .

للسان اليمن الحسن بن أحمد الهمدانى .

تحقيق محمد بن على الأكوع .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٤هـ .

٤ ـ معجم المطبوعات العربية فى المملكة العربية السعودية .

الدكتور على جواد الطاهر (أربعة مجلدات)

دار اليمامة ، الرياض ، ١٤١٧هـ .

٥ ــ المحمدون من الشعراء .

لعلى بن يوسف القفطى .

تحقيق حسن معمرى .

دار اليمامة ، الرياض ، ١٣٩٠هـ .

وتحتوى مجلة (العرب) بحوث وتحقيقات كثيرة لصاحبها الشيخ حمد الجاسر يمكن جمعها واستخلاص كتب كثيرة منها ما بين تأليف وتحقيق ونقد لما ينشر من كتب التراث فالمجلة زاخرة بما كتبه صاحبها رحمه الله .

ولعل خير وصف لعمله فى المجلة هو ما كتبه عنها حيث قال : إننى حينما أتصفح أو أنظر فى هذه الثلاثين من مجلدات المجلة أحس بشئ من الراحة والاطمئنان ليس مبعثهما الاعتزاز بتصور ما تحويه من آراء وأفكار هى وإن كانت عصارة عقلى وثمرة تفكيرى وخلاصة جدى واجتهادى فى البحث والدراسة فى الموضوعات التى طرقتها خلال تلك الحقبة من الزمن التى أعدها أحفل أيام حياتى بالعمل فأنا أدرك ما يعتور عمل الفرد من نقص وقصور وما يعترى أفكاره وآراءه من خطأ وخلل ولكن مع ذلك كله فلأننى أدركت عن يقين وثقة أننى سلكت منهجًا قويمًا بصرف النظر عما اعترى سيرى من تعثر أو عدم استقامة فى الاتجاه فى حالات ليست قليلة ولعل سمو القصد وبذل الجهد مما يشفع لى حيالها .

وقد أعد الأستاذ الدكتور يحيى بن محمود جنيد (الساعاتى) كتابًا ضخمًا نشرته مكتبة الملك فهد الوطنية يشتمل على محاولة لحصر ما ألفه الجاسر أو كتبه فى الدوريات والمجلات فى الداخل والخارج ثم قامت المكتبة بعد وفاة الشيخ بإضافة مواد أخرى ضمن قاعدة معلومات عنه ولعل المكتبة تقوم بدمجها مع عمل الأستاذ الدكتور يحيى جنيد لتصدر بعد ذلك قائمة حصرية بكل ما كتبه الجاسر ولتكون مرجعًا لكل باحث فى تراث الشيخ .

- ٥ -

عاشق التراث :

منذ خطواته الأولى فى البحث إلى آخر يوم من حياته وحمد الجاسر عاشق للتراث محب له ملحف فى طلبه يعيش معه فى حله وفى سفره وفى كل أحواله ، ولذلك كله فقد أجاد وأفاد وأصبح معينًا لا ينضب ومتحدثًا لا يمل ومؤلفًا لا يشق له غبار ومحققًا قد اكتملت له وفيه متطلبات التحقيق وناقدًا بصيرًا يزين ذلك اعتزاز وتواضع وغيره وحلم وأناه فكان كما وصفه الدكتور الضبيب فقال : «إن شخصية الشيخ حمد الجاسر بوصفه عاشقًا للتراث تستحق أن يؤلف فيها كتاب كبير وأكثر ما يروعك فى هذه الشخصية قوة العزيمة وشدة الدأب والإصرار على الوصول إلى الهدف دون الالتفات إلى المعوقات بل إن روح التحدى التى اتصفت بها شخصيته جعلته أسطورة فى الثبات والاستهانة بالعقبات مع كثرتها وتنوعها فى سبيل الوصول إلى الهدف المنشود»[1] .

وإذا كان هذا شأنه وشأوه مع تراث أمتنا الخالد فى مختلف العصور والأزمان والأماكن والبلدان والقبائل والشعوب والإنسان والمعدن والحيوان فإن لتراث الجزيرة العربية مكانة خاصة أوصلته بحق إلى هذا اللقب الشريف (علامة الجزيرة العربية)وهو - بحق - يستحقه بأبحاثه ورحلاته وتأصيله وتصويباته أو كما وصفه الدكتور عبد اللّٰه الوهيبى أحد تلاميذه ومحبيه ، حيث قال : لحمد الجاسر منن كثيرة تطوق أعناق الباحثين فى تاريخ الجزيرة العربية وجغرافيتها ومجتمعها فقد ألف كثيرًا من الكتب فيها وصحح كثيرًا من الأخطاء حولها وحقق كثيرًا من النصوص عنها وهو فى كل مايؤلف أو يصحح أو يحقق يظهر بجلاء طالب علم يبحث عن الحقيقة لايدعى أن رأيه هو الكلمة الفصل مع أنه بشهادة العصر أولى الناس

---

(١) حمد الجاسر علامة الجزيرة العربية ، ص٥٦ .

بأن يقول الكلمة الأخيرة فى هذه الموضوعات وهو أبعد الناس عن التزيد بما ليس عنده أو ادعاء جهود غيره أو التباهى بجهوده هو)[1] .

وهذا العلم العميق والبحث الدؤوب فى كل ما له علاقة بالجزيرة العربية مكانًا وتاريخيًا وإنسانًا هو الذى جعل زملاءه وأقرانه فى (مجامع اللغة العربية) فى القاهرة ودمشق وبغداد وعمان يعتزون بما يكتب عن الجزيرة ويعتبرونه كلمة الفصل والمرجع الحق والرجل المحقق الدقيق وبصفة خاصة فى تحديد مواضع الجزيرة حيث لايكتفى بالمعرفة النظرية بل يقرن ذلك بالرحلة والوقوف على الديار والسفر فى الفيافى والقفار ولذلك نال الثقة وأصبح الباحث الثبت فى كل ما له صلة بجزيرة العرب .

– ٦ –

جهود الجاسر فى خدمة التراث :

حياة الجاسر كلها فى خدمة التراث ولذلك فمن الصعوبة بمكان أن نلم بأطراف الموضوع أو أن نوفيه حقه من البحث والدرس وبصفة خاصة فى محاضرة عامة لها زمن محدد ولعل فى التعليقات والمداخلات ما يكمل النقص ويسد الخلل ويضيف جديدًا .

ويمكن على سبيل الإجمال أن نتحدث عن جهوده من خلال المحاور التالية :

أولاً : التنقيب عن المخطوطات وجمعها والتعريف بها وتصحيح المعلومات والفهارس .

اهتم الشيخ حمد منذ وقت مبكر بكل مخطوطة أو كتاب بل بكل ورقة لها علاقة بالجزيرة العربية مكانًا وزمانًا وإنسانًا حتى أصبح المرجع الأول فى ذلك واستحق لقب (علامة الجزيرة) ، وقد تمّ له ذلك من خلال رحلاته الكثيرة التى جاب خلالها أقطار المعمورة باحثًا ومنقبًا وكان يقضى الأيام والليالى فى أقسام المخطوطات قارئاً وناقلاً ومصورًا فاجتمع له من ذلك علم غزير ومعرفة دقيقة وإذا أضفنا إلى ذلك ما كان يحصل عليه عن طريق الشراء وما يصله عن طريق أصدقائه ومحبيه ومعارفه والمعجبين به وزملائه فى المجامع والمجالس وما يصل

---

(١) حمد الجاسر علامة الجزيرة العربية ، ص٢٧ .

إلى مجلته الرائدة (العرب) عرفنا حجم ما لديه وقيمة ما حوته خزائنه رغم ما خسره من كنوز عندما احترقت مكتبته الشهيرة ببيروت .

ومن يرجع إلى ما كتبه عن رحلاته فى سبيل جمع التراث[١] يعرف مقدار ما عانى ومابذل من وقت وجهد ومال أما الذين يرتادون مجالسه وينهلون مشافهة من علمه ومعارفه فيروون من ذلك الأعاجيب فكم هم أولئك الذين وجههم إلى مخطوطة أو صحح معلوماتهم أو أزال لبسًا فى أذهانهم وكم من باحث نصحه بأن يحقق المخطوطة الفلانية ودله على أماكن حفظ نسخها فى مكتبات العالم المختلفة بل كم من باحث ساعده وقدم إليه مصوراته من المخطوطات التى يحتاج إليها كرمًا وفضلاً ونبل أخلاق .

ثانيًا : نقد الكتب المنشورة والمحققة :

لحمد الجاسر فى ذلك باع طويل وخدمات جلى وكتابات كثيرة وهو ينطلق فى نقده وملحوظاته من منطلق الحرص على الدقة ومحاولة تسديد العمل واستدراك مايشوبه من نقص أو زلل .

وقد يشتد أحيانًا فيكتب نقدًا لاذعًا كما هو الحال مع تحقيق الحمادى للتعليقات والنوادر ، وقد أفردنا لذلك فقرة خاصة ، وقد يرق أحيانًا وكأنه يتجاذب أطراف الحديث مع صاحبه وكم من منقود استفاد من نقده واعترف بفضله .

وقد نشر نقداته وتصويباته فى مجلات ودوريات كثيرة ثم أصبحت مجلته(العرب) ميدانًا لذلك فنشر الحلقات الطوال وعلى مدى سنوات أحيانًا فى نقد هذا العمل أو ذاك .

ومن ذلك نقده لتحقيق كثير من الدواوين كما نجد ذلك مجموعاً فى كتابه (مع الشعراء) .

وقد نشر الجاسر فى مجلته (العرب) حلقات فى نقد النشرة الكويتية لمجد (تاج العروس) للزبيدى ثم جمعها وهذبها ونشرها فى كتاب بعنوان (نظرات فى كتاب تاج العروس من جواهر القاموس) كما أنه تناول (المعجم الكبير) الذى أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى

(١) كتب الجاسر مقالات وأبحاثًا كثيرة عن رحلاته فى سبيل التراث ثم جمع أشتاتًا منها فى ثلاثة كتب عن رحلاته فى الداخل والخارج (انظر ثبت مؤلفاته) .

أجزائه الثلاثة بالنقد والملاحظة وكان ذلك فى دورات المجمع التى يتم فيها عرض ماتّم إنجازه من المعجم أو فى مجلته (العرب) ، وقد جمع كل ذلك مع ما كتبه الدكتور إبراهيم السامرائى رحمهما اللّه فى كتاب بعنوان (نظرات فى المعجم الكبير) ومن يقرأ الكتابين لابد أن يعرف للجاسر قدره وسعة علمه ودقة ملحوظاته ، وقد صنف الدكتور عبد العزيز التويجرى هذه الملحوظات فقال[1] : «تمثل جهد الجاسر ومنهجه فى نقده اللغوى لـ (تاج العروس) و (المعجم الكبير) فى الجوانب التالية :

١ ـ التنبيه على قضايا تتصل بمنهج التناول المعجمى .

٢ ـ تصحيح المتن المعجمى وضبطه والعناية بلغته .

٣ ـ بيان الإبدال اللغوى فى بعض الألفاظ .

٤ ـ توضيح التصحيف والتحريف الواقع فى أسماء المواضع والأعلام والقبائل .

٥ ـ التنبيه على نطق العامة لبعض الألفاظ وبيان الفصيح فيه .

٦ ـ تصحيح ما ورد حول دلالة بعض الألفاظ على معانيها .

٧ ـ الإشارة إلى الألفاظ الأعجمية .

٨ ـ إيضاح الخطأ فى الرسم الإملائى وتصويبه .

٩ ـ النقد اللغوى لمصادر المعجمين .

ثالثًا : تلخيص الكتب التراثية وعرض محتوياتها :

كتب الجاسر كثيرًا من البحوث فى عرض محتويات بعض الكتب التراثية التى لم يتيسر له نشرها كاملة لعدم وجود نسخة كاملة منها أو لإثارة الاهتمام بها بعرض محتوياتها .

كما أنه قام بتلخيص بعض الرحلات إلى الجزيرة العربية لأهميتها كما فعل فى كتابه (ملخص رحلتى ابن عبد السلام الدرعى) الذى نشرته دار الرفاعى بالرياض .

كما أنه قد استعرض محتويات (التعليقات والنوادر) فى مجلة (العرب) قبل أن يقوم بنشر الكتاب فى أربعة مجلدات وكذلك فعل مع كتاب ابن حميد (السحب الوابلة) وهكذا هو الشيخ حمد محققًا وملخصًا ومعرفًا بكنوز مكتبتنا التراثية الواسعة الانتشار .

---

(١) حمد الجاسر اللغوى للدكتور عبد العزيز التويجرى ، ص٥ .

رابعاً : الإشراف على طباعة الكتب التراثية للغير :

رغم انشغالات الجاسر العلمية ومع كبر سنه وضعف بصره واعتلال صحته إلاّ أنه حريص على مدّ يد العون والمساعدة العلمية لزملائه وتلاميذه ومحبيه ومن ذلك قيامه بالإشراف على طبع عدد من الكتب مثل كتاب (المحمدون من الشعراء) لعلى بن يوسف القفطى الذى حققه حسن معمرى ونشرته دار اليمامة عام ١٣٩٠هـ، وكتاب (شعر الشنفرى الأزدى) لأبى فيد مؤرخ بن عمر السدوسى بتحقيق على ناصر غالب ومراجعة الدكتور عبدالعزيز المانع ، وكتاب (صفة جزيرة العرب) للهمدانى بتحقيق الشيخ محمد بن على الأكوع .

ولنقف قليلاً عند نشره لكتاب (المحمدون من الشعراء) للقفطى الذى حققه حسن معمرى فى رسالة علمية بجامعة باريس أشرف عليها المستشرق الفرنسى الشهير شارل بلا فقد كتب الجاسر مقدمة جيدة له تحدث فيها عن الأسلوب الأمثل فى التحقيق وقال : «ونشر أية مخطوطة لا يكون قائمًا على أساس من الصحة والكمال إلاّ بالاطلاع على جميع نسخها واختيار الأصلح الأوثق منها» ، ولذلك أراد إصلاح الخلل الموجود فى تحقيق حسن معمرى بعدم الرجوع إلى نسخة المؤلف فراجع التحقيق وعارضه بنسخة المؤلف واستدرك تراجم كثيرة وصحح قراءة المحقق وأضاف إليه بعض الحواشى وبتعبير أدق كأنه أعاد التحقيق .

خامساً : تحقيق المواضع وبخاصة فى الجزيرة العربية :

سبق أن أشرنا إلى مكانة الشيخ حمد الجاسر ومرجعيته فى تحديد المواضع ووصفها وبخاصة فى الجزيرة العربية ، وقد كتب فى ذلك كثيرًا سواء فى بحوثه المباشرة عن تلك المواضع أو فيما يكتبه من نقد لتحديد الآخرين لها أو فيما قام به من مجهودات خارقة فى معاجمه الجغرافيه لشمال المملكة وجنوبها وشرقها أو فى تعليقاته على وصف الأماكن الواردة فى الكتب التى حققها أو . . . كتحديده لموقع (سوق عكاظ) واكتشافه لبعض المدن الأثرية المندثرة ومحاولته اكتشاف وتحديد طريق الفيل وتمييزه بين المتشابهات والأماكن ذات الاسم الواحد والموقع المختلفة أو فى تحديده لموقع أماكن التعدين ودورات العرب والأحمية والاقطاعات ومنازل القبائل فى مختلف العصور .

وتقوم تصحيحاته وتحديداته الجغرافية التى أشرنا إليها على منهج صارم فى البحث يعتمد على ثلاث ركائز هى جمع المادة العلمية الواردة عنده فى مختلف المصادر مطبوعها ومخطوطها ثم الوقف الميدانى على المكان ثم تطبيق ما قيل عن المكان على واقع الأرض إن

كانت المعالم لاتزال واضحة بارزة أو محاولة الاكتشاف الأثرى له ثم يخرج الجاسر من ذلك كله بتحديد دقيق ووصف واضح المعالم لذلك المكان المراد تحقيق موقعه أو تصحيح ما شابه من أغاليط وأوهام .

سادساً : تحقيق الكتب التراثية :

سبق أن أوردنا فى فقرة سابقة ثبتًا بالكتب التى حققها للشيخ حمد الجاسر وهى تكون فى مجموعها مكتبة تراثية منتقاة .

وبالرجوع إلى قائمة الكتب المحققة يتضح لنا مايأتى :

١ ـ عنايته بالكتب التى لها علاقة بالجزيرة العربية بصفة خاصة .

٢ ـ التركيز على الكتب الجغرافية .

٣ ـ التركيز على المصادر الأساسية المهمة من الجزيرة كبلاد العرب للأصبهانى ، وصفة جزيرة العرب للهمدانى .

٤ ـ الاهتمام بالكتب التى لها علاقة بالمدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ككتاب المناسك وأماكن طرق الحج للحربى أو تلميذه وكيع والمغانم المطابة فى معالم طابة للفيروز آبادى والدرر الفرائد المنظمة للجزيرى ورسائل فى تاريخ المدينة .

٥ ـ عنايته بكتب علم المؤتلف والمختلف وبخاصة فى أسماء الأماكن وهى من أصحاب الكتب على المحققين لتشابه الأسماء وتقارب نطقها ولكنّ الشيخ الجاسر مهر فى ذلك وبزّ أقرانه ومن أراد الدليل فليرجع إلى تحقيقه لكتاب الحازمى (الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة) وليقرأ التعليقات والحواشى التى طرز بها هذا الكتاب وعندما يصدر – قريبًا – تحقيقه لكتاب (الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكور فى الأخبار والأشعار لأبى الفتح نصر بن عبد الرحمن الإسكندرى) سيرى المتخصصون أى جهد كبير بذله الشيخ فى تحقيق هذا الكتاب وحلّ مغاليقه .

٦ ـ تركيزه على التحقيق لجوانب علمية لم تنل العناية مع أهميتها فى دراسة أحوال الجزيرة العربية كتحقيقه لكتاب الهمدانى المهم جدًا عن المعادن وأماكن استخراجها فى الجزيرة العربية (الجوهرتين العتيقتين المائعتين) .

٧ ـ عنايته بكل ما له علاقة بالرحلة إلى الجزيرة العربية بصفة عامة وإلى الحرمين الشريفين بصفة خاصة فقد حقق ولخص وعرف بعدد من تلك الرحلات وكتب دراسات متنوعة عنها وعن أصحابها وأماكن وجود مخطوطاتها .

ويسير الجاسر فى التحقيق على منهج قويم واضح يدعمه خبرة واسعة وعلم عزيز ومن معالم ذلك المنهج :

١ ـ حسن الاختيار لما ينبغى تحقيقه ويتضح ذلك من قائمة ما حقق من الكتب .

٢ ـ التركيز على ما له علاقة بالجزيرة العربية كما أسلفنا وهذا الهدف المحدد أعطاه عمقًا وتركيزًا وخبرة متراكمة جعلت يفوق غيره فى هذا الجانب .

٣ ـ الحرص على استيفاء نسخ المخطوط الذى يريد تحقيقه ونشره والرجوع إلى أقدم النسخ كنسخة المؤلف أو تلاميذه أو الأقرب من عصره وهكذا .

٤ ـ الاهتمام بمطابقة ما ورد فى النص المحقق على ما ورد فى كتب المؤلف الأخرى أو على المصادر التى استقى المؤلف منها معلوماته أو المصادر الموثوقة التى نقلت عنه وكل ذلك فى محاولة لقراء ة النص قراءة صحيحة .

٥ ـ التمرس بقراءة المخطوطات ومعرفة الخطوط ومعرفة أساليب المؤلفين وأساليب عصرهم والصبر على المخطوطات ذات الخط غير الواضح أو ذات النسخة الوحيدة ولعل أبرز مثال على مايبذله من جهد فى ذلك هو عمله فى (التعليقات والنوادر) للهجرى . وكذلك نقده لقراءة الآخرين لبعض النصوص الصعبة .

٦ ـ لا يميل إلى كثرة مقارنات بين النسخ وبيان الفروق الطفيفة التى لا تؤثر على المعنى ولا تزيد فى المعلومات ويعتبر ذلك من التزيد والمبالغة وحشو الكتب بما لا فائدة منه .

٧ ـ عدم التزيد والمبالغة فى كثرة الحواشى والإطالة فى التراجم إلاّ ما له ضرورة أو يحتاج إلى إيضاح أو تصحيح لما ورد فى الكتاب أو ترجمة لعالم لم يعط حقه من البحث والتحرى لذا نجد تعليقاته متفاوتة حسب مقتضيات الكتب التى يعلق عليها مع ميل فى الجملة إلى البعد عن الإطالة والحشو فى الهوامش .

- ٧ -

الشيخ حمد الجاسر وكتاب (التعليقات والنوادر) للهجرى :

وسأقف بشىء من التفصيل عند قضية مهمة ومثال عملى على غيرة الشيخ الجاسر على التراث وحرصه عليه ومدى ما يبذله من جهد متواصل دؤوب فى سبيل خدمته والذود عنه وحمايته من عبث العابثين كما تكشف القصة عن قدرات الشيخ النقدية الهائلة وفى الوقت نفسه عن أخلاقه وتعامله .

والقصة تتعلق بكتاب (التعليقات والنوادر) لأبى على هارون بن زكريا الهجرى من علماء القرن الثالث الهجرى وأوائل الرابع .

وكتاب (التعليقات والنوادر) من الكتب المهمة جدًا فى تحديد المواضع وأنساب قبائل الجزيرة العربية وأشعارها وفى تفسير غريب اللغة لكنه لم ينل عناية ولم يرزق انتشارًا وكاد أن ينسى لولا تلقف علماء الأندلس له ونقلهم عنه كثابت بن حزم السرقسطى وابنه قاسم وابنه سيده وأبى عبيد البكرى . .

وفى العصر الحديث لقى بعض العناية من علماء ومحققين معاصرين كعبد العزيز الميمنى الراجكوتى والشيخ محمود محمد شاكر وزبير الصديقى وأبى محفوظ الكريم المعصومى وأحمد راتب النفاخ .

ولقد لفت هذا الكتاب العظيم انتباه الشيخ الجاسر وعنايته فحصل على مصورتين لقطعتين منه إحداهما فى دار الكتب المصرية والأخرى فى مكتبة الجمعية الأسيوية بكلكتا بالهند وعكف على ما بقى من الكتاب يقرأه ويحاول حلّ رموزه ومعرفة غريبه وتوثيق أشعاره .

وكتب عنه مقالات مختلفة ثم أصدر كتابه الشهير (أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحقيق المواضع) معرفًا بالهجرى جامعًا لكل ما توصل إليه من بحث دقيق وتقليب للمصادر المخطوطة والمطبوعة عنه وذلك عام ١٣٨٨هـ .

ثم رأى الشيخ الجليل أن يقوم بعمل كبير فى خدمة هذا الكتاب التراثى الكبير فقرأه قراءة متأنية وصنف نصوصه وكتب دراسة مفصلة عنه ومن باب الأمانة والدقة لم يدع أنه حققه بل سمى عمله (دراسة ومختارات) وأصدر هذا العمل الجليل عام ١٤١٣هـ فى أربعة مجلدات كبار :

١ ـ المجلد الأول : وقد اشتمل على دراسة للكتاب وترجمة لمؤلفه ونقد مفصل لتحقيق الحمادى له ويقع فى (٤٨٨) صفحة .

٢ ـ المجلد الثانى : خاص بالشعر والرجز (من ص٤٨٩ إلى ١٠٢٤) .

وهو جزء مهم جدًا للمعنيين بالشعر القديم حيث يضم مادة شعرية كثيرة لايوجد أغلبها فى غيره من المصادر ويضيف استدراكات إلى عدد من دواوين الشعر المنشورة . وقد اشتمل قسم الشعر على شعر (٤٥٠) من الشعراء و (٥٤١٥) بيتًا واشتمل أيضًا على رجز لـ (٧٦) راجزًا .

ويقول الشيخ الجاسر عن أهمية هذا الشعر (ولعل من أبرز ما يحتويه هذا الكتاب أشعار كثير من الشعراء المغمورين مما لم يصل إلينا فيما بين يدينا من الكتب وكان المؤلف على عناية خاصة بتدوين أدب الجزيرة العربية ومعارفها عن معاصريه من أهلها ولذا قلّ - إن لم يكن ندر- ماينقل عن غيرهم ووجه عنايته لتدوين أشعار معاصريه ومن قاربهم فى الزمن . ويقول أيضًا عن قيمة هذا الشعر : « جلّ الشعراء الذين ذكرهم الهجرى هم ممن لم أجد لهم ذكرًا فيما بين يدىّ من المراجع وفيهم قلة من المشاهير . . ومن المعروف أن الهجرى من أئمة اللغة والأدب ورواة الشعر ولذا يعدّ ما أورده فى كتابه من شعر موثوق الرواية إذ هو قد تلقاه عمن رواه بطريقة تحمل على الثقة» .

٣ ـ المجلد الثالث : خاص باللغة والمواضع (من ص١٢٠٥ إلى ص١٦٤٤) .

٤ ـ المجلد الرابع : خاص بالنسب والفهارس الفنية (من ص ١٦٤٥ إلى ٢٠٨٤) .

قصة الحمادى مع الجاسر :

قام باحث عراقى هو حمود عبد الأمير الحمادى بتسجيل رسالة لنيل درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة عين شمس تحت إشراف الدكتور رمضان عبد التواب وكان موضوع الرسالة تحقيق مخطوطة (التعليقات والنوادر) للهجرى وتمت مناقشة الرسالة ونال عليها الدرجة ثم قامت وزارة الثقافة العراقية عام ١٩٨١م بنشر الرسالة فى مجلدين تضمن المجلد الأول الدراسة وجزءاً من التحقيق وتضمن الجزء الثانى بقية النص المحقق والفهارس الفنية .

وكان الحمادى أثناء تسجيله للرسالة قد اتصل بالشيخ الجاسر وطلب منه صورًا لمخطوطتى الكتاب وما كتبه الجاسر عن الهجرى وبخاصة كتابه (أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع) الذى كان قد صدر عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) .

وقد ذكر الحمادى جهود سابقيه فى دراسة الهجرى وأشار إلى الشيخ حمد الجاسر وذكر كتابه ضمن مراجعه .

وقد أشار الحمادى فى مقدمة التحقيق إلى منهجه فى التحقيق وأنه سيلتزم بالأمانة العلمية والدقة فى العمل ثم قال (وقد خرج البحث العلمى فى هذه الدراسة بنتائج . . . منها أننى حاولت كشف النقاب عن أبى على الهجرى العالم الذى تناساه الناس زمنًا طويلاً واختفى كتابه عن العلماء المشارقة وقد بينت أهميته ومكانته ورحلاته إلى البادية . . وبينت أن هذا الكتاب يضيف من أسماء المواضع والأمكنة والجبال والبلدان إلى المعاجم الجغرافية أسماء جديدة . . وبينت أن الكتاب قدم أسماء شعراء لا نعرف عنهم شيئًا كما أضاف إلى الأخبار والنوادر والحكايات والقصص مجموعة جديدة أوردها من هنا وهناك لم يسمع بها أحد ولم يذكرها مؤلف أو راوٍ قبله . . . وأخيرًا وليس آخرًا أعود وأقول : هذه قصتى مع الهجرى ونوادره وهو واجب أرجو أن أكون أديته بأمانة . . . رحم الله أبا على فقد كان مثال العالم المجاهد فى سبيل العلم والمعرفة وأمثاله اليوم قليل) .

وقد كتب الشيخ الجاسر فى نقد تحقيق الحمادى للتعليقات والنوادر سلسلة بحوث فى مجلته الشهيرة (العرب) تحت عنوان (الدكاترة والعبث بالتراث)[1] ثم جمعها وأعادها فى الجزء الأول من (التعليقات والنوادر) من ص ٢٣٨ إلى ص٤٨٦ وقد بلغت نقداته وتعليقاته (٩٠٦) تعليقًا ونقدًا وهو تدور فى جملتها حول الأمور التالية :

١ ـ قيام الحمادى بسرقة علمية واضحة تمثلت فى سرقة ما ورد فى كتابه (أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحديد المواضع) وتضمينها الكتاب وإن كان قد ذكر الكتاب من ضمن مراجعة وذكر اسم الجاسر ضمن المهتمين بالهجرى إلا أن ذلك جاء من باب الخداع والتمويه ، وفى ذلك يقول الجاسر : (ثم كان أن اتصل بى أحد الإخوة العراقيين طالبًا إطلاعه على مصورتى النسختين فقدمتهما له مع نسخة من الكتاب الذى ألفته فما كان منه - سامحه الله - وقد توفى عام ١٤٠٩هـ إلاّ أن سطا على جميع ماتحدثت به عن الهجرى . .) .

٢ ـ عدم القدرة على قراءة النص قراءة صحيحة ، وذلك لصعوبة النص مع ضعف خبرة الباحث فى هذا المجال .

---

(١) العرب (س١٦ ص٣٢١/٤٨٥ /٦٥٤ /٨٠٧ و س١٧ /١٠٣ /٢٦١ /٤٢٨ /٥٨٤ /٧٥٩ /٨٤٢ س١٨/٧٠ /٢١٤ /٣٨٢/ ١٠٦٢ س١٩/٢٦٨ .

٣ - التخبط فى تحديد المواضع إلاّ فيما نقل عن الجاسر وادعاه لنفسه .

٤ - اضطراب الشعر والأخطاء الكثيرة فى ضبطه وتخريجه .

٥ - التصحيف والتحريف .

٦ - عدم الالتزام بالمنهج الذى حدده لنفسه فى المقدمة وأشار إلى أنه سيلتزم به .

٧ - كما وجه الشيخ نقدًا لاذعًا إلى المشرف على الرسالة وإلى لجنة المناقشة إذ كيف تجيز هذا العبث بالتراث .

ومع ما فى نقد الشيخ لهذا العمل من عنف وقوة إلاّ أنه معذور بسبب ما تعرض له من سرقة واضحة وما رآه فى العمل من خلل واستعجال .

ومن هذه القصة وغيرها يمكن أن نستنتج الأمور التالية :

١ - حرص الشيخ على ذكر فضل من سبقه إلى عمل من الأعمال والإشادة به وإعطاءه ما يستحقه من الثناء فقد قال فى مقدمة كتابه (أبو على الهجرى وأبحاثه فى تحقيق المواضع) : (عرف الهجرى فى القديم بطريق علماء المغرب الأقصى كابن حزم السرقسطى وابن سيده وغيرهما من أهل الأندلس وعرف – فى الحديث – بطريق علماء من أقصى المشرق : أستاذنا العلامة الجليل أبى عمر عبد العزيز الميمنى الراجكوتى والأستاذ زبير الصديقى والأستاذ أبو محفوظ الكريم من بلاد الهند فإلى تلك النخبة الممتازة من العلماء العاملين فى سبيل العلم للعلم وحده أقدم هذا البحث رمزًا اعتراف بفضلهم وهو أقل من أن يفى اليسير من واجب الوفاء لهم غير أنه جهد المقل) .

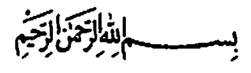
وعندما ذهب إلى القاهرة لينهل من علم شيخ المحققين العرب الأستاذ محمود محمد شاكر وليقرأ عليه ما استغلق من مخطوطة التعليقات والنوادر قال[1] : (ولِلَّه سويعات قضيتها مع أستاذنا الجليل أبى فهر محمود محمد شاكر نعانى من قراءة مخطوطة الهجرى من الجهد والمشقة ما نعانى طيلة تسعة وعشرين يومًا حتى استطعنا تقويم كثير من أود هذا العابث فيما نشر من ذلك الكتاب . . . وما كانت الغاية منحصرة فى إيضاح نماذج من أعمال هؤلاء الذين اتخذوا من تراثنا ميدانًا للعبث حتى برز كثير منه بصورة أضعف ما توصف به من السوء التنفير منه بتحريف نصوصه فيستغلق فهمه بل لكى يدرك هؤلاء أن قدر هذا التراث فى

(١) التعليقات والنوادر ١/٣٤٤ .

نفوس غيرهم أسمى مما يتصورون وليدرك آخرون وغيرهم من مواقف أولئك الجناة على ذلك التراث بعض مايجهلون .

ولعل فى هذا وذاك بعض ما يحول دون تمادى أولئك فى غيهم ويحمل غيرهم على بذل الجهد فى صيانة ذلك التراث وتيسير سبل الانتفاع به على هدى وبصيرة وعن علم ومقدرة .

٢ ـ التواضع واللطف مع العلماء الذين كان لهم فضل فى خدمة الكتاب ومن هؤلاء العالم المحقق الهندى الكبير أبو محفوظ الكريم المعصومى الذى كتب عن الهجرى أكثر من بحث ونشر له الشيخ بحثًا عن الهجرى فى مجلة (العرب) ثم أرسل إليه نسخة من طبعته للتعليقات والنوادر بمجلداتها الأربعة مع الدكتور محمد أجمل الإصلاحى ، ومعها هذا الكتاب الرائع :



الرقم : ٦١٩ التاريخ ٢٥ / ٢ / ١٤٢٠هـ

حضرة الأستاذ الكريم أبى محفوظ الكريم المعصومى وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : فلا أزال أذكر لكم فضلكم بتحقيق التراث الإسلامى ومن ما حاضرتم به عن أبى على الهجرى إذ اطلعتم على القسم المخطوط الموجود لديكم فى مكتبة (جامعة كلكته) ، وقد ألفت عن الهجرى كتابًا صدرته بكلمة إهداء لكم وللإخوة الآخرين ، ولم أتلق منكم أى جواب ومع هذا صورة مقدمة الكتاب .

وقد حاولت أن أرتب ما استطعت قراءته من المخطوطتين اللتين فى (دار الكتب المصرية) ، وفى (جامعة كلكته) لأننى حاولت مرارًا الحصول على نسخة مصورة منها فلم يتحقق لى هذا .

وها أنا أبعث لكم نسخة من عملى لعل لديكم ما تلاحظونه لترشدونى إلى ما قد وقعت فيه من خطأ . وأكون شاكرًا لكم وسأنشره عندى فى المجلة التى أصدرها واسمها مجلة (العرب) .

وقد أكرمنى الأخ الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحى بتعهده بإيصالها إليكم جزاه الله خيرًا ، وآمل أن تكونوا ممتعين بصحة وعافية .

والله يتولى الجميع بعونه ويحسن لنا الخاتمة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

محبكم

حمد الجاسر

ثم جاء كتاب جوابى من الأستاذ المعصومى لكن نهمه إلى المزيد من المعرفة دعاه إلى كتابه خطاب آخر للمعصومى هذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم : ٥٦٢ التاريخ ٨ / ١١ / ١٤٢٠هـ

حضرة العلامة أبى محفوظ الكريم المعصومى وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد – فقد تلقيت شاكرًا ومقدرًا الكتاب المؤرخ فى ١١ رمضان ١٤٢٠هـ وأجدنى عاجزًا عن إيفاء أستاذنا الجليل حقه من الشكر على ما جادت به قريحته من ثناء على محبه لا يستحقه ، ولكن العالم الفاضل كالأستاذ أبو محفوظ ينظر إلى إخوانه بعين الفضل .

١ ـ أحببت لفت نظر أستاذنا أن كتاب (المناسك) الذى سبق أن نشرته ونسبته للحربى اتضح لى أخيرًا أنه ليس (المناسك) لأننى اطلعت على نصوص من مناسك الحربى لم أجدها فى هذه المخطوطة وأوضح لى بعض الإخوان أنه كتاب (الطريق) لتلميذه محمد بن خلف ابن حيان المعروف بوكيع فأعدت طبعه بالاسمين .

٢ ـ كنت توقعت من أستاذنا أبى محفوظ أن يتحفنى بوصف للمخطوطة الهندية التى أشرت إليها فيما نشرت من كتاب (التعليقات والنوادر) للهجرى ، لأن المصورة التى لدى من تلك المخطوطة لا يقرأ آخرها ، إذ كثير من صفحاتها الأخيرة مطموسة ، وتمنيت الحصول على مصورة أوضح منها فقد يكون فيها ما فاتنى تدوينه فيما نشرت من الكتاب .

إذا كان فى إمكان أستاذنا الجليل أبو محفوظ أو أحد إخوانه إتحافى بتلك المصورة إذا كان واضحًا آخرُها ، مع استعدادى لدفع ما يترتب على ذلك من جميع التكاليف من تصوير وأجرة إرسال وغيرهما ، مع الشكر الجزيل .

٣ ـ إن الفضل الأول فى معرفة الباقى من (نوادر الهجرى) يرجع إلى أساتيذنا علماء الهند ، كما أشرت إلى هذا فى مقدمة ما كتبته عن الهجرى ، ولهذا لا يستغرب منهم أن يكملوا فضلهم ببيان ما يعرفون عن نقص ما ورد فى ترتيبى للكتاب بسبب عدم تمكنى من قراءة آخر المخطوطة الهندية .

تولاكم الله برعايته وتوفيقه وأحسن لى ولكم الخاتمة إنه على كل شئ قدير . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1] .

محبكم

حمد الجاسر

٣ ـ الغيرة على هذا التراث الخالد من عبث العابثين وهذا هو الذى دعاه إلى أن يجتهد فى الرد على الحمادى عندما تصدى لعمل ليس مؤهلاً له فكتب الجاسر سلسلة مقالاته الشهيرة (الدكاتره والعبث بالتراث) فى مجلة (العرب) ثم جمع نقده للحمادى ونشره فى القسم الأول من نشرته للتعليقات والنوادر .

ومع أن الشيخ قد استثير واعتدى على بحوثه وتحقيقاته إلاّ أنه بعد أن علم بوفاة الحمادى قال إن الأخ الحمادى وإن كان أداة ذلك العبث عمل حياله ما وسعه عمله ولو قدر على أحسن من ذلك لما بخل به . . . ثم وجه اللوم للمشرف على الرسالة وأعضاء لجنة المناقشة ، وفى نهاية سرده لملحوظاته على تحقيق الحمادى قال أيضاً[2] (ولاتفوت الإشارة إلى أننى قد انسقت فى كثير من الجمل متأثرًا وقد أكون معذورًا فمن سلب منه أعز ما يملك وهو فكره قد يخرج عن طوره فيندفع إلى ما لاينبغى له أن يبلغه من خشونة فى الخطاب . . ولقد خشيت أن يستمر صاحبنا فى العبث بالقسم الباقى من الكتاب ، وقد استعار منى صورته

(١) كتاب بحوث وتنبيهات لأبى محفوظ الكريم المعصومى ، ج١ ، ص٥٣ .
(٢) التعليقات والنوادر ، ج١ ، ص٤٨٧ .

فرأيت فيما سرت عليه من قسوة فى النقد رادعًا قد يمنعه من ذلك وفوق هذا وذاك لو توقعت أن الرجل سيفارق هذا العالم - قبل إكمال عمله - لكان لى معه موقف آخر . .) .

٤ ـ عدم التعالى والغرور أو الادعاء فمع كل ما بذله من جهد جبار فى خدمة (التعليقات والنوادر) إلا أنه يقول : [١] (لم يتسن لى الاطلاع على المخطوطة الهندية وكنت قد صرفت جهدًا فى مطالعة مصورتى المخطوطتين فرأيت ألا أحرم القارئ من ذلك الجهد الذى كان منبعثًا عن اقتناع بأن كتاب الهجرى من الكتب التى لم يعرف قدرها بعد . .) .

وما كنت أنا أقدم للقارئ هذا الكتاب معتقدًا أنه تضمن دراسة وافية عن كتاب الهجرى بل لا أزال أتمنى أن يوجد من يقوم بدراسة ما وصل إلينا منه كما وضعه مؤلفه وتيسير الاستفادة منه بتحقيقه ونشره .

والله الموفق . . وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

مراجع البحث

١ ـ مجموعة مؤلفات الشيخ حمد الجاسر .

٢ ـ مجلة العرب (أعداد مختلفة) .

٣ ـ دليل مركز حمد الجاسر الثقافى .

٤ -حمد الجاسر ، قائمة وراقية (ببيولوجرافية) .

يحيى بن محمود جنيد (الساعاتى) .

مكتبة الملك فهد الوطنية .

٥ ـ حمد الجاسر : دراسة مع ببليوجرافيا مختارة عن أعماله المتعلقة بالجزيرة العربية .

يحيى بن محمود ساعاتى (الجنيد) ، النادى الأدبى بالرياض ، ١٤٠٧هـ .

٦ ـ الشيخ حمد الجاسر فى حوار تلفزيونى توثيقى .

عبد الرحمن الشبيلى ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ .

٧ ـ حمد الجاسر ومسيرة الصحافة والطباعة والنشر فى مدينة الرياض .

د . عبد العزيز بن صالح بن سلمة ، ط١ ، الرياض ، ١٤٢٣هـ .

٨ ـ حمد الجاسر : علامة الجزيرة العربية .

الملحقية الثقافية السعودية فى دمشق ، ١٤٢٢هـ .

٩ ـ حمد الجاسر اللغوى فى ضوء نقده لتاج العروس والمعجم الكبير .

د . عبد العزيز عبد الكريم التويجرى ، الرياض ، ط ١ ، دار تراث العربية ، ١٤٢٣هـ .

١٠ ـ بحوث وتنبيهات .

لأبى محفوظ الكريم المعصومى .

دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١م .

١١ ـ حمد الجاسر جغرافى الجزيرة العربية ومؤرخها ونسابتها .

لأحمد العلاونه .

دار القلم ، دمشق ، ط ١ ، ١٤٢١هـ .

نـدوة
(مصطفى السقـا)

مصطفى السقا

أ.د/حسين نصار

الرجل الذى يحتفل به مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية الليلة ، هو الرجل الذى كان أحد أعضاء المجلس الأعلى لدار الكتب مدة من الزمان ، والرجل الذى تلقّى إنشاء مركز تحقيق التراث فكرة فى ذهن الأستاذ/ عبد المنعم عمر مدير دار الكتب ، وقلّبها فى ذهنه حتى أخرجها كيانًا قائمًا له هدفه ، وعلومه ، ومناهجه ، وهيئة تدريسه .

مصطفى محمد صالح يوسف السقا ، الذى عرفته أوساط التراث العربى باسم مصطفى السقا .

ولد مصطفى السقا لأب من رجال القضاء الشرعى ، من أسرة قاهرية تنتمى إلى عقيل ابن أبى طالب من بنى هاشم ، فى السابع عشر من مارس سنة ١٨٩٥ . وسار على درب أسرته فى التعليم ، فالتحق بالتعليم الدينى الأزهرى ، الذى أهله للالتحاق بمدرسة دار العلوم ، التى تخرج فيها سنة ١٩١٨ . وكان ثالث الخريجين فى تلك السنة فى الدرجة العامة ، وأولهم فى مواد اللغة العربية خاصة .

واشتغل بالتعليم منذ ٨ فبراير ١٩١٩ ، متنقلاً بين مدارس وزارتى المعارف والأوقاف . فعمل أول ماعمل فى المدرسة الأولية الراقية ، ثم مدرسة الأمير فاروق الثانوية منذ ١٩٢١/١٠/٢٨ ، ثم المدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية ، ثم المدرسة الخديوية ، ثم المدرسة الإبراهيمية ، ثم مدرسة الخديو إسماعيل ، وأخيرًا مدرسة فؤاد الأول منذ ١٩٢٣/١٠/١ .

وفى ١٩٣٣/١٠/١٥ نُدب مدرسًا بمدرسة دار العلوم ، ولكن سرعان ما نُدب محررًا فى مجمع اللغة العربية فى ١٩٣٤/١/٣٠ وأمينًا لمكتبته فى ١٩٣٥/٣/٧ .

وانتهى به المطاف حين ندب للتدريس فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة الآن) فى ١٩٣٥/٧/٧ ثم نقل إليه نقلاً تامًا فى ١٩٣٧/١/١ ، ومنح لقب مدرس فى ١٩٣٧/١/٢٧ ثم أستاذ مساعد فى ١٩٤٦/٢/٢٠ ثم عُين أستاذًا لكرسى أدب اللغة العربية فى الأندلس فى١٩٥٠/١٠/٣٠ . وفى ١٩٥٤/١/١٠ اختاره الأستاذ الدكتور/ يحيى الخشاب عميد الكلية وقتئذ وكيلاً لها ، فبقى فى هذا المنصب مدة صغيرة لما كان يعصف بالكلية حينذاك من أحداث .

ولما بلغ السن القانونية أحيل إلى المعاش فى١/٨/١٩٥٩ ، غير أنه استمر فى تدريس النحو والصرف . وفى سنة ١٩٥٧ تعاقد مع المملكة العربية السعودية على العمل فى جامعتها الوليدة ، جامعة الملك سعود . حيث اختاره أ . د/ عبد الوهاب عزام لمعاونته فى إنشاء هذه الجامعة ، وولاه رئاسة قسم اللغة العربية ، وعمادة كلية الآداب . فاستمر هناك إلى سنة ١٩٦٤ .

ثم آثر أن يبقى فى القاهرة . فعاد إلى إلقاء المحاضرات فى قسم اللغة العربية وآدابها فى كلية الآداب من جامعة القاهرة فى سنة ١٩٦٤ إلى أن عين أستاذًا غير متفرغ فيها فى٢/١٠/١٩٦٥ واستمر يزاول عمله إلى أن اختاره اللّه لجواره فى الرابع عشر من مارس سنة ١٩٦٩ .

وفى أثناء عمله فى كلية الآداب وقبله ، اختير لعدة أعمال إضافية . فقد ندب للتدريس فى كلية أصول الدين بالأزهر سنة ١٩٣١ ، والمعهد العالى الفنى للتمثيل (شعبة النقد) سنة ١٩٥٠ ، وكلية البوليس من سنة ١٩٤٩ إلى ١٩٥٥ ، وكلية المعلمين سنتى ١٩٥٢ و ١٩٥٣ ، وانتُدب عضوًا فى لجان امتحان إجازة التدريس بدار العلوم ، والتوجيهية (الثانوية العامة) ، ومعهد التربية للبنات .

واختير مراجعًا لبعض الكتب الأدبية التى نشرها الدكتور/ أحمد فريد رفاعى فى ١٨/١٠/١٩٣٦ ، وعضوًا فى لجنة إحياء آثار أبى العلاء فى٢٦/٤/١٩٤٤ وعضوًا فى لجنة العمل بالمعجم الوسيط فى ٢٣/١/١٩٤٦ ، وخبيرًا فى مجمع اللغة العربية فى١٩/٦/١٩٤٩ ، وعضوًا بالمجلس الأعلى لدار الكتب المصرية فى ٢٤/٤/١٩٥٤ .

ومثّل كلية الآداب فى المؤتمر الثالث لعلم الأنساب والشعارات الذى عقد فى مدريد فى أكتوبر ١٩٥٥م

وعمل مستشارًا لمكتبة مصطفى البابى الحلبى . فحقق لها مجموعة من الكتب ونصحها بنشر مجموعة ، وأشرف بنفسه على طبع عدد من الكتب دون أن يذكر اسمه على شئ منها ، وقدم إليها عددًا من الكتاب الناشئين توسم فيهم الخير .

لقد كانت حياة الرجل العملية مديدة عريضة ، عامرة بالجد والنظام والدأب . أعطى عمله حقه ، ولم يتهاون أو يفتر ، على أى حال ، صحيحًا كان أو معتلاً ، راضيًا أو ساخطًا ، فى بلده أو غير بلده . كان يؤدى واجبه قبل أن ينال حقه ، ويشعر بحقوق عمله قبل أن يتطلع إلى حقوق نفسه .

وأخلص للعمل سائلاً ومسؤولاً . فلم يستنكف عن سؤال أحد . وسعى وراء الفائدة العلمية عند بعض تلاميذه الذين تخصصوا فى قضايا معينة أتقنوها واستبانوا جوانبها ، أو كانوا من أقطار أو أقاليم مصرية نائية احتاج إلى معرفة شىء منها أو عنها . ولم يضق بسؤال أو طلب وجهه إليه أحد تلاميذه أو زملاؤه ، فما أكثر ما قرأ من أصول بعض الكتب التى ألفها زملاؤه ، وصحح تجاربها المطبعية ، فعاملها معاملة كتبه فى العناية والبحث عن الملتبس .

وتحلى بخلق طيب : هدوء ، وتواضع ، وحلم ، وصفاء . هدوء غلب على حياته العلمية والعملية والاجتماعية ، فشمل أصدقاءه وزملاءه وتلاميذه وكل من تعامل معه . وتواضع واجه به الكبير والصغير ، والعالم والجاهل . وحلم مهَّد عنده العذر للمخطئ . وصفاء طهَّر قلبه من الضغن ، ولسانه من الفحش ، رضى وغضب ، وقرَّب وجافى ، ولقى من أعانه ومن آذاه ، فتقبل ذلك كله ، حامدًا شاكرًا .

وقد زوده اللَّه بما جعله - فى المستقبل - واحدًا من المحققين الشوامخ :

- زوده بأمانة تامة وفرها للنص الذى يتعامل معه ، فقد شب فى زمن كان كثير من المشتغلين بالتراث يرون فى أنفسهم مصححين له ، عملهم إخراج نص صحيح ، وإن أدى إلى الزيادة أو النقصان ، ويروا أنه من المخجل أن يثبتوا مواضع محرفة ، يعترفون بالعجز عن إقامتها .

- وزوده بصبر لايضعف ، ودأب لا يفتر ، وفرهما لما حققه من مخطوطات ، وأذكر أنه وقف العمل فى كتاب «العاطل الحالى» لصفى الدين الحلى أو كاد ، منتظرًا معلومات كان قد طلبها من بعض تلاميذه فى العراق .

- وزوده بشك نعم الشك ، شك منعه من الاستنامة إلى معلوماته وذاكرته ، ودفعه إلى مراجعة كل ما أراد إثباته على مصادره اللغوية والتاريخية والأدبية .

- وزوده بالتأنى فى الحكم . فلم يتسرع إلى إنكار ما يستغربه فى النص وما يجده غير ما عنده وتغييره . بل كان يمحصه وكثيرًا ما وجده صحيحًا إلى جانب صحة ما فى ذهنه .

- وزوده باحترام عميق للتراث ، ورغبة صادقة فى إخراجه للقارئ الحديث ، وقدرة واضحة على التمييز بين مايجب إخراجه ، وما يجب أو يحسن تركه مخطوطًا فى عالم الظلام .

ويمكن أن نرى فى حياته - خارج أعباء الوظيفة - مرحلتين متمايزتين .

أما المرحلة الأولى، فقد غلب عليه فيها التأليف . وخص به الكتب المدرسية فى الأدب والدين والمطالعة، التى أصدرها مشتركا مع جماعة من زملائه . ويمكن أن ننهى هذه المرحلة بانتهاء سنة ١٩٣٥، وإنه كان قد أصدر فى السعودية فى أواخر حياته بعض الكتب المدرسية، وأخرج فى المرحلة الأولى مايبشر بالمرحلة الثانية .

وغلب على المرحلة الثانية التحقيق . فقد أخرج منفردًا أو مع بعض الزملاء من المخطوطات المحققة ما أكسبه الشهرة .

آثاره

الكتب المحققة

١ ـ مختار الشعر الجاهلى	١٩٢٩
٢ ـ التبيان فى شرح الديوان المنسوب للعكبرى ـ بالاشتراك	١٩٣٦
٣ ـ فقة اللغة وسر العربية للثعالبى	١٩٣٨
٤ ـ الوزراء والكتاب للجهشيارى ـ بالاشتراك	١٩٣٨
٥ ـ السيره النبوية لابن هشام ـ بالاشتراك	١٩٣٩
٦ ـ أزهار الرياض فى أخبار عياض للمقرى	١٩٣٩ - ١٩٤٣
٧ ـ تعريف القدماء بأبى العلاء ـ بالاشتراك	١٩٤٤
٨ ـ شروح سقط الزند لأبى العلاء المعرى ـ بالاشتراك	١٩٤٤ - ١٩٤٨
٩ ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبى عبيد البكرى	١٩٤٥ - ١٩٥١
١٠ ـ القِرى لقاصد أم القُرى لمحب الدين الطبرى	١٩٤٨
١١ ـ ديوان الرصافى	١٩٤٩
١٢ ـ المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للفيومى	١٩٥٠
١٣ ـ المأثور من كلام الأطباء للدكتور/ أحمد عيسى	١٩٥١
١٤ ـ المعتمد فى الأدوية المفردة ليوسف بن رسول	١٩٥١

١٥ ـ سر صناعة الإعراب لابن جنى ـ الجزء الأول بالاشتراك ١٩٥٤

١٦ ـ أدب الدنيا والدين للماوردى ١٩٥٥

١٧ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للبستى ١٩٥٥

١٨ ـ ديوان الشاعر العالم الشيخ أحمد بن محمد الحملاوى ١٩٥٧

١٩ ـ المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ـ الجزء الأول بالاشتراك ١٩٥٨

٢٠ ـ الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ـ جـ ١٦ ١٩٦١

٢١ ـ الصبح المنبى عن حيثية المتنبى للبديعى ١٩٦٣

٢٢ ـ الفضائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة لابن ظهيرة - بالاشتراك ١٩٦٩

الكتب المؤلفة

١ ـ شرح مجموع النصوص الأدبية للمدارس الثانوية ـ بالاشتراك

٢ ـ الطرائف ـ للمطالعة بالمدارس الثانوية ـ بالاشتراك ١٩٢١

٣ ـ إنشاء المقالات ـ للمدارس الثانوية والمعلمين والمعلمات ـ بالاشتراك . ١٩٢٨

٤ ـ الشريف الرضى ـ بالاشتراك . ١٩٢٨

٥ ـ البحترى ـ بالاشتراك . ١٩٢٨

٦ ـ شهاب الدين النويرى ـ بالاشتراك ١٩٢٨

٧ ـ بهاء الدين زهير ـ بالاشتراك ١٩٢٩

٨ ـ ابن حمديس الصقلى ـ بالاشتراك ١٩٢٩

٩ ـ النصوص الأدبية للمدارس الثانوية ـ جزآن ـ بالاشتراك ١٩٣٠

١٠ ـ الهداية الإسلامية للمدارس الإلزامية ـ ٥ أجزاء ـ بالاشتراك ١٩٣١

١١ ـ الحجاج بن يوسف الثقفى ـ بالاشتراك ١٩٣١

١٢ ـ الإسلام اليوم وغدا

١٣ ـ المهذب فى تاريخ أدب العرب ـ ٤ أجزاء ـ بالاشتراك ١٩٣٢

١٤ـ المحفوظات ومتن اللغة ـ بالاشتراك ١٩٣٣

١٥ـ محفوظات القرآن الكريم ـ بالاشتراك ١٩٣٧

١٦ ـ تهذيب الناشئين للمدارس الابتدائية ـ بالاشتراك ١٩٤١

١٧ ـ هداية الناشئين فى القرآن الكريم والتهذيب والدين للمدارس الابتدائية ـ بالاشتراك

١٨ ـ المرشد فى الدين الإسلامى ـ ٤ أجزاء ـ بالاشتراك ١٩٤٥

١٩ ـ ابن زيدون ـ بالاشتراك ١٩٥٠

٢٠ ـ الواضح فى قواعد اللغة العربية ـ لطلبة السنة الأولى المتوسطة بالسعودية – بالاشتراك ١٩٦١

٢١ـ الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز ـ ٣ أجزاء ١٩٦٧

الكتب المترجمة

١ ـ خرافات إيسوب ـ بالاشتراك ١٩٤٧

المقالات

١ ـ صحيفة المعلمين :

المعجمات العربية إبريل ١٩٢٣ يونيه ١٩٢٣

تهذيب الكامل فى اللغة والأدب ديسمبر١٩٢٣

المطالعة النافعة يناير ١٩٢٤

جحا نوفمبر ١٩٢٤

العناية بنشر الكتب أكتوبر ١٩٢٥

٢ ـ صحيفة دار العلوم :

مجمع اللغة العربية — يونيه ١٩٣٤

ملابسنا فى المعاجم اللغوية — إبريل ويونيو ١٩٣٥

٣ ـ مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة :

كلا وكلتا — ١٩٤٦

٤ ـ مجلة جامعة الملك سعود بالرياض :

نشأة النحو مدارسه — ١٩٥٨

قصيدة الأخنس بن شهاب التغلبى — ١٩٥٩

سينية البحترى — ١٩٦٠

منهج المحدثين وأثره فى مناهج الثقافة عند المسلمين — ١٩٦١

٥ ـ مجلة المعرفة بالرياض :

اللغة الصوتية وكيف نشأت — مايو ١٩٦٠

ضبط الكتابة العربية — يناير ١٩٦١

تيسير رسم حروف الهجاء — مايو ١٩٦١

الإقواء فى الشعر العربى — يناير ١٩٦٢

الخطابة فى أزهى عصورها — مايو وسبتمبر ١٩٦٢

٦ ـ مجلة منبر الإسلام :

إيلاف قريش — ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥

الكتب التى قدم لها

١ ـ ديوان سراقة البارقى ـ تحقيق حسين نصار — ١٩٤٧

٢ ـ المغازى الأولى ومؤلفوها لهوروفتس - ترجمة حسين نصار — ١٩٤٩

٣ ـ مدرسة الكوفة لمهدى المخزومى — ١٩٥٨

٤ ـ فى النحو العربى للدكتور/ مهدى المخزومى — ١٩٦٦

الكتب التى راجعها

١ ـ الأمير أحمد فؤاد ونشأة الجامعة المصرية لأحمد عبد الفتاح بدير ١٩٥٠

٢ ـ البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات ابن الأنبارى ـ تحقيق د . طه عبد الحميد . ١٩٦٩-١٩٧٠

المعتمد فى الأدوية المفردة
كتاب صححه وفهرسه الأستاذ مصطفى السقا

عرض وتعليق
أ.د/كمال الدين البتانونى

كتاب المعتمد- النسخ التى اعتمد عليها المصحح- مؤلف المعتمد- فهرس تفسير بعض أسماء الأدوية والألفاظ الملحق بكتاب المعتمد :

كتاب المعتمد :

بيّن الملك المظفر يوسف بن عمر بن على بن رسول الغسانى التركمانى ، فى مقدمة كتابه «المعتمد فى الأدوية المفردة» منهجه فى جمع ما حواه كتابه من معارف عن النباتات الطبية والعقاقير . فقد اختصره من أهم الكتب الجامعة للمادة الطبية ، وأوضح فى مفرداته المراجع بعلاماتها التى ذكرها فى مقدمته ، وما ذلك إلا مثل الطريقة المتبعة فى أيامنا هذه فى بيان المراجع التى يرجع إليها المؤلف بل إن الملك المظفر ، أو لعله أحد أبنائه ، أضاف ملحقًا بأسماء بعض المفردات الطبية ، وتفسيرها بما اصطلح عليه أهل اليمن .

يحوى الكتاب ١١٤٣ مدخلاً ، ويقول مؤلفه عنه :«فإنى اختصرت هذا الكتاب من كتب كبار جمعت التطويل والإسهاب ، ولم أذكر إلا الموجود دون ما يعسر الطلاب» .

ويقول كذلك : «واستخرجته من كتاب الحكيم الفاضل عبد الله بن البيطار المغربى ، المعروف بالعشاب (الجامع لقوى الأدوية والأغذية) اسمه للاختصار (ع) ومن كتاب ابن جزلة المعروف بالمنهاج ، وعلامة اسمه (ج) ، ومن كتاب الحكيم أبى الفضل حسن بن إبراهيم التفليسى . وعلامة اسمه (ف) ، ومن أبدال الزهراوى ، وعلامة اسمه (ز) . ومن أبدال أحمد بن خالد المعروف بابن الجزار واسمه مثبت (ابن الجزار) ، من غير علامة» .

ويضيف المؤلف : «ورتبته على حروف المعجم ، ليكون أقرب متناولاً وأفهم ، وسميته بكتاب (المعتمد فى الأدوية المفردة) » .

ولم يقتصر الكتاب على النباتات ، إنما تعداها للحيوانات والمواد الكيميائية التى تستعمل فى العلاج . وفى كل مدخل جمع المؤلف من الكتب التى بيّنها ما يوضح ماهيته

والدواء ، ومكان جمعه ووجوده ، وصفاته ، والأمراض التى يعالجها ، وكيفية تعاطيه ، مما يجعل الكتاب دستورًا للدواء ، فى متناول من يريد استعماله بيسر ووضوح .

وكتاب (المعتمد) هذا من أحسن الكتب ، وأجمعها لمفردات الطب ، رغم أن طبعته التى بين أيدينا تقع فى ٥٨٩ صفحة من القطع الصغير ، يعرف قيمته من قرأ مقدمة مؤلفه الملك العالم يوسف بن عمر بن على بن رسول ، فقد اختصره من أهم الكتب الجامعة للمادة الطبية ، وحسبنا أن يكون من أعظم أصوله كتابان ، خصهما كثير من المؤلفين فى مادة الطب بأعظم الثناء ، لغزارة مادتهما ، وعموم النفع بهما ، وحسن ترتيبهما :

أولهما : كتاب (مناهج البيان ، فيما يستعمله الإنسان) لشيخ من أجل شيوخ الصناعة الطبية ، وهو أبو على يحيى بن جزلة الطبيب البغدادى ، المتوفى على ما حكاه ابن خلكان سنة ٤٩٣ هجرية . وهو يمثل ما وصلت إليه الثقافة الطبية ، فى تجربة الأدوية مفردة ومركبة ، فى القرن الخامس ببلاد المشرق . وترتيبه على الحروف الهجائية كترتيب (المعتمد) .

وثانيهما : كتاب (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) ، لعبد الله بن أحمد الأندلسى المالقى العشاب المعروف بابن البيطار ، المتوفى سنة ٦٤٦ هـ = ١٠٤٨م . ولهذا الكتاب مزايا جليلة تجعله فوق جميع الكتب المؤلفة فى هذا الموضوع .

(١) فمنها : أنه أغزر كتب المفردات مادة .

(٢) ومنها : أنه جامع بين الترجمة والتحقيق العلمى .

(٣) ومن مزاياه أيضًا : جمعه بين فروع المادة الطبية : الحيوان والنبات والجماد .

(٤) ويمتاز كتاب ابن البيطار آخر الأمر بالترتيب السهل على حروف أ .ب .ت .ث . . . الخ .

ويؤكد الأستاذ مصطفى السقا أن تلك المزايا مجتمعة ، نراها ممثلة أوضح تمثيل وأكمله فى كتاب (المعتمد) فى تقديمه للكتاب ، فقد اختصره مؤلفه من الكتب التى أشار إليها فى مقدمته ، وأخصها كتاب الجامع لابن البيطار ، مستوعبًا لأكثر ما فيه وأحسنه ، وأنفعه لمن يزاولون العلاج ، ولا يختلف عنه إلا فى عزو الأقوال والتجارب إلى أصحابها ، فقد كان حريصًا على انتخاب أصح الأقوال مما تمس إليه حاجة الطبيب الذى يزاول الصناعة عملاً ، لا الباحث الذى يعنى بتطور تاريخ المادة .

على أنه قد أضاف إلى مختصره من جامع ابن البيطار ، فوائد منتقاة ، ونبذًا محققة النفع فى العلاج ، من منهاج البيان ، ومن أبدال الزهراوى وابن الجزار والتفليسى ، مما جرى عليه العمل والتجربة عند حذاق الأطباء ، ولذلك كان من أول خصائص (المعتمد) الجمع بين الدراسات النظرية والتطبيقات العملية ، فكان من أحسن الدساتير ، الجامعة بين العلم والعمل فى العلاج والتدبير .

أما ترتيب مواده فعلى ترتيب أصليه الكبيرين : منهاج ابن جزلة ، وجامع ابن البيطار ، وهو لذلك أشبه بالمعاجم الحديثة الترتيب .

ويمتاز فوق ذلك بملحق ضمنه المؤلف أو بعض المؤلفين من أبنائه ، أسماء بعض المفردات الطبية ، وتفسيرها بما اصطلح عليه أهل اليمن ، وهو فهرس عظيم النفع من وجهتى البحث النظرى والعملى .

ويعد هذا الملحق سبقًا فى تاريخ التأليف والكتابة ففى أيامنا هذه نضع ملحقًا يُعرف باسم Glossary يوضح تعريفات للمسميات والمصطلحات التى وردت فى الكتاب ، وإن كان هذا الملحق قد وقع فيه كثير من الخلط والخلل ، فإن الأستاذ مصطفى السقا رحمه الله قد رد أكثرها إلى أصله ، وضبطه ضبطًا دقيقًا ، ووضعه فى مكانه الطبيعى من الترتيب الحرفى المعجمى .

والمحقق رجل أمين فاضل ، يذكر أن ما لم يهتد إلى معرفته ، فقد أبقاه على صورته . رجاء العثور فى المستقبل على نسخ مخطوطة أقدم وأصح من التى عثر عليها .

وفى هذا الصدد ينبغى أن نؤكد أهمية الملاحق التى توضح معانى المصطلحات والأسماء ، لأن هذا ييسر على القارئ معرفة الأشياء بأسمائها ونعوتها المختلفة . ولعلنا نوصى المحققين بعمل مثل هذه الملاحق بلغات مختلفة .

النسخ التى اعتمد عليها المصحح :

يحدثنا العالم الجليل الأستاذ مصطفى السقا فى الطبعة التى قدمها بتاريخ ٢٣ من رمضان ١٣٧٠هـ / ٢٧ من يونية ١٩٥١م عن نسختى المعتمد ، فيقول : طبعت الطبعة الأولى من (المعتمد) منذ ٤٤ سنة ، ولا نعلم شيئًا عن الأصل الذى اعتمد للطبع حينئذ ، وأكبر الظن أنه أصل منسوخ من إحدى المخطوطتين المحفوظتين بدار الكتب المصرية ، وهما النسختان المرقومتان ٨٩٨ ، ١٣٠ طب ، لأنهما متشابهتان تمام المشابهة للمطبوعة الأولى ، فى جميع محاسنها وعيوبها ، ولا تكادان تختلفان عنها إلا فى بعض ألفاظ عجز الناسخ عن قراءتها ،

فنقلها خطأ ، وإلا فى وضع الفهرس الملحق بأسماء المفردات عند أهل اليمن ، فهو فى المطبوعة موضوع فى آخر الكتاب ، وهو موضوع فيهما فى صدره .

وتشترك النسختان مع المطبوعة الأولى فى كثير من الخطأ الذى وقع بأيدى الناسخين ، كما تشتركان فى مواضع الخرم الذى نبه عليها فى ذيل صفحات المطبوعتين الأولى والثانية .

وقد عارض المحقق ، رحمه الله ، الطبعة الأخيرة من المعتمد على هاتين النسختين ، وأصلح كثيرًا من مواضع الخلل التى تبينت له ، مستعينًا على ذلك بالجامع لابن البيطار ، والمنهاج لابن جزلة ، وغيرهما من مراجع المادة ، كالقانون لابن سينا ، ونهاية الأرب للنويرى ، وتذكرة أولى الألباب للشيخ داود الأنطاكى ، وبمعاجم اللغة : كالمخصص لابن سيده ، والقاموس المحيط للفيروزابادى ، وتاج العروس للزبيدى ، ومعجم أسماء النبات للمرحوم الدكتور أحمد عيسى بك .

وقد عنى المحقق الكريم فى هذه الطبعة بضبط ما يشتبه أو يغمض من الكلمات فى تراجم المواد ، وفى أثناء الشروح ، لكثرة الألفاظ اليونانية واللاتينية والأسبانية والبربرية ، بله السريانية والعبرية ، والفارسية والهندية ، فى أسماء المواد الطبية ، مما هو غريب على أهل العربية .

وقد عمل للكتاب فهرسًا عامًا يحوى جميع مواد الكتاب ، مرتبة ترتيبًا حرفيًا ، على حسب ما رتبها المؤلف ، ولم يعمل مثله فى الطبعة الأولى . ويضم الفهرس ١١٤٣ مدخلاً .

مؤلف المعتمد :

هو الملك المظفر : يوسف بن عمر بن على بن رسول الغسانى التركمانى أعظم ملوك الدولة الرسولية ، التى حكمت اليمن من سنة ٦٢٦ إلى سنة ٨٠٣ هـ .

ولاشك أن الملك المظفر يوسف ، مؤلف كتاب المعتمد ، يعد واسطة عقد بنى رسول ، وكان ملكًا شجاعًا ، حسن التدبير فى الحروب ، كما كان سياسيًا رحب الباع ، ذلك إلى اتصافه بخلال أخرى نفسية وعقلية رفعته مكانًا عليًا ، كالفصاحة ، والتبحر فى العلوم ، وخاصة الطب .

توفى الملك المظفر ، على ما قاله الخزرجى ، سنة ٦٩٤هـ ، وعمره أربع وسبعون سنة ، قضى فى الملك منها ستًا وأربعين سنة .

فهرس تفسير بعض أسماء الأدوية والألفاظ الملحق بكتاب المعتمد :

سبق وبينا أهمية هذا الملحق ، ويحتوى على ٤٨١ مصطلحًا فى أسماء الأدوية . وهو تفسير لهذه الأسماء والألفاظ بما هو أجلى منها بلغة اليمن . فقد بينا أهميته فى ما قام به المحقق الفاضل من ضبط . ولا شك فى أن الأستاذ مصطفى السقا ، رحمه الله ، قد بذل جهدًا كبيرًا فى ضبط هذا الملحق . ونقدم عرضًا لأمثلة منه ، ونضع الاسم العلمى اللاتينى لكل مثل حتى تزداد الفائدة :

أبهل : هو العرعر الذكر — Juniperus phoenicea

أراك : هو شجرة السواك — Salvadora persica

أشقيل : هو بصل العنصل ، ويسميه أهل الجبال بصل الفأر ، وذرة الحبش
Urginea maritima

بشام : هوالبلسان البرى — Commiphera opobalsamum

تمر هندى : هو الحمر بلغة أهل اليمن — Tamarindus indica

ثيل : نبات معروف من الحشيش . له خاصية فى علف الجبل والدواب
Cynodon dactylon

جعدة : ويسمى فوليون ، وهو نبات يطلع باليمن ، تسميه أهل صنعاء : الهلال . وهو ضرب من الشيح وقال أيضًا هو العظلم — Teucrium polium

ويلاحظ اسم فوليون المماثل للإسم الإغريقى — polium

حنظل : هو العلقم — Citrullus colocynlhis

دار صينى : نوع من القرفة — Cinnamomum zeylanicum

سنا : هو العشرق — Senna italica

شفلح : هو اللصف والأصف — Capparis spinosa

فاوانيا : هو عود الصليب — Phaeoria officinalis

كبابة : هو حبة العروس — Piper cubeba

كبر : تسميه أهل اليمن اللصف ويسمى القبار
Capparis spinosa

نبق : هو ثمر السدر — Ziziphs spina-christi

وفى ختام حديثنا عن الكتاب ومحققه ، نود أن نكرر ثناءنا على أستاذنا الفاضل الأستاذ مصطفى السقا ، رحمه الله ، وأثابه عنا خير الجزاء والثواب .

ندوة
(فرانسيسكو كوديرا)

فرانسيسكو كوديرا

(١٨٣٦ - ١٩١٧م)

أ.د/ محمود على مكى

- ١ -

يكاد مؤرخو الاستشراق يجمعون على أن الرائد الأول لهذا المجال المعرفى فى أوربا هو العالم الهولندى توماس ڤان إربينيوس (١٥٨٤ - ١٦٢٤) ، وهو مؤسس أول مطبعة عربية فى ليدن ، وأستاذ العربية فى جامعتها ، وصاحب أول كتاب فى قواعد العربية أصبح عماداً لشُداة تعلمها فى أوروبا خلال شطر كبير من العصر الحديث . غير أن الإنصاف يقتضينا أن نذهب إلى رأى آخر مخالف لما ذكرنا ، وهو أن أول استشراق أوربى إنما ولد على أرض شبه جزيرة إيبريا وقبل أن يعرف مصطلح «الاستشراق» بدلالته المعروفة اليوم بقرون طويلة .

من المعروف أن العرب فتحوا شبه الجزيرة فى أوائل القرن الثامن الميلادى . ومنذ اللحظة الأولى لهذا الفتح بدأت عملية تحول كبيرة فى مجتمع هذه البلاد وفى أوضاعها الدينية والثقافية ، فقد اعتنق معظم أهلها الإسلام ، ولم يمض أقل من نصف قرن حتى تأسست فى إسبانيا دولة تدعى الأندلس ، دينها الإسلام ولغتها العربية ، على أنه بقيت فى المجتمع الجديد أقلية احتفظت بديانتها المسيحية وإن كانت قد تعربت حتى تسمى المنتمون إليها باسم «المستعربين» (Mozárbes) وفى أقصى الشمال ولدت نواة لمقاومة مسيحية لم تلبث أن اتسعت دائرتها وتولدت عنها دويلات دار بينها وبين الأندلس الإسلامية صراع طويل استمر على مدى ثمانية قرون وانتهى بسقوط مملكة غرناطة الإسلامية فى أواخر القرن الخامس عشر . ورافق هذا الصراع السياسى والعسكرى صراع فكرى ، مَثَّله من جانب المسيحية عدد من رجال الكنيسة ممن عاشوا فى وسط إسلامى وأتقنوا اللغة العربية . وهكذا بدأ حوار دينى لم ينقطع طوال تلك القرون ، وهو حوار تسلح فيه عدد من رجال الكنيسة بمحاولة لمعرفة عقيدة الإسلام على نحو موضوعى معتدل أحيانًا وبصورة تهجم متحيز أحياناً أخرى ، غير أنه كان عليهم فى كلتا الحالتين أن يكونوا على معرفة واسعة بالعربية ، حتى إن منهم من كان ينظم الشعر بالعربية ، ويحفظ مقامات الحريرى ، ويناقش مع المسلمين قضية إعجاز القرآن . ومن هنا بدت بينهم الحاجة ماسَّةً إلى معاجم مزدوجة تعد أول ما عرف فى أوروبا من هذا النوع . وكان أولها «المعجم العربى اللاتينى» المجهول المؤلف ، وهو المعروف بمخطوطة ليدن ، ويرجع إلى القرن العاشر الميلادى ، ويليه معجمان يجمعان بين العربية

واللاتينية الدارجة التى أصبحت اللغة الإسبانية ، وأولهما منسوب لرامون مارتى Ramón Marti الذى عاش فى القرن الثالث عشر ، والثانى منسوب للراهب بدرو القلعى Pedro de Alcalá ، وهو يرجع إلى أواخر القرن الخامس عشر ، والأول يمثل عربية شرق الأندلس ، والثانى عربية غرناطة فى أواخر عهدها الإسلامى .

ونحن نزعم أن هذه الأجيال المتوالية من المسيحيين الذين عرفوا الثقافة العربية وجرى الحوار بينهم وبين مسلمى الأندلس هى التى تمثل نواة ذلك الاستشراق المبكر ، وأن من اضطلعوا بتلك المهمة من الحوار الدينى هم الذين يستحقون وصفهم بالمستشرقين وإن لم يحملوا هذا الاسم .

والمفارقة الغريبة هى أن إسبانيا التى كانت مهد تلك الدراسات الاستشراقية الأولى فى أوربا وصلت إلى العصر الحديث وهى أكثر البلاد الأوربية تخلفًا فى ميدان تلك الدراسات . غير أن لذلك تفسيرًا منطقيًا ، وهو ما أعقب سقوط دولة الإسلام فى الأندلس من قيام السلطات الرسمية فى إسبانيا تحت قيادة محاكم التفتيش باضطهاد بقية الشعب المسلم والتنكيل المسعور به وطرد مئات الآلاف منهم . ولم يعُدْ للمؤسسة الدينية فى إسبانيا هَمٌّ إلا طمس الحضارة الأندلسية وتعقب الكتب العربية بالتدمير والإحراق ، ومن هنا بدأت القطيعة مع كل ما يتصل بالإسلام والعروبة . واستمرت هذه القطيعة من منتصف القرن السادس عشر حتى منتصف القرن الثامن عشر ، باستثناء مابقى ماثلاً فى بعض المعاجم والدراسات اللغوية من عناية بأصول الآلاف من المفردات الإسبانية ذات الأصول العربية ، وهو ما اضطر أصحاب تلك المؤلفات إلى الاعتراف به على مضض . وعلى حين كانت الدراسات العربية فى طريقها إلى الاحتضار فى إسبانيا والبرتغال ، كان الاستشراق فى سائر بلاد أوروبا يتقدم بخطىً واسعة ، ويبرز فيه علماء على أرفع مستوى . وعلينا أن نعترف بما قدمه هؤلاء المستشرقون من خدمات جليلة فى تحقيق تراثنا العربى ودراسته .

ظل الأمر كذلك حتى بدأ الاهتمام فى إسبانيا من جديد بالدراسات العربية . وإن كان ذلك على استحياء ، ابتداءً من منتصف القرن الثامن عشر . واتفق هذا الاهتمام مع حركة التنوير التى حاول فيها رواد الإصلاح أن يخرجوا إسبانيا من تخلفها عن ركب الحضارة الأوروبية . وكان حامل راية هذه النهضة هو كارلوس الثالث ملك إسبانيا ما بين سنتى ١٧٥٩و ١٧٨٨ ، فهو الذى أجرى تغييرًا جذريًا على سياسة إسبانيا الخارجية التى كانت تقوم حتى ذلك الوقت على معاداة الإسلام ، إذ شرع فى عقد معاهدات سلام ومودة مع الخلافة

العثمانية ومع حكام ولاياتها فى شمال أفريقيا . وأما فى ميدان الثقافة فقد اتخذ خطوة قدر لها أن تصبح بداية مسيرة لحركة استشراقية مستنيرة ، وهى استقدام الراهب اللبنانى المارونى ميخائيل الغزيرى Miguel Casiri لكى يضطلع بفهرسة المخطوطات العربية فى خزانة الإسكوريال الملكية ، وتم ذلك بالفعل ، ونشر الغزيرى فهرسه فى مدريد باللاتينية بعنوان Bibliotheca Arabico Hispana Ecurialensis (١٧٦٠-١٧٧٠) . وهو ليس مجرد رصد لأسماء المخطوطات ومؤلفيها ، وإنما كان يحتوى على مقتطفات طويلة من نصوص هذه المخطوطات مع ترجمتها اللاتينية .

وفى مدريد أصبح الغزيرى ذا حظوة عظيمة من القصر الملكى ، وتوثقت علاقات الراهب المارونى بالأوساط الأدبية والفكرية فى إسبانيا ، وعاد ذلك على الدراسات العربية بخير كثير ، إذ التف حوله عدد من تلاميذه ومريديه الذين مثلوا الاستشراق المهتم بتاريخ الأندلس فى مطلع القرن التاسع عشر ، ومن أبرز هؤلاء التلاميذ اثنان من الرهبان عبر كل منهما بطريقته عن تقدير الحضارة الأندلسية : أما الأول فهو الأب اليسوعى خوان أندريس Juan Andrés الذى رحل إلى إيطاليا حيث نشر بالإيطالية بين سنتى ١٧٨٢ ، ١٧٩٩ كتابًا من سبعة مجلدات حول تاريخ الآداب الأوربية جميعًا ، وهو يعد أول محاولة مبكرة فى مجال الأدب المقارن ، وفيه ينادى بنظرية أثارت عليه ثائرة الأوساط العلمية الأوروبية ، ومجملها أن كل ما بلغته أوروبا من تقدم ورقى فى ميادين العلوم والآداب والفنون إنما كان بفضل ما تعلمته من مسلمى الأندلس . وقد بدت آراء الراهب اليسوعى ضربًا من الخيال ، لا سيما وأنه لم يكن لديه من الأدلة الموثقة بالنصوص ما يثبت به فروضه . وأما الثانى فهو الراهب الفرنسسكانى خوسيه أنتونيو بانكيرى José Antonio Banqueri الذى ولج الموضوع على نحو عملى بعيد عن النظريات المثيرة للجدل ، وذلك بنشره سنة ١٨٠٢ كتابًا يعد من أجل كتب العلوم الأندلسية ، وهو كتاب «الفلاحة» لابن العوّام الإشبيلى ، مع دراسة قدم بها للكتاب ونوه فيها بجهود مسلمى الأندلس فى تحسين الرى واستثمار الموارد الزراعية واستنبات محصولات جديدة كانت موجودة فى ظل المسلمين ثم انقرضت بسبب تعصب المؤسسة الدينية .

ويلحق بهذين مؤلف واصل اتجاهما فى تقديم صورة إيجابية مشرقة للحضارة الأندلسية ، ونعنى به خوسيه أنتونيو كوندى José Antonio Cande وهو أول مؤلف إسبانى حاول أن يقدم عرضًا متكاملاً لتاريخ المسلمين فى الأندلس بكتابه الذى صدر سنة وفاته فى ١٨٢٠ بعنوان «تاريخ الحكم العربى لإسبانيا» ، وقد ظفر هذا الكتاب بانتشار كبير ، إذ ترجم إلى

الفرنسية والإنجليزية ، غير أنه لم يلبث أن فقد مكانته وتقدير الأوساط العلمية له بعد أن تناوله بالنقد العنيف المستشرق الهولندى راينهارت دوزى Reinhardt Dozy(١٨٢٠- ١٨٣٣) وقد كان دوزى محقًا فى نقده للكتاب ، إذ سجل عليه أخطاء كثيرة ، واتهمه بإساءة فهم النصوص العربية التى زعم كوندى رجوعه إليها . ومنذ ذلك الوقت أصبح العالم الهولندى هو الحجة الأولى فى أوروبا فى تاريخ الأندلس ، وكان جديرًا بتبوُّء هذه المكانة ، إذ التزم بالمنهج العلمى فى كتابة هذا التاريخ ، وهو البدء بنشر أهم المصادر العربية الأساسية له ، وكانت لاتزال مخطوطة آنذاك ، مثل : «نفح الطيب للمقرى» و«البيان المغرب لابن عذارى» و«المعجب لعبد الواحد المراكشى» والقسم الأندلسى من «الحلة السِّيراء لابن الأبار» وأجزاء من «الذخيرة لابن بسام» . واعتمادًا على هذه المصادر تمكن دوزى من إصدار كتابه « تاريخ المسلمين فى إسبانيا» بالفرنسية فى سنة ١٨٦١ ، وهو الكتاب الذى أصبح عمدة طالبى المعرفة لتاريخ الأندلس على الرغم من أنه لم يتناول إلا الشطر الأول لهذا التاريخ حتى نهاية عصر الطوائف ، وسرعان ما ترجم الكتاب إلى الإسبانية والإنجليزية ، وترجم كامل كيلانى فصولاً منه إلى العربية ، ثم ترجمه كاملاً الدكتور حسن حبشى ، وبهذا الكتاب نزع دوزى من إسبانيا مركز الريادة فى هذا الميدان .

على أن المسيرة التى بدأها كوندى تواصلت خلال القرن التاسع عشر ، وكان حامل رايتها فى إسبانيا باسكوال دى جايانجوس Pascuai de Gayangos الذى تملأ حياته العلمية الخصبة هذا القرن إذ امتدت بين سنتى ١٨٠٩ ، ١٨٩٧ . وكان قد ولد فى إشبيلية فى أسرة ثرية ، وأرسل فى صباه المبكر إلى فرنسا حيث درس العربية على يد المستشرق الكبير سيلفستر دى ساسى Silvestre de saçy (المتوفى سنة ١٨٣٨) الذى كان أيضًا أستاذًا لرفاعة الطهطاوى . ثم قضى سنوات طويلة فى إنجلترا حيث تمكن من الإنجليزية ونشر ترجمة بهذه اللغة للقسم الأول من كتاب «نفح الطيب» للمقرى بعنوان «تاريخ الأسر الحاكمة الإسلامية فى إسبانيا History of The Muhammedan Dynasties in Spain ، وذلك قبل أن يتم دوزى وعدد من رفاقه تحقيق هذا القسم ونشره فى ليدن (١٨٥٥-١٨٦١) . وعاد جايانجوس إلى وطنه حيث شغل كرسى الدراسات العربية فى جامعة مدريد المركزية منذ سنة ١٨٤٣ ، وفى السنة التالية انتخب عضوًا فى المجمع التاريخى الملكى . وفى ١٨٨١ أصبح مديرًا عامًا للتعليم ثم عضوًا فى مجلس الشيوخ . وخلال هذه السنوات نشر الكثيرة من النصوص والدراسات حول التراث العربى التاريخى والأدبى ، وكان أول من نشر بعض كتب الموريسكيين بقية الشعب الأندلسى المسلم ونبه إلى أهمية تراثهم الدينى والأدبى . وبعد تقاعده رحل من

جديد إلى إنجلترا حيث قضى السنوات الأخيرة من حياته مشتغلاً بالبحث فى موضوعات أكثر صلة بالأدب الإسبانى منها بالدراسات العربية . ووافته منيته فى لندن فى حادث سيارة سنة ١٨٩٧ . وإلى جاياجوس يرجع فضل رعايته مجموعة من التلاميذ المشتغلين بالدراسات العربية تحقيقًا وبحثًا فى مختلف المجالات على طول النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

ـ ٢ ـ

كان أبرز تلاميذ جاياجوس وأحظاهم لديه فرانسيسكو كوديرا زيدين Francisco Codera y Zaidin ، وهو الذى أعطى الاستشراق الإسبانى دفعة قوية إلى الأمام ، ورفع عن الدراسات الأندلسية فى أوروبا الوصاية التى كان يمثلها الهولندى دوزى . وأما بالنسبة لإسبانيا فإنه يحقق أيضًا تحولاً فى مركز الدراسات العربية ، إذ كان المشتغلون بها من قبله ينتمون إلى المنطقة الجنوبية من إسبانيا التى ورثت اسم «الأندلس Andalucía» ، فأتى كوديرا لينقل هذا المركز إلى منطقة الشمال الشرقى المعروفة اليوم باسم «أرغون Aragón» وعاصمتها سرقسطة Zaragoza ، وكان العرب يطلقون عليها اسم «الثغر الأعلى» (La Marca Superior) وكانت من أنشط مراكز الثقافة الإسلامية ، وظلت كذلك حتى بعد سقوط سرقسطة فى أيدى المسيحيين على مدى أربعة قرون .

كان مولد كوديرا فى سنة ١٨٣٦ فى قرية فونث Fonz التابعة لمدينة وشقة Huesca فى أسرة تشتغل بفلاحة الأرض ، ولقب أمه Zaidin هو نسبة إلى قرية تحمل هذا الاسم الذى يبدو أنه كان موطنًا لأسرة عربية هى «الزيديين» أو بنى زيد . وبعد إكمال فرانسيسكو المرحلة الابتدائية من تعليمه التحق بمعهد فى مدينة بربشتر Barbastro ، وقضى أربع سنوات فى دراسة اللاتينية والبلاغة ، وبدت رغبته فى الانخراط فى سلك الكهنوت ، فتوجه لدراسة الفلسفة فى معهد لتخريج رجال الدين فى مدينة لاردة Lérida . وفى سنة ١٨٥٥ انتقل إلى سرقسطة Zaragoza عاصمة الإقليم وكبرى مدنه حيث واصل تعليمه اللاهوتى على مدى أربع سنوات ، ولكن مسيرة حياته اتخذت اتجاهًا مفاجئًا لم يكن هو الأول ولا الأخير فيها ، فقد كان فى أثناء دراسته الثانوية فى بربشتر يقضى أوقات فراغه فى محل للنجارة ، ومن هنا بدأ اهتمامه بالحرف والصناعات اليدوية وماتؤهله لها العلوم الطبيعية والرياضية من جبر وحساب مثلثات وهندسة ، فشرع فى دراسة هذه العلوم ، معلمًا نفسه بنفسه وبغير حاجة إلى من يوجهه ، وأدى به اهتمامه بهذا المجال المعرفى إلى الالتحاق فى سرقسطة بكلية العلوم ، حيث درس الطبيعة والكيمياء والجغرافية إلى جانب اللغة اليونانية القديمة ، وبلغ من تفوقه

فى الدراسة أن رشحه أساتذته لكن يعين معيدًا فى تلك الكلية لولا أن قرارًا صدر فى سنة ١٨٥٨ بإلغاء التخصص الذى كان سيعين فيه . على أن ذلك لم يفت فى عضده ، فإذا به يصر على مواصلة الدراسة ولكن فى تخصص آخر هو الآداب ، فيلتحق بكلية الفلسفة والآداب . وفى صيف سنة ١٨٦٠ تدفعة صحته المتداعية إلى قضاء فترة نقاهة واستجمام فى برشلونة حيث شغل نفسه بتعلم الإنجليزية والفرنسية بل ولغة الباسك . ثم عاد إلى سرقسطة حيث حصل على الليسانس فى كلية الآداب ، غير أن تعطشه للمعرفة حمله على الانتقال إلى مدريد حيث واصل دراسته فى نفس الميدان ، ثم تقدم لمسابقة فى تدريس اللاتينية واليونانية للمعاهد الثانوية ، ففاز بهذه الوظيفة ، وتسلم عمله بالفعل فى المعهد الثانوى بلاردة فى سنة ١٨٦٣ ، ومنذ هذا التاريخ تحدد اتجاهه إلى دراسة اللغات القديمة . وأنهى كوديرا دراسته العليا فى لاردة حاصلاً على شهادة الدكتوراه ، واستطاع الفوز فى مسابقة أخرى بوظيفة مدرس لليونانية والعبرية والعربية فى جامعة غرناطة . وفى سنة ١٨٦٨ نقل إلى جامعة سرقسطة فى نفس الوظيفة . وفى ١٨٧٤ فاز بكرسى الأستاذية فى تخصص اللغة العربية بجامعة مدريد ، واستقر فى هذا العمل حتى سنة ١٩٠٢ حينما أحيل إلى التقاعد .

- ٣ -

كانت بداية اتصال كوديرا بالعربية عندما كان عليه أن يدرس العبرية وهو فى معهد اللاهوت بسرقسطة ، وكان اعتماده فى تعلم قواعد هذه اللغة على كتاب المستشرق الهولندى القديم إربينيوس Erpenius (١٥٨٤-١٦٢٤) ، ثم واصل دراسته لهاتين اللغتين الساميتين فى مدريد على يدى أستاذ العبرية سيفيرو كاتالينا Severio Catalina وأستاذ العربية باسكوال دى جايانجوس ، وكان كلاهما يعده أفضل تلاميذهما . ثم قام بتدريس العربية واليونانية فى جامعتى غرناطة وسرقسطة .

ونحن نرى من ذلك أنه لم يبدأ فى تعلم العربية إلا بعد ما قارب الثلاثين من عمره ، ولهذا فإن إحكامه لهذه اللغة لم يكن على المستوى الذى يرضاه ، وكان الرجل فى معرفته لقدر نفسه على وعى بذلك ، فكان دائم الطموح لمزيد من معرفة هذه اللغة من أجل خدمة نفسه ثم خدمة تلاميذه ، فكان أول ما عمل على الاضطلاع به هو تأليف كتاب فى قواعد العربية يكون دليلاً لطلابه . ومنذ هذه اللحظة رسخ اقتناعه بأنه لاغنى عن العربية لدارس تاريخ إسبانيا ، ولاسيما خلال العصور الوسطى ، وأن معرفة تاريخ الأندلس ليست مجرد ترف فكرى ، وإنما ضرورة لفهم تاريخ إسبانيا لا فى عصرها الوسيط فحسب ، بل كذلك فى

تاريخها الحديث والمعاصر أيضًا . ومن هنا فقد أفرغ جهده فى تخريج عدد من تلاميذه الشباب ليكونوا نواة للمتخصصين فى الدراسات العربية ، مواصلاً بذلك المهمة التى كان أستاذه جايانجوس قد اضطلع بها من قبل ، وكان فى مقدمة هؤلاء التلاميذ لافونتى ألكنترا Lafuente Alcăntara وفرانسيسكو سيمونيت Francisco Simonet.

وكان كوديرا بتوجيه ومعونة من جايانجوس يحمل من يتوسم فيهم النجابة من أولئك التلاميذ إلى منزل أستاذه لكى يدربهم على قراءة النصوص العربية المطبوعة والمخطوطة وشرحها وتصنيف قطع النقود الأندلسية وقراءة نقوشها ، واستصفاء ما تكشف عنه هذه النقوش التى تعد وثائق من الطراز الأول من معلومات تاريخية ، وكان من ثمرات هذا الجهد مجموعة من الأبحاث ضمها فى كتاب نشره بعنوان «دراسات حول النُّمِّيات العربية الإسبانية» «Tratado de Numismáticea arábigo - española» (١٨٧٩) ، وهو كتاب لم يتمكن من طبعه إلا بعد صعوبات فنية جمة تغلب عليها بفضل ما عرف به من عزيمة صلبة وإصرار عنيد tenacidad orogonesa وهى الصفة التى اشتهر بها أهل بلدة أرغون . واستطاع كوديرا بدراسته لتلك النميات تصحيح كثير من الأخطاء الشائعة حول التاريخ الأندلسى .

وإذا كان اهتمام كوديرا موجهًا فى البداية لإعطاء صورة صحيحة للتاريخ العربى لإقليم أرغون الذى ينتمى إليه فإن عمله فى ذلك لم يكن من منطلق إقليمى ضيق الأفق ، بل وسعت دراساته أقاليم إسبانيا الأخرى التى كانت تتألف منها الأندلس . ونذكر من ذلك تصحيحه لفكرة كانت شائعة بين المؤرخين الإسبان ، وهى أن عبد الرحمن الداخل «صقر قريش» سعى إلى جعل مسجد قرطبة الجامع بديلاً للبيت الحرام ليحج له مسلمو الأندلس ، هذا وإن كانت نواة هذه الفكرة فى مقدمة المؤرخ العربى الكبير ابن خلدون .

وعلى الرغم من معرفة كوديرا الواسعة بتاريخ الأندلس فإنه كان دائم الإلحاح على أن الوقت لم يحن بعد لكتابة تاريخ شامل للوجود الإسلامى على أرض شبة الجزيرة ، وأنه ينبغى أولاً أن يُتناول هذا التاريخ فى دراسات جزئية حول موضوعات محددة من هذا التاريخ ، وربما أمكن بعد ذلك بخمس عشرة أو عشرين سنة أن يشرع فى كتابة ذلك التاريخ بعد أن تتجمع مادة سليمة تكون أساسًا له .

ويتجلى حس كوديرا النقدى فى تقويمه لما أنجز من أبحاث سابقة حول التاريخ الأندلسى ، وقد كان يتحرى الإنصاف ما وسعه ، فإذا كان قد وافق دوزى فى نقده لكتاب

كوندى فإنه لم يوافقه فى هجومه على الراهب اللبنانى ميخائيل الغزيرى الذى كان واضع اللبنة الأولى فى الدراسات الأندلسية بفهرسته للمخطوطات العربية فى خزانة الإسكوريال .

وكان كوديرا حريصًا على تعرف أحوال المخطوطات المتعلقة بالأندلس فى بلاد الشمال الأفريقى ، إذ كانت هذه البلاد هى المستودع الأول للتراث الأندلسى . ولهذا أوفد سنة ١٨٨٨ فى رحلة رسمية مولتها الحكومة إلى تونس وقسنطينة والجزائر ووهران ، حيث زار خزائن المخطوطات العامة والخاصة ، وسجل نقولاً وملاحظات كثيرة عنها ، كما اشترى واستنسخ عددًا منها لم يستأثر بها لنفسه ، بل أهداها للمجمع التاريخى الملكى ، كما وجَّه اهتمامه إلى مخطوطات الإسكوريال التى ألفى عدد منها فى أحد أفنية الدير بعد أن استنقذت من الحريق الذى شب فيه سنة ١٦٧١ ، وكان قد سلمت منه أجزاء وأوراق من مخطوطات كثيرة ، فعمل على ترميمها وجمع ما أمكن من أوراقها المتفرقة فى حوافظ معروفة باسم «ورق الدشت» (Iegajos) .

وكان مستشرقنا العظيم يرى أنه من العسير تقديم كتابات دقيقة حول الأندلس قبل أن تحقق أهم أعمال مؤلفيها المخطوطة ، وتنشر نشرًا علميًا . ولنذكر أن المنشور من المصادر الأندلسية بل والعربية عامة آنذاك فى أواخر القرن التاسع عشر كان محدودًا جدًا ، فقد كنا فى مصر وتركيا ـ وهما طليعة العالم الإسلامى فى أمور النشر حديثى عهد بالطباعة . أما التراث الأندلسى فلم يعرف مطبوعًا منه إلا كتب قليلة منها نفح الطيب للمقرى وديوانا ابن سهل الإشبيلى وابن خفاجة وتاريخ ابن خلدون ، وحتى هذه لم تكن محققة على نحو علمى سليم . ولهذا فقد وضع كوديرا خطة طموحًا لنشر مائة من المصادر الأندلسية الأساسية . ولما كان الرجل ذا طبيعة عملية فقد شرع فى اختيار المجلدات العشرة الأولى مؤسسًا بذلك ما سماه «المكتبة العربية الإسبانية «Bibliotheca Arabica Hispana» وتتألف من الكتب الآتية : «الصلة لابن بشكوال الإشبيلى فى مجلدين ، ومعجم أصحاب أبى على الصدفى لابن الأبار البلنسى ، وتكملة الصلة لابن الأبار أيضًا فى مجلدين ، وبغية الملتمس للضبى المرسى ، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى القرطبى فى مجلدين . وفهرسة ابن خير الإشبيلى فى مجلدين» . وتم إنجاز هذه المجلدات العشرة بين سنتى ١٨٨٢و١٨٩٥ .

كانت إسبانيا آنذاك متخلفة عن نظيراتها الأوروبية فى أمر الطباعة العربية ، إذ لم يكن فيها مطابع عربية ولاعمال متخصصون فى هذه الصناعة . وكانت هذه هى المشكلة الأولى التى واجهت كوديرا ، وكانت كفيلة بأن تحمله على صرف النظر عن المشروع برُمَّته ، والمشكلة

الثانية التى لاتقل عن الأولى خطرًا هى قلة ذات اليد . فقد كان الرجل مستور الحال ، ولكنه لم يكن ميسورًا واسع الثروة . غير أن ما اتسَّم به من عناد وتصميم وصلابة عزيمة جعله يواجه هذه التحديات فى شجاعة هى أقرب إلى مانقرؤه عن أبطال الملاحم أو مجاهدات المتصوفة . فقد اتخذ من بيته ورشة للطباعة ، وقام هو بنفسه بصب الحروف العربية وسبكها ، وأعانته على ذلك مهاراته المبكرة فى الحرف اليدوية ، أما صف الحروف وجمعها فقد اضطلع به أيضا بمعاونة عدد من تلاميذه كان على رأسهم خوليان ريبيرا Julián Ribera وهكذا تحول هؤلاء التلاميذ الذين اصطلح على تسميتهم بـ «بنى كوديرا Beni Codera إلى عمال مطبعة ، وأصبح ـ وهو الأستاذ الجامعى ـ مدير المطبعة ورئيس العمال فيها ، وإن كان يعمل مثلهم بيده ولايميز نفسه عنهم بشئ ، بل كان الرجل يتكفل بمعيشتهم ، إذ كانوا يقيمون طول اليوم فى منزله .

أما عن المشكلة الثانية وهى الاقتصادية الخاصة بنفقات الطباعة ومصير الكتب المطبوعة فقد استطاع كوديرا أن يدبر مع جهات خارج إسبانيا اتفاقًا بأن تشترى مائة نسخة من كل مجلد ، واتفق أن أحد من تولوا رياسة الحكومة الإسبانية وهو كانوفاس دل كاستيُو Cánovas del Castillo كان راعيًا ومحبًا للدراسات العربية ومعجبًا بكفاح كوديرا فى سبيل هذه القضية ، فعقد معه اتفاقًا يتعهد فيه بأن تشترى الحكومة مائتى نسخة من كل مجلد . وأصبحت أثمان النسخ الثلاثمائة التى تم التعاقد على شرائها كافية لتغطية تكاليف الطباعة ، وإن لم يعد ذلك على الناشرين بأى ربح ، على أن سوء الحظ عاد ليلاحق هذا المحارب العنيد ، فإذا بالحكومة تتغير ويتولى ساجاستا رياسة الحكومة ، ولايلبث هذا أن يبلغ كوديرا بأنه قد ألغى الاتفاق معه حول شراء النسخ المائتين ، لأن الدولة كانت أحوج للنقود من أجل شراء معدات عسكرية منها لنشر كتب عربية ، فقد كانت إسبانيا آنذاك ناشبة فى حرب مع الولايات المتحدة فى مياه كوبا والفلبين سنة ١٨٩٨ ، وهى الحرب الكارثة التى هزمت فيها إسبانيا هزيمة ساحقة وفقدت آخر مستعمراتها فيما وراء البحار . وبسبب ذلك توقف مشروع كوديرا بعد المجلدات العشرة التى صدرت من مكتبته الأندلسية ، وكان قد قدَّر فى البداية أن تتألف من مائة مجلد .

ـ ٤ ـ

لم يشغل كوديرا اهتمامه بالدراسات العربية عن كونه فلاحًا ينتمى إلى أسرة من المزارعين . وكان منذ طفولته يشارك أهله فى فلاحة الأرض . ثم أعانه تمرسه بكثير من المهن اليدوية التى استعان فيها بمستحدثات العلم وتقنياته على استنباط وسائل جديدة لاستثمار

الأرض والارتقاء بالإنتاج الزراعى . فكان كثيرًا ماينشر أبحاثًا يقترح فيها طرقًا جديدة لتحديث الزراعة فى إسبانيا ، ومنها إجراء تجارب لاستخدام أسمدة مستخلصة من المعادن ، وتطبيقها على مزرعته الخاصة فى قريته ، بل وابتكار معدات حسَّن بها إنتاج بعض المحصولات ، وتحولت أرضه الخاصة بذلك إلى مزرعة نموذجية يحتذى العمل فى خدمتها كثير من أصحاب المزارع . والطريف فى هذا الموضوع أنه ربط بين عمله فى ميدان الزراعة ودراساته العربية ، إذ كان ينبه دائمًا إلى أن مسلمى الأندلس ـ كما يتبين من كتبهم فى ميدان الفلاحة ـ قد استغلوا الأرض أحسن استغلال ، واستنبطوا وسائل للرى والاستنبات أهملت فى ظل إسبانيا المسيحية ، وكانت لديهم محاصيل كثيرة انقرضت بعد ذلك ، وأوضح أن التراث الفلاحى الأندلسى كفيل بأن ينهض بالإنتاج الزراعى فى إسبانيا من جديد .

وكان كوديرا وجلا متقشفا يحيا حياة بسيطة أشبه بحياة الزهاد والمتصوفة ، وعرف فى الوسط الذى عاش فيه سواء فى الحواضر أو فى الريف بأنه كان من أكثر الناس تفانيًا فى خدمة الآخرين ومساعدتهم ، ومن هذه الناحية يمكن أن نضيف إلى ما قدمه للعلم صفة المصلح الاجتماعى . وقد وصفه تلميذه إدواردو ساڤيدرا Eduardo Saavedra بأنه اتخذ لنفسه شعارًا هو «إطعام الجائع وتعليم الجاهل» .

ـ ٥ ـ

يعد كوديرا مؤسس الاستشراق الإسبانى الحديث فى مطلع القرن العشرين ، فبالإضافة إلى نشره «المكتبة الأندلسية» جمع من خلال مطالعاته خمسين ألف جذاذة ورتبها وتركها فى أيدى تلاميذه . وبهذه المناسبة أذكر أن هذا هو نفس ما قام به فى مصر أحمد زكى باشا . ومازالت جذاذات كوديرا ، إذ آلت إلى معهد ميجيل أسين (بلاثيوس) ، وهى الآن فى جامعة «التعليم عن بعد» فى مدريد . ولم يكن كوديرا فى حياته ضنينًا بها ، فقد وضعها تحت تصرف من يطلبها ، إذ كان يدرك أنه لن يستطيع استصفاء فوائدها فى أبحاثه خلال حياته . وقد انتفع منها الأمير الإيطالى ليون دى كايتانى Leone de Caetani الذى استنسخها وترجمها إلى الإيطالية .

ويقارن غرسية غومس García Gómez بين أعلام الاستشراق فى القرن التاسع عشر ، فيقول إن جايانجوس أستاذ كوديرا ورائد الدراسات العربية مع الأهمية البالغة لدوره كان مجرد هاو لتلك الدراسات ، وكان اهتمامه موزعًا بينها وبين الأدب الإسبانى ومجالات أخرى

مختلفة . وأما تلاميذه فمنهم لافوتنى ألكنترا وكان من الشخصيات الواعدة غير أنه توفى شابا سنة ١٨٦٨ قبل أن يحقق ما كان منتظرًا منه . ومنهم إستابانيث كالديرون Estébanez Calderón (المتوفى سنة ١٨٦٧) الذى كان اهتمامه رومانسيًا فنيًا أكثر منه علميا . ولم يبق فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ممن يعدون مستشرقين محترفين إلا سيمونيت (١٨٢٩ - ١٨٩٧) وكوديرا . أما الأول F. Simonet فكان لغويًا قدم دراسات قيمة فى مجال التفاعل بين العربية واللاتينية ، غير أن تعصبه المقيت وكراهيته للإسلام والعرب أفقده الموضوعية وحال بينه وبين احتلال مركز الأستاذية . ولم يبق فى الميدان إلا كوديرا الذى يعد واضع الأساس لمدرسة عربية راسخة الجذور باقية الأثر . ولعل ماميز كوديرا عن زميله سيمونيت هو إعجابه وتقديره الكبير للثقافة العربية ، وهو تقدير لم يكن نابعًا من اتجاه عاطفى كان من سمات هذا العصر الذى ساده المذهب الرومانسى فى الفن والأدب ، وإنما كان قائمًا على أسس علمية عقلانية أورثها تلاميذه ، وأهمهم خوليان ريبيرا وأسين بلاثيوس ثم الأجيال التالية التى أصبحت تنتسب إلى مادعوه « بنى كوديرا» .

أما دراساته حول الحضارة الأندلسية فكان منطلقه فيها ما عبر عنه فى العديد من أبحاثه وهو أن كتب التاريخ السياسى لاتكاد تتحدث إلا عن الأمراء والملوك وسيرهم ومعاركهم الحربية ، وهو جانب له أهميته بغير شك ، ولكنه لايصور لنا نبض المجتمع ولاحياة الناس فى ممارستهم لأعمالهم وفى علاقات بعضهم ببعض ، وهو ما يمكن أن تقدمه لنا كتب أخرى مثل كتب الأدب بما تحتوى عليه من نوادر ، ومعاجم التراجم والسير وغيرها ، وحتى كتب التاريخ السياسى قد يلحق أخبارها الزيف إذا كان المؤرخ مرتبطًا بدولة أو أمير يكون من رجال بلاطه ، وقد نجد فيها اضطرابًا فى تحديد التواريخ ، وهنا تأتى مصادر أخرى يمكن أن تصحح لنا ما قد يكون فى تلك المدونات من أخطاء ، ومنها قطع النقود وماعليها من نقوش وقد أشرنا من قبل إلى عناية كوديرا بالنميات وماله فيها من دراسات رائدة .

وكان هذا الموضوع مما أثاره كوديرا فى خطابه الذى ألقاه فى حفل استقباله فى المجمع التاريخى الملكى ، وضرب فيه أمثلة على ما يمكن أن يستخلص من فوائد تقدمها لنا قطع النقود . فمن ذلك حديثه عن أول ما ضربه المسلمون من نقود لدى فتحهم الأندلس ، فقد كانت تحمل نقوشًا مزدوجة اللغة بالعربية واللاتينية . ومن أمثلتها العملة التى ضربها موسى بن نصير فى سنة ٩٧هـ (٧١٦م) ، وعليها باللاتينية فى أحد وجهيها :

In nomine Domini.Non Deus nist Deus. Solus Sapien, non Deo Similis Alius

وترجمة هذه العبارة « بسم الله ، لا إله إلا الله الواحد العليم لا إله غيره» وعلى الوجه الآخر نجمة ذات ثمانى أذرع ونقش بالعربية نصه : « لا إله إلا الله محمد رسول الله» وحوله باللاتينية : «Sobidus Feritus in Spania» وترجمته « دينار مضروب فى إسبانيا» .

ومع انتشار الإسلام وتعرب البلاد أصبحت النقود تضرب بالعربية فقط ، حتى إن ملوك إسبانيا المسيحية كانوا يضربون نقودهم بهذه اللغة ، ويذكر كوديرا من أمثلة ذلك الدرهم الذى أصدره ملك قشتالة ألفونسو الثامن Alfonso VIII (المتوفى سنة ٦١٤هـ = ١٢١٧م) فى عاصمته طليطلة ، وعليه نقش كله بالعربية هذا نصه :

«إمام كنيسة المسيح ، باسم الأب والابن والروح القدس . من آمن وعُمّد فهو الناجى أمير الكاثوليكية أدفونس بن شانجه أيده الله ونصره» .

وضرب هذا الدرهم بنقشه العربى ، أعظم دلالة على تعرب إسبانيا المسيحية وعلى أن اللغة العربية ظلت فى هذه البلاد لغة الحضارة والثقافة حتى القرن الثالث عشر الميلادى . هذا مع أن دولة المسلمين فى الأندلس كانت آنذاك آخذه طريقها فى الضعف والانحلال .

- ٦ -

ومن دراسات كوديرا التى اتخذ فيها موقفًا مغايرًا تمامًا للدراسات السابقة كتابه عن «اضمحلال دولة المرابطين فى الأندلس وسقوطها» Decadenciay despariciòn de los Almoravides en España (سرقسطة ١٨٩٩) فقد كان الموقف السائد بين المستشرقين الأوروبيين حتى هذا الكتاب بل وبعد نشره أيضًا هو الحملة العنيفة على دولة المرابطين واتهامهم بالتعصب الدينى والجهل والتنديد بما زعموه من تدميرهم للحضارة الأندلسية التى كانت مزدهرة فى ظل ملوك الطوائف . وكان قائد هذه الحملة هو العلامة الهولندى دوزى فى كتابه «تاريخ المسلمين فى إسبانيا» وأخذ بآرائه معظم الدراسين فى أوروبا بما فيهم الإسبان . بل وتابعهم كثير من الباحثين العرب ، ومنهم كامل كيلانى الذى ترجم فصولاً من كتاب دوزى ، وكذلك أمير شعرائنا أحمد شوقى فى مسرحيته النثرية «أميرة الأندلس» . وهنا نجد كوديرا ينهض للدفاع عن دولة المرابطين ، وينفى عنهم تهم التعصب والجهل ، ويشيد بفضلهم فى حماية الإسلام فى شبه الجزيرة وفى الحفاظ على نهضة الأندلس الفكرية والثقافية .

ولكوديرا مجموعة من الأبحاث أعاد نشرها فى عدة مجلدات بعنوان « دراسات نقدية حول التاريخ العربى الإسبانى «Estudios Critcos de Historia àrabe espãnia» ، وبين هذه الدراسات بحث بعنوان «أهمية دراسة اللغة العربية لفهم تاريخ إسبانيا ، وبصفة خاصة

بالنسبة لمن ولدوا فى إقليم أرغون» ، وأصل هذا المقال محاضرته التى افتتح بها العام الدراسى بجامعة سرقسطة سنة ١٨٧٠ ، وفيها يقول بوضوح إن الثقافة الإسلامية كان مستواها أعلى بكثير من مستواها المعاصر فى سائر البلاد الأوربية من القرن الثامن الميلادى إلى الثالث عشر فى جميع ميادين الفكر والآداب والعلوم . ويضرب على ذلك مثلاً بالعالم الموسوعى عبد الملك بن حبيب السلمى الإلبيرى (المتوفى سنة ٨٥٢) الذى بلغت مؤلفاته ألفًا وخمسين كتابًا شملت كل مجالات المعرفة على حين أن الإنتاج الفكرى لمن يعدون أعلام الثقافة الأوروبية حينذاك لايتجاوز نسبة بالغة الضآلة من ثمرات قلم هذا المؤلف الأندلسى بمفرده .

وكان تعبير كوديرا عن حبه للتراث الأندلسى واعتداده به بمثل هذه الحماسة قد وصفه فى صميم المعركة التى كانت رحاها تدور فى إسبانيا على جميع المستويات خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر بين من يعرفون بالمحافظين التقليديين والليبراليين أصحاب الفكر الحر . فقد كان فى إسبانيا فريق من المفكرين لايزالون يعيشون بعقلية القرون السابقة التى تسيطر عليها أفكار التعصب الدينى والكراهية الموروثة للدين الإسلامى وحضارته . وربما كان خير نموذج لهذا الفريق المعارض لنظريات كوديرا هو المؤرخ بيثنتى لافونتى Vắcnte Lafuente الذى تولى الرد على محاضرة كوديرا المشار إليها ــ ففى رده ــ وراء ظاهر من الثناء عليه ــ نراه يوجه فى لهجة سافرة سهام نقده لآرائه قائلاً :« لقد برز فى الآونة الأخيرة لدينا فريق صغير من نشطاء المشتغلين بالدراسات العربية ، يقتحمون ميدان الكتابة التاريخية بآراء يريدون بها هدم جميع مقدساتنا ، متهمين مدوناتنا المسيحية بالكذب . . . ولانبعد عن الحقيقة إذا قلنا إن هذا الفريق إنما هم أعداء الله وأعداء كنيستنا وتقاليدنا المقدسة ، وهم الذين يعملون على هدم الأسس التى يقوم عليها مجتمعنا وتدمير سلطته الرسمية» ولسنا فى حاجة إلى بيان ماتكشف عنه هذه العبارات من تعصب وبعد عن كل حجاج عقلى منطقى .

ومما نسجله فى سيرة كوديرا هو أنه أول مستشرق إسبانى كانت له صلة ببعض علماء وطننا العربى فى المشرق ، ونعنى بهذا العالم أحمد زكى باشا «شيخ العروبة» ولسنا نعرف كيف تمت هذه الصلة ولكننا ننوه بقيمتها وماترتب عليها فيما سنذكره .

كان كوديرا بصدد تحقيقه لكتاب «التكملة» لابن الأبار فى المجلدين الخامس والسادس من المكتبة العربية الإسبانية (١٨٨٦ - ١٨٨٩) معتمدًا على مخطوطتين غير كاملتين فى خزانة الإسكوريال ونمى إلى علمه بعد ذلك أن هناك مخطوطة أندلسية أقدم من هاتين فى الخزانة الخاصة لسليمان باشا أباظة ، فتمكن بفضل صداقته وتوسط شيخ العروبة له من

استعارتها ، فوجد بها زيادات كبيرة فى التراجم ونصوصًا تكمل فجوات وخرومًا كثيرة كانت فى مخطوطتى الإسكوريال ، غير أن الشيخوخة كانت قد نالت منه ، فلم يستطع إصدار طبعه جديدة للكتاب ، فعهد بالعمل إلى اثنين من تلاميذه هما ماكسيميليانو ألاركون Maximiliano Alarcón وأنخل جونثالث بالنثيا Angel Goanzalez Palencia فأصدرا ما سمياه «ملحقًا لطبعة التكملة» ونشر هذا الملحق فى مدريد سنة ١٩١٥ قبل وفاة أستاذهما بسنتين .

ونضيف إلى ذلك أن هناك شخصية مصرية أخرى كان يمكن أن يوثق كوديرا بها علاقة صداقة وأن ينتفع منها لو أنه عرفها ، ونعنى بها أمير شعرائنا أحمد شوقى ، إذ كان من الاتفاق أن شاعرنا الكبير قضى سنوات منفاه فى إسبانيا مابين سنتى ١٩١٤ و ١٩١٩ أى أنه عاصر السنوات الأخيرة من حياة المستشرق الإسبانى . وقد اختار شوقى لمقامة فى إسبانيا مدينة برشلونة التى لاتبعد عن سرقسطة إلا بثلاثمائة كيلو متر . ولو أن كوديرا عرف بوجود أمير شعراء العالم العربى على مقربة منه لسعى إليه سعيًا هو أو بعض تلاميذه ، ولعادت الصداقة بين الرجلين بخير كثير ولكن شوقى كان مخلدًا لعزلته عن كل أوساط إسبانيا الثقافية المهتمة بالتراث العربى ، فلم يتح له أن يستفيد منها ولا لها أن تستفيد منه وهو أمر مؤسف حقًا ، لأنه لو حدث لعرف شوقى عن حضارة الأندلس ما كان جديرًا بأن يثرى صورة الأندلس التى بدت باهتة فى شعره ، ولما حمل على المرابطين تلك الحملة الظالمة فى مسرحيته «أميرة الأندلس» .

ونذكر فى النهاية أن غرسية غومس (الذى امتدت حياته بين سنتى ١٩٠٥ و ١٩٩٥) والذى يُعدُّ حفيدًا علميًا لمستشرقنا الكبير قد أجمل تاريخ الاستشراق الإسبانى الحديث بقوله :

«ما أشبه عنايتنا بالتراث العربى الأندلسى بشجرة وارفة : كان جايانجوس هو تربتها الخصبة ، وكوديرا هو الجذر الراسخ ، وريبيرا هو الجذع المتين ، وأسين بلاثيوس هو الزهرة المتفتحة» وسكت عما تقتضيه بقية التشبيه ، فكان علينا أن نضيف إلى عبارته : والثمرات الناضجة هى تلاميذ أسين ، وفى مقدمتهم غرسيه غومس نفسه ، ثم من تبعه ممن درسوا على يديه الذين يملأون اليوم جامعات إسبانيا ومراكزها العلمية ، وكذلك بعض تلاميذه العرب ، وكان أول جيل منهم هم أعضاء البعثة المصرية التى أوفدها طه حسين حينما ولى وزارة المعارف عند افتتاح المعهد المصرى فى مدريد سنة ١٩٥٠ وكان من بين أعضاء هذه البعثة محدثكم فى هذه الأمسية .

ندوة
(طه الحاجري)

الدكتور طه الحاجرى
أستاذا وعالما وباحثا

ا.د / محمد زغلول سلام

ولد أستاذنا محمد طه الحاجرى فى بيت علم بإحدى قرى محافظة بنى سويف عام ١٩٠٨ ، وكان والده شيخًا أزهريًا تلقى على يديه أول دروس المعرفة ، واهتدى إلى طريق العلم ، وتطلع إلى الأخذ بأسبابه من طفولته ، وطوال مراحل صباه .

وقد لقى منذ طفولته من والده رعاية خاصة ، فدفع به إلى الكتّاب ليحفظ القرآن الكريم كالعادة ، ويتلقى بعض دروس القراءة والكتابة . ثم صار الطفل صبيًا ، فصار يحضر مجالس والده بالمنزل مع بعض رفاقه من المتعلمين ، يتحاورون ويسمرون ويتناولون بعض أمور الحياة ويتطرقون إلى جوانب من أمور الدين والأدب ، ويعلقون أحيانًا على ما قد ينشر فى الصحف مما كان والده حريصًا على الاطلاع عليها واقتنائها .

وصحب الصبى والده إلى مجالس إخوانه فى منتدياتهم ، فطرقت سمعه منذ الصغر أسماء بعض العلماء والأدباء والصحفيين ، من قدماء ومحدثين ، ممن كانت مجالسهم لا تخلو من الحديث عنهم .

وكان الصبى قد التحق بالمدرسة الأولية ، فتقدم فى المعرفة وبدأ يدرك ما يقرأ وتتسع مداركه بما يسمع فى مجالس والده وأصحابه من المتعلمين والمستنيرين من أهل بلدته .

ويذكر الحاجرى ، أنه اعتاد الذهاب فى سن مبكرة إلى مكتبة أحد السودانيين من أصدقاء والده . وكانت مكتبته عامرة ؛ فتردد الصبى عليها ليتعرف على ما بها من كتب ، وليقرأ ما شاء منها أو ما يقدر على استيعابه وفهمه . وجاء على لسان الحاجرى ، أن صاحب المكتبة السودانى كان طلىَّ الحديث يحول مكتبته كل مساء إلى ما يشبه الندوة ، تناقش قطوفًا من الأحداث والأخبار السياسة والأدبية .

وشب الصبى ، فصبت نفسه إلى مزيد من العلم ، ولقى ذلك استجابة من والده ، فانطلق إلى القاهرة يتزود من أزهرها شأن كثيرين من أبناء الصعيد فى زمنه ، وكما فعل طه حسين وغيره من كبار أدباء وعلماء وشيوخ العلم من أبنائه . فالتحق الصبى بأحد المعاهد الأزهرية ، وحصل على الثانوية الأزهرية .

وكانت هذه المرحلة من سنى حياته ذات أثر كبير فى تكوينه الثقافى وتوجهه الفكرى ، ذلك أن الدراسة بالأزهر لم تشغله تمامًا ، ولم تستحوذ على فكره وحدها ، بل إن الجو الثقافى العام بالقاهرة ، بما كان يموج به من تعدد الثقافات والاتجاهات ، فتح عقله على عوالم جديدة من المعرفة غير تلك الثقافة الدينية واللغوية والأدبية المحدودة التى تلقاها بالأزهر .

فقد أتيحت له فى هذه المرحلة قراءة أعداد من «الوجديّات» التى كان يصدرها محمد فريد وجدى بقلمه ، وقد تعلق بها الفتى الحاجرى ، وجذبه أسلوب صاحبها وفكره ، وتوجهه العقلى فيما يكتب ، فتعلق به وتأثر برؤيته الفلسفية ، وظل هذا الأثر ملازمًا له حتى المراحل المتقدمة من حياته العلمية ، والدليل على ذلك حرصه على تخصيص أحد كتبه للحديث عن معلمه العقلى «محمد فريد وجدى» .

وتعرف عن قرب فى هذه المرحلة إلى كبار كتاب عصره وأساتذته وفى مقدمتهم طه حسين ، والعقاد ، وهيكل ، وأحمد أمين ، والشيخ مصطفى عبدالرازق ، وعلى عبدالرازق ، وغيرهم ممن حفلت بهم الساحة الثقافية ، وتحدثت بهم الصحف والكتب التى كانت تصدر تباعًا وشغل الناس آنذاك حواراتهم ومعاركهم الأدبية والفكرية .

إذن نزل طه الحاجرى بالقاهرة فى عشرينات القرن العشرين وأوائل ثلاثيناته ، ووجد نفسه فى وسط هذا الجو الحيوى المفعم بالتيارات الثقافية المتعددة ، الوافدة منها والتراثية المتجددة ، فنهل منها وأراد أن يتسلح بالعلم الوافد والثقافة الغربية ، فكان أن رمى ببصره إلى الجامعة المصرية التى وجد أنها ترضى تطلعاته ، وقد سبقه إلى ذلك أساتذته طه حسين وأحمد أمين وعبدالوهاب عزام .

وفى سنة ١٩٢٧ التحق بالجامعة المصرية بقسم اللغة العربية ، وتخرج فى القسم عام ١٩٣١ . وفى أثناء دراسته ، توثقت صلته بأساتذته ، الدكتور طه حسين والدكتور أحمد أمين والدكتور عبدالوهاب عزام .

وكان يسكن قريبًا من الجامعة بمدينة الجيزة بحارة الشيخ سالم ، وفى مسكن متواضع كغيره من الطلاب النازحين من الصعيد لتلقى العلم بالجامعة . ومضت سنوات بعد تخرجه ، حتى التحق بالدراسات العليا ليتقدم برسالته للماجستير ، وتردد على مكتبة الجامعة وحصل على بطاقة للإعارة الخارجية بكفالة أستاذه الدكتور أحمد أمين سنة ١٩٣٧م ، وفى نفس السنة اختاره القسم طالب بحث بمكافأة شهرية لإتمام دراسته العليا .

ومضى فى تحقيق كتاب البخلاء ، وأتم تحقيقه بإشراف أستاذه الدكتور طه حسين ، وناقشته اللجنة التى شارك فيها المستشرق بول كراوس ومنحته درجة الماچستير عام ١٩٤٠م . وتوثقت الصلة بين الحاجرى وبول كراوس ، وكان قد تعلم الفرنسية ليقرأ بها جهود المستشرقين فى مجال دراسته ، متأثرًا بأستاذه طه حسين . وشارك بول كراوس بعد ذلك فى تحقيق بعض رسائل الجاحظ نشرت عام ١٩٤١ .

وقد أتاحت له تلك الدراسة الاتصال بالجاحظ عن قرب والتعرف على إنتاجه العقلى الفلسفى . ولا شك أن اختياره للجاحظ كان دافعًا من تكوينه السابق على مرحلة الجامعة ، والذى شارك فيه كما أشرنا إليه محمد فريد وجدى ، ثم تابعه استماعه إلى محاضرات أساتذته طه حسين وأحمد أمين وعبدالوهاب عزام .

وفى مرحلة الماچستير اقترب من طه حسين ومن منهجه فى الدراسة الأدبية وأعجب به ، وحرص على تعلم اللغة الفرنسية للتعرف على الأساتذة الفرنسيين الذى كان يسمع عنهم من طه حسين .

وكان الحاجرى قد عين مدرسًا مساعدًا بكلية الآداب جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٢ فى بدء إنشائها . اختاره طه حسين من بين من اختار عند توليه رياسة الجامعة ، للنهوض بأعباء التدريس بقسم اللغة العربية ، وكان من بينهم الدكتور إبراهيم مصطفى والأستاذ اللبان والحاجرى ومحمد حسين والأستاذ محمد خلف الله أستاذنا ، ولكل منهم تخصصه فى مواد اللغة العربية والأدب العربى . وشغل درجة مدرس مساعد «ب» ثم مدرس مساعد .

وقيد نفسه للحصول على درجة الدكتوراه ، واختار لذلك موضوع «الجاحظ حياته وآثاره» استمرارًا للخط الذى بدأ به دراسته العليا وأثره فى برنامجه العلمى .

وبعد مضى ثلاث سنوات على إنشاء جامعة فاروق الأول (الإسكندرية الآن) التحقت عام ١٩٤٥ بقسم اللغة العربية بها ، ولم ألتق بأستاذنا الحاجرى فى أثناء دراستى بالسنة الأولى ، بل التقيت بأستاذنا محمد خلف الله الذى درس لنا شوقى فى الأدب الحديث ، وبأستاذنا محمد محمد حسين - وكان مدرسًا مساعدًا آنذاك - ودرّس لنا أدب المهجر ، وأتيحت لى فرصة لقاء الحاجرى بالسنة الثانية .

وهكذا جاء الحاجرى إلى الإسكندرية مدرسًا مساعدًا ، وأقام بشقة بمحرم بك قريبا من مقر كلية الآداب أول الأمر .

طه الحاجرى أستاذًا بالجامعة :

وعين معيدًا فمدرسًا مساعدًا أو مدرس «ب» ، كما كان يطلق على الحاصل على الماچستير أنذاك .

وانتقل بعد ذلك للعمل بجامعة الإسكندرية سنة ١٩٤٢م ، وقد اختاره الدكتور طه حسين بين من اختار من أعضاء هيئة التدريس ، لبدء الدراسة بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول أنذاك بالإسكندرية ، وكان طه حسين قد عين رئيسًا لها .

وكانت تحتل مبنى بمدرسة الثانوية بمحرم بك ، مشاركة مع كلية الحقوق ، ثم انتقلت الكلية إلى مبنى بالنزهة على ترعة المحمودية .

ومضت السنوات وحصل الدكتور الحاجرى على الدكتوراه عام ١٩٤٦ ، وعين مدرسًا للأدب العربى بقسم اللغة العربية .

وانتقلت كلية الآداب مرة أخرى إلى مبنى على الكورنيش (مقر إدارة جامعة الإسكندرية الآن) سنة١٩٤٧ ، وهو مكان أجمل وأكثر اتساعًا . وأمضى الدكتور الحاجرى سنوات فى هذا المبنى ، رقى فى أثنائها إلى درجة أستاذ مساعد ، وسعدت فى أثنائها بالاقتراب منه وتلقى العلم على يديه فى الأدب العباسى وتعرفت عن طريقه على الجاحظ وبشار بن برد وأبى تمام والمتنبى .

وأمضى الحاجرى فى كلية الآداب بهذا المبنى سنوات إلى أن انتقلت الكلية إلى مبناها الحالى بمجمع الكليات بالشاطبى ، ودرّس بالقسم أستاذًا وأستاذ كرسى ورئيسًا للقسم . وشاء حظى أن ألتقى به زميلاً بعد أن كنت تلميذًا فى سنوات من ١٩٦٩ إلى ١٩٨١ ، وبعدها انتقلت من كليتى بالإسكندرية حتى سمعت بوفاته رحمه الله .

الحاجرى أستاذًا :

التقيت بالحاجرى أستاذًا عام ١٩٤٦ طالبًا بالسنة الثانية ، فى محاضرات النقد القديم وكان يلقى علينا محاضرات من كتاب «أخبار أبى تمام» للصولى .

عرفته بملامحه الصعيدية ووجهه الذى يوحى بالجدّ ، وإن اختفت وراء هذا المظهر الجاد ابتسامة هادئة ونفس طيبة صافية تألف وتؤلف . أحببناه ، وأحببنا طريقته فى الدرس ، واهتمامه بتوجيهنا دائمًا إلى التعرف على كتب التراث ، وقراءتها بإمعان ، ومعايشة مؤلفها وعصره . وأعترف أنى تعلمت منه ذلك ، ودفعنى تدريسه للمتنبى بالسنة الثالثة إلى تعلقى

بالمتنبى شخصية وشعرًا ، فحفظت كثيرًا من قصائده ، وحصلت على تقدير ممتاز فى ورقة امتحان آخر العام على إجابتى عن سؤال فى المتنبى .

وتابعت مسيرتى تلميذًا للحاجرى حتى حصلت على الليسانس الخاصة فى الأدب بتقدير ممتاز ، وسعدت به مناقشًا فى لجنة الماچستير مع أستاذى المشرف محمد خلف الله والأستاذ أمين الخولى .

وكان موضوع الرسالة من وحى أستاذنا خلف الله ، وأدواتها من مخطوطات تراثية ، بعون من أستاذنا الحاجرى ، واهتدائى إليها بشغفى الذى تشكل فىّ أثناء الدراسة .

وتواصلنا معًا بعد الماچستير فى تحقيق «عيار الشعر» لابن طباطبا . وكان يبذل للطالب من علمه ومن وقته ومن سماحته وتشجيعه ما يعين على متاعب البحث ومعاناته .

تلك كانت سجاياه فى قاعات الدرس ومع الدارسين . وأما علاقته بطلابه خارج المدرجات وقاعات الدرس فقد كانت علاقة محبة وأبوه ، يشارك فى رحلات أسرة اللغة العربية إلى معالم الإسكندرية ، ومتنزهاتها ، وإلى المناطق المحيطة كرشيد وإدفينا وأبى قير وبرج العرب ، على أن أجمل ما قمنا به معًا من رحلات كان عام ١٩٤٧ ، حيث ذهبت الأسرة من طلاب القسم وأساتذته وعائلاتهم إلى بحيرة مريوط ، حيث قضينا اليوم مع الصيادين فى قواربهم وتغذينا من أسماك البحيرة ، وكنا نتجاذب مع أساتذتنا أطراف الأحاديث ويلقى الطلبة بعض النكات فيضحك لها الجميع ، وكانت للحاجرى ضحكة خاصة . . وكذا كانت الحال فى حفلات الأسرة بالقسم ، وفى نشاطه الثقافى واللقاءات والندوات ومهرجانات الشعر التى كانت الأسرة تقيمها بالاشتراك مع رابطة الأدب الحديث بالثغر .

وشارك الحاجرى طلابه فى الإعداد لمجلة قسم اللغة التى أصدرها باسم «الأسرة» ، وساعد فى تحريرها حين صدر العدد الأول منها عام ١٩٤٨ ، وصدر منها بعد ذلك عدة أعداد ثم توقفت .

وهكذا كان الحاجرى متبسطًا مع طلابه ، مشاركًا لهم أنشطتهم الترفيهية والاجتماعية والثقافية .

الحاجرى عالمًا ومؤلفًا :

وهذا الجانب فى الحاجرى هو المميز الشاهد عليه وعلى مكانته ، ولا يسعنا هنا إلا أن نشير إلى أهم إنجازاته فالمجال لا يتسع للإفاضة .

ونبدأ بالحديث عن رسالته للماجستير والتى حقق فيها كتاب «البخلاء» للجاحظ ، وقد أثنت عليه لجنة المناقشة ، وأعجب بعمله فيه بول كراوس ، وكان سببًا فى اشتراكهما معًا فى تحقيق أربع رسائل للجاحظ كما أشرنا . كما أثنى عليه الدكتور شوقى ضيف فى كلمة الترحيب به عضوًا بمجمع اللغة العربية .

واختار الحاجرى موضوع البخلاء للجاحظ فى رأينا لأمرين ، أولهما : أنه يتفق مع ميوله الفكرية التى تأسست قبل دخوله الجامعة منذ قراءته لمحمد فريد وجدى ، وفى أثناء دراسته الجامعية وسماعه لمحاضرات أستاذيه طه حسين وأحمد أمين .

وثانيهما : أن الموضوع يتحدث فيه الجاحظ عن قضية أثارتها الشعوبية ، وهى خصلة الكرم عند العرب وتمدحهم به ، ورمى غيرهم من الشعوب بالبخل ومنهم الفرس ، فثار الجدل بين العرب والشعوبية حول الكرم والبخل كظاهرتين اجتماعيتين عند بعض الشعوب وعن فضائل كل من الخصلتين ، وألف فيهما من بين من ألف سهل بن هارون ، وكان كتاب الجاحظ مجاوبة له أو حوارًا معه .

ونعلم أن مجتمع البصرة كان ميدانًا للحوار والجدل حول مثل هذه الأمور بين العرب والشعوبية . . فأراد ـ فى اعتقادى ـ الدكتور الحاجرى أن يعلن رأى الجاحظ فى كتابه «البخلاء» فى طبعة محققة تجلى جوانبها وتشرح أبعادها ، خاصة وأن الطبعة التى قام بها فان فلوتن كانت قاصرة ، فأعاد تحقيق الكتاب بصورة موسوعية جامعة .

وكان تحقيقه لكتاب البخلاء مدخلاً إلى عالم الجاحظ الكبير وعصره ، عصر الثورة الفكرية والاجتماعية والثقافية ، عصر الانفتاح الكبير على الآخرين والتزود بالثقافات المتعددة من المشرق والمغرب ، ثقافة الفرس واليونان والهند ، وغيرها من ذات الحضارات القديمة الثرية والمبدعة لإنجازات دفعت بالإنسان خطوات إلى التعرف على الكون ومحاولة السيطرة على مقدراته لصالحه وتقدمه عن طريق العقل والأخذ بأسباب العلم والتجريب .

وعن طريق الجاحظ والتعرف على عصره ، وقف على الحركات الفكرية وتفاعلاتها فى بيئة البصرة ، وتعرف على قادة الفكر فى أشخاص : ابن المقفع ، ورءوس المعتزلة أمثال : النظام ، وبشر بن المعتمر . وتعرف على ثورة المعتزلة الفكرية وإرسائهم للمنهج العقلى ونبذهم المنهج النقلى ، مع الميل إلى النظر والتجريب ومحاربة الفكر الأسطورى والغيبى الذى شاع فى كثير من كتب النقلة والإخباريين . تعرف الحاجرى من خلال الجاحظ على آراء أصحاب

الفكر الحر المدعم بالعلم والمنطق والتجريب ، والتعرف على الفلاسفة القدامى أمثال أرسطو ، من خلال نقول الجاحظ وتأثره بهم .

وتعرف من خلال الجاحظ على فكر النظّام الذى كان أمة وحده بآرائه الجريئة ، فقد كان أستاذ الجاحظ الأول ، وإن خالفه فى بعض أقواله حول نظرية الشك العلمى أو العقلى والذى ينادى بأن لا حقيقة قط لم يسبقها شك ، ونظرية الفرض والبحث عن البرهان ليصل به إلى الإقناع ، والنظر ثم التطبيق .

وكما أن عصر الجاحظ كان عصر التجديد الفكرى والخروج من شرنقة التقاليد البدوية ، التى كرسها العصر الأموى بالعصبية للعرب ومعطياتهم ، وتكرس فى نظام القبيلة ، ومحاولة السيطرة على فكر الأمة بالثقافة المتوارثة . فقد كان هذا العصر ـ عصر الجاحظ ـ عصر نقلة فى الشعر والأدب ، بظهور الاتجاه البديعى الذى أطلق عليه بعض التقليديين مصطلح شعر المولدين ، وهو مصطلح يحمل معنى العصبية للعرب ، ومحاولة للازدراء بهذا الشعر الجديد الذى حمل رايته بشار بن برد وأبو نواس وأضرابهم ، ممن نبذوا التقاليد البدوية وثقافة الحجر المتمثلة فى الطل والداعية إلى البكاء على الماضى . وهذا الشعر الجديد «البديع» ليس بديعًا فى الشكل والأنماط التعبيرية التى أكد عليها معظم النقاد والبلاغيين ، لكنه بديع فى المضمون والرؤية الجديدة ، وترك التعلق بالماضى ، وليس غريبًا أن تنشأ هذه الحركة التجديدية فى عصر الجاحظ وبيئة البصرة التى تمخضت عن كل هذه الحركات التجديدية فى الفكر والأدب .

من هنا كان مدخل الحاجرى لدراسة الجاحظ عن طريق بيئته وعصره مُدخلاً صحيحًا ، لأنه كان أديبًا غير عادى ، كان مفكرًا وكاتبًا اجتماعيًا وأديبًا ، ألمت كتاباته بمعظم قضايا عصره الفكرية والاجتماعية والأدبية ، وصارت كتبه موسوعة تُستقى منها معرفة العصر بكل أبعادها . وكانت كتب الجاحظ سمة للطابع العقلى الحر الذى غلب على ثقافة البصرة . لقد قال الحاجرى بحق : «وهكذا تمت للطابع العقلى الغلبة على البصرة بالعناصر الإسلامية الجديدة ، وتمتع الجو العلمى فيها بقسط كبير وافر من حرية الرأى وكان له أكبر الأثر فى تلك الحيوية الرائعة التى اشتهرت بها الحياة العقلية فيها»[1]

(١) الجاحظ للحاجرى ص ٤٠/٤١ .

كان منهج الحاجرى إذًا فى دراسته للجاحظ هو «منهج التفسير الاجتماعى للأدب» لأن المجتمع بمعطياته هو المشكل الأساسى لحياة الإنسان ومن ثم الأديب وأدبه ، والمفكر وفكره . وقد تلقى أصول هذا المنهج بصورة ما على يدى أستاذيه طه حسين وأحمد أمين ، اللذين اتبعاه بصورة أو بأخرى فى دراستهما للأدب والحضارة الإسلامية فى هذه المرحلة فى كتاب طه حسين «حديث الأربعاء» وأحمد أمين فى «فجر الإسلام» و«ضحى الإسلام» .

وظل جهد الحاجرى فى كتاب الجاحظ كنزًا ينهل منه فى أعماله التى تلته إما مباشرة أو بطريق غير مباشر ، فقد كان مرجعه فى محاضراته عن الأدب العباسى فى القرنين الثانى والثالث ، والتى ألقاها علينا بالفرقتين الثانية والثالثة ، وكانت حافزًا لتحقيقه كتاب «الدرة اليتيمة» لابن المقفع ، ولتأليف كتاب «بشار بن برد» فى مجموعة «نوابغ الفكر» .

كما كان كتاب الجاحظ سببًا فى علاقته بالمستشرق الفرنسى شارل بللا الذى اتصل بالحاجرى ، وكانت بينهما مراسلات ومجاوبات ، فقد كان بللا مهتمًا كذلك بالجاحظ فترجم له كتاب «البخلاء» بتحقيق الحاجرى وكتاب «التاج فى أخلاق الملوك» المنسوب إلى الجاحظ وحقق بعض رسائله . وألف كتابًا عن الجاحظ بعنوان «الوسط البصرى وأثره فى تكوين الجاحظ» بعد تأليف الحاجرى لرسالته عن الجاحظ بسنوات عديدة ، والتشابه واضح بين الكتابين والمنهجين مما لفت نظر الباحثين وكان مثارًا لأقوال كثيرة فى علاقة كتاب شارل بللا بما كتبه الحاجرى ، وقد صمت الحاجرى ، ولم يمض فى هذا الحديث إلا أنه قام بنقد لكتاب بللا .

وقد حصل بللا بكتابه عن الجاحظ على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون بباريس سنة ١٩٥٢ ، بعد حصول الحاجرى على الدكتوراه سنة ١٩٤٦ بست سنوات كاملة .

وقام الحاجرى بتأليف عديد من الكتب ، ذكرنا منها كتابيه عن الجاحظ وبشار ، ونذكر منها . كتبه عن : ابن حزم ، ومحمد فريد أبو حديد ، وعن الحياة الأدبية فى المغرب العربى وفى ليبيا والجزائر بصفة خاصة ، كان قد ألقى محاضرات عنها فى معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية ، كما ألف كتابًا فى النقد الأدبى ، هو «تاريخ النقد الأدبى حتى القرن الرابع» .

وكتب عديدًا من المقالات ونقد الكتب ، بمجلة «الكاتب» التى رأسها الدكتور طه حسين ، ومجلة كلية الآداب ، وعددا من المجلات الأخرى كالمجلة الثقافية ، ومجلة الفكر العربى .

ولا ننسى تحقيقه كذلك لبعض المخطوطات ، وإشرافه على تحقيق بعضها .

وهكذا قضى الحاجرى حياته عالمًا باحثًا ومحققًا وأستاذًا جامعيًا جادًا مجدًا تخرج على يديه عدد من الأساتذة والعلماء فى مصر والبلاد العربية وأثرى المكتبة العربية بإنتاجه العميم .

ندوة

(عزيز سوريال عطية)

سطور من حياة المؤرخ الجليل

ا.د / عزيز سوريال عطية

ا.د / حسنين محمد ربيع

لن أستطيع أن أحيط بسيرة الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية وأوفيه حقه ، ويكفينى أن ألقى الضوء على وقفات فى رحلة حياة هذا المؤرخ الكبير ، وأن أسطر بعض السطور مسجلاً ومضات - قدر ما توفر لى من معلومات - عن حياة الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية .

• نشأ الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية عصاميًا فى أسرة مستورة فى قرية صغيرة (قرية العايشة) مركز زفتى بمحافظة الغربية ؛ فالأب يعمل فى تجارة الأقطان . والتحق عزيز سوريال وهو صبى بكتاب القرية حيث تعلم مبادئ الحساب والقراءة والكتابة ، ثم التحق بالتعليم الابتدائى بالزقازيق وحصل على الابتدائية عام ١٩٠٩ ، ووفد إلى القاهرة وحصل على البكالوريا عام ١٩١٤ والتحق بكلية الطب تحقيقا لأمل الأسرة التى كانت تحلم بأن يكون أول أبنائها طبيبًا مرموقًا .

• لوطنيته ومشاركته فى الحركة الوطنية التى قادها الزعيم سعد زغلول ـ اعتقل مرتين من قبل سلطات الاحتلال البريطانى ، وفصل نهائيًا من كلية الطب وهو على أعتاب التخرج ، وضاع أمل الأسرة . وواكب ذلك الحدث تعرض الأسرة لكارثة أطاحت بأموال عائلها فى تجارة القطن ، وأصبحت الأسرة مهددة بالفقر .

• وبعزيمة مصرية أصيلة ـ شمر الشاب «عزيز سوريال» عن ساعديه وأعاد ترتيب حياته . فالتحق بمدرسة للحصول على شهادة البكالوريا (القسم الأدبى) ، وعمل فى النهار موظفًا صغيًرا بمصلحة الطب البيطرى بوزارة الزراعة ، وكانت الحصيلة الحصول على البكالوريا والالتحاق بمدرسة المعلمين العليا / القسم المسائى حتى لا يفقد وظيفته الصغيرة نهارًا . وبتفوق ونبوغ كان أول القسم الأدبى فى القطر كله عام ١٩٢٠ . ومن أجل هذا التفوق الكاسح اختير فى بعثة إلى ليفربول بإنجلترا سنة ١٩٢٥ ، لدراسة التاريخ الحديث - حسب رغبته ، إلا أن أستاذ التاريخ القديم والعصور الوسطى (كوبلاند) دعاه إلى محاضرة له عن «العصور الوسطى» خرج منها عزيز سوريال إلى اتجاهه الحقيقى الأصيل الذى وجد نفسه فيه ؛ وهو التخصص فى تاريخ العصور الوسطى .

• شهد له زملاؤه الذين عايشوه فى هذه الفترة بتميزه وتفوقه ، وأجمعوا على أنه كان شخصية مستقلة الرأى ، عميقة التفكير ، معاونًا لزملائه وأبناء وطنه ، مرشدًا لهم فى الدراسات والبحوث .

• وأبرزت هذه السنوات بره بأسرته فكان يقسم ـ طوال سنوات بعثته ـ المكافأة الشهرية إلى ثلاثة أقسام : ثلث لمعيشته فى ليفربول ، وثلث لكتبه وبحوثه ، وثلث يرسله لأسرته فى مصر . ولم ينقطع طوال حياته عن مشاركته لأسرته فى معايشها ، حتى أن الجوائز المالية التى كان يحصل عليها حرص على أن يرسلها إلى مصر .

• وحصل عزيز سوريال على درجة الماجستير من جامعة ليفربول بعد أن تكبد مصاعب جمة لسفره إلى بلاد البلقان للاطلاع على المراجع ، ومشاهدة المواقع التاريخية رؤية العين . وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة ليفربول عن الحروب الصليبية فى أواخر العصور الوسطى ، ثم حصل على دكتوراه الفلسفة من جامعة لندن .

• ولتفوقه ونبوغه اختير للعمل أستاذًا فى جامعة ليفربول ، وأستاذًا فى جامعة لندن . ودعى كمحاضر إلى جامعة بون فى الثلاثينيات قبل عودته إلى أرض الوطن .

• وبعودته إلى مصر بدأ رحلته العلمية والأكاديمية ، ولم تكن مفروشة بالورود والأزهار بل كان الشوك أول ما صادفه فى بدايته . فلم يوفق فى العمل بكلية الآداب / جامعة القاهرة (فؤاد الأول وقتذاك) واختير للعمل فى تفتيش التاريخ بوزارة المعارف لمدة عامين .

• وفى عام ١٩٣٨ اختير للعمل مع عميد المستشرقين الألمان (كالى) فى جامعة بون ، وعاد إلى مصر على غير رغبة الجامعة الألمانية ـ أثناء الحرب العالمية الثانية .

• وبدعم وتزكية من الأستاذ الدكتور طه حسين اختير عزيز سوريال عطية للعمل أستاذًا بكلية الآداب / جامعة فؤاد الأول فى الإسكندرية فشارك فى تأسيس كلية الآداب بها مع الدكتور طه حسين ، وآثر التفرغ بها ، وبدأت شهرته تذاع بمحاضراته التى كان يلقيها فى الجمعيات الجغرافية ، والتاريخية ، والآثار القبطية .

• كان عالمًا ومؤرخًا قديرًا ، وأكاديميًا ثريًا فى إنتاجه العلمى الرصين . . ولا عجب فقد تملك كل المقومات والأدوات التى تعينه على الإثراء الفكرى التى زادت على ٦٠ مرجعًا علميًا ، وعشرات البحوث والدراسات ، التى كتبها باللغات الأربع : العربية ، والإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية . وكانت درة أعماله عملين هامين أحدهما هو تحقيق مخطوطة من سبعة

أجزاء للمؤرخ المملوكى النويرى السكندرى تحت عنوان (الإلمام بالإعلام فيما قضت به الأمور المقضية فى وقعة الإسكندرية) . وواقعة الإسكندرية هى الموضوع الرئيسى فى هذا الكتاب الموسوعى الذى حوى التعريف بموضوعات إسلامية كثيرة مع التركيز على وقعة الإسكندرية عندما أغار بطرس لوزجنان ملك قبرص سنة ١٣٦٥ على مدينة الإسكندرية ونهبها . وكان تحقيق ونشر هذا السفر الضخم بتكليف من جامعة حيدر أباد فى الهند .

• أما العمل الثانى للأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية فقد أشرف عليه وأنفق على طباعته «الأمير عمر طوسون» وهو تحقيق مخطوط لأحد كتاب العصر الأيوبى وهو الأسعد بن مماتى الذى كان معاصرًا للسلطان صلاح الدين . وعنوان الكتاب (قوانين الدواوين) ، الذى يعتبر من أهم المصادر التاريخية عن النظم المالية فى مصر فى عصر صلاح الدين .

• ومن الأعمال العلمية التى قام بها أ . د . عزيز سوريال عطية الإشراف على تصوير وفهرسة مخطوطات دير سانت كاترين باتفاق مع مكتبة الكونجرس على أن يتم إهداء جامعة الإسكندرية نسخة من الصور ، وإيداع نسخة ثانية بالدير ، وأن تتعهد مكتبة الكونجرس بأن تضع صور المخطوطات تحت طلب الباحثين من جميع أنحاء العالم . وامتد هذا العمل الكبير حتى عام ١٩٥٢ .

• ومن أشهر أعماله رسالته للدكتوراه عن تاريخ الحروب الصليبية أواخر العصور الوسطى : The Crusade in the Later Middle Ages, London 1938

وكتابه عن معركة نيقوبولس : The Crusade of Nicopolis, London 1934

وكتابه القيم عن مصادر ومراجع تاريخ الحروب الصليبية :

The Crusade Historiography and Bibliography, London 1962.

• ولم يكن غريبا أن تتجه إليه أنظار جامعات الولايات المتحدة الأمريكية وتدعوه للعمل بها أستاذًا زائرًا . ولبى بعضها منها إيمانًا منه بأن مهمته أن يقيم الجسور بين الثقافات والحضارات ؛ فقضى عامًا فى جامعة ميتشجان ، وعاما آخر فى جامعة كولومبيا فى نيويورك .

• وبناء على دعوة من معهد برنستون للدراسات العليا ـ وهو معهد أنشأته الولايات المتحدة الأمريكية لعلماء أوروبا يتفرغون فيه للبحث العلمى دون أية التزامات بالتدريس ، مع وضع كل الإمكانات العلمية والمادية تحت أمرهم – لبى الدعوة باعتباره العالم الوحيد من

خارج أوروبا . وبقى هناك مدة سنتين إلى جانب علماء عظام أمثال : إينشتاين «فيزياء» ، وفايتسمان «فنون» .

• وظل الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية دائمًا فى خدمة وطنه بإلقاء محاضراته القيمة فى جامعات أوروبا ؛ فدعى على سبيل المثال لإلقاء محاضرة فى معهد الدراسات الإسلامية بمدريد وكان الإقبال شديدا للاستماع إليه .

• والمؤرخ الكبير لم ينس وطنه مصر أبدًا وخاصة وهى تمر بأزمات دولية . ومما يسجل له أنه أثناء العدوان الثلاثى على مصر فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ سافر وفد مصرى إلى الولايات المتحدة الأمريكية لشرح طبيعة العدوان وسلامة موقف مصر للمسئولين وللرأى العام فى أمريكا . فما كان من د . عزيز سوريال إلا أن وضع نفسه واتصالاته وعلاقاته تحت تصرف الوفد واحتفى بهم ، وقدمهم إلى المؤرخ المشهور «فيليب حتى» ، ثم عاد إلى الوطن وقد ذاعت شهرته فى الآفاق .

• واستقطابًا لهذه الخبرة الأكاديمية المتميزة وفد إلى مصر مدير جامعة يوتا بالولايات المتحدة الأمريكية ، وقابل د . عزيز سوريال وعرض عليه فكرة إنشاء مركز لدراسات الشرق الأوسط . وسافر د . عزيز سوريال عام ١٩٥٨ إلى يوتا وأنشأ مكتبة للمركز تضارع مكتبة جامعة شيكاغو . ووضع الخطوط الرئيسية للمركز الذى خصصه للدراسات التاريخية الإسلامية والعربية ، واهتم فيه بتدريس اللغتين العربية والفارسية وسائر لغات منطقة الشرق الأوسط . ولم يكن مثيرًا للدهشة أن أطلق على مكتبة المركز اسمه تخليدًا لجهوده المتميزة .

• والحقيقة أن الراحل العزيز كان أستاذًا مصريًا بكل فخر ؛ فقد أدخل تعليم اللغة العربية فى التعليم العام بولاية يوتا ، ومنحته جامعتها لقب أستاذ متميز ، ويعنى أن له الحق فى أن يستمر فى عمله إلى أن يبدى رغبته فى التقاعد ، وبالفعل ظل يعمل بها إلى أن توفاه الله .

• واعتز الأستاذ الدكتور عزيز سوريال بمصريته ، وحرص على التردد على مصر والحفاظ على الروابط الوشيجة التى تربطه بزملائه وتلاميذ مدرسته العلمية ، وهى مدرسة ضمت وتضم مؤرخين أجلاء .

لم يكل ولم يتعب واستمر دائبًا فى مشروعه الكبير «دائرة المعارف القبطية» . وشكل لها هيئة تحرير تحت إشرافه تضم مجموعة من علماء أوروبا وأمريكا ومصر .

• إن الدكتور عزيز سوريال العالم المؤرخ المصرى النبتة ، المعتز بمصريته كان صاحب مدرسة علمية رفيعة المستوى ضمت علماء أجلاء من مصر وغيرها ، وأثرى المكتبة التاريخية بمراجعه ومؤلفاته وبحوثه ودراساته ومقالاته ، وكان محاضرًا مشهودًا ومسموعًا ، كان عطاؤه لمصر والبشرية كلها .

رحم الله الفقيد الكبير ، وتغمده برحمته ونفع مصر والعالم بعلمه وتراثه التاريخى الذى تركه زاخرًا وافرًا فى المكتبات القومية والعالمية .

عزيز سوريال عطية
ودوره فى تحقيق المخطوطات

أ/ نسيم مجلى

نحتفل اليوم بذكرى علم من أعلام الدراسات التاريخية هو الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية العالم الكبير والمؤرخ المحقق صاحب الاكتشافات الوثائقية المهمة فى تاريخ الحروب الصليبية والدراسات الإسلامية .

ولد عزيز سوريال عطية بقرية العايشة مركز زفتى مديرية الغربية فى يوليو ١٨٨٨ وتوفى فى ٢٤ سبتمبر ١٩٨٨ إثر أزمة قلبية فى سولت ليك سيتى بالولايات المتحدة .

وبين البداية والنهاية رحلة طويلة حافلة بالجهد والإصرار انتقلت به عبر البحار والمحيطات وربطت فى فكره بين تراث الشرق ومناهج الغرب وكانت نتائجها باهرة على مستوى البحث والتأليف وأيضًا فى مجال تحقيق الوثائق والمخطوطات وكذلك كان دوره فى مجال الإنشاء والعمران فأسس معهد الدراسات العربية والإسلامية بجامعة يوتا . وينسب بروفيسور راى أوبلين رئيس جامعة يوتا فضل الارتقاء بهذا المركز وكذا المكتبة إلى الدكتور عزيز سوريال . ومن ثم كرمته الجامعة وأساتذتها فأطلقوا اسمه على المكتبة ووضعوا صورته فى مدخلها .

استكثر عزيز سوريال هذا التكريم وقال فى تواضع جم : «إننى عبد أشتغل عندكم» فقالوا : «نحن نتوج العبيد متى استحقوا التتويج» . هذا سر من أسرار التقدم فى الحضارة الغربية فالتقدير لابد أن يكون للعبقرية وللإبداع والإنجاز وليس لأى شىء آخر .

لقد كانت الانطلاقة الحقيقية فى حياة عزيز سوريال هى سفره إلى ليفربول حيث وجد التشجيع العلمى والتقدير . فقد تتلمذ على بروفيسور كوبلاند ، أشهر أساتذة تاريخ العصور الوسطى فى ذلك الوقت . وحصل على الماجستير عن بحثه «حملة نيقوبوليس الصليبية ١٣٩٦» وهى دراسة علمية لفتت إليه أنظار الباحثين عند نشرها لأنه أثبت - كما يقول الدكتور سعيد عاشور - أن ذيول الحروب الصليبية استمرت حتى أواخر القرن الرابع عشر للميلاد . كما أثبت أن الصراع بين العثمانيين والقوى الأوربية وبخاصة فى البلقان كان له مسحته الدينية وأنه يعبر عن حلقة أخيرة من حلقات الصدام بين القوى الإسلامية والقوى المسيحية فى العصور الوسطى .

أما كتابه الثانى «الحروب الصليبية فى أواخر العصور الوسطى» فهو عبارة عن رسالة حصل بها على درجة الدكتوراه من جامعة ليفربول ١٩٣٨ بين فيها مظاهر التغير الذى طرأ على العالم غربا وشرقًا فى أعقاب الحروب الصليبية . وكشف عن ردود الفعل التى تمثلت فى حركة مضادة قام بها سلاطين المماليك انتهت بغزو أرمينيا الصغرى وقبرص ورودس ، ثم ما قام به العثمانيون من توسع فى بلاد البلقان .

أما كتابه «المسيحية الشرقية» الذى نشره فى لندن ١٩٦٨ فهو كتاب فريد فى بابه إذ خصصه لدراسة تاريخ الكنائس الشرقية غير الإغريقية وهذه الكنائس هى الكنيسة القبطية والأثيوبية ، واليعقوبية والنسطورية والأرمينية والهندية والمارونية وكنائس النوبة وشرق أفريقيا التى اندثرت . والكنائس الرئيسية فى الشرق قامت فى الأصل على بشارة رسولية ، وظهرت جميعها إلى الوجود فى وقت كانت فيه ذكرى صعود المسيح مازالت حية فى الأذهان . ومن ثم كانت أهمية هذه الكنائس فى سنوات تكوين العقيدة وفى استمراريتها ، عبر القرون مما لا يترك مجالا للشك فى أهمية هذا الفصل فى الحوليات المسيحية .

وعن هذا يقول الدكتور عزيز سوريال عطية : «لقد حاولت أن أرى وأحكم على الحقائق المجردة للمسيحية الأولى فى الشرق بصرف النظر عن التراكمات المتأخرة ، والحواجز المتولدة عن مجادلات العصور الوسطى والعصر الحديث . والواقع أن هناك لاهوتيين حسنى النية ومفسرين لامعين من المنتمين إلى الطوائف والكنائس المسيحية قد تسببوا بفعل مجادلاتهم فى صرف العقل الغربى عن الكثير من نقاء المسيحية وبساطتها كما تجلت فى أصولها الأولى بالشرق» .

وفى هذا المجال يأتى دوره فى تحرير الموسوعية القبطية Coptic Encyclopedia التى نشرتها شركة ماكميلان . ولابد أن نعترف أنه استطاع بحكم موقعه فى جامعة يوتا أن يقنع رئيس الجامعة وهيئة البحوث الأمريكية ، وهى أعلى هيئة للبحوث العلمية فى العالم لتعضيد مشروع هذه الموسوعة وتمويله حتى صدرت هذه الموسوعة سنة ١٩٨٩ ، وفى رأيه أن هذه الموسوعة هى عمل إعلامى عن طريق العلم ؛ «لأن معرفة العالم الكثير عن الأقباط ، هو خط الدفاع عن حضارتنا وعن كياننا . لأن تنفيذ الإعلام عن طريق العلم ، لا يأتى إلا بدائرة المعارف القبطية ، لأن حضارتنا القبطية حضارة كاملة شاملة ، تشمل كل شىء عن تاريخنا ، وعن كنيستنا وعن كل نواحى الحياة عندنا من فن ومعمار وعلم ولاهوت . وكل شىء يختص بالأقباط» . (من حديث خاص لمجلة «مدارس الأحد» عدد ٧ - ٨) .

وكذلك كان إنشاؤه لمعهد الدراسات القبطية فى سنة ١٩٥٤ لسد الفراغ الواضح فى هذه الناحية الحضارية وكما يقول الدكتور عزيز سوريال عطية : «عندما أسست معهد الدراسات القبطية ، كان كل أملى أن يقوم المعهد والأقباط بهذا المشروع لعمق جهل العالم بالقبط ، وجهل القبط بالقبط أيضًا ، ولكن للأسف لا معهد الدراسات قام بشىء فى هذا الصدد ولا الأقباط اهتموا بهذا المشروع ، وفى هذا رأيت بنعمة الله أن أتولى هذا المشروع وأقوم به» .

فإذا انتقلنا إلى مجال تحقيق الوثائق والمخطوطات وهو موضوع احتفالنا اليوم فلابد أن نشيد بدوره فى تصوير مخطوطات دير سانت كاترين العربية وهو عمل جليل وهام للباحثين فى تاريخ مصر والشرق الأدنى عمومًا وفى تاريخ الأديان بصفة خاصة .

وأود قبل الحديث تفصيلاً عن كتاب «قوانين الدواوين» أن أعطى لمحة عابرة عن تحقيقة لكتاب «الإلمام» للإمام النويرى الإسكندرانى (المتوفى بعد سنة ٧٧٥/ ١٣٧٢م) الذى نشر لأول مرة فى سلسلة «مطبوعات دائرة المعارف العثمانية» بحيدر أباد الدكن بالهند الذى ألفه تحت عنوان «كتاب الإلمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية ، فى وقعة الإسكندرية وعودها إلى حالتها المرضية» وذلك على إثر الكارثة التى نزلت بالمدينة فى حملة القبارصة وحلفائهم من أوروبا أثناء عام(٧٦٧ / ١٣٦٥م) فدمروا منها ما استطاعوا تدميره ونهبوا ما أمكنهم حمله من كنوزها .

يقول الدكتور عزيز فى تقديمه للكتاب : «وكان غرض المؤلف الأول من تحرير الكتاب هو تسجيل مذكراته ومشاهداته وما أمكنه جمع شتاته من المعلومات عن تلك الحملة الصليبية الجامحة الكاسحة ، ولكنه أخذ فى الاسترسال فى الحديث عن شتى الفنون بمستطردات واسعة فى الأدب والتاريخ والفقه وعلوم الكلام والحديث القصصى وغير ذلك من الموضوعات التى لا تمت للغرض الأصيل بما زخر به الكتاب حتى أصبح أشبه بموسوعة أدبية عامة منه بسجل تاريخى خاص» .

ثم يضيف قائلا : «ورغم ذلك فإن كتاب النويرى يعتبر بلا نزاع الحجة الأولى عن تاريخ تلك الحملة من الناحية الشرقية المصرية بقدر ما أصبح كتاب غليوم أو جيوم ما شوه ، المرجع الأكبر لتلك الحركة الصليبية من الجانب الغربى بالفرنسية القديمة . باعتبار أن الكاتبين شاهدى عيان لتلك الأحداث من زاويتين مختلفتين» .

ومن هذا نعرف أهمية هذا الكتاب الذى جمع مخطوطاته وحققه أستاذنا الراحل عزيز سوريال . إن بحثه عن هذه الوثائق وإخراجها يمثل عملية اكتشاف خطيرة وأساسية من أجل الوصول إلى مصادر المعرفة التاريخية الموثقة وهذا ما يتضح من رحلته فى البحث عن كتاب «قوانين الدواوين» لابن مماتى الذى نشرته الجمعية الزراعية برئاسة الأمير عمر طوسون سنة ١٩٤٣ .

وفى مقدمة الكتاب يقول الأمير عمر طوسون : «أبلغنا حضرة صاحب العزة محمد رمزى بك أن حضرة الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية -أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة فاروق الأول ـ عنى بهذا الكتاب منذ أن كان موجودًا بأوربا ، ووفق فى الحصول على الكثير من نسخه المخطوطة الموزعة بين مختلف دور الكتب الأوروبية والمصرية ، فرأينا إسناد هذا العمل إليه لما عرف عنه من مقدرة وأمانة ، فقام على ذلك بهمة نرى آثارها بين دفتى الكتاب ، وبذل فى العناية بتحرى الأصول والتدقيق الكامل فى إثبات نصوص النسخ المتعددة ، جهودًا مضنية يلمس أثرها القارئ بنفسه ، مما يستحق عليه أجزل الشكر» .

وابن مماتى كاتب وشاعر ورجل دولة عاش فى عهد الأيوبيين ، وقد ألف أكثر من عشرين كتابًا ، ولكن القراء لا يعرفون له سوى كتابين هما «الفاشوش فى حكم قراقوش» و«قوانين الدواوين» .

وكتاب «الفاشوش فى حكم قراقوش» ينتمى إلى أدب الفكاهة والسخرية والهجاء ويمثل بحق أسلوبًا فنيًا بارعًا فى تصوير الغرابة والشذوذ وإحداث المفارقة . وهذا الكتاب الذى أضحك أجيالا ولا زال يضحكنا ، كتبه صاحبه باللغة العامية المصرية ، ووصل بها إلى أعرض الجماهيرحتى صار قراقوش فى المخيلة الجماعية للشعب المصرى مثالاً لكل حاكم أخرق ينحرف عن طريق العقل والمنطق فى سلوكه وتصرفاته .

أما الكتاب الآخر «قوانين الدواوين» فهو كتاب علمى صرف يمكن اعتباره بحق من الكتب الفريدة فى بابها ، العظيمة فى قيمتها ، فهو يصف لنا حالة البلاد المصرية خلال القرن السادس الهجرى أو الثانى عشر الميلادى على وجه التقريب .

وإذا نظرنا فى محتويات هذا الكتاب الثمين ، ظهرت لنا الثروة العلمية التى جمعها المؤلف ، والتراث التاريخى والجغرافى والزراعى الذى انطوى عليه ، هذا إلى جانب المسائل الأخرى الكثيرة التى تعرض لها الكتاب ، والتى تجلو لنا الكثير مما غمض فى صدر عصر من

العصور الزاهية فى تاريخ الدولة الإسلامية وحضارتها . وهذا ما يوضحه دكتور سوريال فى المقدمة حيث يقول :

«ولما كان هذا الكتاب يعالج موضوعات عدة ، متباينة فى طبيعتها ، كان لزامًا علينا فى هذه المقدمة أن نشيد بذكر الأهم منها ، وأن نضعه فى المرتبة ونوجه نظر القارئ إليه ، حتى يهتدى بذلك إلى تقدير ما جاء بين دفتيه .

أما الموضوعات الأساسية التى تعرض المؤلف لها فى هذا السفر الجليل ، فيمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات نلخصها فيما يأتى :

أولاً - ما يتعلق من بينها بجغرافية القطر المصرى فى العهد الأيوبى ، حيث تكلم ابن مماتى بصفة عامة عن مصر ونهر النيل فى الباب الثانى ثم انتقل بعدئذ فى الباب الثالث - على حد قوله - إلى ذكر أعمالها ، وتفاصيل نواحيها ، وتحقيق أسماء ضياعها وكفورها ، وجزايرها ، ومناها ، وكل ما يقع عليها اسم الديوان منها ونكتفى الآن بالإشارة إلى أن القوائم الضافية التى تمثل فى هذا الباب هى أقدم ما عرف من نوعها فى تاريخ مصر الإسلامية ، وننشرها اليوم لأول مرة ولنا إليها عود ، يضاف إلى ذلك ما ورد فى «الباب الخامس» من الكتاب فى ذكر خلجاتها وترعها وجسورها» .

ثانيًا - تصدى المؤلف إلى الكثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم فى عصر بنى أيوب ، مثال ذلك «الباب الثامن» الذى استعرض فيه وظائف الدولة الهامة وشرح اختصاص كل منها كما أنه أتى فى الأجزاء الأخيرة من الكتاب على شذرات كثيرة طريفة عن بعض الدواوين ودور الحكومة وموارد الدولة المالية .

ثالثًا - أفاض الكاتب فى شؤون البلاد الزراعية فذكر أنواع الأراضى المختلفة والفصول الزراعية وأنظمة الرى وأنواع المزروعات وأوقات غرزها وحصادها والبساتين وأوقات تقليم الأشجار ، وغير ذلك من المعلومات فى أبواب شتى تدلنا محتوياتها على حالة الزراعة ونظمها وقتئذ بدقة تدعو إلى الإعجاب بعلم المؤلف الغزير كما أنها تدلنا على تقدم الفلاحة فى ذلك العهد إلى حد أبعد مما يتصوره الكثيرون . وقد عرضنا بعض أجزاء المتن على عدد من كبار الأخصائيين فى فن الزراعة ففهمنا من ملاحظاتهم أن كثيرًا من أسس الزراعة فى ذلك العصر يتفق وما وصل إليه البحث الحديث فى هذه الناحية التى تعوزنا فيها المادة التاريخية .

غير أن ما ذكرناه ليس كل شىء فى هذا المؤلف النفيس ؛ فالكتاب على صغر حجمه نسبيًا ، زاخر بمختلف الأبحاث والموضوعات . ولما كان مصنفه من أصل قبطى ، فقد استطاع أن يجمع إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط فى شتى المسائل التى اختصوا بها دون غيرهم من طوائف الأمة المصرية وطبقاتها ، ومثال ذلك ما جاء فى «الباب السابع» عن أصول مساحة الأرض وبعض القضايا الهندسية التى يمكننا اليوم إثباتها بأحدث الطرق العلمية . وبالكتاب أيضًا ملاحظات جمة عن السنة القبطية وعلاقتها بالزراعة المصرية وما هذا إلا قليل من كثير مما يمكن القارئ استيعابه فى المتن .

وقيمة الكتاب ليست مقصورة على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه وحدة ذهنه ، وإنما ترجع كذلك إلى مكانته الخاصة فى المجتمع المصرى ومركزه السامى فى حكومة البلاد ؛ فابن مماتى - كما سيظهر من تاريخ حياته فيما بعد - تقلب فى كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تقليد الوزارة نفسها ، وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة خاصة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسئولين .

«كتاب قوانين الدواوين» إذن من وثائق الطراز الأول . وهو على اختصاره وعدم إمعانه فى استعراض المسائل المفصلة كل التفصيل ، يحمل كثيرًا من الصفات التى امتاز بها ذلك النوع المعروف من الموسوعات العظيمة التى ظهرت فى العصور الوسطى الإسلامية .

بيد أن جنوح المؤلف إلى المبالغة فى الاختصار والإقلال من العبارة جعل بعض أجزاء الكتاب غير واضح تمام الوضوح ، كما أصبح ذلك مصدر صعوبات جسيمة للناشر . وإننا لا نبالغ البتة إذا قلنا إن «كتاب قوانين الدواوين» من أعقد الكتب العربية فى القرون الوسطى ، وإن مخطوطاته من النوع الذى يلتزم فيه الباحث مقارنة كل عبارة وكل كلمة ، بل كل حرف من جميع المتون التى يعمل على أساسها فى نشر الكتاب . فمتى قر رأيه على قراءة معينة ، أخذ بها فى النص ، ثم قيد ما عداها من الاختلافات فى الحواشى . وهذه القاعدة وإن كانت قانون العلم الحديث ذاته ، ومن المفروض على كل باحث جاد فى عمله ألا يتهاون فيها مثقال ذرة ، إلا أن لها قيمتها الخاصة فى صدد «كتاب قوانين الدواوين» نظرًا لاحتمال وقوع الاختلاف فى الرأى بين القارئ والناشر على الأخذ بقراءة كلمة أو عبارة ، فإما أن يأخذ القارئ بما أقره الناشر فى صلب المتن ، أو يرجع إلى الاختلافات والمقارنات الكثيرة التى أثبتناها برمتها من بقية المخطوطات فى الهوامش ، فينتخب من بينها ما يستسيغه هو ، أو ما يقوده إليه بحثه الشخصى . وتسهيلا للوصول إلى هذه الغاية أرجعنا كل اختلاف إلى أصله

الخطى بإثبات مكانه من الورقة والصفحة والسطر حتى يستطيع المنقب أن يراجع أى كلمة فى أى أصل شاء دون كبير مشقة .

ومهما يكن من شيء فإن رائدنا فى العمل هو محاولة إظهار هذا الكتاب كما دونه مؤلفة ، لا كما يريد بعضهم من إدخال أى إصلاح أو تنميق حديث مصطنع على نصه ، فاحتفظنا بكل ما فيه من ألفاظ واصطلاحات وعبارات قد تبدو غريبة ، وتركنا أخطاءه اللغوية والنحوية والإملائية ـ عدا ما لا يمكن التهاون فيه ـ وأسلوبه الأثرى دون تغيير ، وهذا قد يعده البعض تقصيرًا من الناشر ، إلا أننا رأينا العمل على تلك القاعدة واجبًا لا مفر منه تقضى به الأمانة الأدبية» .

«إن مؤلف كتاب «قوانين الدواوين» لم يكن أول شخص عظم شأنه فى دواوين الحكومة من بين أفراد أسرته ، إذ نجد أن جده أبا المليح الذى عاش بمصر فى العصر الفاطمى عمل فى خدمة الوزير بدر الجمالى والخليفة المستنصر حتى بلغ فى سلم الترقى إلى وظيفة «مستوفى الديوان» وهى من الوظائف الرئيسية فى الدولة الفاطمية ، وبعد موته تولى ابنه واسمه المهذب بن أبى المليح رئاسة «ديوان الجيش» والدولة الفاطمية تحتضر فى وزارة أسد الدين شيركوه السنى المذهب ، وفى عهده أسلم هو وأولاده لكى يفلت من التضييق الذى وقع فيه النصارى وقتئذ ، ويحتفظ بمكانته السامية فى دواوين الحكومة ، أما ابنه وهو حفيد أبى المليح واسمه الأسعد فقد قضى الجزء الأول من حياته فى عصر الانتقال من الفاطميين للأيوبيين ، وورث فى بداية الأمر عن أبيه وجده «ديوان الجيش» الذى احتفظ به فى عهد صلاح الدين الأيوبى (٥٦٤- ٥٨٩/ ١١٦٩- ١١٩٣م) وسلطنة ابنه العزيز عماد الدين عثمان (٥٨٩- ٥٩٥/ ١١٩٣- ١١٩٨) ويظهر مما ورد فى رواية ياقوت الرومى أنه أضيف إليه أيضا «ديوان المال» الذى اعتبر فى كل عصر من العصور أهم الدواوين والوزارات ، ويلوح أنه ظل محتفظًا بوزارته ودواوينه أيضا خلال سلطنة المنصور محمد (٥٩٥- ٥٩٦/ ١١٩٨- ١١٩٩م) ، وشطر من سلطنة العادل سيف الدين أبى بكر (٥٩٦- ٦١٥/ ١١٩٩- ١٢١٨م) ولكن كثرت عليه المؤامرات فى عهد هذا الأخير ، وأودت بمركزه وماله ، وأدت إلى هروبه فقيرًا ذليلاً إلى ما وراء الحدود المصرية فى الشام حيث قضى بقية أيامه بمدينة حلب ومات بها فى جمادى الأولى عام ٦٠٦هـ (نوفمبر ١٢٠٩م) وعمره إذ ذاك اثنتان وستون عامًا .

ثانيًا : يلاحظ أن الوزارة لم تشغل الأسعد عن الأدب والتأليف ، ونظرة واحدة فى أسماء الكتب التى صنفها والتى ذكر أكبر عدد منها ياقوت الرومى تكفى لإيضاح هذه الحقيقة ، ولكن الغريب فى ذلك هو أنه لم يتحدث عن «كتاب قوانين الدواوين» من بين قدماء المؤرخين سوى المقريزى ، وربما كان ذلك راجعًا إلى أن المقريزى من بين هؤلاء المؤرخين هو الوحيد الذى اهتم بمثل ما ورد فى ذلك الكتاب من المحتويات ، بينما اقتصر الآخرون على الناحية الأدبية البحتة من تآليفه ، ورواية المقريزى فى هذا الصدد عظيمة الشأن ، ويفهم منها أن ابن مماتى ألف الكتاب للملك العزيز ، ثم يزيد على ذلك أن الكتاب المتداول فى أيدينا إنما هو نسخة مختصرة من الكتاب الأصلى الذى كان يقع فى أربعة مجلدات ضخمة» .

ندوة
(صلاح الدين المنجد)

جهود المنجد فى خدمة التراث

ا. / عصام الشنطى

(١)

النَّشْأة والثقافة :

ينتسب صلاح الدين المنجِّد إلى مدينة دمشق العريقة ، مولدًا ونشأة وتعلّمًا . نشأ فى أسرة عُرفت بالعلم والتديُّن . وانصرف والده منذ شبابه إلى دراسة العلوم الإسلامية . كان من حفظة القرآن ، وأتقن القراءات كلها ، وانتهت إليه رئاسة الإقراء فى دمشق ، وسمى بشيخ القُرَّاء والمقرئين فيها .

أنهى المنجِّد تعليمه الابتدائى فى دمشق ، وكذلك المرحلة الثانوية . وتلمذ فى هذه الفترة لأساتذة متميِّزين كالشيخ محمد بهجة البيطار ، وفى الأدب للشاعر المشهور خليل مُرْدَم بك الذى شغل بعد ذلك منصب رئاسة المجمع العلمى العربى بدمشق . والتحق بدار المعلمين العليا ، وبمعهد الحقوق ، ونال منهما شهادتى «الإجازة» . وتقلَّب فى وظائف عدّة فى دوائر الحكومة السورية ، نذكر منها موقعة مديرًا بالوكالة لمديرية الآثار والمتاحف .

وكان قد بدأ حياته ـ وهو فى العشرينات من عمره ـ بالكتابة فى الأدب ، ناهلاً من التراث العربى والأجنبى فيما يكتب . وظهرت مقالاته فى مجلتى «الرسالة» ، و«الثقافة» بالقاهرة . واتصل فى تلك الآونة بـ محمد كُرْد على ، مؤسس المجمع العلمى العربى بدمشق ، وأول رئيس له . فوجَّهه إلى الاعتناء بالتراث العربى والاشتغال به ، وفى تاريخ دمشق وعلمائها على وجه الخصوص . وهو الذى طلب منه ـ بعد أن لاحظ خَيْرتَه ـ ملازمة مكتبة الظاهرية التى تضم بين جنباتها نحو سبعة آلاف مخطوطة ، وكتبًا مطبوعة وفيرة . وفى هذه المكتبة تعرّف إلى مديرها الأول يوسُف العُشّ ، ومديرها الثانى عمر رضا كَحَّالة ، والشيخ محمد أحمد دهمان ، وقد أفادوه كثيرًا ، وأطلعوه على تراث دمشق وآثارها .

وأُرسل فى بعثة إلى جامعة السوربون فى باريس ، فنال منها درجة الدكتوراه فى القانون الدولى العام ، وفى التاريخ . وكانت عينه الأخرى ـ بجانب هذا التخصص ـ تتابع دروسًا فى علم المكتبات ، وعلم الخطوط (الباليوغرافيا) الذى أفضى فيما بعد ـ على نحوٍ ما ـ إلى علم المخطوطات الحديث فى أوروبا . واعتاد الاختلاف إلى متحف اللوفر الشهير ، وأفاد منه فى الفن الإسلامى .

وما إن عاد من بعثته حتى عُيِّن مديرًا لمعهد المخطوطات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية ، فقضى فى القاهرة ـ مقرّ المعهد ـ ست سنوات (١٩٥٥- ١٩٦١م) . وبالرغم من أنه لم يكن أول مدير للمعهد ، ولا آخره ـ فإننا نستطيع أن نعدَّ عهد المنجِّد فيه ـ بعد مضى نحو ستين عامًا على إنشائه ـ أزهى عهوده وأكثرها حيوية ونشاطًا .

وكما طار صيت المعهد فى عهده ، طار صيت المنجِّد نفسه ، فدخل عضوًا فى مجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٦ ، والمجمع العلمى العراقى ببغداد ، وفى معاهد علمية هندية وأوروبية . وشارك فى مؤتمرات دولية عديدة ، منها مؤتمرات المستشرقين ، وألقى عددًا من البحوث القيمة ، وشغل أستاذًا زائرًا فى جامعة پرنستون ، فى مدينة نيوچيرسى بالولايات المتحدة الأمريكية (٥٩/١٩٦٠م) ، وجامعات عربية وإسلامية وأوروبية أُخرى .

وانتقل بعد ذلك إلى بيروت ، فأنشأ «دار الكتاب الجديد» ، وأخذ ينشر فيها ما ينجزه من تحقيق وتأليف ، وما يتخيّره من نتاج الآخرين . وفى تضاعيف الحرب الأهلية فى لبنان حُرقت مكاتب «الدار» ، ومكتبته المحتوية على ثلاثين ألف كتاب ؛ فانتقل إلى جُدَّة ، وقرَّ فيها . وكُرِّم فى السعودية خير تكريم ، ومُنح الجنسية بمكرمة ملكية وانتُفع من علمه ؛ فحاضر فى جامعة الملك عبدالعزيز فى جُدَّة ، وغيرها .

وهكذا نرى أننا بإزاء عَلَم من أعلام التراث فى القرن العشرين الميلادى ، قضى سواد عمره فى خدمته بألوان شتَّى . ورأينا فيه زَخْم ثقافة متنوعة ، كانت من السَّعَة والعمق ما أدهش الكثيرين ؛ لأنها بلغت ما يزيد على مئة وخمسين عملاً ؛ ما بين نصوص تراثية محقَّقة ، أو بحوث ودراسات أكاديمية مختلفة ، ذات صلة بالتراث أو بالثقافة والأدب ، غير مئات المقالات المنشورة فى المجلات والصحف العربية والأوروبية . وكان يُسأل : كيف حققتَ وأنتجتَ هذا القدر الكبير ، بهذا التنوع فى شتَّى العلوم؟

فيجيب : لقد ملكتُ المفتاح الأول للتحقيق والتأليف ، بعد أن حرصت على تنشئة نفسى على العلم ، وعلى تنويع ثقافتى ، وأخذتُ من كلِّ علم بطرف ، إلى أن وصلت إلى درجة عالِم «مُشارِك» بتعبير أجدادنا التراثيين . وساعدنى على ذلك أننى ملكتُ مكتبة ضخمة كانت توفر لى كلَّ ما أحتاجه فى أىِّ موضوع أريد الاشتغال به ، دون التردّد على المكتبات العامة ؛ للاطلاع أو الاستعارة منها .

(٢)

المحاوِر :

درج الباحثون بإزاء نتاج المنجِّد الذى زاد على مئة وخمسين عملاً ، ثلثه تقريبًا نصوص محقَّقة - على أن يصنِّفوا هذا الكمّ على وَفْق الموضوعات ، مثل السِّيَر والخط والتاريخ والجغرافيا وغيرها . ومنهم مَن صنع جريدة لإنجازاته مرتبة وَفْق سنوات صدورها فى أول طبعاتها . ولا شك فى أن الترتيب الأول لا يخلو من فوائد للدارسين . وكذلك الترتيب الثانى ؛ فإنه يكشف عن تطور المنجِّد فى أعماله كافة ، وتوجهاته فى خدمة التراث ، منذ بدء نشاطه إلى يومنا هذا .

غير أنى سأحاول فى هذا البحث أن أُصنِّف أعماله التراثية تصنيفًا جديدًا مبنيًا على ربطها بعناصر ثقافته ، وأثر أساتذته فى توجيهه ، وما أتاحته له بعض المسئوليات والمناصب التى أُنيطت به ، أو تصديّه لمشكلات تراثية مزمنة ، أراد لها حسمًا وحلا . ولا أزعم أن هذه المحاور التالية ستستوعب كلَّ أعماله التراثية ، ولكنها بكل تأكيد ستضم تحت عباءتها الرئيسيَّ منها ، وبالتالى تكشف للدارس عن جوانب شخصيته ، أو معرفة بعض مفاتيحها .

ومن جانب آخر ، فإنه ليس بالضرورة أن أذكر فى المحور الواحد كل ما ينطوى تحته من أعمال ، فليس هَمِّى فى هذا البحث أن أصنع حصرًا ببليوغرافيًا للمحتفى به ، وحسبى أن يضم المحور جل أعماله لا كلها ، الأمر الذى تكتمل به صورة المحور وتتضح .

الأول : اعتزازه بمدينة دمشق ووفاؤه لها : ويُعَدُّ هذا المحور - فى اعتقادى - مفتاحًا من مفاتيح شخصية المنجِّد وأعماله . وقد مرَّ بنا كيف كان هذا بتوجيه رائد من روّاد بلاد الشام فى المنتصف الأول من القرن الماضى ، وهو محمد كُرْد على .

واستجاب المنجِّد إلى هذا التوجيه ، وكأنه صادف هوىً فى نفسه . ساعده على ذلك عمله فى مديرية الآثار والمتاحف ، فطاف فى مدينته القديمة ، ورصد أسوارها وأبراجها وأبوابها ، وأصدرهذا العمل فى عام ١٩٤٥م .

ورسخ هذا المحور فى عقل المنجِّد ووجدانه ، يقول : «وظلَّ الاهتمام بالتراث ودمشق دَيْدنى» . فمنذ ذلك التاريخ إلى عام ١٩٥٠م . أصدر عن مدينته دمشق نحو أحدَ عشر عملاً ما بين نصوص محقَّقة ودراسات عن دور القرآن فيها ، وقصر أسعد باشا العظم ، وأبنيتها الأثرية ، وتاريخ المسجد الأَمَوِى ، والورّاقات الدمشقيات ، وخططها ، وولاتها ، وقضاتها ، ووزرائها ، وتاريخها فى العهدين السلجلوقى والعثمانى ، وفضائلها .

ومحمد كرد على هو الذى أوحى للمنجِّد أن يُقْدِمَ على تحقيق كتاب «تاريخ دمشق» لابن عَسَاكرِ الدمشقى (ت ٥٧١ هـ / ١١٧٦ م) . وهو كتاب ضخم يقع فى ثمانين مجلدة (فى المجلدة ألف ورقة) . وبرزت روح المنجِّد الشّابّة ، واقتحم الباب ، ووضع المجمع العلمى العربى بدمشق منهجًا يسير عليه لتحقيقه . وطفق المنجِّد يجمع نسخه المتفرقة ويقابلها ، ويجاهد فى عمله مدة سنتين إلى أن أصدر المجلدة الأولى سنة ١٩٥١ م . وقدّم لها بمقدمة ضافية تدل على دراية بمتطلبات قواعد تحقيق النصوص والتقديم لها ودراستها .

ونال هذا العمل إعجاب كثير من العلماء العرب والمستشرقين ، منهم أستاذه كُرْد على ، الذى عدّه ـ بعد ذلك ـ ابنه الروحى . وبعد ثلاث سنين ألحقها بالقسم الأول من المجلدة الثانية . وبهذا فتح الباب للمحقِّقين لإكمال هذا الكتاب المهم .

ولم يتوقف – نحو مدينته– عند هذا الحد . ومَن يطّلع على الحصر البيبليوغرافى لأعماله حول هذا المحور يجد نحو أربعة وعشرين عملاً أنجزها ما بين سنة ١٩٥٢ – ١٩٨٦م . وكل هذه الأعمال تحوم حول وصف دمشق ومحاسنها ، وتاريخها ، وحكّامها ، وقضاتها ، ومؤرخيها ، وأحيائها ، وحريق مسجدها ، وقصورها ، ومنازل القبائل العربية حولها وما يزار من أماكنها .

وقلما كان يخرج فى أعماله عن نطاق دمشق إلى بلاد الشام . فلا تلقى له إلا أعمالا محدودة ، أهمها كتابات «قلعة بُصرى» ، و«تاريخ داريّا» ، وهى ناحية من نواحى دمشق .

وتابع المنجِّد ـ فى تضاعيف النصوص المحقَّقة ـ أقوال الرَّحَّالة فى دمشق وأهلها ؛ كابن العربى الذى زارها عام ٤٩١ هـ – ١٠٩٧م ، والشريف الإدريسى سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م . وبنيامين التطيلى (من يهود الأندلس) سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤م ، وابن جُبَيْر سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م (أيام صلاح الدين الأيوبى) ، وابن بطّوطة سنة ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٥م ، والمقَّرِى (صاحب نفح الطيب) سنة ١٠٢٧هـ/ ١٦١٧م .

وكانت تعجبه هذه الأوصاف الجيدة التى يخلعونها على مدينته ، وذِكْر ما بلغته من الحضارة والرعاية الاجتماعية لأهلها ، وإكرامهم لضيوفهم ، فينسوا أنهم غرباء . وكان ينافح عنها وعن أهلها إذا ما تعرّض أحدهم ـ كابن جُبَيْر مثلاً ـ فى نقد بعض عاداتهم . والحق أنه كان أمينًا فى إيراد الروايات ، وموضوعيًا فى ردوده ، إلا أنه يُلحظ عليه أنه لم يكن ينافح عن مدن أخرى كبغداد والقاهرة ـ منافحته عن دمشق .

إن المنصف لا يرى أن اهتمام المنجِّد بمدينته ، وبحضارة بلاد الشام عامة ، قد بلغ به درجة الانفصال عن حضارة العرب الإسلامية . فدمشق مثلما أعطت أخذت ، وتاريخها

يشكل حلقة من حلقات هذه الحضارة . وهو بتحقيقه النصوص ، وبدراساته القيمة المتعلقة بدمشق ، كان يبعث فى نفوس العرب ـ جميعًا ـ الثقة والقوة .

والثانى من المحاور موصول ـ من ناحية ـ بدراسة القانون فى دمشق وباريس ، ومن ناحية أخرى بالتراث . ونعلم أن كُرْد على خصَّه بمخطوطة نادرة ليحققها ، وهى : رسل الملوك ومَن يصلح للرسالة والسِّفَارة ، للحسين بن محمد الفَرَّاء . فأقبل عليها وحققها ، ونشرها له أحمد أمين فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، بالقاهرة ، سنة ١٩٤٧م . ونذكر أنه نال بها جائزة المجمع العلمى بدمشق لأحسن نص قديم محقَّق .

وغالب ظنِّى أن كتاب ابن محمد الفَرَّاء هذا كان موحيًا له فى اختيار موضوع درجة الدكتوراه فى باريس ، فقد كان عن النظم الدبلوماسية فى الإسلام . ونذكر أنه أصدر ـ بعد سنين طوال من حصوله على درجة الدكتوراه ـ كتابًا بهذا العنوان ، عام ١٩٨٣م .

وامتدت يده إلى نصّ نفيس ، وهو شرح السِّيَر الكبير لمحمد بن الحسن الشَّيْبَانى (ت١٨٩ هـ / ٨٠٤ م) ، أما الشارح فهو محمد بن أحمد السَّرَخْسِى (ت ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠م) ، وصدر فى خمسة أجزاء ضخام ، حقق المنجِّد منها الجزءين الأولين ، عامى ١٩٥٧ ، ١٩٥٨م . بعد أن جمع له سبعَ عشرة نسخة مخطوطة من مكتبات شتَّى ، ويُعَدُّ الكتاب موسوعة فقهية شرعية ، وأول كتاب فى العالم فى القانون الدولى العام .

وقد أدرك المتخصصون الألمان قيمة هذا الكتاب ، وعظمة الشَّيْبَانى العلمية ؛ فأسَّسوا «جمعية الشيبانى للحقوق الدولية» ، وانتخب المنجِّد نائبًا للرئيس . أما الرئيس فكان عبدالحميد بدوى القانونى المصرى الشهير .

وبقى هذا المحور فى جَعْبة المنجِّد إلى سنوات متأخرة ، فنشر عام ١٩٨٢م كتابًا بعنوان «خصومات دبلوماسية بين بيزنطة والعرب» ، وهو ملاحاة بين إمبراطور الروم نقفور فوقاس من جهة ، والقَفَّال الشَّاسى» (ت ٣٦٥ هـ / ٩٧٦ م) ، وابن حَزْم الأندلسى (ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤م) من جهة أخرى . وبعدها بثلاث سنوات نشر سِفارة القاضى الباقِلاَّنى (ت ١٤٠٣هـ/ ١٠١٣م) ممثلا لعضد الدولة إلى ملك الروم ، وفى مجلة الدراسات الإسلامية فى إسلام أباد .

وثالث هذه المحاور ما هو متعلق بدراسته الباليوغرافيا (علم الخطوط) فى باريس ، وما اطلع عليه من الفنون الإسلامية فيها . وهو لصيق بتعامله مع المخطوطات العربية وتحقيقها ، والدراية بخطوطها . فاهتمَّ فى إنجازاته بتاريخ الخط العربى وتطوره ومدارسه وأنواعه وأدواته ، وأشهر الخطَّاطين والخطَّاطات ، والناحية الجمالية والحضارية فيه .

وكنا قد ذكرنا فى المحور الأول اهتمامه بالورّاقات الدمشقيات ، وكتابه الذى نشره عام ١٩٤٨م . وله أيضًا «إسهامات المرأة فى مجال الخط العربى» . وأصدر عام ١٩٥٠م مؤلَّفا فى «أشهر الخطَّاطين فى الإسلام : ياقُوت المُسْتَعْصمى (ت ٦٨٩هـ / ١٢٩٩م) ، و«الشيخ حمد الله الأماسى»[1] و«ابن مُقْلَة (ت ٣٢٨هـ / ٩٤٠م)» .

وفى عام ١٩٦٠م أصدر «الكتاب العربى المخطوط إلى القرن العاشر الهجرى» ، ويتضمن نماذج مصوَّرة من الخطوط العربية ، رتَّبها ترتيبًا تاريخيًا . والحق أن هذه النماذج تحتاج إلى دليل يشرحها ويقدِّم دراسة لها .

وفى أواخر الستينيّات (١٩٦٩م) نشر كتابًا بعنوان «دراسات عن الخط العربى منذ نشأته إلى آخر العصر الأمويِ» . وكذلك لم يغفل دراسة الخط من الناحية الحضارية . ووضع معجمًا للخطَّاطين والنسَّاخين والمصوِّرين والمزوِّقين فى الإسلام . هذه فى الدراسات ، أما التحقيق فله منها : «جامع محاسن كتابة الكتَّاب» ، للطِّيبى ، و«عدة الكتّاب فى البرى والكتاب» ، لابن مُقْلَة .

ورابع المحاور منوط بعمله مديرًا لمعهد المخطوطات العربية ، فى القاهرة ، لمدة ست سنين ؛ فأتيح له - بدأبه وفرط نشاطه - أن يطوف العالم يبحث عن المخطوطات العربية ، يختار منها النفيس ويصوره للمعهد . ولم يدع بلدًا ، أو مكتبة إلا زارها ، وبهذا أثرى خزائن المعهد بالمصوَّرات ، أُتيحت للباحثين والمتخصصين .

وأمكنه فى هذه الفترة بفكره الثاقب ، وثقافته الواسعة ، وبمسئوليته الجديدة أن يصدر العدد الأول من مجلة المعهد عام ١٩٥٥م . وهى أول مجلة أكاديمية عربية متخصصة فى شئون المخطوطات والتعريف بها وبأماكنها ، ورصد ما نشر منها ، يكتب فيها علماء من العرب والمسلمين والمستشرقين . وكان يبذل من نفسه كثيرًا من الجهد فى تحريرها ، وتميّزت أعدادها الأولى بلمساته الواضحة فى كلِّ ركن من أركانها .

وفى هذه الفترة - أيضًا - أقدم على نشر كتب التراث المتَّصفة بالأصالة والموسوعية . وكان قد مَرِن على ذلك حين أقدم فى عام ١٩٥١ - وهو فى دمشق - على فتح باب تحقيق «تاريخ دمشق» لابن عَسَاكِر الدمشقى . ففى ظلال المعهد حقق الجزء الأول من «سِيَر أعلام النبلاء» ، للحافظ الذهبى (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م) ، ونشره عام ١٩٥٥ م ؛ ففتح العيون على

---

(١) لم أستطع الوقوع على كتاب المنجِّد عنه ، ولم أعثر له على ترجمة .

هذا الكتاب الكبير ، وشجع المحقِّقين على أن يكملوه تحقيقًا ودرسًا . وأشرف على صدور الجزء الأول من كتاب «أنساب الأشراف» ، للبلاذُرى ، بتحقيق محمد حميد الله ، وصدر عن المعهد بالتعاون مع دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩م . كما أشرف على موسوعة لغوية ، وهى معجم ابن سِيْدَه (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م) : «المُحْكَم والمحيط الأعظم» ، فصدر منه ثلاثة أجزاء فى مرحلة المشروع الأولى . وكنا ذكرنا فى المحور الثانى الموصول بثقافته القانونية تحقيق الجزءين الأولين من كتاب «شرح السِّيَر الكبير» للشيبانى ، لشارحه السَّرْخْسى ، واللذين صدرا فى ظلال المعهد .

وأنجز – وهو فى القاهرة ـ وبعيدًا عن المعهد ، تحقيق كتاب «فتوح البلدان» ، للبلاذرى ، وأصدر أجزاءه الثلاثة ما بين الأعوام ١٩٥٦ ـ ١٩٦٠م .

وانعقدت صلته بالمستشرقين من خلال عمله بالمعهد ، وأمكنه الاطلاع على تحقيقهم للنصوص العربية ، ودراساتهم المتنوعة فى التراث العربى . فوضع عام ١٩٥٥م كتابًا أسماه : «المنتقى من دراسات المستشرقين» . وهو دراسات مختلفة فى الثقافة العربية . ثم أصدر كتابًا آخر ذا صلة بهم ، بعد ذلك بسنين عديدة (١٩٧٨م) : «المستشرقون الألمان : تراجمهم وما أسهموا به فى الدراسات العربية» .

وخامس المحاور موصول بقضايا تراثية ومسائل مختلفة عالجها المنجِّد ، أو حاول معالجتها من خلال دراساته وبحوثه ، وأهمها وضع قواعد تحقيق النصوص ، وقواعد فهرسة المخطوطات ، وما طُبع محققًا من كتب التراث ، وغُربة المخطوطات :

وأول هذه القضايا ما لاحظه من صنيع بعض المشتغلين بالتراث ، يعملون على نشره دون بذل الجهد اللازم لإخراجه ، وهو عمل عشوائى لا يجرى على منهج محدَّد ، الأمر الذى دعا إلى دخول أدعياء فى الساحة ، وهم ليسوا من أهلها . وساءه تعدد مناهج التحقيق وسبله المختلفة ، ورأى من الخير للتراث توحيدها .

ومرَّ بنا أنه كان قد اكتسب منذ أواخر أربعينيات القرن الماضى ، وأوائل الخمسينيات منه ـ خبرة عملية وتجربة حيّة فى هذا الميدان . وأنه حين أقدم على تحقيق كتاب «تاريخ دمشق» لابن عَسَاكِر الدمشقى ، وضعت لجنة من المجمع العلمى العربى بدمشق منهجًا يعمل على وَفْقه ، ونال عمله إعجاب العلماء المتخصصين ؛ لدقته ، وتقديمه النص بدراسة عميقة . بالإضافة إلى ما أقره من تجارب غيره ، من العرب والأجانب . وكان عبدالسلام هارون ـ بتجربته الواسعة وثقافته التراثية العالية ـ قد أصدر عام ١٩٥٤ م كتابه «تحقيق النصوص

ونشرها» . فوضع المنجد عام ١٩٥٥م «قواعد تحقيق المخطوطات» ، نشرها أول الأمر فى الجزء الثانى (المجلد الأول) من مجلة معهد المخطوطات العربية . ثم أقرها مؤتمر المجامع العلمية المنعقد فى دمشق عام ١٩٥٦ بعد تعديلات محدودة . ووالى المنجِّد طبعها منفرده ـ بعد ذلك ـ غير مرّة . ونال هذا العمل شهرة واسعة ، وأصبح لدى الكثيرين كأنه مدرسة تُحتذى . وتُرجم إلى لغات عدة ، شرقية وغربية ؛ للاستفادة منه .

إن مَن يرجع إلى هذه القواعد يجدها لا تتجاوز عشرين صفحة من القَطْع المتوسط ، وهى شديدة الوضوح والإيجاز ، ملتزمة بعنوانها أشد الالتزام ، لا خروج ولا استطراد ، ولا مغالاة فى ضرب الأمثلة . ولعلّ التتابع المنطقى فى مادته ، مع وضوحه وإيجازه ـ هو سرّ نجاح هذا العمل .

ونعلم أن المنجِّد مع ثقافته المتنوعة أنه قانونى . ولا نشك فى أن لهذا الجانب من ثقافته أثرًا فى هذا العمل ، فجاءت هذه القواعد أشبه بالقانون تتلاحق مواده فى ترتيب منطقى ، وإيجاز شديد . لا يَضْرب من الأمثلة إلا ما يكفى لإيضاح الغموض ، وكأن هذه الأمثلة عند المنجِّد أشبه بالمذكرة التفسيرية لهذه القواعد .

لقد مضى على هذا العمل ، وعمل عبدالسلام هارون ، نحو نصف قرن ، أصدر خلاله كثير من العلماء والمتخصصين كتبًا فى قواعد تحقيق النصوص . ونستطيع القول أن مؤلفاتهم لا تخرج فى أساسها عن القواعد التى وضعها المنجِّد وهارون . وتنحصر إضافاتهم فى ضرب كثير من الأمثلة التى لمسوها أثناء التحقيق .

ولم يكتف المنجِّد بنشر هذه القواعد المرشدة المنيرة لكل راغب فى التحقيق ، بل كان يطالب فى دراساته بالمزيد من البحث عن النسخ من أجل المقارنة والتدقيق ، وإكمال النَّص إن كان ناقصًا . وتتبع جهود المستشرقين فى تحقيق التراث العربى ، ووجّه عنايته نحو ضبط النصوص عند الأقدمين . وفى عام ١٩٥٧م نشر بحثًا بعنوان «ماذا ننشر من المخطوطات القديمة وكيف ننشر» ، ونَشر بأخرَة (عام ١٩٩٦م) بحثًا آخر بعنوان : «منهج نشر التراث فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى» .

وثانى هذه القضايا عَرَضت له منذ عمله بمعهد المخطوطات العربية ، وهى نكوص الشّبّاب عن فهرسة المخطوطات ، فى حين أن المفهرس منها فى العالم لا يتجاوز ثلثها . ويستنكف أن يمارس بنفسه هذا العمل الذى يحتاج إلى صبر وأناة ، وإلى خبرة ممتدة ، ودُرْبة ماهرة ، وثقافة عميقة ، واطِّلاع واسع على العلوم العربية الإسلامية المختلفة ، وحُسْن الرجوع إلى المصادر والمراجع .

ونعلم أنه كان قد أُوفد عام ١٩٥٤م من دمشق إلى إسبانيا لفهرسة المخطوطات العربية فيها . وهو وإن لم يطل مقامه فيها ، إلا أن رحلته هذه كانت أول تجربة له فى الفهرسة .

وفهرسَ وهو فى المعهد قسمًا من المخطوطات العربية فى مكتبة أمبروزيانا فى ميلانو «إيطاليا» ، وأصدر هذا الجزء عام ١٩٦٠م . وفهرس ـ بعد مغادرته القاهرة إلى بيروت ـ المخطوطات العربية فى مكتبة فروج سلاطيان فى بيروت ، وأصدره فى جزء عام ١٩٦٥م .

وفهرس المخطوطات العربية فى مكتبة الكونجرس بواشنطن ، وصدر الجزء عام ١٩٦٩م .

واهتمامًا منه بمخطوطات فلسطين فقد جمع أعمال علماء زاروا القدس ، واطلعوا على مخطوطاتها ، وفهرسوا بعضها ، ونشر هذا العمل المفيد بعنوان : «المخطوطات العربية فى فلسطين» ، وأصدره فى جزء عام ١٩٨٢م .

وختم المنجِّد هذه التجربة الواسعة بأن وضع كتابًا فى «قواعد فهرسة المخطوطات العربية» ، وأصدره عام ١٩٧٣م . وهو مجموعة دروس ومحاضرات ألقاها على طلبة جامعة الملك عبدالعزيز فى جُدَّة عام ١٩٧٢م . لقد استعرض المؤلِّف فى كتابه هذا اهتمام العرب قديمًا بالمكتبات ، وفهرسة الكتب وتطورها فى أزمان مختلفة ، وشرح طرقها المتعددة عند العرب والأوروبيين ، وكشف عن أهمية صناعة الفهرسة ، وقنَّن منهجها ، والأسلوب الذى ينبغى اتباعه فى فهرسة المخطوطات العربية .

إن من يطَّلع على هذا الإنجاز من الباحثين المتخصصين يرى كيف تمرّس المنجِّد فى معالجة قضية مستعصية من قضايا التراث ، وكيف أقدم على هذا الميدان الخالى من الكتب المثيلة ، فهو رائدًا فى مؤلَّفه ، ومنارًا لكل من يريد أن يتعلم فن فهرسة المخطوطات .

وثالث هذه القضايا له علاقة بما وقع فيه الباحثون من بلبلة واضطراب فيما طُبع من كتب التراث ، وما لم يُطبع ، وما قيمة هذا المطبوع لو قسناه على قواعد التحقيق . ولم يقف المنجِّد متفرجًا بإزاء هذه المشكلة ، بل أراد أن يُدلى بدلوه فيها ، وأن يُسهم بالقدر المستطاع ؛ فقام بعمل ببليوغرافى مفيد لمن يريد أن يدخل حَلْبة التحقيق . فأخذ يُصدر تباعًا أجزاءً من معجم أسماه : «معجم المخطوطات المطبوعة» . وأصدر الجزء الأول منه عام ١٩٦٢م ، رصد فيه ما طُبع من سنة ١٩٥٤-١٩٦٠ ، ثم توالت الأجزاء : الثانى والثالث والرابع والخامس ، رصد فيه جميعًا ما طُبع إلى عام ١٩٨٠م . وبهذا رَصدت أجزاؤه الخمسة نحو سبع وعشرين سنة ،

ذكر فيها ما يزيد على ١٥٠٠ مؤلَّف . وفى الجزء الأول ـ مثلا ـ ذكر نحو ٣٥٠ كتابًا . ولعلَّ أهمّ ما يميز هذا العمل أنه اعتنى فيه بما طُبع من المخطوطات فى البلاد العربية والإسلامية والغربية ، محققًا تحقيقًا منهجيًا ، التزامًا منه بما وضعه من قواعد التحقيق ، وتمسكًا بها . وأهمل فى معجمه تلك الطبعات التجارية التى لا يُطْمَأن إليها .

ورابع هذه القضايا ما يُعرف بغُرْبة المخطوطات العربية عن أصحابها وأماكن تأليفها . وهى متمثلة فى تسرّب تراثنا العربى المخطوط ، فى القرون الأخيرة ـ إلى أوروبا وأمريكا ، فى غَفْلة منا ، أو بفعل التجار العرب . وقد استطاع المنجِّد أن يُجَسِّم هذه المشكلة على حقيقتها ، وقد طاف ـ كما أسلفنا ـ بلاد العالم للبحث عن المخطوطات العربية ؛ لوضع خريطة لأماكنها ، والكشف عن أعدادها ، بالإضافة إلى تصوير ما يختاره منها لصالح المعهد .

لقد رأى المنجِّد آلافًا منها فى بلاد الغربة ، وصلت إليها عنوة واستيلاء ، أو بشرائها بأثمان بخسة ، منتهزين جهل أصحابها بقيمتها ، وحاجتهم للمال لسدّ ضروريات الحياة . وسمّى أسماء تُجّار بعينهم فى دمشق والقاهرة وبغداد ، كانوا يجمعون المخطوطات من البيوتات والأُسر ، ويبيعونها للخارج .

ويُعَدُّ المنجِّد من أوائل مَن نبّه إلى حركة انتقال المخطوطات إلى غير موطنها الأصلى . وكان يكرر الحديث فى كتاباته عن هذه الظاهرة الخطيرة ، وتوجّه باللوم إلى التُجّار فى بلادنا ، وخشى إن استمر هذا التسرّب أن نصبح فقراء فى التراث المخطوط .

وخلص إلى أن الحلّ لإيقاف هذا النزيف ـ هو تنمية إحساسنا بقيمة هذا التراث ، وتعميق هذا الإحساس ؛ للحفاظ عليه وخدمته بالصيانة والترميم والتصوير والفهرسة والتحقيق والدرس . وبلغ من اهتمام المنجِّد بهذه القضية أن نقلها إلى وسائل الإعلام المختلفة كالصحف وغيرها .

لقد بيّن أنه لولا هذه الفوائد التى جناها الغرب ويجنيها من تراثنا المنقول إليهم ، لَمَا استولوا عليه بالقهر ، ولَمّا دفعوا فيه ما دفعوا ، ولَمّا بذلوا المال للحفاظ عليه وصيانته وترميمه للاستفادة منه ، فى الوقت الذى لو بقى فى حوزتنا لتلف وضَاع . ويعبِّر المنجِّد عن ارتياحه لوجود هيئات عربية وجامعات ومراكز أخذت ـ مؤخرًا ـ تهتم بالحفاظ عليه وخدمته كما ينبغى ، على نحو ما حافظ أجدادنا عله فى القرون العشرة الأولى .

وسادس المحاور ـ وهو الأخير ـ الذى يمكن أن نطوى تحته مؤلَّفات مختلفة لها صفة الشمول والموسوعية كالمعجمات ، والدراسات المبتكرة . وسوف لا نذكر منها إلا بعض الأمثلة . منها : «معجم ما أُلِّف عن رسول الله ﷺ من المطبوعات والمخطوطات وأماكن وجودها» . نشره عام ١٩٨٠م . وكذلك بحوثه وتراجمه لأعلام التاريخ والجغرافيا ، كالبلاذُرِى ، وياقوت الحموى ، وابن خَلِّكان ، والمقدسى ، والحميرى ، وابن عسَاكِر ، وأبى الفدا ، وابن الأثير ، والذهبى ، وكلها نشرها ما بين أعوام ١٩٥٩ ، ١٩٧٨م .

ولا ننسى دراساته التى كان يستلهمها من التراث ، مثل : «المرأة عند العرب» ، «جمال المرأة عند العرب» ، و«مؤلفات الحب عند العرب» ، وهو بحث تحليلى من الجاحظ (ت٢٥٥هـ / ٨٦٩م) إلى داود الأنطَاكى (ت١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م) ، وأخيرا «رثاء المدن فى الشعر العربى» .

(٣)

الخاتمة

وبهذا نكون قد أتممنا الحديث عن نشأة المنجد وثقافته ، وربطنا هذه النشأة والثقافة بجهوده المتنوعة فى خدمة التراث . وقد استطعت أن أضع هذه الجهود فى ستة محاور رئيسية ، حوت عُظْم نتاجه ، وبالتالى كشفت عن جوانب شخصيته ومفاتيحها .

أهم المصادر والمراجع

غير ما رجعت إليه من كتب المنجِّد المحقَّقة والمؤلَّفة ، أذكر :

ـ حفل تكريم د . صلاح الدين المنجِّد (عام ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م) ، «إثنينية عبدالمقصود خوجَه» فى جُدَّة ، ط . دار الثقافة للطباعة ، مكة المكرمة ، ١٤١٠هـ .

ـ صلاح الدين المنجِّد والمخطوطات والتغريب ، عصام محمد الشَّنْطِى ، بحث مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ٣٥ ، الجزءان ١ ، ٢ ، القاهرة ، ١٩٩١م ، ص ١٩٧ ـ ٢١٢ .

ـ مقالات ودراسات مهداة إلى د . صلاح الدين المنجِّد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، لندن ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ـ [فيه بحوث قيِّمة لـ : عبدالكريم اليافى ، عرفان نظام الدين ، وديع فلسطين ، عبدالستَّار الحلوجى ، قيصر موسى الزين] .

صلاح الدين المنجد فارس لم يترجل يومًا

أ.د / فيصل الحفيان

احتفت أكثر من جهة فى أكثر من بلد ، داخل الوطن العربي وخارجه ، بصلاح الدين المنجِّد ، وهذا اليوم احتفاء آخر ، والرجل مستحق لذلك كله ، كتب كثيرون عنه ، وتناولوا جوانب مختلفة فى شخصيته ، وتراثه وعطائه ، وجاء معظمها فى سياق تكريمه ، وحكى هو عن نفسه ، وترك تراثًا كبيرًا ومتنوعًا ، نعرف أكثره ، لكننا لانحيط به ، كما أننا عرضة للخطأ إذا ما حددناه برقم ، لأسباب عدة .

كان شرفًا عظيمًا لى أن يكلفنى أستاذي الدكتور حسين نصار بالحديث عن عالم ذى قامة عالية ، مثل د . المنجِّد ، ويوم أبلغت بذلك وقع فى نفسى أن اختيارى لهذا التكليف قد يكون لأنى والمنجِّد شاميان ، ولأنى على صغر شأنى وقصر قامتى أعمل فى معهد المخطوطات العربية (مصليًا) وكان هو «المحتفى به» مديره (مجليًا) ، وعلى الرغم من سعادتى بالاختيار فقد حاك فى نفسى شيء جهدت فى مداراته ، لكنه كان أقوى منى ، وها أنا أفصح عنه . لقد خشيت أن تكون تلك الروابط التى جمعت بينى وبين المنجِّد (البلد والعمل) على حساب «حسن ظن» الأستاذ الدكتور حسين نصار ، وحسن هذا عندى أعلى وأغلى .

وبداية فقد يكون من المستحسن أن أشير- من باب الاعتراف الفاضل - إلى أنى لم أعرف الرجل عن قرب ، بل إنى لم أره سوى مرة واحدة ، منذ عدة سنوات ، ربما فى مطالع العقد الأخير من القرن الفائت ، وكان ذلك أثناء زيارة كريمة قام بها الرجل للمعهد فى مقره بالمهندسين .

على أن ذلك لايمنع أنى عرفت المنجِّد ، وكان حاضرًا داخلى ، منذ مطالع الثمانينيات ، فقد ارتبط اسم الرجل بالمعهد الذى دخلته ، وأنا بعد شاب لم يجاوز الثانية والعشرين ، وأنا الآن أكاد أطرق باب النصف الثانى من العَقْد الرابع من عمرى ، وطوال هذه السنوات التى توشك أن تبلغ ربع القرن عدًا كان المنجِّد فى خيالى علمًا ، أشبه ما يكون بأولئك الرجال الذين تستحضر أسماؤهم صورًا من الإجلال والإكبار والتقدير .

وفجأة رأيتنى مكلفًا بالحديث عنه ، وأنا ـ فى اعتراف آخر ـ لست مؤهلاً لذلك ، فمعذرة منه ، ومعذرة أخرى من د . نصار إذ قصرت فى تأدية ما كلفنى على الوجه الذى يريد ، فما أظن إلا أنى عارض عليكم بضاعة مزجاة ، أنتم أدرى بها منا وأخبر .

وإلى عدم الأهلية التى ذكرت أعترف ـ ضمن سلسلة اعترافاتى هذه ـ أنى لم أفرغ للرجل بما يكفى ، فقد شهدت الشهور الماضية كثيرًا من الأعمال العلمية والوظيفية التى شغلتنى ، يضاف إلى ذلك أنى كنت قد اعتذرت أو كدت ، إذا تقرر سفرى إلى خارج مصر تلبية لدعوة علمية قبل يومين من موعدنا هذا ، ثم طرأ فى اللحظة الأخيرة ما أجل السفر أيامًا معدودة .

وكان أخى الأكبر الأستاذ عصام الشنطى سيقوم بالعبء كله ، ولا أظن أن حضورى سيغير من الأمر شيئًا .

ولأن المحتفى به أكبر من أن تتسع له جلسة كهذه ، وحتى أدارى قصورى وتقصيرى ، فلابد أن أشير إلى أن ما سأقول ليس بحثًا بالمعنى الحقيقى للكلمة ، لكنها نقاط أردت أن أقف عندها ، وأوقفكم عليها ، وأحسب أن من كتبوا عنه لم يلتفتوا إليها ، أو إلى بعضها على الأقل من الزاوية التى اخترتها ، وعلى الرغم من أنها «نقاط» فإنى نفيت أن تكون بحثًا ، لأنها لم تستقصِ تراثه ، وربما لم تحط بما كتب عنه ، والبحث لابد أن يقوم على هذا وذاك .

اللوحة الأولى (السيرة)

صورة الرجل وظلالها

١ - ١ : المناخ العام :

جاء إلى الدنيا فى وقت عصيب ، كان الوطن العربى يعيش فيه حالة مخاض عسير ، لايدرى أحد عمّ يُسفر ، غليان وصخب عال فى مختلف مناحى الحياة ، نتيجة لظروف غير عادية ، عالمية ، وإقليمية ، ومحلية ، فالخلافة العثمانية تهادت ، والاستعمار الغربى يضرب أطنابه ، ويقتسم تركة الرجل المريض ، والإحساس بالذات يتعاظم فى نفوس العرب ، وتعبر عن النخب ، بأشكال مختلفة ، تزداد فى درجتها ونوعها ، والحركة الفكرية والثقافية أوضح ما تكون فى عواصم ثلاثة ، : القاهرة ودمشق وبغداد ، حالة عامة من البحث عن الذات والشعور بالأنا تطفو على السطح ، وتصبغ كل مظاهر الحياة .

وقد توجت هذه الحالة باستقلال معظم البلاد العربية ، ثم بإنشاء جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ ، ومعهد المخطوطات العربية الذي ولد فى حضن الإدارة الثقافية بالجامعة ، فى العام التالى لإنشاء الجامعة . (هذا المعهد الذى رأسه المنجِّد) ، ثم إنشاء معهد البحوث والدراسات العربية (فى حضن الجامعة أيضًا) عام ١٩٥٣ (هذا المعهد أنشأه ورأسه ساطع الحصرى) .

إرهاصات كثيرة بدأت أو ظهرت مع مطالع القرن العشرين ، وأشاعت جوًا عامًا دفع باتجاه البحث عن قسمات الأمة وخصائصها : الدين ، واللغة ، والتاريخ ، والأرض ، والتراث ، وظهر دعاة ارتبطت أسماؤهم بهذا العنصر أو ذاك ، أو خلطت هذا بذاك ، وعبر كل داعية عن شريحة أو فئة من الناس .

على المستوى السياسى جاءت الجامعة العربية قاسمًا مشتركًا أو شبه مشترك للأغلبية ، وعلى المستوى الفكرى معهد المخطوطات للتركيز على ملمح رئيس من ملامح الأمة (التراث) ، كما جاء معهد البحوث لمعالجة القضايا العصرية التى تعانى منها الأمة ، لقد مَثَّل المعهدان إذن جناحى خصوصية الماضى ، والعيش فى الحاضر ، فى جدلية لايمكن الفكاك منها ، لأمة عريقة ، لاتسكن فى الماضى بل يسكن فيها ، لتعيش بها ويحاضرها معًا ، من أجل مستقبل أفضل .

كلا الرجلين (الحصرى ، والمنجِّد ، وهما شاميان) أسسًا وحملا عبء الجناحين ، سواء فى قيامهما بالمعهدين ومسؤولياتهما ، أو فى سيرتهما العلمية والإنسانية .

١-٢ الخطوط الأولى :

نشأ في بيت علم ودين ، فأبوه (عبد الله) طلب العلم حتى صار شيخَ قراء دمشق ، وسار الولد على خطى أبيه ، فتلمذ لأعلام بلده ، وهم فى الوقت نفسه أعلام زمان وأمة : محمد كرد على ، وخليل مردم ، وطاهر الجزائرى ، ومحمد بهجة البيطار ، ومحمد أحمد دهمان ، ويوسف العش ، وأبو اليسر عابدين ، وسعيد المحاسنى ، وعبدالقادر العظم ، وسامى الميدانى ، وآخرون ، وهؤلاء على ـ موسوعيتهم ـ فيهم اللغوى والمؤرخ والأديب والشاعر والفقيه والمحدث . . ففتح كل منهم له بابًا على المعرفة ، لكنه ـ وهو النهم الذى لا يشبع من العلم ـ لم يكتف بما وراء أحد الأبواب ، معرفة بعينها ، أو يستأثر به فن ، فجمع بينها جميعًا ، حتى أصبح «صلاحَ الدين المنجِّد» .

ولم يأخذه العلم أو يستولى عليه بالكلية ، فقد كانت أصداء الحركة السياسية والفكرية التى تمر بها مدينته تتردد فى أذنيه وقلبه وعقله . نعم لقد تأخرت مشاركته فى النشاط ذى الطابع السياسى الفكرى إلى محاطة متأخرة نسبيًا فى حياته ، لكنه ـ فيما يبدو ـ كان يختزن ويرصد من بعيد حتى يحين الوقت الذى يُفْرِغ فيه ما اختزن وما رصد .

والمفارقة التى تستحق الوقوف عندها أن الفتى اتجه فى دراسته العالية إلى «معهد الحقوق» ، وحصل على إجازته ، لكن شيوخه وأساتذته وأسرته ونفسه التواقة ، كل أولئك

ربطوه بالتراث بمفهومه الواسع ، ولعل أكثر أساتذته تأثيرًا فيه ، وحفزًا له ، هو الشيخ الرئيس محمد كرد على رئيس المجمع العلمى العربى بدمشق (مجمع اللغة العربية اليوم) ، الذى لمس فيه نجابة ، فوجهه نحو ذلك العالم الرحب ، وكان حدسه فى محله .

لقد فتن الشاب بالتراث ، وشُغف به ، فاتجه بكليته إليه ، يعبُّ منه عبًا ، وكانت دار الكتب الظاهرية على مقربة من حى القيمرية (جنوبى المسجد الأموى) فيمم وجهه شطرها . وساعده على ذلك رغبته الشديدة فى المعرفة ، وتعلقه بتراث أمته ، فاختصر الزمن ، ولم يلبث طويلاً ، حتى أصدر بتوجيه أو بمباركة من كرد على المجلدة الأولى من كتاب ابن عساكر العظيم «تاريخ دمشق» .

فى فرنسا حيث توجه للحصول على الدكتوراه فى القانون الدولى لم يغادر التراث أو لم يغادره التراث ، فدلف إلى تخصصه فى الجامعة العريقة «السوربون» من باب التراث ، وكان موضوعه درس وتحقيق مخطوطة «رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة» . للحسين بن محمد الفراء البغوى (ت ٥١٠هـ) .

وهناك (فى فرنسا) انفتحت عيناه على معارف ومناهج أخرى ، فدفعه نهمه إلى كل ما له صلة بالتراث ، فدرس علم الخطوط (الباليوغرافيا) وعلم التاريخ ، والمكتبات ، والمصادر ، وهكذا انكشف له التراث بموضوعاته المستترة ، وفنونه ، وطرائفه ، وخصائصه ، ومناهجه المختلفة .

لقد أعطى الشاب نفسه للتراث ، فأسلمه كثيرًا من مفاتحه ، وأوقفه على قضاياه ومشكلاته الكبيرة ، وهو ما سنجد صداه لاحقًا .

وإذا كان هو قد غرق فى بحر التراث ، فإننا نغرق فى بحر المنجِّد ، وسنقفز على كثير من التفصيلات ، مراعاة لضيق الوقت .

ترك المنجِّد نحو مائتى مادة علمية ، بين كتاب ، وبحث ، وتأليف ، وتحقيق ، ونقد ، وتقديم ، فيها أدب ولغة وتاريخ وآثار ودين وسياسة وخطط وأنساب وخطاطة وفقه وتراجم وببليوغرافيا ، وباختصار هو تراث يمتد إلى مساحة المعرفة التراثية العربية الإسلامية ، وما أوسعها وأغناها! كما أنها تخرج من التراث ، ولاتقتصر عليه ، فتبحث فى قضايا ومشكلات حالّة أو عصرية ، سياسية وثقافية ، مرت بها أمته ، كأن الرجل كان يحارب على جبهتين : جبهة التراث ، وجبهة الحاضر ، وغايته واحدة : أمته التى يريد لها الرفعة ، والخروج من المأزق أو المآزق الحضارية التى تعيشها .

إن من ينظر بعمق إلى حياة الرجل التى ملأت القرن الماضى كله ، لابد أن تستوقفه محطات رئيسة ، سندخل إليها من مدخل الجغرافيا .

المحطة الأولى : فى دمشق ، حيث البدايات الأولى والتكوين العلمى الرصين والأصيل على أيدى أساتذة كبار ، وفى حضن مكتبة غنية كالظاهرية ، وبين أسرة دين وعلم .

المحطة الثانية : فى باريس ، حيث النور الجديد الذى فتح عينيه على علوم جديدة ، ربما لم يعرفها من قبل ، أو لم يلتفت إليها ، بمفاهيم ورؤى ومناهج مختلفة .

المحطة الثالثة : فى القاهرة ، حيث معهد المخطوطات العربية ، المؤسسة التراثية العربية الأولى التى مَهَّدها له بلديُّه يوسف العش ، هذه المحطة لها خصوصيتها أيضًا فهى التى وضعته فى قلب التراث ، فكرًا وتخطيطًا وعملاً ، وليس بوصفه عالمًا فحسب ولكن بوصفه مسؤولاً . وهى التى فتحت له أبواب التراث العربى الإسلامى المخطوط على مصاريعها ، فزار مكتبات المخطوطات فى بقاع شتى من العالم ، عربيًا : السعودية ، والعراق ، وتونس ، والمغرب ، بالإضافة - بالطبع - إلى سورية ، والقاهرة ، وبيروت ، وإسلاميًا : إيران وباكستان ودول الاتحاد السوفيتى (سابقًا) ، وخارجيًا : الهند والفاتيكان وإيطاليًا ، وألمانيا وأمريكا . .

وهذه المحطة هى التى عرف فيها الناس ، وعرفه الناس ، وعلى الرغم من قصر مدتها (ست أو سبع سنوات) بين عامى ١٩٥٥ ، ١٩٦١ ، فقد أعطى فيها التراث الكثير ، والمعهد الذى رأسه الكثير ، ولاشك أنه أخذ من التراث والمعهد الكثير ، معرفة وعلمًا وعلاقات .

وفى هذه المحطة توثقت صلاته بإخوانه من الأعلام ، أمثال الزيات ، ومحمود شاكر ، وفؤاد سيد ، وآخرين .

المحطة الرابعة : فى بيروت ، حيث الحرية والحياة الثقافية والسياسية الصاخبة التى لا تقف عند حد فى تلك الفترة (بداية الستينيات) ، وفيها نضج الرجل ، وبلغ أوجه علمًا وحنكة ومواقف ، فأسس دار نشر خاصة (دار الكتاب الجديد) واندمج فى عالم السياسة والفكر ، وهو التراثى العتيد ، فكتب عددًا من الكتب ، أهمها : أعمدة النكبة ، أسباب هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، وسورية ومصر بين الوحدة والانفصال ، كما كتب عن «التضليل الاشتراكى» .

المحطة الخامسة : وهى محطة بينية ، تداخلت مع سابقتها ، فقد تنقل بين بيروت وجدة فى المملكة العربية السعودية ، ولعلها قد فتحت له نوافذ جديدة على التراث ، فاهتم بموضوعات ، ونشر كتبًا .

ولد المنجِّد فى دمشق ، وعرف باريس والقاهرة وبيروت معرفة عميقة ، كما عرف كثيرًا من المدن ، وأخذ من كل ناسًا وزادًا ، أسهم فى تكوينه وصياغته ، ووجهه وحدد مساراته لكنه ظل ذلك الفتى الدمشقى المؤمن بدينه وتراثه وأمته ولغته ، لم يتخل يومًا عن ثوابته ، ولم تعش عينيه الزخارف والألوان ، ولم يركب تحت أى ظرف صعيدًا زلقًا ، يهوى به كما حدث مع كُثُر .

١-٣ : السمات البارزة :

فى هذه الفقرة أود أن أضع اليد على السمات البارزة فى اللوحة التى حاولت رسمها له . وسيكون سندى فى ذلك أمرين : حياة الرجل ، وثبت مؤلفاته : وهما متداخلان تداخلاً شديدًا ، حتى إنى لأحسب أن حياته هى ما كتبه ، وأن ما كتبه هو حياته .

من أراد أن يعرف المنجِّد إنسانًا وعالمًا فإن عليه أن يستبطن حياته ، ويستبطن أيضًا تراثه ، وسيخلص ـ بلاشك ـ إلى صفات الرجل الأساسية ، أو الخيوط الأصلية فى نسيجه الإنسانى والمعرفى ، التى قد تخفى على الكثيرين ، أو لا تجد عند من يدعيها الدليل الذى يؤيدها .

بدأ المنجد أديبًا فى (إبليس يغنى) ، أول كتاب له (صدر عام ١٩٤٣) وهو عبارة عن مسرحيات من الأدب العربى القديم ، ولم يطل مكثه مع الأدب (الإنشائى) ، فقد اتجه نحو البحث والتحقيق ، وجلّى فيهما ، وكان آخر بحث له تحت عنوان «منهج نشر التراث فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى» .

وعلى أية حال فإن تراث المنجِّد يستحق حتى فى عناوينه الرئيسة قراءة مستقلة ، وبحثًا منفردًا ، ففيه دلالات خصبة ، لكنى سأقف فحسب عند خيطين فى هذا التراث ، هما : دمشق ، والمخطوط العربى ، الخيط الأول يعكس تعلقه بمدينته ، وهى فى الوقت نفسه رمز لوطنه العربى والإسلامى الكبير ، والثانى بعكس ارتباطه بتراثه ، وتراث الأمة هو عينها .

دمشق :

سكنت دمشق قلب المنجِّد وعقله ، فبدأ فى الاتصال العلمى بها مبكرًا جدًا ، وتناولها بوصفها أثرًا (مدينة قديمة وأرضًا) وبشرًا ، وقيمة (ثناء عليها وتعدادًا لفضائلها) وتاريخًا ، وخططًا ، ووثائق . . وتحت كل عنوان من هذه العناوين ما تحته .

أحصيت ما كتبه عن دمشق ، سواء كان إنشاء منه ، أو تحقيقًا ، أومتابعة ، أو نقدًا ، فوجدته قد كتب نحو أربعين مادة ، ودخل إليها من مداخل عديدة ، على ما أسلفت .

بدأ بالكتابة عن دمشق عام ١٩٤٥ (كتابه : دمشق القديمة أسوارها وأبراجها وأبوابها) وظل يكتب عنها حتى عام ١٩٨٦ ، نشر فى مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : «خطط دمشق عند ابن عساكر فى تاريخه» ، وكثير مما كتبه أو حققه عن دمشق طبع غير مرة ، ونشره هو بنفسه (دار الكتاب الجديد) .

المخطوط العربى :

عشق دمشق وما وراءها من وطن لا يعدله عند المنجِّد سوى عشقه للأمة وما خلفته من تراث فكرى وفنى ، تمثل فى المخطوط العربى ، سواء بوصفه وعاء للمعرفة ، أو معرفة ، أما بوصفه معرفة فحدث ولاحرج ، فهو لم يترك لونًا من ألوان هذه المعرفة ، إلا قرأه وحققه ودرسه ونقده ، وأما بوصفه وعاء للمعرفة ، فأظن أن محطة باريس ومتابعته لتلك الدروس المرتبطة بالباليوغرافيا والمصادر والفن الإسلامى قد لفتته إلى هذا الجانب الهام من جوانب دراسة المخطوط ، فكتب فى عام ١٩٥٥ بحثًا عن «إجازات السماع فى المخطوطات العربية» ، نشره فى مجلة معهد المخطوطات العربية ، كما كتب فى العام التالى (١٩٥٦) «المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة من القرن الثالث الهجرى إلى نهاية القرن العاشر الهجرى» ونشره أيضًا فى مجلة معهد المخطوطات ، ثم صنع عام ١٩٦٠ كتابه «الكتاب العربى المخطوط وتطوره من القرن الثانى حتى القرن العاشر الهجرى» ونشره فى المعهد مستقلاً ، وتوج هذه الأعمال وغيرها بكتابه «قواعد فهرسة المخطوطات العربية» عام ١٩٧٣ ، ونشره فى دار الكتاب الجديد .

دمشق والمخطوط العربى يمثلان اتجاهين مهمين فى تراث المنجِّد ، وهما يدلاننا على سمة رئيسة فى شخصيته ، نستهل بها رصدنا لسماته التي استبطناها من حياته ومؤلفاته .

الانتماء :

إنها سمة تبدت واضحة فى المساحة التى شغلتها دمشق ، والمخطوط العربى فى ما خلفه من آثار .

الثبات :

بعض الناس ينتمون ، وقد يغالون فى انتماءاتهم ، لكن الانقطاع يحدث ، وربما يتكرر ، وقد ينقلب إلى النقيض ، المنجِّد كان حقيقة كالنهر تسير ماؤه فى المجرى بثبات فى اتجاه واحد ، تعرف طريقها وغايتها ، لا تردد ولا اضطراب ، الرؤية أمامه واضحة ، فهو عربى مسلم ، أمته هى همه ، وتراثها مصدر فخره واعتزازه ، وهو أيضًا ميدان عمله وفكره وعطائه ، جهوده كلها تركزت على هذا التراث ، تتبعًا وكشفًا وتحقيقًا ودرسًا ، ودفاعًا وتقويمًا ، واقرأ إن شئت ثبت مؤلفاته .

الجرأة :

هذه سمة متأصلة فيه ، لعل من شواهدها الأولى تلك الحادثة التى وقعت بينه وبين علامة الشام فى زمنه الشيخ محمد كرد على ، فقد استمع الشاب الذى لم يكن قد سمع به أحد يومها (عام ١٩٤٠) ، وربما لم يخط شيئًا يذكر بقلمه ، استمع إلى الشيخ الرئيس يلقى محاضرة ، ورأى فيها ما يستحق التوقف عنده ، فما كان منه إلا أن دَوَّن نقداته ، ونشرها فى «رسالة» الزيات ، لم يخش غضب الشيخ ، أو انزعاجه منه ، ولم تمنعه هامة الشيخ العالية من أن يستصغر نفسه ، فيضعف عن أن يصرح بما بدا له .

الإيجابية :

هل كان المنجِّد باحثًا فى التراث ، مشغولاً بـ«أرشيف» الأمة عن واقعها وقضاياها العصرية؟ مما قد يدفع بعضهم إلى تسجيل مأخذ عليه ، على ما لهذا التراث من أهمية ودور .

نعم لقد أخذ التراث المنجِّد ، لكنه لم يأخذه كله .

ولعل المرحلة التى كان فيها فى بيروت ، بعد فراغه من مسؤوليات معهد المخطوطات ، هى المرحلة الأخصب فى انشغاله بمشكلات وهموم الأمة . ففى عام ١٩٦٥ نشر كتابًا تحت عنوان «التضليل الاشتراكى» ، وفى العام التالى (١٩٦٦) نشر كتابًا آخر : «بلشفة الإسلام عند الماركسيين والاشتراكيين العرب» ، وفى (١٩٦٧) نشر كتابًا : «أعمدة النكبة : أسباب

هزيمة ٥ حزيران» ، وفى (١٩٦٩) : «المجتمع الإسلامى فى ظل العدالة» : وفى (١٩٧١) : «رسائل إلى شاب متشكك» ، وفى (١٩٧٤) : «الإسلام والعقل على ضوء القرآن الكريم والحديث النبوى» .

الصلابة :

المنجِّد رجل مواقف ، لا يساوم ، ولا يهادن ، مهما كانت التبعات ، ويكفى أن أضرب مثلاً واحدًا ، فى عام ١٩٦١ وهو مدير لمعهد المخطوطات شعر بأن المعهد يحتاج إلى ميزانية تكفيه للقيام بمهامه فى خدمة التراث ، فتقدم إلى الأمين العام للجامعة أنذاك بمطالبه (الميزانية وأمور أخرى) ، وعندما أحس عدم الاستجابة ، ربط الأمر باستقالته ، وكان أن قبلت استقالته ، ولاشك أنه ترك المعهد ، وهو لذلك كاره .

الموسوعية :

وهذه سمة يكفى للتدليل عليها نظرة سريعة فى ثبت آثاره ، فقد أنشأ أدبًا (إبليس يغنى) ، وحقق تراثًا لغويًا (الألفاظ المهموزة . . لابن جنى) وتاريخيًا (حريق الجامع الأموى سنة ٧٤٠هـ) وسياسيًا (دبلوماسيًا) رسل الملوك للفراء ، وشرح السير الكبير للسرخسى ، وكتب فى السياسة والفكر (انظر السمة السابقة) وفهرس مخطوطات ، ووضع أسسًا لقواعد تحقيق المخطوطات (فى كتيب) ولفهرسة المخطوطات فى كتاب ، وصنع ببليوغرافيات (معجم المخطوطات المطبوعة فى أجزاء) ، ومعجم ما ألف عن رسول الله ﷺ ، وألف فى تاريخ الخط ورجاله (دراسات فى تاريخ الخط العربى منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي ، وأشهر الخطاطين فى الإسلام) ، ولم يغفل عن المستشرقين : (المنتقى من دراسات المستشرقين : دراسات مختلفة فى الثقافة العربية) ، والأمر يطول .

الذكاء :

كان التراث مفتوحًا بتفاصيله وخباياه أمام المنجِّد . وقد استطاع بذكاءه أن يلتقط خيوطًا من هذا التراث طريفة ، قلّ أن يلتفت إليها أحد ، فألف كتابه «الحياة الجنسية عند العرب من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع الهجرى» و«الظرفاء والشحاذون فى بغداد وباريس» و«نساء عاشقات» و«بين الخلفاء والخلعاء فى العصر العباسى» و«أمثال المرأة عند العرب» ، و«فى قصور الخلفاء» .

انظر إلى هذه الموضوعات الطريفة التى تشى بذكائه ، وفى الوقت نفسه بانكشاف التراث له .

تلك هى السمات الرئيسة لشخصية المنجِّد وهى خليط من الإنسانى والعلمى ، لم نصنفها ، إذ أنها جميعًا متداخلة ، وما هى فى النهاية إلا الرجل ، على أن هذه السمات العظيمة أو بعضها لم تسلم له فى صورتها المثالية ، فالعلم الكثير قد يحفز على اعتزاز بالنفس يشوبه كِبْر ، والجرأة قد تدفع إلى التهوّر ، والصلابة ربما تصبح فى مواقف لا تتطلبها غلظة . إنها البشرية ؛ تلك الحالة الوسطى بين الحيوانية والملائكية ، تسمو أحيانًا حتى يقترب الإنسان من الملك ، وتسقط أحيانًا ، فالخطأ والخطيئة قدر بنى آدم ، وليس على الإنسان إلا أن يجعل من كفة الخير أثقل من الكفة الأخرى .

قلت هذا ، ووقفت عنده ، لأنى أعرف وأسمع من يأخذ عليه ، ومن يحكى عنه ، فهل يغيب عمن يأخذ ويحكى أن أحدًا لا يسلم من مأخذ ولا يخلو من عيب؟ .

- ٢ -

اللوحة الثانية (القضايا)

قضايا الناس والتراث

٢-١ : التراث والنهضة :

هل شغل التراث بألوانه وشعابه المنجِّد عن البحث فى علاقة التراث بالناس ، ودور التراث فى صنع نهضتهم؟ ، بعبارة أخرى : هل جعل المنجِّد من التراث قضية هوية مثلاً ، كما فعل الحصرى مع اللغة والتاريخ؟

مبلغ علمى أن المنجِّد لم تكن له نظرية تراثية ، فهو لم ينظر للتراث من منظور حضارى ، ، ولم يعالجه من هذه الزاوية ، لكن الأمر لم يخل من إشارات هنا وهناك ، حاولت أن أجمع شتاتها ، لأرى صورة التراث فى عقله .

التراث ـ كما يراه ـ مصدر فخر واعتزاز ، فهو ـ على حد تعبيره ـ «تراث لم تنتج أمة من الأمم ذوات الحضارة مثله سعة وغزارة» ، ويبدو - على الأقل فى هذه الفقرة من كلامه - تركيزه على عنصرى السعة والغزارة ، ولعله يقصد بالسعة : التنوع المعرفى ، والشمول لكثير من الفروع المعرفية ، أما الغزارة فبينة ، ويكشفها كلام آخر له ، ويقول : «إن تراث المخطوط القديم يبلغ على أقل تقدير ثلاثة ملايين» ، ولعله أول من ذكر هذا الرقم ، وهو رقم تقديرى

اجتهادى ، لكنه قائم على أساس ، أنه يقول : «فقد تبين لى هذا الرقم بعد أن طوّفت فى مكتبات العالم ، خلال رحلاتى الطويلة ، لم أدع خزانة إلا دخلتها ، وقرأت مخطوطاتها ، وقلّبتها ، وقيدت التقاييد عنها» .

هذا التراث المتنوع والغنى هو ـ من وجهة نظر المنجِّد ـ ذو علاقة وثيقة بالنهضة . ولا يخفى أنها (قضية النهضة) كانت حاضرة ، فقد تحررت معظم الدول العربية من الاستعمار . نعم هناك قضية أشد حضورًا ، هى الوجود ، أو بتعبير مباشر : الصراع مع إسرائيل التى زرعت فى قلب الوطن العربى فى استعمار سرطانى خطير ، لكن كثيرين من النخبة كانوا يربطون بين الوجود والنهضة ، وكسب المعركة والتقدم ، ولهذا فإن الكلام عن الوجود والانتصار كان له وجه آخر هو الكلام عن النهضة والتقدم ، لكن هذا الأخير كان فى ثنايا ذلك غالبًا ، وإن لم يمنع أن يستقل أحيانًا ، فقد كتب مالك بن نبى مثلاً كما نعرف «شروط النهضة» .

دلف المنجِّد إلى قضية النهضة عرضًا من باب التراث ، إنه يقول فى مقدمة أحد كتبه (معجم المخطوطات المطبوعة ١٩٦٢) : «هو (التراث) الذى نستطيع بنشره أن نسهم فى تغذية نهضتنا» .

والسؤال : هل كنا فى حالة نهضة؟ أم أن النهضة التى تحدَّثَ عنها كانت «مجرد مشروع»؟ إنها مجرد مشروع . وعلى أية حال فالتراث كما ينظر إليه ـ يشتمل على حقائق وأفكار حضارية إنسانية نفخر بها» .

والتراث ـ من منظوره ـ ليس كلاً واحدًا ، أعنى أنه ليس وعاء مخلصًا لأفكار حضارية وإنسانية تدعو للفخر ، بل إن فيه «ما يمدنا بما نجلو به حضارتنا وماضينا ، وما يمدنا بطاقات من التفكير والعمل» . وفيه أيضًا بلفظه «ما هو ميت لا يفيد» .

التراث إذن فيه ما هو حى ، وفيه ما هو ميت ، والحىّ منه هو ذلك المشتمل على قيم وأفكار حضارية وإنسانية ، هى مصدر اعتزازنا ، وعلينا أن نوظفه لخدمة غرضين : جلاء ذاتنا وحضارتنا وعطائنا ، وحفز طاقتنا على العمل والإبداع والعطاء مرة أخرى .

لكن الرجل بطبيعته الأكاديمية وعقلية الباحث اللتين تحتويانه لايلبث أن يقرر أن «الرجوع إلى التراث هو السبيل الأوحد لإنتاج دراسات فيها جدة وعمق» .

ويمكن أن نستشف من كلامه أنه يرى أن الدراسات العربية المتصلة بتاريخ الأمة وماضيها لم تكن عميقة ولامبتكرة ، ولابد لتحقيق العمق والابتكار من الرجوع إلى المصادر

الأصلية المتقدمة حيث الفكر فى بكارته وصدقه ، بعيدًا عما خالطه أو اختلط به من شوائب غيّرت ملامحه ، أو شوّهت حقيقته ، ولهذا فإنه يقول شاكيًا متذمرًا : فى العام ١٩٦٢ : (ماذا نقول نحن اليوم بعد مضى نحو نصف قرن؟) ، يقول : «لقد آن لنا أن نبتعد فى دراستنا حول ماضينا وتاريخنا عن السطحية والنقل ، وأن نعتمد على المصادر الأولى» .

زبدة القول أن المنجِّد عالم أو أكاديمى لم يخرج من دائرة العلم والأكاديمية ، فقد ظل غارقًا فى البحث التراثى وتحقيقه للنصوص ، ولم يحول حبه للتراث وانشغاله به إلى قضية فكرية ينظر لها أو يضعها فى إطار أيديولوجى أو فلسفى ، وإن لم ينف ذلك تلك الإشارات ، أو يقطعه عن قضايا فكرية وسياسية ، أثمرت كتبًا وبحوثًا سبقت الإشارة إليها .

٢ - ٢ : نشر التراث :

بين التحقيق والدرس انشغل المنجِّد بقضايا عامة أو شبه عامة ، تتصل بالتراث فى مجموعه ، لكن انشغاله لم يستقل فى كتب ، أو يأخذ شكل الدرس المعمق ، ومن هذه القضايا قضية نشر التراث ، وقد جمعت هنا أيضًا بعض الإشارات التى تكشف رؤيته .

وبداية فإن الرجل يفرق بين النشر والتحقيق ، كل منهما مستوى ، والنشر قد يقوم به غير عالم ، وقد يكون مجرد تصحيح ، أما التحقيق فلابد فيه من التوثيق والتدقيق والتأصيل والتعليق . ولهذا فإنه تحرج من أن يسم كتابًا صدر بأنه محقق فى عمله البيبليوجرافى «معجم المخطوطات المطبوعة» ، واكتفى بالقول : نشره ، كما أنه نفى من كتابه تلك الطبعات التجارية التى رأى أنه لا يعتدُّ بها .

ويبدو أن ثمة أسئلة كانت تشغله ، صرح بها فى مقدمة كتابه آنف الذكر : ما هو اتجاه النشر فى البلاد العربية ، وهل يجرى حسب برنامج مدروس ، وما هى البلاد التى تنتجه ، والمؤسسات العلمية التى تعنى به ، وما هى قيمة هذا النتاج من حيث المادة ، ومن حيث طريقة النشر؟

ولأن التراث العربى واسع وغنى ، فإظهاره لايمكن أن يتم خلال سنة أو سنتين ، بل قد يحتاج إلى قرن أو قرنين .

وهذا «ما يضطرنا إلى الاختيار حسب برنامج يضعه أهل الخبرة فى هذا الشأن» ، وهو برنامج دقيق «يقدم فيه الأصيل على العادى ، والأكثر شأنًا على ما له شأن ، وما نحتاج إليه .. على ما هو ميت» .

ويستفزُّ د. المنجِّد أمر هو التنازع على النشر، فالكتاب الواحد يصدر مرات، وثَمَّ ما هو أعلى منه وأنفس قابع لايُلتفت إليه، ولذلك فإنه يتسائل: «لماذا التنازع والتراث العربى وافر واسع؟».

ويضع يده على الداء فى هذا التنازع ناعتًا إياه بأنه «شهوة النشر»، وهذه الشهوة، شهوة تجارة، ويمكن أن نضيف شهوة أخرى، وهى «شهوة الظهور»، وهذه الأخيرة يقع فيها حتى العلماء، الذين تتملكهم هذه الشهوة، فى الوقت الذى تعزف فيه نفوسهم عن بذل الجهد، والوقت، فيتساوون مع غيرهم من الذين لا يملكون علمًا، أو يجمعون مالاً.

وإذا كانت «الشهوة» هى السائدة، فإن النتيجة (والرأى هذا قاله عام ١٩٦٢) هى «الفوضى» التى تجلت فى «إقدام المبتدئين ومن لا يحسنون على إخراج المخطوطات».

إن مشكلة النشر كما يراها لن تحل إلا بـ«برنامج مجمع عليه» أشار إلى ملامحه وحدد قواعده.

ولعل هذه الفوضى هى التى دفعته إلى تأليف معجمه «معجم المخطوطات المطبوعة» وهى التى كانت وراء تصديه لوضع «قواعد تحقيق المخطوطات».

لقد كان إحساسه بالقضية عاليًا، لدرجة أنه وصف تلك الفوضى بأنها «من البلاء الذى يصاب به تراثنا» وهى حقًا كذلك.

- ٣ -

الخط الأخير

رحلة طويلة مع التراث، وهمومه، ونصوصه، ولا أحسبنى باللوحتين اللتين قدمتهما قد فعلت شيئًا، فالمنجِّد فارس من فرسان التراث لم يترجل يومًا، والكلام عنه يطول، فما زال فى النفس الكثير عنه مديرًا لمعهد المخطوطات، وعنه إنسانًا ذا علاقات مع علماء عصره، وعنه رحالة فى عالم المخطوطات، وعنه فى علاقاته بالأستاذ عبد السلام هارون وما جرى بينهما فى كتابيهما «قواعد تحقيق المخطوطات» و «تحقيق النصوص ونشرها»... إلخ.

ولايتبقى إلا أن أقول: إن من أحبوا التراث كثر، لكن من فعلوا للتراث قلة، فقد بقى الحب فى النفوس معتقلاً فى طور الهمّ، أما هو فقد جسد الحب ونقله إلى طور الفعل، كاسرًا قيد العجز، مخرجًا نفسه من فئة العاجزين، وفاهمًا حق الفهم قول الشاعر القديم:

إنما العجز أن تهم ولا تفعل

والهم ناشب فى الضمير

ندوة
(جوستاف فلوجل)

فلوجل بين المستشرقين

(١٨٠٢ - ١٨٧٠م)

أ.د. عفت الشرقاوى

تحاول هذه الملاحظات حول شخصية فلوجل وجهوده فى الدراسات العربية والإسلامية أن تضع هذا المستشرق الكبير فى إطار السياق التاريخى والثقافى الذى نشأ فيه وتعامل معه ، فتأثر به ، وأثر فيه .

ويعد فلوجل من أكثر المستشرقين الألمان إنتاجًا ، وجهوده فى هذا المجال تتكامل فى نسق عام مع التراث الاستشراقى إجمالاً . والألمانى منه بصفة خاصة ؛ ولذلك فإن وضع الرجل فى إطاره التاريخى الصحيح ربما يقتضى مقدمات بعضها يتعلق بالاستشراق وبعضها يتعلق بالجانب الألمانى منه على وجه الخصوص .

والاستشراق بصفة عامة يثير - كما هو معروف - جدلا واسعًا بين بعض من يشتغلون بالدراسات العربية والإسلامية الذين لا يتبينون بوضوح مدى الإسهام العلمى الكبير الذى قام به هؤلاء المستشرقون فى خدمة هذا التراث ، وربما قلنا إن بعض هؤلاء المستشرقين قد جانبهم الصواب على سبيل الخطأ ، أو جانبوا هم الصواب على سبيل العمد . وهؤلاء وأولئك يمكن تقييم أعمالهم والرد عليها بالنقد والتفنيد والتوجيه المنهجى السليم إلى الرأى العلمى الصحيح ، ومن المؤكد أن غير هؤلاء كثيرون - ومنهم فلوجل مثلا - قد اهتموا بالتراث الشرقى ، وتناولوه بالكشف والصون والتقويم والفهرسة ، كما عمدوا إلى درسه وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه من حيث منشئه وتأثيره وتطوره وأثره وموازنته بغيره ، وقد بذلوا فى ذلك كل الهمة ، واجتهدوا فى تأسيس المناهج والمعاهد والمطابع والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات ، حتى بلغوا فى ذلك منذ مئات السنين ، فى شتى البلدان وبسائر اللغات مبلغًا عظيمًا من العمق والشمول والطرافة ، وأصبح تراثهم فى ذلك جزءًا لاينفصل عن تراثنا ، ولاتؤرخ الحضارة الإنسانية إلا به ، كما لاحظ ذلك بحق بعض الباحثين .

وفى رأى كثير منهم أن إنكار هذا الجهد تنكر للأمانة العلمية فى البحث عن الحقيقة الموضوعية ، وكأن هذا رفض من جانبنا لأن يكون تراثنا جزءًا لا يتجزأ من الحضارة الإنسانية ، مع أن الحضارة الإنسانية لا تزدهر إلا بكشف ذخائر الأمم جميعًا وفى مقدمتها التراث الإسلامى والثقافة العربية .

والمستشرقون بجهودهم فى الكشف والجمع والتحقيق والترجمة والتصنيف عبر مئات السنين مشكورون على اهتمامهم ، وجديرون بالتقدير والتكريم ، وفى إطار هذا المعنى على الخصوص يأتى احتفال مركز تحقيق التراث بدارالكتب والوثائق القومية بشوامخ المحققين ، ومن بينهم المستشرق فلوجل الذى نجتمع اليوم لتعرُّف أعماله التراثية ، والمستشرق ماسينيون Massignon الذى نعرض لسيرته فى مناسبة قادمة إن شاء الله .

ومن المؤكد أن كثيرًا من المسائل التاريخية والشرعية قد اشتبهت على بعض المؤلفين حقًا ، ربما لأسباب لغوية ، أو لمذاهب عقدية ، يقول دى ساسى De Sacy فى تواضع العلماء فى إحدى رسائله إلى صديق له : «تريد أن تعرف منى هل تعلمت اللغة العربية على أحد المشايخ؟ وأنا أشهد لك أنه لم يكن لى معلم سوى الكتب ؛ ولهذا فإنى لا أستطيع أن أتناقش بالعربية ، ولا أن أفهم ما يقال بهذه اللغة ، إذ لم تتهيأ لى فى شبابى الفرصة للتكلم بالعربية ، ولا لسماع من يتكلم بها ، وأنا أعتز جدًا بما تقوله عن مؤلفاتى ، لكن علىّ أن أعترف بأننى آسف على كونى لم أسافر وأنا فى شبابى إلى مصر ، أو إلى سوريا ، وأنا بعيد تمامًا عن الظن أنى أمتلك معرفة تامة بهذه اللغة الواسعة سعة البحر المحيط» (النص من ترجمة عبد الرحمن بدوى عن رسالة محفوظة فى مكتبة معهد فرنسا أوردها دارنبورج Derenbourg ص ٢٢ - موسوعة المستشرقين ، ص ٢٢٩) .

ومع ذلك ، فتلك المتشابهات التى خفى أمرها على بعض المستشرقين للأسباب التى سبق ذكرها قد تكون مصدرًا للإفادة أيضًا بالنسبة لنا ، تماما كما هو الشأن فى الأعمال الإيجابية الجيدة التى نعتز بها ذلك أن هذه الجوانب السلبية تكشف عن طبيعة قراءة الآخر الغربى لتراثنا ، وهذه مسألة مهمة ، ومن الممكن أن ننشئ جهودًا علمية منظمة فى توضيح هذه المسائل والتعليق عليها ، فكذلك فعل العرب والمسلمون من قبل ، فقد تخفى بعض المسائل على المسلمين ، أو غير المسلمين ممن يرغبون فى التعرُّف على حقيقة الإسلام ، أو آفاق التراث العربى ، وتلك مناسبة سانحة لرد كيد الكائدين ، وتوجيه الإرشاد والتسديد ، وتصويب الأخطاء المقصودة وغير المقصودة ، ووضع تراثنا الشرقى فى إطاره التاريخى الصحيح بين ثقافات العالم ، فليس فى صالح الحضارة الإسلامية أن تظل هذه المتشابهات حولها متسكنة أو قلقة فى ضمير المواطن الغربى ، دون أن يعلن عنها صراحة من جانبه ، ودون أن نحاول من جانبنا مواجهتها بالمنهج العلمى الدقيق الذى يصحح مسيرة الحوار الثقافى بيننا وبين شعوب العالم .

حقًا لقد كان هناك مستشرقون أعمتهم الضلالة عن الموضوعية المتفهمة ، فغلب على نظرتهم الاعتقاد بأن الإسلام دين قليل الشأن ، ومثل هؤلاء المستشرقون لا قيمة علمية لمؤلفاتهم ، ويمكن أن تعد مثل هذه الأعمال من قبيل مؤلفات الملاحدة الذين لا يعترفون بدين ، بل يكتبون ضد الأديان جميعًا ، لأنهم يعتقدون أن تقدم الإنسانية ورقى البشرية إنما يتحقق بخلاصها من نفوذ الأديان كلها .

ومع ما فى الدراسات الاستشراقية من نتائج إيجابية ـ كما نجد فى أعمال فلوجل ـ تتجاوز إلى حد بعيد نتائجها السلبية ، فإن موقف الباحثين المعاصرين لايخلو من تردد وشك فى تقويم هذه الدراسات ، ويأتى النقد فى هذه المرة بعيدًا عن التفصيلات العلمية الجزئية والأخطاء المنهجية ، أو غير المنهجية التى وقع فيها المستشرقون ، فالاتجاه الحديث يميل إلى تصور الجهد الاستشراقى فى إطاره العام من حيث الروح الثقافية التى تسيطر على أصحابه ، والرؤى الحضارية التى تسود مقولاتهم .

وربما كان د . حسن حنفى خير ممثل لهذا الاتجاه فى كتابه «الاستغراب» ، فهو يرى أن الاستشراق قد ظهر قديمًا إبان المد الاستعمارى الأوربى ، عملا بإيديولوجية مناهج البحث العلمى ، أو المذاهب السياسية التى كانت سائدة فى القرن التاسع عشر على الخصوص : وضعية وتاريخية وعلمية وعنصرية وقومية ، ولكن الاستشراق الآن قد تغير شكله ، وورثته العلوم الإنسانية ، خاصة الأنثروبولوجيا الحضاري ، وعلم اجتماع الثقافة ، وهو لم يكن فى كل الأحوال محايدًا ، بل غلبت عليه مناهج تعبر عن بنية الوعى الأوروبى ، وإذا كان الاستشراق هو دراسة الحضارة الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارة أخرى ، ولهم شعور مخالف لبناء الحضارة التى يدرسونها ، فإن من الممكن أن ننشئ علمًا مقابلاً ومضادًا هو علم «الاستغراب» ، فهذا هو الوجه الآخر والنقيض من الاستشراق ، الذى يعنى بدراسة الغرب من قبل باحث شرقى ، كما عنى الاستشراق بدراسة الشرق من قبل باحث غربى ، وبذلك تتكامل حلقات الحوار الحضارى بين الشرق والغرب .

وفى رأى د . حسن حنفى وغيره من الباحثين (إدوارد سعيد مثلاً) أن الاهتمام الاستشراقى بالعالم الإسلامى قد أنشأ لدى الباحثين مركبًا شبيهًا بمركب العظمة نتج عن شعور الباحث منهم بأنه ذات دارسة فى مقابل اللا أوربى الذى ظل موضوعًا مدروسًا ، فالاتجاه نحو علم الاستغراب الذى يدعو إليه د . حسن حنفى قد يقلب الموازين ويحول هذه الذات الغربية من ذات دارسة إلى موضوع مدروس ، فتنتقل مركزية الدراسة من الغرب إلى الشرق .

وهذا الاتجاه فى نقد المركزية الأوربية فى تصور العالم ورؤية التاريخ ، سبق أن عرض له من قبل «اشبنجلر» (ت ١٩٣٦) بنقد مماثل أى خلال القرن التاسع عشر ، فهو يدعو إلى النظرة العملية للتاريخ ، تلك النظرة التى تقتضى دراسة الحضارات من غير انشغال كاذب غير مجد بالبحث فى مصادرها والمؤشرات الخارجية فى نشأتها وتطورها ، كما فعل كثير من المستشرقين ، فليس ثمة ما يشار إليه ، لتفسير حضارة ما خارج هذه الحضارات ذاتها ، وهذا قريب من معنى الخصوصية الثقافية التى نحاول أن نتمسك بها فى العصر الحديث ، وهو يعتقد أن المؤرخين الذين يقولون بوجود روابط بين الحضارات هى روابط العلل بالمعلولات يخطئون خطأً بالغًا ، إذ يعنون بفكر التأثير والتأثر ـ وهو أمر كثيرًا ما يشغل بعض المستشرقين فى تأويل ظهور الإسلام ـ مع أنه ليس إلا تشابهًا فى المظهر الخارجى فحسب ؛ وبذلك تسقط مقولة بعضهم فى تأثر الإسلام بالمسيحية أو اليهودية أو بعض الأديان الأخرى ، مع سقوط المركزية الخاصة للثقافة الغربية تمامًا فى قراءتها لتاريخ الحضارات .

وربما كان أهم ما يقوله اشبنجلر فى اتجاه مباحث د . حسن حنفى فى فلسفة الاستغراب ما يشير إليه اشبنجلر قبل ذلك من ضرورة الثورة ضد المركزية الأوربية التى كانت شائعة فى عصره ، فيما يتعلق بفهم العالم والتاريخ ، حيث يرى أن الروح الغربية قد قامت بهذا التحرير منذ زمان طويل فيما يتصل بالطبيعة ، يوم أن تركت نظام الكون كما تصوره بطليموس إلى نظام الكون ، كما نتصوره اليوم صحيحًا وحده بالنسبة إليها ، فلم تعد ترى فى الوضع الذى يتصادف ويوجد فيه الفلكى على كوكب من الكواكب ، الأساس للصورة التى عليها يتصور الكون ، وكأن باحث الاستشراق يحتاج إلى ثورة كوبرنيكية تصحح وهم المستشرقين الأوربيين الذين يتصورون حضارتهم قطبًا ثابتًا للحضارات ينبغى أن تقاس على أساسه الحضارات الأخرى ، مثلما توهم آخرون قبل كوبرنيكس أن كوكب الأرض ثابت ، وأنه محور دوران لجميع الكواكب .

وهذا منهج لايعترف بأى نوع من مركز ممتاز للحضارة الكلاسيكية أو الحضارة الغربية على الحضارات الأخرى من هندية ، وبابلية ، وصينية ، ومصرية ، وعربية ، وإسلامية ، ومكسيكية «فتلك عوالم منفصلة لكينونة ديناميكية لها تمامًا من حيث الكتلة داخل الصورة العامة للتاريخ ما للحضارة الكلاسيكية من قيمة ، بينما هى تتجاوز الكلاسيكية مرارًا من حيث العظمة وقوة التسامى والتحليق» ، أى من حيث خصوصيتها الثقافية ، كما سبقت الإشارة .

ومهما يكن رأينا فى علم الاستغراب الذى يسعى د . حسن حنفى لإرساء قواعده فى حماسة بالغة ، أو فى فلسفة اشبنجلر الذى ظل يقاوم من قبل فكرة المركزية الأوروبية فى دراسة الثقافات العالمية ، ويدعو إلى ثورة كوبرنيكية فى مناهج البحث التاريخى ، والدرس الاستشراقى ، فإن هناك من مفكرى القرن العشرين من يتصورون قضية الاستشراق فى إطار فكرى آخر .

من ذلك ما ذهب إليه مالك بن نبى الذى يفرق بين طبقة المنتقدين المشوهين للحضارة الإسلامية وطبقة المادحين . وهو ينبه إلى خطر الطبقتين على السواء ، وخصوصًا طبقة المادحين ، فمع أن بعضهم كتبوا لنصرة الحقيقة العلمية وللتاريخ من أجل مجتمعهم الغربى ، فإنه ينبغى الحذر من أثر هذا النوع من التمجيد والإطراء فى كتابات أخرين منهم بسبب حساسية الجماهير المسلمة لأمجاد ماضيها ، وإمكان استغلال هذه الحساسية للفت الجماهير عن مشكلات حاضرها ، كما فعلت المستشرقة زيغريد هونكة التى اتسمت كتاباتها بالإنصاف ، وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب فى مؤلفها الشهير «شمس الله تسطع على الغرب» الذى ظهر فى طبعته العربية بعنوان «شمس العرب تسطع على الغرب» .
إن استغلال حساسية الجماهير لتاريخهم قد يكون سببًا لإنتاج مثل هذا الكتاب فى رأى مالك بن نبى ، فنحن «عندما نتحدث إلى فقير لايجد ما يسد به الرمق اليوم عن الثروة الطائلة التى كانت لأبائه وأجداده ، فإنما نأتيه بنصيب من التسلية عن متاعبه بوسيلة مخدر يعزل فكره مؤقتًا وضميره عن الشعور بها ولكننا لا نشفيها» .

لقد كانت صيحة مالك بن نبى تعبيرًا عن ضرورة المواجهة الثقافية ، والوعى باللحظة التاريخية الراهنة ، وعيًا حضاريًا عميق الإحساس بالذات التاريخية بعد أن تطور البحث الاستشراقى لا على سبيل التعديل الثقافى بل على سبيل التعديل السياسى ، بوضع الخطط السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع فى البلاد الإسلامية من ناحية ، ولتسير هذه الزوضا طبقا لما تقتضيه هذه السياسات فى البلاد الإسلامية .

تلك نظرة عامة على أحوال الاستشراق ومذاهبه ورأى علماء المسلمين فيه ، وهى آراء تختلف بين القبول المقيد بشروط موافقة أصول التراث وذوق العربية ، وبين الرفض المطلق باعتبار أن هذا الاستشراق إنما هو تيار فكرى يتمثل فى الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامى التى شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته ؛ بغرض الإسهام فى صياغة التصورات الغربية عن العالم الإسلامى ، وتعبيرًا عن الخلفية الفكرية للصراع الحضارى بين الشرق والغرب ، فهذه الأفكار التى تسود العالم عن الإسلام اليوم إنما أنتجها مستشرقون يعتمدون فى دراساتهم على تفسير الثقافة الإسلامية فى ضوء «صدام الحضارات» تلك

النظرية التى أفصح عن مقاصدها أخيرًا هنتنجتون فى كتابه الشهير ، والتى تصدر الكراهية نحو شعوب العالم تحت شعار : إذا لم نكره ما ليس لنا ، فلن يمكن أن نحب ما هو نحن ، وإذا كانت هذه بعض معالم الاستشراق وأصدائه فى العالم الإسلامى بصفة عامة فإن للاستشراق الألمانى سماته الخاصة التى ظهرت ملامحها فى أعمال فلوجل .

وفى سبيل قراءة جهود فلوجل فى سياقها التاريخى والثقافى ، كما سبقت الإشارة ، فإننا نرجو أن نصور بإيجاز فى الصفحات التالية طبيعة البيئة الاستشراقية التى عاش فيها فلوجل ، ومدى إسهامه المتعدد فى نشاطها .

ويذكر الذين ترجموا لفلوجل أنه ولد سنة ١٨٠٢ فى مدينة باوتسن Bautzen بإقليم ساكس (سكسونيا) فى أسرة عريقة أعانته وفرتها الاقتصادية على متابعة تعليمه العالى ، بعد أن أتم دراسته الثانوية فى بلده .

وقد كشفت أولى مراحله الجامعية عن اهتمام خاص من جانبه باللغات الشرقية ، فدرس هذه اللغات على مشاهير العلماء فى ليبتسك من سنة ١٨٢١ إلى سنة ١٨٢٤ ، أى في الربع الأول من القرن التاسع عشر ، فى هذه الأثناء كانت ألمانيا قد توسعت فى الاهتمام بالدراسات الشرقية ، بعد أن تعلم بعض الدارسين الألمان اللغات الشرقية فى هولندا ، ثم عادوا إلى بلادهم ونقلوها إلى جامعاتهم وأخرجوها من نطاق التوراة الذى ضرب حولها ردحًا من الزمن .

ولقد ظل الاستشراق الألمانى وفيًا إلى حد كبير للدراسات اللغوية على الخصوص ، كما توحى بذلك الإشارة المنهجية السابقة ، وظلت اجتهادات كثير من المستشرقين فى فروع علوم العربية ، والعلوم الإسلامية فى ألمانيا نابعة أساسًا من هذا الاهتمام اللغوى ؛ ربما بسبب ضعف نشاطها الاستعمارى إذا ما قورنت بفرنسا وإنجلترا ، ولذلك يمكن أن يقال ـ دون مجازفة كبيرة ـ إن الاستشراق الألمانى استشراق لغوى بالدرجة الأولى إذا قورن بمدارس الاستشراق الأخرى التى عنى أصحابها آنئذ بمذاهب التأويل فى صورتيه : الأدبية ، والدينية ، كما كان الحال فى فرنسا ، أوبتطور التفكير العقدى والتشريعى كما كان الحال فى إنجلترا ، وذلك حكم تقريبى على سبيل تصور الملامح العامة لكلتا المدرستين . من هذا المنطلق اللغوى فى أساسه نشأت أغلب اتجاهات الاستشراق فى ألمانيا ، وانبعثت جهود التحقيق والفهرسة والترجمة والنشر والدراسات الإسلامية والتاريخية عند الباحثين الألمانى فى عصر فلوجل ، فهم الذين أفسحوا المجال فى دراسة تاريخ الشرق بحل رموز لغاته البائدة ، والمقارنة بين الحية منها .

لذلك عرفت الجامعات الألمانية عددًا كبيرًا من كراسى اللغات الشرقية مبكرًا ابتداء بجامعة هايدلبرج Heidelberg سنة ١٣٨٦ ، وتبع ذلك تدريجيًا إنشاء عدد من كراسى اللغات الشرقية بالجامعات المختلفة تجاوز عددها فى النصف الأول من القرن التاسع عشر - وهو الوقت الذى بدأ فيه فلوجل نشاطه الاستشراقى - عشرين كرسيًا ، وقد واتته الفرصة لكى يشغل كرسى الأستاذية فى اللغات الاستشراقية عندما عين أستاذًا فى معهد مايسن الملكى سنة ١٨٣٢ . ثم مرض بعد ذلك مرضًا طويلاً اضطره إلى الاستقالة من منصب الأستاذية .

وإذا كان لفلوجل إسهام فى شغل كرسى الأستاذية فى مرحلة ما من حياته كما رأينا فقد كان شغله الدائم يتعلق بزيارة المكتبات والاطلاع على ما فيها من ذخائر . فكثير من الجامعات الألمانية كانت تضم مكتبات شرقية ، وكان هناك بالإضافة إلى مكتبات الجامعات عدد هائل من المكتبات المحلية الملحقة بالبلديات أو التابعة للكنائس .

وتعد مكتبة برلين الوطنية (١٨٠٩) ومكتبات جامعات جوتنجين Gottingen (١٧٣٦) ومكتبةماينز Mainz (١٤٧٦) من أغنى المكتبات بالمخطوطات الشرقية ، ولاسيما العربية كما يقرر الذين أتيح لهم زيارة هذه المكتبات ، وبالإضافة إلى ذلك كان هناك المكتبات الخاصة ببعض العلماء التى أتيح لفلوجل الاطلاع على بعضها .

والواقع أن فلوجل قد بدأ رحلاته المكتبية منذ سنة ١٨٢٧ أى بعد تخرجه من الجامعة بثلاثة أعوام ، ففى هذا العام زار فيينا لدراسة المخطوطات الشرقية فى المكتبة الإمبراطورية ، ومجموعة همر بورجشتل Hammer Purgstall بما تتضمن من المخطوطات الهامة ، وأمضى فى فيينا عامين (١٨٢٧ - ١٨٢٩) ، وأمضى للغرض نفسه ثلاثة أشهر فى ميونيخ ، وشهرين فى برلين وبعض الوقت فى مكتبة فلسنبوتل Walssenbuttel ويقال إنه أمضى خمسًا وعشرين سنة فى جمع مخطوطات كتاب «الفهرست» لابن النديم من مكتبات فيينا ، وباريس ، ولندن ، ولكنه توفى سنة ١٨٧٠ ، ولما يتم تحقيقه ، فتولاه مستشرقون آخرون من بعده .

وقد اقتضى هذا النشاط الاستشراقى فى التعامل مع مقتنيات المكتبات المختلفة اجتهادًا واسعًا فى تصنيف فهارس لعدة مكتبات فى الغرب والشرق كان من بينها ما قام به فلوجل من إعداد لفهرس المخطوطات العربية والفارسية والتركية والحبشية الموجودة فى مكتبة القصر والدولة فى ميونيخ .

كذلك كُلِّف فلوجل بعمل فهرس للمخطوطات الشرقية الموجودة فى المكتبة الإمبراطورية بفيينا ، فأتم هذا الفهرست خلال أشهر الصيف فى السنوات ١٨٥١ ، ١٨٥٢ ، ١٨٥٤ .

وفيما يتعلق بنشر الكتب فقد كان فى ألمانيا على عهد فلوجل عدد من المطابع التى اهتمت بنشر الأعمال الشرقية ، وقد أسهم فلوجل فى هذا المجال فنشر طبعة وافية للنص العربى للقرآن : Corani textus arabicis وقد طبع طبعة أولى فى حجم الربع ، وفقًا للنسخة التى أعدها فلوجل ، ليبتسك ١٨٣٤ ، ثم طبعة ثانية سنة ١٨٤٢ ، ثم طبعة ثالثة سنة ١٨٥٨ عند الناشر توختنس Tauchnitz ، وقد صارت هذه الطبعة هى المعتمدة عند المستشرقين منذ ذلك الوقت ، على الأقل فيما يتصل بترقيم آيات القرآن الكريم .

وقد سبق فلوجل إلى طبع القرآن عدد من الناشرين فى أنحاء أوربا ، ويذكر المؤرخون أن أول طبعة للقرآن فى نصه العربى هى تلك التى تمت فى البندقية فى بداية القرن السادس عشر ، ولكن جميع النسخ التي طبعت آنئذ أحرقت بسبب التعصب ضد الإسلام ، ويقال إنها كانت طبعة كاملة لكل القرآن ، ولم يعثر لها على أثر حتى الآن .

وقد توالت بعد ذلك طبعات عديدة للقرآن وصفها بالتفصيل عبد الرحمن بدوى مبينًا أن طبعة فلوجل للقرآن تفوق تلك الطبعات كلها ، كما أنها صارت بعد ذلك عمدة الطبعات الأوربية ، ومرجع الباحثين جميعًا هناك بعد أن تكرر طبعها ، وقد كتب المحقق عنوانًا لها باللاتينية ترجمته : «القرآن ، النص العربى وفقا للمخطوطات والمطبوعات وبحسب قراءة أفضل المفسرين ، حققه وزوده بفهرس للثلاثين جزءا وللمائة وأربع عشرة سورة : جوستاف فلوجل ، دكتور فى الفلسفة ، وماجستير للفنون الحرة ، وأستاذ أفراني ، وعضو الجمعية الآسيوية بباريس ، وعضو شرف فى جمعية ليبتسك » وهذه الطبعة من إخراج كارل توختنس الناشر الأول لهذا النص .

وقد وصفت هذه الطبعة التى لم يتح لى الاطلاع عليها بأنها تبدأ النص العربى بصفحة بيضاء ، ويأتى العنوان العربى فى الصفحة الثانية ، أما الصفحة الثالثة فهى بيضاء أيضًا ، والصفحة الرابعة فيها الفاتحة ، وهذه الصفحات غير مرقومة ، وإنما يبدأ الترقيم مع سورة البقرة ويستمر حتى صفحة ٣٤١ .

وفى المجلة الأسبوعية Journal Asiatique, 2, p. 117 يجد القارئ وصفًا مفصلاً لهذه الطبعة وعدد النسخ التى بيعت منها ، وربما كان فى تعدد الطبعات التى أشرنا إليها ما يدل على إقبال القراء والباحثين وتقديرهم لجهود فلوجل فى هذا الصدد .

ومن الطريف أن طبعة فلوجل التى أشرنا إليها والتى ذاع صيتها بين الباحثين قد سطا عليها بكل جرأة زميل جامعى له هو دكتور فى الفلسفة وأستاذ مساعد فى جامعة ليبتسك ، وقد تم الطبع عند الناشر الأول نفسه بعد الطبعة الأولى بثلاث سنوات ، وفلوجل حى يسعى ، مع أن العنوان المذكور فى الطبعة الأولى صريح فى الإشارة إلى جهد فلوجل فى إعدادها .

ويعجب المؤرخون من أن هذه الطبعة المسروقة ، تطبع لدى نفس الناشر ، ولعدة سنوات بعد ذلك هى ١٨٥٥ ، ١٨٦٧ ، ١٨٧٠ ، وكأن الناشر وقراءه لم يعترفوا بجهد فلوجل فى إعداد النص ، أو كأنهم شعروا أن هذا ملك للجميع ، فليس لأحد أن يستأثر بحق نشره باسمه الخاص مهما يكن جهده فى إعداده .

ولم يجد فلوجل وسيلة للاحتجاج على هذه السرقة البشعة سوى أن يعبر عن غضبه كتابة فى مقدمة الجزء الثانى من نشره لكتاب : «كشف الظنون» لحاجى خليفة ص(IX-X ، وهو الكتاب الذي طبع على حساب لجنة الترجمة الشرقية Oriental translation Committee سنة ١٨٣٥ .

وقد اعتمد فلوجل فى إخراج هذا النص القيم لحاجي خليفة كما يصفه د . عبدالرحمن بدوى على تحقيق النص وترجمته إلى اللاتينية فى أسفل الصفحات ، وهو فهرس عظيم أورد فيه المؤلف عناوين خمسة عشر ألف كتاب عربى وفارسى وتركى ، لكن الغالبية العظمى منها كتب عربية ، وربما كان فى وفرة هذه الكتب ما يدل على سذاجة الدعوى التى تزعم أن الكتب العربية قد دمرها التتار فى تخريبهم لبغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ ، فبغداد لم تكن تحتوى على كل الكتب العربية جميعها ، بل كان كثير منها لايزال محفوظًا فى سائر الأمصار الإسلامية مثل : مصر ، وإيران ، والمغرب ، وبلاد الشام .

وقد راجع فلوجل فى سبيل إعداد نشرته الجيدة هذه عددًا من المخطوطات من فيينا وباريس وبرلين ، واستعان بفهارس المخطوطات ، واطلع على المراجع من أجل تحقيق عناوين الكتب ، وقد خرجت الطبعة فى سبع مجلدات ، ست منها تتضمن النص والترجمة اللاتينية ، والمجلد السابع يتضمن فهرسًا شاملاً جامعًا لأسماء المؤلفين وعناوين الكتب المذكورة ، وأضاف فلوجل إلى هذه الفهارس شرحًا وافرًا يتضمن اختلافات النسخ وتصحيحات وتعليقات ، وقدم ضميمة تشتمل على فهارس ست وعشرين مكتبة عامة فى استانبول ودمشق والقاهرة وحلب ، وتحتوى على قرابة أربعة وعشرين ألف عنوان لمخطوطات دون وصفها .

وإذا كان فلوجل قد جعل مناسبة الاحتجاج على من سرق طبعته الأولى للقرآن هى تقديمه لكتاب حاجى خليفة ، كما قدمنا ، فإنه لم ينس أنه أعد هذه الطبعة لغرض يراه علميًا ومهمًا لأنه يعين الباحثين على تعرف مواقع آيات القرآن الكريم فى السور المختلفة يعنى بذلك نشر فهرس للقرآن الكريم هو : Concordantiae corani arabicae فى حجم الربع (ليبستك ١٨٤٢) ، وهذا الكتاب هو أول فهرس أعد لألفاظ القرآن لكريم ، وقد اعتمد عليه جميع الذين أعدوا فهارس لألفاظ القرآن الكريم فيما بعد فى جميع البلاد العربية والإسلامية ، وكان على العالم العربى أن ينتظر قرنًا كاملاً حتى تظهر النسخة العربية لمعجم يفهرس لألفاظ القرآن وهو كتاب «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن» لمحمد فؤاد عبد الباقى .

ولقد أسدى فلوجل بهذا الفهرس للقرآن خدمة جليلة للجميع سواء فى ذلك الباحثين وعامة الناس ، غير أن فهرس فلوجل الذى يحمل عنوانًا عربيًا إلى جانب العنوان اللاتينى السابق هو كتاب «نجوم الفرقان فى أطراف القرآن» والذى يعد أول عمل فى أوربا فى هذا الموضوع مسبوق بكتاب آخر يعد أقدم فهرس مطبوع للقرآن على الإطلاق وهو كتاب «نجوم الفرقان» تصنيف مصطفى بن محمد ، وقد طبع فى كلكتا سنة ١٨١١ فى حجم الربع فى ٧ + ٣١٣ صفحة ، وله مقدمة بالفارسية ، وقد أعيد طبعه فى مدراس بالهند سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥) فى حجم الثمن فى ٢٦٤ صفحة ـ طبع حجر ، مع ترجمة عربية للمقدمة الفارسية ، ومعجم معان عربى ـ هندوستانى ، وأعيد طبعه بعد ذلك عدة مرات .

والواضح أن فلوجل قد اطلع على الكتاب الهندى بدليل تشابه العنوانين ، فعنوان كتاب فلوجل «نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » ، وعنوان الكتاب الهندى هو «نجوم الفرقان» أيضًا ؛ وبذلك تكون فكرة وضع الكتاب إسلامية فى أصلها ولم أطلع على ما يفيد اعتراف فلوجل بهذه الحقيقة ، ومع ذلك فاز فلوجل بالفضل كله فى تاريخ الدراسات الإسلامية فى هذا المجال ، على الرغم من أنه مسبوق بالمؤلف الهندى .

وهنالك مؤلفات أخرى حديثة العهد لمؤلفين مسلمين آخرين أشار إليها منصور فهمى ، مثل كتاب : «مفتاح كنوز القرآن» من وضع ميرزا محمد كاظم الذى يصف كتابه بأنه : فهرس كامل للقرآن يحتوى على كل الألفاظ وعبارات النصوص التى ترشد المستشرقين فى أبحاثهم عن الدين والتشريع والتاريخ والأدب الموجودة بهذا الكتاب ـ أى القرآن الكريم ـ مرتبة بحسب ترتيب حروف الهجاء العربية ، وقد طبع فى سان بطرسبرج سنة ١٨٥٩ وقد كان ميرزا كاظم أستاذًا فى جامعة سان بطرسبرج ، والكتاب مطبوع طبع حجر وله مقدمة بالفارسية فى ١٠ صفحات .

ولمنير بن عبده أغا الدمشقى المولود سنة ١٩٤٨ كتاب فى «إرشاد الراغبين فى الكشف عن أى القرآن» ، وهو فهرس لألفاظ القرآن على النمط الذى سبقت الإشارة إليه ، وقد ذكره الزركلى فى أعلامه .

أما أهم المؤلفات على الإطلاق فى فهرسة ألفاظ القرآن الكريم فى العالم العربى ، فهو الكتاب الذى أعد بعناية محمد فؤاد عبد الباقى كما سبقت الإشارة ، بعد أن راجع ما ألف الذين سبقوا بجهد مشكور فى إعداد فهارس القرآن والحديث ، فأفاد من عملهم ، ثم استدرك على ما فاتهم وجرى على أسلوب من التأليف هدته إليه التجربة والدرس ، فجاء كتابه محققًا لغرض التيسير على الباحثين ، كما ورد فى تقديم الكتاب بقلم منصور فهمى ، وذلك على الرغم من إشارة عبد الرحمن بدوى غير المناسبة ـ وربما نقوم غير اللائقة ـ في وصف هذا الفهرس مقارنة بكتاب فلوجل ، حيث قرر أن كل ما عمل من فهارس بعد فلوجل عيال عليه ، وأن أعمالهم لاتصل إلى درجته من الدقة ، وأن محمد فؤاد عبد الباقى قد اعتمد عليه اعتمادًا تامًا : «وفى فهرس فلوجل كلمات ومواد لاترد فى فهرس عبد الباقى هذا ، رغم ادعاءات عبد الباقى»! .

وفى العدد الثالث من مجلة تراثيات (يناير ٢٠٠٤) التى يصدرها مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة يجد القارئ مقالاً منصفًا بقلم الأستاذ مصطفى موسى عن محمد فؤاد عبد الباقى يعرف بالرجل وآثاره ، ومنها المعجم المشار إليه ، ويبين منهجه الألفبائى ، وبحسب جذور الألفاظ ، ويشير إلي اعتراف عبد الباقى بفضل فلوجل إذ يقول صراحة : «وإذا كان خير ما ألف ، وأكثره استيعابًا فى هذا الفن دون منازع ، ولا معارض هو كتاب «نجوم الفرقان فى أطراف القرآن» لمؤلفه المستشرق فلوجل الألمانى الذى طبع لأول مرة سنة ١٨٤٢ ، فقد اعتضدت به ، وجعلته أساسًا لمعجمى» .

والفرق بين الطبعتين من جهة ترقيم الآيات فى السور كما يوضح عبد الباقى هو أن فلوجل إنما اعتمد فى أرقامه التى يسوقها أمام اللفظة على مصحفه الذى طبعه خصيصًا لهذا العمل كما سبقت الإشارة . كما أن عدد آياته لم يكن مستندًا إلى علم وثيق ولذلك وقع اختلاف عظيم فى ألوف المواضع بين مصحف فلوجل ، ومصحف الملك أى الطبعة التى اعتمد عليها عبد الباقى ، و«وقد لقيت العناء المعنى والنصب المنصب مع رد رقم آيات مصحف فلوجل إلى رقم آيات مصحف الملك» .

وإذا كان هذا ما يقرره عبد الباقى تواضعًا واعترافًا بفضل فلوجل الذى سبقه إلى هذا العمل ، فلماذا لانعود ابتداء بالفضل لأهله ، ونقر بالسبق الأول فى هذا المجال لمصطفى

ابن محمد صاحب «نجوم الفرقان» المطبوع فى كلكتا سنة ١٨١١ ؛ فقد سبق فلوجل فى إعداد فهرس كامل للقرآن ، أعيد طبعه عدة مرات ، وهو الذى نقل عنه فلوجل الفكرة والعنوان بعد ما يقرب من ثلاثين عاما؟ .

جوستاف فليجل
وتحقيق كتاب الفهرست لابن النديم

أ.د.محمد عونى عبدالرءوف

مستشرق ألمانى ، ولد عام ١٨٠٢ فى باوتسن Bautzen بإقليم سكسون ، ودرس اللغات الشرقية بجامعة ليبزج (١٨٢١-١٨٢٤) متخصصًا فى دراسة اللاهوت والفلسفة على الأستاذ كروج Krag ، وفى اللغات الشرقية على الأستاذ روزن ميللر Rosen Müller ، وفنر Wener وفنتسر Winzer . ثم اتجه إلى فيينا لدراسة المخطوطات الشرقية فى المكتبة الإمبراطورية ، ومجموعة همر - بورجشتال Hammer-Purgstall من المخطوطات ، وأمضى بها عامين (١٨٢٧-١٨٢٩) ، كما قام بزيارة ميونخ مدة ثلاثة أشهر ، وبرلين مدة شهرين ، وزار مكتبة ڤلسنبوتل Walssenbüttel بالقرب من براونشفيج ، وتنقل فى مكتبات هانوفر ، وجوتنجن ، وكاسل وفرانكفورت . وفى سنة ١٨٢٩ رحل إلى باريس فسمع دروس اللغة العربية واللغة الفارسية فى الكوليج دى فرانس ، ومدرسة اللغات الشرقية على سلفستر دى ساسى De Sacy واطلع على المخطوطات الموجودة فى المكتبة الوطنية .

ثم عاد إلى سكسون بألمانيا عام ١٨٣٠ ، وأقام بمدينة درسدن ، وفى سنة ١٨٣٢ عين أستاذًا فى كلية مايسن الملكية Fürstenschule saint-Afra ، لكنه زار باريس ثانية عام ١٨٣٩ وأقام بها عدة أشهر ليقارن بعض المخطوطات بالمكتبة الوطنية ، وفى عودته عن طريق سويسرا زار ميونخ قبل أن يعود إلى درسدن .

وكثرت رحلاته بعد ذلك ، فسافر إلى فيينا عام ١٨٤٠ ، كما قام برحلة طويلة إلى ميونخ وزلتسبورج وفيينا عام ١٨٥٠ ، بعد أن اضطر إلى الاستقالة من منصبه فى كلية مايسن ، نظرًا لمرضه . وأقام بالنمسا مدة عند المستشرق فون همر- بورجشتال بقصره فى هاينفلد Hainfeld . وشغل بتكليف لعمل فهرس للمخطوطات الشرقية الموجودة فى المكتبة الإمبراطورية بفيينا ، فأتمها خلال أشهر صيف الأعوام ١٨٥١ ، ١٨٥٢ ، ١٨٥٤ ، وعاد بعد ذلك إلى مايسن ، ولم يلبث أن غادرها إلى درسدن عام ١٨٥٥ ، وبقى بها حتى توفى عام ١٨٧٠ .

آثاره : (ما يتصل منها بالفهرست وتحقيق النصوص فقط)

- نشر مؤنس الوحيد للثعالبى متنًا وترجمة ألمانية ، مع مقدمة لهمر- بورجشتال (فيينا) ، ١٨٢٩ .

-Der vertraute Gefährte des Einsamen von abu Manssur Ette^calebi aus Nisabur (1829)

- نشر كتاب كشف الظنون لحاجى خليفة ، متنًا وترجمة لاتينية ، مع فهارس وملاحق فى سبعة مجلدات ، قضى فيه ثلاثة عشر عامًا بين دراسة ورحلات إلى أشهر مكتبات أوربا (ليبزج ، ولندن ١٨٣٥ ، ١٨٥٨)

-Lexicon bibliograhicum et enezclopaedicujm a Mustapha ben Abdallah Katib Jelbi dicto et nomine Haji Khalifa, Leipzig-London 1835-1858.

- عن كتاب محمد بن إسحق «فهرست الغلوم» بمجلة المستشرقين الألمان ، عدد١٣ ، ص٥٥٩-٦٥٠ .

-Über Muhammad bin Ishaks Fihrist al-[c]ulum. In ZDMG 13, 559-650.

- طبقات الحنفية : فى جمعية الدراسات العلمية الملكية بسكسون (فلسفة وتاريخ) الجزء الثالث ، ليبزج (١٨١٦) .

-Die Classen der hanafitischen Rechtgelehrten.In : Abhandlungen der K. Sächs. Gesellschaft der Wissenschaften Phil-hist. Classe Bd. 3 Leipzig.

- مانى : تعاليمه وكتاباته . دراسة عن تاريخ المانوية ، من الفهرست ، ١٨٦٢ .

-Mani, seine Lehre und Seine Schiften. Ein Betrag zur Geschichte des Manichäismus. Aus dem Fihrist des Abu'l Faradsch Muhammad ben Ishakal- Warrak.

- المدارس النحوية عند العرب ، ١٨٦٢ .

-Die grammatischen Schulen der Araber, 1862.

- ابن قطلوبغا : تاج التراجم فى طبقات الحنفية ، مع فهرس بأسماء الرجال ، وتعليقات بالألمانية ، ليبزج ١٨٦٢)

-Ibn Kutlubuga Tag at taragim fi tabaqat al - Hanafiya 1862.

- بابك ، نسبه وأول ظهوره ، بمجلة المستشرقين الألمان ، العدد٢١ ، ص٥٣١-٥٤٢ .

-Babek, seine Abstammung und erstes Auftreten In ZDMG 21, 531-542.

- كتاب الفهرست لابن النديم مع التعليقات فى جزءين ، أكمله بعد موت فليجل يوهان ريدجر وأوجست ميللر ، ليبزج ١٨٧١ ، ثم ألحقا به ذيلاً فى ٢٧٩ صفحة تضمن التفاسير والتعليقات والاستدراكات بالعربية والألمانية ، وختماه بفهارس الأعلام (ليبزج ١٨٧٢) . وعثر المستشرقون على جزء ساقط منه فى ليدن ، ونشروه بمجلة المستشرقين الألمان (١٨٨٩) . وعن طبعة فليجل نشر فى القاهرة (١٩٣٠) ، ثم عثر ريتر فى مكتبة كوبريللى بالآستانة على المخطوطات التى اعتمد عليها فليجل للفهرست ، فوجدها من الدرجة الثالثة .

-Kitäb al-Fihrist mit Anmerkungen: Nach dessen Tod besorgt von Johannes Rödiger und August Müller. Leipzig 1871.

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

-Concordantiae Corani arbicae. Ad literarum ordinem et verborum radices diligenter disposuit Gustavus Flügel. 2 vols Lipsiae 1842-1898.

- بعض المخطوطات العربية والتركية غير المعروفة أو التى لايعرفها إلا عدد قليل من الدارسين ، مجلة المستشرقين الألمان ، عدد ١٤ ص٥٢٧-٥٤٦ .

-Einige bisher wenig oder gar nicht bekannte arabische und türkische Handschriften In ZDMG 14, 527-546.

- المخطوطات العربية والفارسية والتركية بالمكتبة القيصرية بفيينا ١٤٦٥-١٨٦٧ ، أعيد طبعها فى هيلدسهايم ، ١٩٧٧ .

-Die arabischen, persischen, unnd türkischen Handschriften der kaiserlich Königlichen Hofbibliothek zu Wien, 1856-1867, Reprint Hildesheim 1977.

أما بالنسبة لأعماله الكاملة التى تشتمل على تحقيق ودراسة وتعليق على ما كتبه الغير ، فقد بلغت أربعين عملاً ، ننقل ثبتًا لها من كتاب السيدة اريكا بير Erika Bär ، وعنوانه :

-Bibliographie zur Deutschsprachigen Islamwissenschaft und Semitistik, 3Bd.

ويهمنا أن نعرض هنا ما قام به فليجل من جهد لتحقيق كتاب الفهرست لابن النديم ، وأمضى سنوات فى البحث عن مخطوطات الكتاب وفى تدوين سيرة صاحبه .

وقد رجع الأستاذ جوستاف فليجل - حين تعرض للحديث عن ابن النديم فى مقدمة طبعته لكتاب الفهرست- إلى كل ما عرف عنه وعن عصره من كتب التراجم ، المطبوع منها والمخطوط . ولم يستطع من قام بتحقيق الكتاب بعده أن يضيف أى معلومة جديدة إلى ما استقصاه ، غير أننى وجدت لدى الأستاذ رضا - تجدد ، حين تعرض لوصف المخطوطتين اللتين رجع إليهما فى تحقيق الطبعة الإيرانية ، وهو يصف مخطوطة شستربيتى رقم ٣٣١٥ بدبلن (عاصمة ايرلنده) - وصفًا للورقة الأولى (صورة رقم ١) التى عليها وقف الكتاب «وعلى الهامش من اليمين مكتوب : مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن أبى يعقوب إسحق بن محمد بن إسحق الوراق المعروف بالنديم ، روى عن أبى سعيد السيرافى ، وأبى الفرج الأصفهانى ، وأبى عبدالله المرزبانى وآخرين ، ولم يروِ عنه أحد . وتوفى يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة ببغداد ومن اتهم بالتشيع . عفى الله عنه» . ويقول د . شعبان خليفة «إذن فاستنتاج أن الرجل كان شيعيًا أو معتزليًا هو استنتاج خاطئ من واقع نصوص الفهرست نفسه ، وطالما أن الرجل لم يقل صراحة ولا ضمنًا إنه كذلك فلاينبغى الزعم إطلاقًا بذلك .»

ومن ثم يمكننا أن نعرف أن ابن النديم تلمذ لهؤلاء أو نقل عنهم ، وهم من أعلام القرن الرابع الهجرى ، ونتعرف أيضًا نوعية دراساته وتعدد معارفه ؛ فأبو سعيد السيرافى (ت٣٦٨هـ) كان لغويًا نحويًا شرح كتاب سيبويه ، وله من الكتب : أخبار النحويين البصريين . والإقناع فى النحو ، وألفات الوصل والقطع ، وشرح مقصورة ابن دريد ، وصفة الشعر والبلاغة ، والوقف والابتداء . وأبو الفرج الأصفهانى هو صاحب كتاب الأغانى المشهور على بن الحسين بن محمد بن الهيثم القرشى (ت٣٥٦هـ) وله من المصنفات غير الأغانى : كتاب القيان ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة الأطباء ، وكتاب أخبار جحظة البرمكى ، ومقاتل الطالبيين ، وكتاب الحانات ، ونسب بنى شمس ، وأيام العرب ، والتعديل والإنصاف . وكان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار ، والأحاديث المسندة والنسب ، كما كان يحفظ من علوم اللغة والنحو والخرافات والسير والمنادمة ، وعلم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والأشربة ، وكان شاعرًا . أما المرزبانى فهو أبو عبدالله محمد بن عمران بن موسى المرزبانى (ت٣٨٤هـ) فهو صاحب التصانيف المشهورة والمجاميع الغريبة .

كما يَخرج د . شعبان خليفة فى كتابه «الفهرست/ دراسة ببلوجرافية» من سطور كتاب ابن النديم والشذرات المتناثرة به بأسماء عدد من تعلم عليهم ابن النديم وأخذ عنهم ، ويقول : «ويأتى على رأسهم إسماعيل الصفار الذى أجازه بالرواية عنه ، فيما يقول ابن حجر

العسقلانى . وكان الصفار عالمًا وحجة فى الحديث النبوى . ومن بينهم أبو الفرج الأصفهانى صاحب كتاب الأغانى الشهير ، وأبو إسحاق السيرافى الذى أخذ عنه علوم الشريعة والفقه ، وكان حجة فيه ، وأبو عبدالله المرزبانى ، وكان حجة فى التواريخ والأخبار» ص١٠ . ويشير الأستاذ إبراهيم الإبيارى فى مقالته بتراث الإنسانية مجلد ٣ ع١ ، ص١٩٣-٢٠٩ إلى أنه من بين معلمى ابن النديم ، الحسن بن سوار الذى كان حجة فى علم المنطق ، وترجم عددًا من الكتب العلمية ، وأبو أحمد الحسن بن اسحاق بن الكرنيبى الذى كان عالمًا فى الطبيعيات والإلهيات ، ويونس القاضى الذى كان عالمًا فى الرياضيات ، وله فيها كتب مترجمة ، وأبو الحسن محمد بن يوسف النقيط الذى كان حجة فى اليونانيات .

ومن هذا كله يمكن أن نعرف الخلفية الثقافية عند ابن النديم ، والمعارف التى قد يكون اكتسبها من هؤلاء الرجال الثقات .

ونحن لا ننسى أن نشير إلى أن القرن الرابع كله الذى عاش ابن النديم فى أخرياته انتشرت فيه الحركات العلمية والأدبية التى ظهرت فى كل إقليم ، وكثر فيه الرجال المشهورون فى كل علم وفن ، ولعل ذلك نتيجة للعناصر المختلفة التى دخلت الإسلام ، ولانتشار المذاهب الدينية ، ونتيجة لتعدد مراكز الحياة العقلية بعد انقسام الدولة ، وتعدد المظاهر الاجتماعية والسياسية . فهو قرن ارتفعت فيه الإنسانية وأشرقت حين أقبل المسلمون على العلوم والفنون والآداب . ولو رجعنا إلى ما كتبه أستاذنا أحمد أمين فى الأجزاء الأربعة من «ظهر الإسلام» ، وراجعنا ما ذكره عن هذا القرن فى كل العلوم والفنون ، وعن مشاهير رجاله الذى نجده أيضًا منصوص على أعلامه بفهرس كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان بالجزء السادس (٣١٩-٣٢٤) طبعة مكتبة النهضة المصرية عام ١٩٤٨ ، لتبينا حجم المعارف التى نشطت بهذا القرن .

وقد حرص ابن النديم على تسجيل الحركة الثقافية والعلمية عند العرب فى القرون الإسلامية وبخاصة فى هذا القرن الرابع .

يقول الأستاذ أحمد أمين فى الجزء الأول من كتابه «ظهر الإسلام» مطبعة خلف ، ١٩٥٨ ، ص٣٤٤ : «ومن خير ما أخرجته بغداد فى هذا العصر ابن النديم ، وهو محمد بن إسحاق النديم - كان وراقًا ، وكان عالمًا ، فاستخدم علمه وصناعته فى ناحية لم نعرف أن التفت إليها أحد قبله ، وهى أن يحصى جميع الكتب العربية المنقولة من الأمم المختلفة ، والمؤلفة فى جميع أنواع العلوم ، ويصفها ويبين مترجميها أو مؤلفيها ، ويذكر طرفًا من تاريخ

حياتهم ، ويعين تاريخ وفاتهم ، فكان الكتاب على هذا النمط أجمع كتاب لإحصاء ما ألّف الناس إلى قريب من نهاية القرن الرابع ، وأشمل وثيقة تبين ما وصل إليه المسلمون فى حياتهم العقلية والعلمية فى ذلك العصر ، وأكثر هذه الكتب التى وصفها قد ضاعت بتوالى النكبات المختلفة على المملكة الإسلامية ، ولاسيما فى غزو التتار لبغداد ، ولولا كتاب الفهرست لضاعت أسماؤها وأوصافها أيضًا ، كما ضاعت معالمها» .

وهو يعلق على ما يجده من جهد محمود فى كتاب الفهرست بقوله : «والناظر فى كتاب الفهرست يعجب لهذا النشاط العلمى الذى قام به المسلمون فى هذه العصور ، وكثرة المؤلفين والمترجمين فى جميع نواحى العلم ، كما يعجب بسعة اطلاع ابن النديم وحبه للوقوف على كل شىء ، وحتى فى أدق مسائل الأديان المختلفة ، والمذاهب المتنوعة ، ويستقصى البحث عن أحوال الصين والهند ، كما يستقصى البحث عن الشام والعراق ، وهو فى كل ذلك يقابل أصحاب النحل المختلفة ، ويسائلهم ويدقق فى أخبارهم ، ثم يدوّن ما يصل إليه علمه» . أما عن أسلوب ابن النديم فى الكتابة فهو يلاحظ أيضًا :

«وأسلوبه فى كتابته أسلوب موجز يكره اللغو والمقدمات ، ويحب أن يهجم على موضوعه من غير مواربة ، ولا تمهيد ، حتى لاتستطيع أن تحذف جملة لأن معناها مكرر أو عبارتها مترادفة ، ثم هو يتحرى الصدق ، يميز بين ما رأى ، وما لم ير ، وينقل ذلك إلى القارىء فى أمانة» .

وقد أورد دكتور شعبان خليفة فى كتابه عدة إحصائيات ننقل منها : «بلغ عدد الكتب التى حصرها ابن النديم فى الفهرست نحو ثمانية آلاف وخمسمائة (٨٣٦٠ عنوانًا على الدقة) أما عدد المؤلفين فيدور حول ألفى مؤلف (٢٢٣٨ على وجه الدقة) منها اثنتان وعشرون مؤلفة أنثى بنسبة ٠,٩٨٪ فقط ، بما يكشف عن أن مجال التأليف عند المسلمين كان مجال الذكور بالدرجة الأولى . . . فقد دارت الكتب المترجمة (النقولات حول ٦٣٢ كتابًا بنسبة تقترب من ٧٥٥٪ ، دار عددهم (أى عدد المترجمين) حول ٦٥ مترجمًا ، منهم حوالى ٤٥ مترجمًا ينقل من عدة لغات (فارسى - يونانى - سريانى - قبطى) ، و١٥ ينقلون فقط من الفارسى إلى العربى ، منهم خمس ينقلون من الهندية» ص٤٠ .

وقد كان فليجل على وعى تام بما يقدمه الفهرست من معلومات ، فهو يقول بالمقدمة : «والفهرست يعطى شهادة كاملة عن كل ما نعانى من فقده ، فهو مختلف فروع العلم ، دون استثناء حتى عصره . وإذا اعتبرنا كل المجالات العلمية التى عرضها فى كتابه مقارنة بما بقى

منها فيما وصل إلينا ، فما هى يا ترى نسبة ما بقى إلى ما فقد؟ إن مثل هذه المقارنة وإن كانت تحزننا كثيرًا ، إلا أنها تجعلنا نستطيع أن نتبين النشاط العلمى الذى تميز به العرب منذ القرن الأول الهجرى ، على الرغم من أننا نقدر هذا الشعب حق قدره الآن ، فإننا من الممكن أن نجد سببًا كافيًا لتعظيم تقديرنا له أكثر مما نفعل . .»

ولم يكن هذا هو رأى فليجل وحده ، بل كان رأى معظم المستشرقين منذ أن عرف الاستشراق ، وبخاصة اعتبارًا من القرن السابع عشر الميلادى . ولو اطلعنا على آثار هؤلاء المستشرقين فى الكتب التى تترجم لهم ، لوجدنا معظمهم حقق مخطوطة أو أكثر من مخطوطات التراث العربى ، ولوجدنا أن الطبعات الأولى من أمهات كتب التراث العربى من تحقيق هؤلاء المستشرقين .

ويهمنا أن نُعرِّف بتلميذيه اللذين أتما عمله فى نشر الفهرست بعد وفاته .

١- أوجست ميللر (١٨٤٨-١٨٩٢) .Müller, Aug

ابن الشاعر الألمانى فيلهلم ميللر . ولد فى ديساو ، ودرس اللغات الشرقية على فلايشرFleischer فى ليبزج . وبعد تخرجه من الجامعة رحل إلى برلين وباريس وانجلترا طلبًا للمزيد من العلم . ثم ذهب إلى فيينا حيث عين بجامعتها لتدريس اللغة العربية ، وتسمى باسم امرئ القيس بن الطحان . وأسس مجلة دورية بعنوان المكتبة الشرقية .

وهو أحد المستشرقين العظماء إلى جوار نلدكه Nöldeke ، وفيلهاوزنWellhausen وزاخاو Sachau الذين نهضوا بالدراسات الشرقية بالجامعات الألمانية ، بالثلث الأخير من القرن التاسع عشر . وعلى الرغم من أنه أعد إعدادًا جيدًا فى الدراسات النحوية لدى فلايشر . فإنه استغل معرفته اللغوية الواسعة فى الدراسات التاريخية ، ثم عاد إلى دراسة الشعر العربى الذى كان موضوع رسالته للحصول على درجة الدكتوراه ، إذ كانت على معلقة امرئ القيس عام ١٨٦٩ .

من آثاره :

- معلقة امرئ القيس مع تعليقات وشروح بالألمانية (هاللى ، ١٨٦٣) .

-Imru' ulkaisi mu^{c}allaka eommentario critico illustrata edidit August Müller.Phil. Diss. Halle 1863.

- إصدار كتاب الفهرست مع التعليقات ، بعد موت فليجل ، مشاركة مع يوهانس ريديجر . جزءان (ليبزج ١٨٧١/١٨٧٢)

-Kitāb al-Fihrist. Mit Anmerkungen hrsg. von Gustav Flügel. Nach dessen Tod besorgt von Johannes Rödiger u. August Müller. 2 Bde. Leipzig, 1971/1972.

- الفلاسفة اليونانيون فى الترجمات العربية (منوعات برناردى ١٨٧٢)

-Die griechischen Philosophen in der arabischen überlieferung.

- الفهرس العربى لكتاب أرسطو (الكتاب التذكارى للأستاذ هـ . ل . فلايشر ، ج١ ، ص٣٢) ليبزج ، ١٨٧٥ .

-Das arabische Verzeichnis der aristotelischen Schriften. In FS H . L. Fleischer, 1-32 Leipzig 1875.

- فهرس المخطوطات الشرقية بمكتبة بيت الأيتام فى مدينة هاللى من فريدريش أوجست ، وأوجست ميللر (هاللى ١٨٧٦)

-Verzeichnis der orientalischen Handschriften der Bibliothek des halleschen Waisenhauses von Fr. August Arnold u. August Müller. Halle, 1876.

- المصادر العربية عن تاريخ الطب الهندى ، مجلة جمعية المستشرقين الألمان ، عدد ٣٤ ، ص٤٦٥-٥٥٦ (١٨٨٠) .

-Arabisch Quellen zur Geschichte der indischen Medizin. In ZDMG 34, 456-556, 1880.

- نشر «عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» لابن أبى أصيبعة ثلاثة أجزاء ، (كينجزبرج ١٨٨٢-١٨٨٤) .

-Hrsg. Ibn Abi Usaibi^c^a, Kitàb ^c^uyūn al-anbā' fi ṭabaqāt, al-atibbā' 1-111 Bände, Kairo- Königsberg, 1882-1884.

- دراسة النص واللغة عند ابن أبى أصيبعة فى كتابه عن تاريخ الأطباء (فى تقارير اجتماعات الأكاديمية الباڤارية للعلوم بميونخ) ، ١٨٨٤ (ص٨٥٣-٩١٧)

-Über Text und sprachgebrauch von Ibn Abi Uṣeibi^c^as Geschichte der Ärzte. In SBBAW. (1884) 853-977.

- فهرس المخطوطات العربية بمكتبة ولى العهد بالقاهرة . مجلة المستشرقين الألمان . عدد ٣٩ ، ص٦٧٤-٧٠٣ (١٨٨٥)

-Der Katalog der arabischen Handschriften der viceköniglichen Bibliothek zu Kairo. In ZDMG 39, 674-703 (1885)

- الفهرس العربى لابن القفطى (منوعات فلايشر ١٨٦٥)

-Der arabische Katalog von Ibn al-Qifṭī (1865).

- تاريخ الحكماء لجمال الدين أبى الحسن بن يوسف القفطى (لم يتمه ونشره ليبرت عام ١٩٠٣ بليبزج

-Tarih al-ḥukama' von Abul-Hasan cAli b. Yusuf al-Qifṭī. Auf Grund der vor-arbeiten von August Müller herausgegeben von J. Lippert. Leipzig 1903.

٢- يوهانس ريديجر Johannes Rödiger (١٨٤٥-١٩٣٠)

ولد بمدينة هاللى/ سالى ١٥/١٠/١٩٤٥ . وهو ابن إميل ريديجر ، درس اللغات الشرقية وفقه اللغات الكلاسيكية (يونانى ولاتينى) بجامعة برلين وليبزج وهاللى ، حصل على درجة الدكتوراه من جامعة هاللى عام ١٨٦٩ ، وكان عنوان رسالته De nominbus verborum arabicis (بحث عن مصادر الفعل العربى) .

وقد شغل المناصب الآتية :

- عين عام ١٨٧٠ مساعد أمين مكتبة جامعة ليبزج .

- وفى عام ١٨٧٢ أمين مكتبة جامعة برسلاو .

- وفى عام ١٨٧٦ كبير أمناء مكتبة جامعة كينجزبرج .

- وفى عام ١٨٨٧-١٩٢٠ مدير مكتبة جامعة ماربورج .

ولا يذكر له من الأعمال العلمية أو نشرها إلا المشاركة فى إكمال تحقيق كتاب الفهرست لابن النديم بعد موت جوستاف فيلجل .

إلا أنه أيضًا :

- نشر قطعة من كتاب الشعر للشيرازى برواية ابن جنى (هاللى ١٨٦٩)

- صنف كتابًا فى أسماء الأفعال (هاللى١٨٧٠) .

- كتب دراسة عن ابن سيرين (المجلة الشرقية الألمانية ٥٢٨/١٠)

- ألحق بكتاب الفهرست لابن النديم (مع زميله أوجست ميللر) ذيلاً فى ٢٧٩ صفحة (ليبزج، ١٨٧٢) .

- راجع بعض فصول ترجمة التوراة إلى العربية (طبعة الجامعة الأمريكية فى بيروت) .

مخطوطات الفهرست :

ورد لدى دكتور شعبان خليفة ، والأستاذ وليد محمد العوزة فى كتابهما «الفهرست لابن النديم/ دراسة بيوجرافية ، ببلوجرافية/ ببلومترية/ وتحقيق/ ونشر» بالمجلد الأول الصادر عن دار العربى للنشر والتوزيع ، عام ١٩٩١ ، ص٢١-٢٧ أنه لاتوجد مخطوطة كاملة للفهرست فى أى مكان ، وإنما توجد أجزاء من المخطوطة فى مناطق متفرقة من العالم ، وتتوزع قطع مخطوطات الكتاب على ثلاثة عشر مكانًا بالعالم وهى كالتالى :

١- مخطوطة شستربيتى وتحمل رقم ٣٣١٥ فى مكتبة شستربيتى فى دبلن بأيرلندا ، وهى تضم نصف الكتاب ، وعليها تمليكة للمؤرخ العربى أحمد بن على المقريزى ، ووقفًا لأحمد باشا الجزار على مدرسة النور الأحمدية بجامعه فى مدينة عكا . وكانت المخطوطة كاملة آنذاك ، ثم استقر نصفها الأول بشستربيتى .

٢- مخطوطة شديد (شهيد) على باشا ، وتحمل رقم ١٩٣٤ بالمكتبة السليمانية باستانبول ، وهى النصف الثانى من المخطوطة التى كان يمتلكها المؤرخ العربى أحمد بن على المقريزى ، بالرغم من وجود من يعارض فى ذلك ، ويجعل النصف الأول الموجود بشستربيتى أقدم منها .

٣- مخطوطة كوبريللى الأولى ، وتحمل رقم ١١٣٥ فى مكتبة كوبرللى باستانبول . وتشمل على الفن الأول من المقالة الأولى ، إضافة إلى المقالات الأربع الأخيرة من السابعة وحتى العاشرة .

٤- مخطوطة كوبريللى الثانية ، وهى بنفس المكتبة ، وتحمل رقم ١١٣٤ ، وهى قسمان الأول نسخة من الفن الأول من المقالة الأولى مأخوذة عن المخطوطة الأولى (كوبريللى ١١٣٥) ، والثانى يمثل معظم مخطوطة المكتبة السليمانية (١٩٣٤) .

٥- مخطوطة تونك : وهى فى مكتبة خانقاه السعيدية بمدينة تونك فى راجستان بالهند ، وهى قطعة صغيرة من الفهرست .

٦- مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس رقم ٤٤٥٧ ، ضمن المجموعة العربية بالمكتبة الأهلية ، وتشتمل على الجزء الأول من الكتاب ، ومؤرخه سنة ٦٢٧هـ (١٢٢٩-١٢٣٠) . وهى ما يطلق عليها فليجل «مخطوطة باريس القديمة» وقد وصفها بمقدمته .

٧- مخطوطة المكتبة الأهلية بباريس رقم ٤٤٥٨ : وهى ضمن المجموعة العربية بالمكتبة أيضًا ، وتبدأ بالمقالة الخامسة - الفن الخامس ، وتنتهى بالمقالة العاشرة ، أى نهاية الكتاب . وقد عورضت وصححت بواسطة الناسخ أحمد المصرى ، وتاريخ نسخها ١٨٤٦م بإشراف الأستاذ دى سلان De Slane وقد وصفها فيلجل أيضًا ، وأسماها نسخة باريس الجديدة ar nr 1400 .

٨- مخطوطة فيينا رقم ٣٣ : توجد ضمن مجموعة مخطوطات همر- بورجشتال وتشتمل على قطعة من المقالة الخامسة وحتى نهاية الكتاب . وقد رجع إليها فليجل .

٩- مخطوطة فيينا رقم ٣٤ : وهى أيضًا من مجموعة مخطوطات همر- بورجشتال ، وهى تضم جزءاً من المقالة الأولى ، وجانبًا من المقالة السابعة ، والمقالات الثلاثة الأخيرة ، هى عند فليجل «مخطوطة فيينا الثالثة» .

١٠- مخطوطة ليدن ٢٠ : تضم المقالات من السابعة وحتى العاشرة ، ولكنها غير مترابطة فى كثير من أجزائها ، جلبها جوليوس Golius من الشرق إلى أوربا ، ولايعرف عنها شىء . وقد تحدث عنها فليجل بالمقدمة .

١١- مخطوطة ليدن ٢١ : وهى مجموعة من الأوراق غير منتظمة من الكتاب . وهى قليلة الأهمية ، ولايمكن أن يعوّل عليها فى تحقيق الفهرست ، ذكرها فليجل أيضًا .

١٢- مخطوطة طنجة : مخطوطة حديثة لم تعارض ولم يسجل فيها اسم الناسخ ولا سنة النسخ . اعتبرها المحققون غير ذات أهمية ، كتب عنها بمجلة المخطوطات العربية .

١٣- مخطوطة أحمد باشا تيمور : هى قطعة صغيرة من كتاب الفهرست من أول المقالة الخامسة ، وتنتهى بشيطان الطاق ، وقد نشرت كاستدراك على طبعة فليجل فى المجلة الألمانية ، مجلة أنباء البلاد الشرقية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩ .

١٤- نسخة من مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، تحت رقم ٤٨٨ .

١٥- نسخة من مكتبة تطوان ، فى المغرب الأقصى .

١٦- نسخة فى مكتبة وزارة الأوقاف العراقية فى بغداد ، تحت رقم ٧٨٤ .

وبعد هذا العرض نتبين أن فليجل رجع إلى ست مخطوطات للفهرست ، ولم يكن ينقصه إلا المخطوطتان الأوليان : مخطوطة شستربيتى رقم ٣٣١٥ بدبلن ، ومخطوطة شهيد على باشا رقم ١٩٣٤ بمكتبة السليمانية باستانبول ، وهما المخطوطتان اللتان رجع إليهما رضا - تجدد فى تحقيقه لكتاب الفهرست بإيران ، واعتمد عليهما ، كما اعتمد على طبعة فليجل وطبعة مصر . وقد قام بوصفهما أيضًا وصفًا جيدًا . ولعل أهم ما جاء فى وصف مخطوطة شستربيتى عنده ما ذكره عما كتب على هامش ورقة العنوان «مؤلف هذا الكتاب أبو الفرج محمد بن يعقوب اسحق بن محمد بن إسحق الوراق المعروف بالنديم ، روى عن أبى سعيد السيرافى ، وأبى الفرج الأصفهانى ، وأبى عبدالله المرزبانى وآخرين ، ولم يرو عنه أحد ، وتوفى يوم الأربعاء لعشر بقين من شعبان سنة ثمانين وثلاثمائة وقد اتهم بالتشيع - عفى الله عنه» . (وقد سبق أن ذكرنا هذا عند الحديث عن الطبعة الإيرانية) .

طبعات الفهرست :

١- الطبعة الأولى : وهى طبعة فليجل ، وقد صدرت فى جزءين بمدينة ليبزج عام ١٨٧١-١٨٧٢ . اجتهد فليجل وتلميذاه يوهانس ريديجر وأوجست ميللر فى تحقيقها .

٢- طبعة المطبعة الرحمانية بالقاهرة سنة ١٩٢٩/١٩٣٠ . وهى تعتمد اعتمادًا تامًا على النص العربى بطبعة فليجل ، وحذفت كل القراءات والتعليقات المدونة باللغة الألمانية ، ولكنها أضافت الجزء الذى سقط بطبعة فليجل عن المعتزلة فى الفن الأول من المقالة الخامسة نقلاً عن المجلة الألمانية أنباء البلاد الشرقية Die Kunde des Morgenlandes عام ١٨٨٩ ، وهى خمس ورقات نشرها المستشرق هوتسما Houtsma ثم حصل عليها أحمد باشا تيمور . وقد أعادت المكتبة التجارية هذه الطبعة كما هى .

٣- طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت . أعادت الطبعة السابقة (أى طبعة المكتبة التجارية وطبعة المطبعة الرحمانية ، دون أى إضافة سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) .

٤- طبعة مكتبة خياط فى بيروت . وهى إعادة لطبعة فليجل فى مجلد واحد دون أى تغيير أو إضافة للنص أو ترجمة لما دوّن بالألمانية من هوامش وتعليقات ، مكتفية بكتابة اسم سلسلة على صفحة العنوان : روائع التراث العربى .

٥- طبعة جامعة كولومبيا بنيويورك : بتحقيق الأستاذ بياردودج ، وكان رئيسًا للجامعة الأمريكية ببيروت ، حقق الفهرست وترجمه إلى الإنجليزية فى مجلدين عام ١٩٧٠ . واعتمد فى تحقيقه على مخطوطة شستربيتى ، ومخطوطة شديد على باشا . واستعان أيضًا بمخطوطات أخرى ، كما استعان ببعض ثقات العرب فى الترجمة والتحقيق . ويلاحظ د . شعبان خليفة فى كتابه عن الفهرست ص٢٩ «وقد جاء عمله من أحسن وأفضل طبعات الفهرست ، وهى الترجمة الوحيدة ، للفهرست إلى لغة غير العربية . وهذا لا ينفى وقوع بعض من أخطاء الترجمة ، وعدم وضوح الرؤية بسبب عدم السيطرة الكاملة على اللغة العربية والثقافة العربية» . ومع ذلك فهو يعتبر أن هذه الطبعة (طبعة دودج) تأتى مكملة لطبعة فليجل ، حيث اكتشف دودج المخطوطتين الرئيستين اللتين لم تتوافرا لطبعة فليجل . والطبعة مذيلة بكشافين الأول لأسماء الأعلام ، والثانى لأسماء القبائل والمناطق ، وزوده بقائمة بأهم المصطلحات المستخدمة بالفهرست .

٦- طبعة طهران : قام بتحقيقها الأستاذ رضا - تجدد . وهى معتمدة أيضًا على مخطوطتى شستربيتى ، ومخطوطة شديد على باشا (يسميه شهيد على باشا) . وقد ألحق بالنص كشافًا بأسماء الأعلام العرب والفرس ، وبقائمة بالأسماء اليونانية واللاتينية مع مقابلها العربى ، وكشافًا بالقبائل والطوائف ، وآخر للأماكن والبلدان ، وثالثًا لعناوين الكتب الواردة فى الفهرست .

٧- طبعة الدوحة : بتحقيق د . ناهد عباس عثمان ، وهى الرسالة التى تقدمت بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة اكستر ببريطانيا ، ونشرتها دار قطرى بن الفجاءة عام ١٩٨٥ . وقد أعادت د . ناهد عباس ترتيب كتب كل مؤلف ترتيبًا هجائيًا تحت اسمه ، دوت حكمة واضحة لإعادة الصياغة . . . وليست هناك كشافات من أى نوع .

٨- مكتبة الأندلس ببيروت ، باشر طبع الكتاب محققًا تحقيقًا كاملاً السيد ابن تاويت الطنجى عن نسخة خطية وجدت بمكتبات استانبول (دون تاريخ) .

٩- طبعة دار الفتوى- بيروت ، اعتنى بها وعلق عليها الشيخ إبراهيم رمضان توزيع دار المؤيد/ الرياض ، دار المعرفة/ لبنان - الطبعة الثانية ١٤١٧/١٩٩٧ . وتقع فى ٤٤١ صفحة/ التعليق فى مواضع قليلة .

١٠- طبعة الجزائر ، تونس : حققها وقدم لها الأستاذ مصطفى الشويمى ، وقامت بنشرها فى الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب ، وفى تونس الدار التونسية للنشر عام ١٩٨٥ .

١١- طبعة بيروت : تحقيق الأستاذ أحمد شمس الدين . وقامت بنشرها دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٩٩٦ ، ووضع لها الفهارس الأستاذ أحمد شمس الدين أيضًا .

وقد عزم الأستاذ يوهان فيك Fück على تحقيق الفهرست ونشره مرة أخرى ، إلا أنه أقلع عن ذلك لأنه كلما أقدم على العمل ظهرت له مخطوطة أخرى لم تكن معروفة من قبل .

وأخيرًا لابد أن نذكر ما قام به الأستاذان دكتور شعبان خليفة ، ووليد محمد العوزة من نشر لدراسة بيوجرافية ، ببليوجرافية ، ببلومترية للفهرست فى جزئين عام ١٩٩١ ، وصدر عن دار العربى للنشر والتوزيع بالقاهرة ، وهى دراسة جادة قدم فيها المحققان فى الجزء الأول دراسة بيوجرافية ببلوجرافية ثم دراسة ببلومترية ، ثم قدما تحقيقًا لكتاب الفهرست . وفى الجزء الثانى ، وهو الخاص بالكشافات التى وزعت على زوايا ثلاث : المؤلف ، والعنوان ، والموضوع .

وقد أثرت عند تحقيق الفهرست أن اعتمد على طبعات ثلاث : طبعة فليجل ، وطبعة رضا - تجدد الإيرانية ، وطبعة بيروت التى حققها يوسف على طويل ، معتمدًا فى هذا على أن طبعة رضا - تجدد رَجَعَتْ لمخطوطتى شستربيتى ، وشديد على باشا اللتين لم يطلع عليها فليجل ، وعلى أن طبعة بيروت عام ١٩٩٦ راجعت الطبعات السابقة لها ، وآخرها طبعة دار المعرفة ببيروت عام ١٩٧٨ ، وقابلتُ كثيرًا من نصوصها بما يوافقها من مصادر أخرى . وقد تبين لى أنها كثيرًا ما تتفق مع طبعة رضا - تجدد ، إلا أنها قد تخالفها أيضًا فى بعض القراءات التى قمتُ بالنص عليها بالهامش .

والهامش عندنا يقدم القراءات المختلفة التى يرصدها فليجل عن ما يرجع إليه من مخطوطات ، كما نرصد قراءات الطبعتين (رضا - تجدد ، وطبعة بيروت) إن كانتا ، أو إحداهما فقط تخالف القراءات الواردة لدى فليجل ، وتنص أيضًا على الإضافات الموجودة بهما والتى لاتوجد لدى فليجل .

وقد آثرنا أن نجعل تعليقات فليجل فى جزء آخر حتى لانثقل على القارئ فى جعلها بالهامش ، وبخاصة أنها موجهة إلى القارئ المتخصص ، وأنها تستطرد فى الشرح والتعليق وإضافة معلومات دقيقة عن الأعلام ، وعن كتبهم وعن ترجماتهم الموجودة فى مظان أخرى ، وهى أمور قد لا يهتم بها عامة القراء .

مقدمات طبعة فليجل :

١- مقدمة فليجل :

وتقع فى ثمانى عشرة صفحة عند الترجمة ، بدأها فليجل بالحديث عن ابن النديم محاولاً استخلاص بعض سيرته من كتابه ، وبخاصة تاريخ وفاته ، ورجع فيها إلى كل ما وجده بالمصادر العربية آنذاك ، وناقش ما ذهب إليه زملاؤه من المستشرقين عن هذه السيرة (مثل كاولزون Chwolsohn ، وهاماكر Hamaker ، ولوت Loth . وينتقل إلى الحديث عن عنوان الكتاب (أى الفهرست) ونسخه المخطوطة ، ويصف كل مخطوطة بدقة وما فيها وما ينقصها من تراجم ، والرموز التى يستخدمها لكل منها ، ومن القطع الصغيرة المتضمنة بعضًا من المخطوطة ، والأماكن التى توجد بها ، كما يذكر من اعتمد على هذه المخطوطات من المستشرقين قبله .

وينتقل فليجل بعد ذلك إلى الحديث عن مصادر ابن النديم الذى يذكر منهم ابن قتيبة ، والبلاذرى ، وحمزة الأصفهانى ، كما يذكر من نقلوا عنه مثل ابن أبى أصيبعة ، وابن القفطى ، وأبو الفرج ، والمقريزى ، وحاجى خليفة ، وابن قطلوبغا ، والطوسى ، وابن خلكان ، والشهرستانى . وقد أفاد فليجل من كل هؤلاء فى تعليقاته على الفهرست ، كما أفاد منهم فى إقامة النص بالفهرست أو فهمه ، إذا لم يكن النص كاملاً أو كان غامضًا ووجده فى كتبهم التى وصلت إليه ، مدللاً فى هذا على شهادة الفهرست عن كل ما نعانى من فقده فى مختلف فروع العلم دون استثناء حتى عصره ، وكيف أننا نتبين منه النشاط الذى يتميز به العربى منذ القرن الأول الهجرى . ثم يتحدث عن فائدة إصدار الكتاب للمتخصصين ، وإن كان يقرر أن المخطوطات التى رجع إليها لم تكن كافية ، وفى حالة غير جيدة ، وأن الأستاذ فلايشر Prof. Fleischer ساعده فى ترميم أكوام الأوراق السيئة ، وترتيبها ، وأنه استعان كثيرًا عند التحقيق بسؤال دى سلان De Slan ، وفان دايك Van Dyk وجوتا Gotha ، وألتنبرج Altenburg ، ودى خويه de Goeje وشكر لهم ما قدموه له مساعدات .

وفى الخاتمة يعتذر عن عدم وجود مراجع كافيه له ، وأنه لم يكن محظوظًا مثل بعض زملائه الذين بإمكانهم الرجوع إلى رصيد ضخم من كنوز المخطوطات ، وأنه عانى كثيرًا فى تحقيق أسماء من ذكرهم ابن النديم وذكر أعمالهم بالفهرست ، وأنه استطاع فى كثير من الأحوال الوصول إليهم ، إلا فى حالات قليلة . وقد لاحظت عند تتبع المراجع والمصادر التى رجع إليها ، أنها تصل إلى ٢٥٨ ، وفضلاً عن ذلك فإننى حين قمت بمراجعة الطبعة التى

حققها فليجل مع طبعتى رضا - تجدد الإيرانية ، والطبعة اللبنانية وجدت أنهما لاتشتملان على أى إضافة جديدة ، أو معلومة لا نجدها فى طبعة فليجل .

٢- مقدمة يوهانس ريديجر :

تحدث ريديجر فى مقدمته عن وفاة فليجل فى ٥ من يونيو عام ١٨٧٠ ، بعد أن أخرجت له المطبعة ست ملازم . وتولى ريديجر الإشراف على طبع ما أعده فليجل عدا هذه الملازم بالمطبعة ، بعد أن كلفه ابن فليجل بذلك ، فصدر كتاب الفهرست كاملاً بعد أقل من سنة .

أما الجزء الخاص بالتعليقات فقد قام به أوجست ميللر ، كما أتم عمل الفهارس الخاصة بالكتاب .

ويذكر ريديجر كيف أن فليجل ترك ما بقى من نص الفهرست معدًا للطبع ، فلم يبق له إلا العناية بتصويب أخطاء الطباعة ، وإن كان قد عانى من صعوبة المواظبة على تتبع العمل حتى لا تعانى المطبعة من التعطل ، مكتفيًا بإصلاح ما أهمل وتصويب الأخطاء فى النص التى تظهر عند الطباعة واضحة للعيان ، ولم يضطر لإجراء أى تغيير بالنص إلا نادرًا ، وبخاصة أن الأستاذ فلايشر ساعده فى تحمل عبء تصويب الطباعة ، وأن ذلك يتضح من سجل القراءات بهوامش الصفحات ، وهو يعدد ما قام به فلايشر عند الطباعة ، شاكرًا له مساعدته ، ثم يقدم ريديجر اعتذارًا عن بعض التناقض فى تقديم القراءات ، وعدم كتابتها أسفل النص .

٣- مقدمة أوجست ميللر :

بيّن أوجست ميللر أنه نقل تعليقات فليجل على نص الفهرست حتى صفحة ١٧٢ ، أما بالنسبة للأجزاء الأخرى من الكتاب ، فقد وجد لها تعليقات كتبها فليجل بخطه فى صورة جيدة ، وأخرى فى مسودة نظيفة ، فضلاً عن أوراق بها تعليقات مقتضبة ومتفرقة ، ونصوص نقلها فليجل عن ابن القفطى ، وابن أبى أصيبعة ، وقام بتنقيح كل هذا ، حريصًا على تجنب ما يرد من حين إلى آخر من تعارض وتكرار ، وعلى توضيح العبارات عسيرة الفهم أحيانًا ، وإيضاح ما يراه غير مكتمل . وقد أبقى على كتابة فليجل الصوتية ، وأسلوبه فى التعبير بقدر الإمكان ، محجمًا عن إجراء أى تغيير موضوعى أو إضافة أى مادة لا تتصل اتصالاً مباشرًا بالنص ، ومتجنبًا الهفوات التى عرف عن فليجل أنه كان يتجنبها ، وهو ينبه على ما يقدمه خلافًا لفليجل بالنص على ذلك بوضع الحرف الأول من اسمه .

أما بالنسبة للفهارس التى وضعها فيبين أنها تشتمل على أسماء الأعلام والأسر والقبائل ، مستبعدًا كل شىء عدا ذلك ، تجنبًا لزيادة تضخم هذا الجزء ، ويحدد ما اتبعه عند وضع الفهارس ، وترتيبها . وأخيرًا يشكر للأستاذ فلايشر ما قدمه له أيضًا من مساعدات .

ما يوجه إلى طبعة فليجل من نقد :

كتب أحد أساتذة الجامعة المصرية فى تقديمه للطبعة المصرية للفهرست (طبعة المكتبة التجارية والمطبعة الرحمانية) فى ص٢ من المقدمة : «وقد وردت عبارة فى كتاب الفهرست استنتج منها الأستاذ فليجل أن ابن النديم كان فى القسطنطينية سنة ٣٧٧هـ ، وهى أنه ذكر عند الكلام «على مذاهب أهل الصين وشىء من أخبارهم» أنه لقى الراهب النجرانى الوارد من بلاد الصين فى سنة ٣٧٧هـ وكان قد مكث بها ست سنين – إلى أن يقول : «فلقيته بدار الروم وراء البيعة ، فرأيت شابًا حسن الهيئة قليل الكلام ، إلا أن يسأل فسألته الخ» .

وقد استنتج فليجل أن دار الروم هى القسطنطينية ، وأن البيعة هى الكنيسة الكبرى التى صارت فيما بعد مسجد أيا صوفيا ، وهو استنتاج غير صحيح لم يوافقه عليه المستشرقون ، واستظهروا أن المراد بدار الروم محلة كان يسكنها الروم فى بغداد ، وبالبيعة بيعة لهم هناك ، كما سمى المصريون حارة من حارات القاهرة بحارة الروم ، والدليل على هذا أنه يقول أن الجاثليق الكبير أرسل هذا الراهب إلى الصين ثم عاد بعد ست سنين . فالظاهر أن الجاثليق جاثليق بغداد ، وأنه عاد أى إلى بغداد ، وأن المقابلة كانت بها لا بالقسطنطينية .

ويقول د . شعبان خليفة أيضًا «وهذا الاستنتاج من جانب فلوجل غير صحيح . وقد عابه عليه المستشرقون الذين قالوا بأن المقصود بدار الروم هنا ، هو حى المسيحيين فى بغداد ، والبيعة كنيسة كانت لهم هناك على نحو ما نصادف فى بعض العواصم العربية من وجود حارة اليهود . والمقصود بالروم هنا المسيحيون الكاثوليك» ص١١ .

وقد أضافت هذه الطبعة (أى طبعة الرحمانية) تكملة للفهرست ، كانت قد سقطت من طبعة فليجل ، من أول المقالة الخامسة صفحة ١٧٢ ، وهى صفحة ٢٤٥ من تلك الطبعة (طبعة المكتبة التجارية) . وهذه التكملة عثر عليها بعض المستشرقين الألمان بعد أن صدرت طبعة فليجل ، ونشرت عام ١٨٨٩ فى مجلة نشرة البلاد الشرقية Die Kunde des Mor-genLandes ونقلها العلامة أحمد تيمور باشا إلى نسخته .

والتعليق الذى ذكره أستاذ الجامعة المصرية (ولم يذكر اسمه) يدلل على أن سيادته كان يتقن اللغة الألمانية ، وأنه رجع إلى ما كتبه فليجل فى تعليقاته على ما رواه ابن النديم عن قصة الراهب النجرانى ، وأنه اطلع أيضًا على ما كتبه المستشرقون الألمان تعليقًا على ما كتبه فليجل .

كذلك ما كتبه سيادته عمن أخذ عن ابن النديم ونقل عنه ، هو ماذكره فليجل فى مقدمته أيضًا ، وهم ابن خلكان فى وفيات الأعيان ، وياقوت فى معجم الأدباء ، وابن النجار فى ذيل تاريخ بغداد ، وابن أبى أصيبعة فى طبقات الأطباء ، والقفطى فى أخبار الحكماء ، وخولسن فى بحثه عن الصابئة ، وفليجل فى بحثه عن مانى ، فضلاً عن التواريخ المختلفة التى تعرض لها فليجل ليحدد تاريخ حياة ابن النديم ، والتى نجدها أيضًا بهذه المقدمة ، إلا أن الأستاذ خالف فليجل الرأى فى أن الورّاق هو الكاتب ، ومن ثم يرى أن ابن النديم يمكن أن يقال عنه ابن النديم الورّاق أو ابن النديم الكاتب ، على حين يرى الأستاذ أن الوراقة «حرفة ووظيفتها انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها والتجارة فيها «أما الكتابة فكانت حرفة يحترفها طائفة من الناس ، وكانت تتطلب المعرفة بفنون مختلفة من العلوم ، وسعة فى الاطلاع على النحو الذى ألف فيه صبح الأعشى للقلقشندى ، ونهاية الأرب للنويرى» .

وأخيرًا يأسف الأستاذ لأن طبعة فليجل اعتمدت على نسخة فى مكتبة باريس ، ونسخة فى مكتبة كوبرللى بالآستانة ، ونسختين فى فيينا ، ونسخة فى لندن ، وكلها لم يستطع المصحح أن يستخرج منها نسخة صحيحة كاملة ، وأن الفهرست لم يعد طبعه منذ ذلك التاريخ (سنة ١٨٧٢) حتى تصدى لذلك الحاج/مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية سنة ١٩٢٩/١٩٣٠ .

ويعيب الأستاذ رضا - تجدد فى مقدمته لطبعة إيران سنة ١٩٧١ على طبعة فليجل كثرة الأخطاء ويقول : «ومع أنّ لفلوجل مقام الريادة إلا أن أخطاءه كثيرة ، فهو يقرأ النصرى على أنه البصرى ، وما كان فى بعض المواضع من كتابه ينبغى أن تقرأ عموديًا فقرأها هو أفقيًا» .

وأنه لم يتيسر له أن يرجع إلى مخطوطة شستربيتى رقم ٣٣١٥ بدبلن ، ولم يطلع كذلك على مخطوطة شهيد على باشا رقم ١٩٣٤ بمكتبة السليمانية باستانبول ، وهما معًا تشكلان نسخة واحدة من الكتاب .

وقال الأستاذ رضا - تجدد إنه اتخذ هاتين المخطوطتين أصلاً فى الطبع ، وجعل طبعة فليجل للمعارضة ، واستبانة أخطائها ، وقد عثر أيضًا على خطية ناقصة للفهرست تسمى «فوز العلوم» وتعرف «بخطية خانقاه سعيدية» براجستان الهند .

ولم يتعرض دكتور يوسف على طويل الذى قدّم لطبعة بيروت/ دار الكتب العلمية سنة ١٩٩٤ لطبعة فليجل ، إنما اكتفى بذكر أن الكتاب طبع غير مرة وفى غير بلد ، وأنه اطلع «على طبعة طهران ١٩٧١ بتحقيق الأستاذ رضا - تجدد ، وطبعة دار المعرفة ببيروت ١٩٧٨ بتقديم أحد أساتذة الجامعة المصرية (المقدمة نفسها التى فى طبعة الرحمانية بمصر) فرأينا أن نُعنى بهذا الكتاب لما فى الطبعتين من تصحيف وتحريف ، أو زيادة فى طبعة ونقص فى طبعة أخرى ، فراجعناه وقابلنا كثيرًا من نصوصه بما يوافقها فى مصادر أخرى ، ونظرنا فيه بدقة متناهية ، وقمنا بضبط ألفاظه ، وأوضحنا قدر المستطاع ما غمض فيه من مشكلات ، مكملين ما نقص عن عباراته ، فتجشمنا الأمر ، معتمدين فى ذلك النَّصَب على الراحة ، فكان أن ترجمنا لكثير من الشخصيات الأدبية والعلمية والفنية ، مع تحديد المواضع والأماكن ، وشرح كلمات يتعثر فهمها» .

فإذا ما عرفنا أن طبعة دار المعرفة ببيروت ١٩٧٨ هى صورة طبق الأصل من طبعة المكتبة التجارية (والرحمانية) بمصر عام ١٩٢٩/١٩٣٠ ، وأن هذه الأخيرة نقلت طبعة فليجل كما هى دون الهوامش والتعليقات ، لتبينا أن السيد دكتور يوسف على طويل محقق طبعة بيروت عام ١٩٩٤ كان يطابق بين ماورد لدى فليجل وما ورد بطبعة رضا - تجدد الإيرانية .

والحق أنه لم يخالف طبعة رضا - تجدد كثيرًا كما نتبين من القراءات الموجودة بهامش طبعتنا التى تصدر قريبًا ، وأنه حين يخالف ، فإنما يعتمد غالبًا على ما يتيحه له النص والسياق وفهمه للجملة العربية ، وليس اعتمادًا على مخطوطة ما . هذا عن النص المحقق ، أما ما أضافه سيادته بعد ذلك ، وما تجشمه من شرح للمفردات وإيضاح لما غمض من مشكلات وترجمة لكثير من الشخصيات ، فهذه إضافة تحمد له ، وليس هذا من التحقيق ، وإنما هو ما حول النص ، وهو مطلوب أيضًا .

والحق أيضًا أن الكثير مما أخذه على طبعة فليجل فى قراءة النص ، تداركه فليجل وتلميذاه أوجست ميللر ويوهانس ريديجر فى التعليقات ، وعرضوا وجوهًا أخرى من القراءات يتطابق بعضها مع ما يجده أصحاب الطبعات الأخرى فى المخطوطات التى لم يرجع إليها ، أو ما يقترحونه وفقًا لما يرتضيه السياق . فهم ينقلون أيضًا عن مصادر أخرى نقلت عن الفهرست ، أو يرتضون ما يقدمه له دى سلان أو غيره من اقتراحات لصحة القراءة .

أسماء المراجع التى استعان لها فليجل فى تعليقاته

أولاً ـ المراجع العربية :

● ابن الأثير الجزرى (ضياء الدين)

- «تاريخ الكامل» تحقيق كارلوس تورنبرج ، ليدن ١٨٥١-١٨٧١ ، وعرف باسم «الكامل فى التاريخ» ، ووضع له تورنبرج فهرسًا لما احتواه الكتاب فى جزءين : الثالث عشر والرابع عشر ، ليدن ١٨٧٤-١٨٧٦ . الجزء الخاص بالحروب الصليبية تحقيق دفريمرى Defremery ، باريس ١٨٧٢ ، ومعه ترجمة للبارون دى سلان.

- «اللباب فى معرفة الأنساب» تحقيق فيستنفلد Wüstenfeld ، جوتا ١٨٣٥ .

- «المثل السائر» ، بولاق ١٢٨٢هـ .

● إخوان الصفا وخلان الوفا

- مختارات لهم تحقيق جيمس ميخائيل ، لندن ، ١٨٣٠ ، وتحقيق فريدريش ديتريش ، ليبزج ، برلين ، ١٨٨٣-١٨٨٦ ، تحقيق نوفرك ، برلين ، ١٨٣٧ .

● الإدريسى

- «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» تحقيق دوزى ، ودى خويه de Goeje (مع مقدمة وترجمة وفهرس الأسماء وشرح الكلمات الاصطلاحية بالفرنسية Dozy, Géojesch Idrisi Text- ، وسمى الكتاب «صفة المغرب والسودان» .

● الإسفرائينى «مخطوطة»

● أبو اسماعيل بن على (عماد الدين)

- «المختصر فى تاريخ البشر» (ويعرف بتاريخ أبى الفدا) تحقيق فلايشر Fleischer ، رايسكه Reiske

Abulfeda historia Anteislamica, Africa e doub. Codd. Paris, Leipzig, 1531 Ann. Musl. = Abulfeda Annales muslemici, ed. Reiske, Kobenhagen, 1789, 1794.

- «تقويم البلدان» تحقيق : رينود والبارون ماك كوكين دى سلان ، باريس ١٨٤٠ ، شير درسدن ، ١٨٤٦ .

Abulfeda descriptio ĀEgypti, arabice edidit lat ne vertit notes

adjecit J.G Michaelis, Göttingn.

Abulfeda tabalae quadam geographicae Nomprimus arabice edidice edidit Latine vertit notes adjecit H. F. Wüstenfeld, Gottingen, 1835.

● ابن أبى أصيبعة

«عيون الأنباء فى طبقات الأطباء» تحقيق ميللر، القاهرة - كينجسبرج ١٨٨٢-١٨٨٤ .

Über Text und Sprachgebrauch von Ibn Abī' Useibi^c^a's Geschichte der Ärzte Hrsg. Ibn Abī' Useibca's Kitāb cuyun al-Anbā' fù tabaqàt al-atibba' li Muwaffaq ad-Dīn Abil Abbās Ahmed ibn al-Qāsim al-macrūf bi-ibn Abī' Useibaca.. Kairo- Konigsberg, 1882-1884, von August Müller.

● امرؤ القيس

«ديوان امرئ القيس» ، تحقيق دى سلان ، باريس ، ١٨٣٦ .

● ابن بدرون (أبو مروان عبدالملك الحضرمى)

«شرح قصيدة ابن عبدون الرائية التى رثى فيها ملوك بنى الأفطس» ، تحقيق : دوزى Dozy ، ولين Lane ، ١٨٤٦-١٨٤٨ .

● ابن بطوطة (شرف الدين أبو عبدالله اللواتى ثم الطنجى)

«تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ، المعروفة برحلة ابن بطوطة . ومعها ترجمة فرنسية لدفرمرى C. F. Defremery وسنكينتى B. B. Sanguinetti .

● البلاذرى (أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البغدادى)

- «فتوح البلدان» تحقيق دى خويه ، وجريفالد ، وآلفارت .

● البيضاوى (ناصر الدين عبدالله بن عمر) .

«أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوى» فى أجزاء سبعة باعتناء فلايشر Fleischer ، ليبزج ١٨٤٤-١٨٤٨ ، ووضع فل Winand Fell لهذه الطبعة فهرسًا وافيا/ ليبزج ١٨٧٨ .

● ابن البيطار

«الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» ، ٤ أجزاء ، بولاق ، ١٢٩١هـ

Ibn Beiṭār, al- Gāmec li-mufradāt al-Adwiya wal-agdeya

● أبو تمام الطائى

«ديوان الحماسة» ، تحقيق كريمسكى A. Krimiski ، موسكو ، ١٩١٢ ، وطبع معه شرح الخطيب التبريزى بتحقيق فرايتاج مع فهارس مختلفة وترجمة باللاتينية ، فى بون ١٨٢٨ ، ١٨٥١ ، مع ترجمة بالألمانية لفريدريش ريكرت فى شتوتجارت سنة ١٨٤٦ .

● الثعالبى (أبو منصور)

- «لطائف المعارف» ، تحقيق دى يونج de Jung ، ليدن ، ١٨٦٧ .

- مختصرات من كتاب «المؤنس الوحيد فى المحاضرات» تحقيق فليجل ، ١٨٢٩ .

● ثعلب (أبو العباس)

«فصيح ثعلب» ، تحقيق بارت Barth ، ليبزج ، ١٨٧٢ .

● الجرجانى (السيد الشريف)

«التعريفات» ، تحقيق فليجل ، ليبزج ، ١٨٤٥ .

● ابن جرير الطبرى

«جامع البيان فى تفسير القرآن» .

«تاريخ الأمم والملوك» مع مقدمة وترجمة باللاتينية ، تحقيق د . كوزيجارتن Kosegarten ، ١٨٣١-١٨٥٣ .

● الجهشيارى

«كتاب الوزراء والكتاب» ، تحقيق هانس فون مزيك Hanz von Mizk مع مقدمة بالألمانية ، ديانا ، ١٩٢٦ .

● جوليوس يوكولوس Golius Jacolus

- «جدول النجوم» astronomische Tabeln امستردام ، ١٦٦٩ .

- حقق كتاب أبى العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى Alfraganus «الفصول الثلاثين جوامع علم النجوم والحركات السماوية» ، أمستردام ، ١٦٦٩ .

● حاجى خليفة

«كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون» ومعه ترجمة إلى اللاتينية فى أجزاء سبعة ، طبع باعتناء فليجل ، ليبزج ، لين ، ١٨٣٥-١٨٥٨ .

● ابن حجر العسقلانى

- «الإصابة فى تمييز الصحابة» تحقيق شبرنجر Sprenger ، كلكتا ، الهند ٢٠ جزءاً ١٨٤٨-١٨٥٧ .

● الحريرى

«مقامات الحريرى» تحقيق كوزان دى برسيفال باريس ١٨١٩ ، تحقيق دى ساسى جزءان ، باريس ، ١٨٢٢ .

● حمزة الأصفهانى

«تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء» حققه مع ترجمة إلى اللاتينية جوتفالد Gottwaldt الجزء الأول المتن العربى ، والجزء الثانى ترجمة ، ليبزج ، ١٨٤٤-١٨٤٨ ، برلين ١٨٤٠ .

● ابن خلكان

«وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان» ، تحقيق دى سلان de Slane ، باريس ، ١٨٣٨-١٨٤٢ ، فيستنفلد Wüstenfeld ، جوتا ١٨٣٥-١٨٥٠ .

● ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)

- «الاشتقاق» أو «اشتقاق أسماء النسبة» ، تحقيق فيستنفلد ، جوتا ، ١٨٥٣-١٨٥٥ .
Ibn Duraids Genealogisch- etymologisches Handbuch, 1854

- «الملاحن» ، تحقيق رايت Wright ، ليدن ، ١٨٥٩ .

● الدمشقى (شمس الدين ، شيخ الربوة)

- «نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر» تحقيق فران Frahn وميرن Mhren ، بطرسبرج ، ١٨٦٦ .

● الدميرى (كمال الدين)

«حياة الحيوان الكبرى» ترجمه إلى الإنجليزية جياكار Jyakar ، لندن ١٩٠٦-١٩٠٨

● الرازى (أبو بكر)

«الحاوى فى الطب» فينيسيا ، البندقية ، ١٥٠٩-١٥٤٢

● الزمخشرى

- «كتاب الأمكنة والجبال والمياه والبقاع المشهورة فى أشعار العرب» باعتناء دى كراف de Crave ، ليدن ١٨٥٦-١٨٨٥ .

- «أطواق الذهب» تحقيق فون همر - بورجشتال ، ١٨٣٥ .

- «المفصَّل» تحقيق بروخ ، خريستيانا ، ١٨٥٩-١٨٧٩ .

● السمعانى (يوسف سمعان السمعانى السريانى المارونى)

- «المكتبة الشرقية» الأكليمنصوسية الواتيكليفية ، أربعة مجلدات باللغة اللاتينية .

المجلد الأول : فى المؤلفين السريان الكاثوليكيين

المجلد الثانى : فى المؤلفين السريان المونوفيزيتيين

المجلد الثالث : فى المؤلفين السريان النساطرة

المجلد الرابع : فى المؤلفين السريان النساطرة ، ومقالة فى السريان أصحاب الطبيعة الواحدة .

طبع بروما ، من سنة ١٧١٩ إلى سنة ١٩٣٠م .

- رسالة عربية فى أصل الرهبان فى جبل لبنان ، روما ١٧٤١م .

- رسالة عربية فى أصل الرهبان الباسيليين ، وانتشارهم فى البكبادوك وسوريا وجبل لبنان ، روما ١٧٥٨م .

● السيوطى (جلال الدين)

- «لب الألباب فى تحرير الأنساب» (نقح فيه اللباب لابن الأثير ، وزاد عليه زيادات كثيرة) عنى بنشره فيث P. J. Weth ثم طبع له زيادات وملحقًا بعد التصحيح والمعارضة بكتاب الأنساب للسمعانى واللباب لابن الأثير . ثلاثة أجزاء/ ليدن ١٨٤٠-١٨٥١ .

- «الإتقان فى علوم القرآن» ، تحقيق شبرنجر .

● شبرنجر Sprenger

«تاريخ الطب العربى فى عهد الخلفاء» ، باتافيا ، ١٨٤١ .

● الشهرستانى (أبو الفتح محمد بن أبى القاسم)

«الملل والنحل» طبع فى لندن ، ١٨٤٢-١٨٤٦ ، فى ثلاثة أجزاء باعتناء كيورتن
Book of Religion and Philosophical sects, New first ed by W. Cureton, 2 vol.

● طاش كبرى زاده

- الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية .

- مفتاح السعادة ومصباح السيادة (فى موضوعات العلوم) ، جزءان ، حيدر آباد ، ١٣٢٨هـ .

● ابن الطقطقى

«الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية» تحقيق ألفارت ، جوتا ١٨٦٠ ، باريس ١٨٩٥ .

● الطوسى

«كتب الشيعة» List of Shy^cah Books ، تحقيق شبربنجر .

● عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالغفار عضد الدين الإيجى الشيرازى الشافعى

«المواقف فى علم الكلام ، وتحقيق المقاصد وتبيين الحرام» تحقيق ، سيرنسن Sörensen ، ليبزج ١٨٤٨ Mawaḳif fi ᶜilm al-Kalām

● عبدالقادر

«كتاب عبدالقادر» Le Livre d' Abdel Ḳāder

● عبد اللطيف البغدادى

«الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر» . تحقيق دى ساسى ، de Sacy ١٨١٠ ، هيد Hyde أكسفورد ، ١٧٠٢ ، مع ترجمة وايت White ، أكسفورد ، ١٨٠٠ .

● أبو عبيدة معمر بن المثنى

«النقائض» ، تحقيق بيفان ، ثلاثة أجزاء ، ليدن ، ١٩٠٥-١٩١٢ .

● ابن عذارى المراكشى

«البيان المعرب فى أخبار المغرب» تحقيق دوزى Dozy ، مع مقدمة بالفرنسية وتعليقات وشروح ، ليدن ، ١٨٤٨-١٨٥١ .

● ابن العوام الإشبيلى

«كتاب الفلاحة الأندلسية» مع الترجمة إلى الإسبانية تحقيق دون بانكير ، مدريد ، ١٨٦٥.

Ibn al-ᶜAwwām, ed. Don Banquerri, Madrid, 2 Bd.,ed. Müller, 1865

● أبو الفدا

«لمع فى أخبار العرب ، والمختصر فى أخبار البشر» تحقيق رايسكه Reiske كوبنهاجن . ١٧٨٩-١٧٩٤ .

● فرايتاج Freytag

تحقيق كتاب «فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء» لأحمد بن محمد بن عربشاه ١٨٣٢

Liber arabicum Fakihat al- hulafa'

● أبو الفرج الملطى بن هرون ، المؤرخ الطبيب النصرانى الشهير بابن العبرى

- «تاريخ مختصر الدول» تحقيق بوكوك Pocoke (المقدمة لراينول) ، أكسفورد ، ١٦٦٣

Historia Compend. dynast. ed Pococke

- «لمع فى أخبار العرب» مستخلصة من تاريخ المختصر ، تحقيق بوكوك ، أكسفورد ، ١٦٥٠ .

● الفردوسى

«الشاهنامه» ، تحقيق مول . باريس ، ١٨٢٨ .

● ابن فضلان (أحمد)

«رسالة ابن فضلان مع الترجمة» ، تحقيق فرين Frahn

● فوللرز Vullers

معجم فارسى - لاتينى اشتقاقى ، مع المقارنة بالسنسكريتية والزندية والبهلوية ، بون ، ١٨٥٥-١٨٦٤ .

● الفيروزآبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب)

«القاموس المحيط والقابوس الوسيط الجامع لما ذهب من كلام العرب شماطيط» ، طبع فى كلكتا بعناية ماتيو لومسدن M. Lumsden فى أربعة أجزاء ، ١٢٣٠- ١٢٣٢هـ .

● ابن قتيبة الدينورى

«عيون الأخبار» تحقيق كارل بروكلمان Karl Brockelmann ، جوتا ١٨٩٨-١٩٠٨ Ibn Qutaibas Handschrift der Geschichte

● القزوينى (جلال الدين الخطيب)

- «الإيضاح فى علوم البلاغة» ، بولاق ، ١٣١٧هـ .

● القزوينى (أبو عبدالله زكرياء بن محمد الأنصارى)

- «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» تحقيق فيستنفلد مع مقدمة باللغة الألمانية ، ليبزج ، ١٨٤٨ .

- مخطوطة مكتبة بلاط فيينا . تحت رقم ١١٨٦ ، ١١٥٦
MS. Wiener Hofbibl. Nr. 1186 im Catal. II S. 352.

- «آثار البلاد وأخبار العباد» تحقيق فيستنفلد ، مع مقدمة باللغة الألمانية ، جوتا ، ١٨٤٨-١٨٥٠ .

● قسطنطين الأفريقى Costantinus Africaus

تونسى ، عاش بالقرن الحادى عشر ، وترجم للأطباء العرب واليونان إلى اللاتينية ، وكتب عن العلوم القديمة Al-ᶜulūm al- qādima

● ابن قطلوبغا

«تاريخ التراجم فى طبقات الحنفية» مختصر جمعه من تذكرة المقريزى ، ومن الجواهر المضيئة ، تحقيق فليجل ، ليبزج ، ١٨٦٢ .

Die Classen der Hanafitischen Rechtgelehrten in der Abhandl. der Kon, Sächs, Ges. der Wissensch. zu Leipzig, Philo-hisor. Cl. Bd viii

● ابن القفطى (أبو الفرج ابن الشيخ موفق الدين يعقوب)

- «تاريخ الحكماء»

- «ملخص شرح ابن القفطى فى فصول أبقراط» تحقيق ليبرت ، ليبزج ١٩٠٣ .

● ابن القيسرانى

«الأنساب المتفقة فى الخطط المتماثلة فى النقط والضبط أو «الكلمات المتشابهة نطقًا من أسماء النسبة» ، تحقيق دى يونج ، ليدن ، ١٨٦٥ .

● ليو الأفريقى Leo Africanus

طبع القرآن فى فينيسيا (البندقية) ، حوالى سنة ١٨٣٠ .

● ابن مالك

«شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك» ، تحقيق ديتريسى Dietrici ، ليبزج ، ١٨٥١ .

● الماوردى

«الأحكام السلطانية» تحقيق إنجر Enger ، بون ، ١٨٥٣ .

● المبرد

«الكامل» تحقيق رايت Wright ، ١٨٦٤-١٨٨٢ .

● أبو المحاسن بن تغرى بردى

«النجوم الزاهرة فى أخبار مصر والقاهرة» ، تحقيق جوينبول بمعاونة ماتس ، ليدن ١٨٥٥-١٨٦١ ، ثلاثة أجزاء

Abulmaḥāsin: Supp. Annot. ed. Juynboll et Mattes 1855-1861

• المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين الشافعى)

«مروج الذهب ومعادن الجوهر» ، طبع فى باريس فى أجزاء تسعة ١٨٦١-١٨٧١ (الفهرس ١٨٦٩-١٨٨٧) ، باعتناء الأستاذين دى مينار ، ودى كورتل ، Barbier de Meynard et Paret de Courtelle

• المقرى

«نفخ الطيب فى غصن الأندلس الرطيب» ، تحقيق دوزى وغيره ، ليدن ١٨٦١-١٨٦٥

• المقريزى (تقى الدين)

«السلوك لمعرفة دول الملوك» نشر منه نبذة بهمة المستشرقين دى ساسى وكواتريمر فى كتاب «الأنيس المفيد والطالب المستفيد» ، وترجم منه كواتريمر جزءاً آخر أسماه «تاريخ سلاطين المماليك» ، باريس ١٨٣٧-١٨٤٤ .Histoire des Sultans Mamluks de l'Egypte

• الميدانى

«مجمع الأمثال» تحقيق فرايتاج . ثلاثة أجزاء (مع ترجمة باللاتينية) ، بون ، ١٨٣٨-١٨٤٣ .

• نلدكه

- «تاريخ القرآن» ، جوتنجن ، ١٨٥٦

• النووى (أو النواوى) (محيى الدين أبو زكريا يحيى بن شرف)

- «الأربعون حديثًا النووية فى الأحاديث الصحيحة النبوية» ، بولاق ، ١٢٩٤هـ

- «المعجم الجغرافى» ، تحقيق فيستنفلد ، ١٨٤٢-١٨٤٧ .

• النووى

«المنهاج فى شرح صحيح مسلم بن الحجاج» ، مصر ، ١٢٨٣هـ

• النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب الكندى

«نهاية الأرب فى فنون الأدب» تحقيق راسموسن ، جوتا ١٨١٧ ، ١٨٢١٢ ، ج٢٢ تحقيق جاسبار ريميرو Gaspear Remiro ، غرناطة ١٩١٧ ، ١٩١٩

● ابن هشام البصرى (أبو محمد عبدالملك المعافرى)

«سيرة رسول اللّه (ص)» تحقيق فيستنفلد ، ومعه ملحوظات باللغة الألمانية ، ثلاثة أجزاء ، جوتا ١٨٥٩-١٨٦٠ ، ليبزج ، ١٨٩٩-١٩٠٠

● الواقدى

«المغازى» تحقيق البارون فون كريمر Von Kremer (مع مقدمة وشروح باللغة الإنجليزية) ، كلكتا ، ١٨٥٥-١٨٥٦

● ياقوت الحموى (أبو عبدالله الرومى)

«معجم البلدان» تحقيق فيستنفلد فى ستة أجزاء ، ليبزج ، ١٨٦٦-١٨٧٣ des geographiche Worterbuch des Yaqut 1866-1873

- المشترك وضعاً والمفترق صقاً» تحقيق فيستنفلد ، جوتا ١٨٤٦

● اليعقوبى (أحمد بن يعقوب)

- «كتاب البلدان» باعتناء ويليام جوينبول ، ليدن ، ١٨٦٠ ، وفى نهاية الكتاب ملحوظات باللاتينية Jakūbi Kitabul- buldān

- «تاريخ ابن واضح اليعقوبى» جزءان ، تحقيق هوتسما ، ليدن ، ١٨٨٣ .

ثانيا ـ المراجع الأجنبية:

* Amari, Michile

- Arab - sicula 1875 - 1887.

* Arnold, Thomas Chrestomathie

- دراسة العربية (نشرة مدرسة الدراسات الشرقية) ١٩١٧.

* Assemcānī, Joseph Simon

- Bibliotheca Orientalis Clemention-Vaticana. Roma 1719-1728, 4 Bände.
- Bibliotheca Orientalis 1, 1846 Nr. 1724.
- Catalogo dei Codici mss. Orientali della Biblioteca Naniana/ Padova, 1787.

* Assemcānī, Stephanus Evodius

- Bibliotheca Mediceae Lauren tianue et Palatinae codicum mss. orientalium catalogus, Florentinae, 1742.

* Barbier de Meynard

- Dictionnaire géographique, historique des la Perse et des contrees adjactes, 1861 معجم جغرافى وتاريخى للفرس

* Bergmann

- Geschichte des Wechseltums und der Erfindungen in der Chemie in den ältesten und mitteleren Zeit, Übersetzt vom Latein von K. Wigleb, Berlin, 1792

تاريخ التطور والاكتشافات الكيميائية فى العصر القديم والوسيط، ترجمة عن اللاتينية قام بها كريستيان فيجلب

* Berggern

- Guide français - arabe

* Bernstein

- Init. Et org. relig

* Borelli

- Stephanus Alexandrinus und Stephaus Magnus Alchimiae scripter.

- Hipanis compositos Bibliotheca Coenobii Escurialensis complectitur, Recensio et explanation opera et studio Michaelis casiri Syro-Maronitae .. Matrit: 1760 - 1770, 2 Bände.

* Buhle

- Die gr. interpr, Arist.

* Bullet

- De l'Acad impér. Des Sciences de St. Pétresb. Tom XIV. Abhandlung über die Überreste der altbabylonischen Literatur

دراسة عن بقايا الأدب البابلى القديم

* Buxtorf : المعجم العبرى

* Casiri (Al- Gaziri)

- Bibliotheca Arabico-Hispana Escurialensis sive Librurum omnixm Mss. ques Arabicê ab auctoribus magnam Partem Arabo-Hispanis compositus Bibliotheca Coenobii Escurialensis complectilur , Recensio et Explanatio opera et studio Michaelis Casiri Syro- Maronitae .. Matriti 1760 - 1770, 2 Bände.

* Castellan

- Sitten , Gebräuche und Trachten des Osmanen

* Catal. libr. MSS. biblioth. Senator. Lips

* Catal. codd. orr. Bibl. Acad Lugd. Bat. Ed

* Catal. des MSS orient aux de la Bibliothéque impér. Publ. de St.Petersbourg

كتالوج المخطوطات الشرقية بالمكتبة العامة ببطرسبورج .

* Caussin de Perceval

- Essai sur l'hist.des Arabes.

مقالة عن تاريخ العرب

- Moramir Fils de Marwa , et Asham . fils de Sedra

- Grammaire arabe vulgaire , Paris, 1824 .

قواعد العامية العربية

* Choulant , Ludwig

- Geschichte der arabischen Ärzte.

- Geschichtschreiber der Araber.

* Chwolsohn

- Die Ssabier und Ssabismus, 2 Bände, 1865

الصابئون والصابئة

- Biogr . Univers.

- Über die Überreste der altbabilonischen Literatur

حول بقايا الأدب البابلى القديم

* Comparetti

- Ricereche intorno al libro di Sindibad, Milano, 1869

- Constantinus Africanus und seine arab. Quellen

* Cureton

- Book of Religion and Philosophical sects

الملل والنحل للشهرستانى، لندن، ١٨٤٢- ١٨٤٦، فى جزءين .

* Defremery

- Journal Asiatique, 1853 Sept. Oct.

* De Goeje

- Liber Expugnationis Region um Auctore mamo Ahmed ibn Jahya ibn Djaber al- GGA

* De Sacy , Silvestre

- Chrestomathie arabe ou extraits de divers écrivains arabestan en Prose que'en vers , avec une traduction Français et notes . Paris, 1806 - 1867.

- Exposé de la religion des Druzes tiré des livers religieux de cette Secte. Paris, 2 Bände, 1838.

- Observation sur le nom des Pyramides.

- Religion des Druzes tiré des livres religieux de cette secte. Paris, 1838, 2 Bände .

- Grammaire arabe, 1831.

- Mém. sur l'origine et les anciens monuments de la littérayure Parmi les Arabes, separatabdruck ans Tom. L'der Mém de l'Academie des Insciptions et Belles Lettres

- Mémoires sur deverses antiquités de la Perse el les médailles des rois de la dynastie traduite du Persan de Mirkhond, Paris 1793.

- Anthologie grammatical Arabe,1829 .

مختارات من النحو العربى

- Pendnameh, Paris, 1922. بندنامه

- Mém. sur l'origine de recueil de contes intitulé les mille et une nuits in Mém. de l'Institut, Acad. des Inscriptions x 1933

كتاب « الأنيس المفيد والطالب المستفيد »

* De Slane

- Géographe des Abu'l Fida. Texte arabe, Paris, 1840 .

تحقيق لجغرافية «أبو الفداء» قدم لها بدراسة عن جغرافية البلدان الشرقية

- Ibn Khallikan's biographical Dictionary , trans. from the Arabic, Paris, London, 4 Bände.

* Dietrici

- Mutanabbi und Saifuddaula - Leipzig 1847.

* Dietz

- Analecta medica

- Denkwürdigkeiten von Asien, Berlin, 1815

* Dorn

- Drei astron, Instrumente . ثلاث آلات فلكية

- Des alte Indien

* Dozy

Scriptorum Arabum de rebus Indicis loci, (einz) 1838 .

شارك فى كتابتها كثيرون مثل جلدمايستر

* Dozy - de Goeje

- Glosar zu Dozy's und de Goeje's Idrisi .

معجم للإدريسى من تصنيف دوزى ودى خويه

- Discription de l'Afrique et l'Espagne. Text arabe .. avec an Tradaction Français, des notes et un glossaire . Leyden et Paris, 1866

- Discript de l'Afrique et de l'Espagne, 1866.

وصف افريقيا وأسبانيا

* El Nadim

- Abu- Jākūt el- Nadīm's Nachricht von der Schrift der Russen in Mém. de l'Acad imp. Des Sciences Tom III Sér VI, Petersburg, 1835.

* Eichhom. Johann Gottfried

- Abhandlungen über die Reiche von Ḥira u. Ghassan (II 359 - 374, III 21 - 40, VI, 221 - 239)

* Éd. Biot

- Dictionnaire des noms ancients et modernes des villes et arrondissements. Compris dans l'Empire Chinois. Paris, 1842

* Faber

- Bibl. gr. XIII

* Fabric

- Biblioth. gr.

* Fleischer, Heinrich Leberecht (Hrsg.)

- Abulfedae historia Anteislamica , Arabice duob. Codd. Paris edidit, versione Latina, notis et indicibus auxit, H.O. Fleischer. Lipsiae, 1831

- Über Textverbesserungen in al- Makkari's Geschichtswerk / Band II von kleineren Schriften, Leipzig, 1885 - 1888

- De Glossis Habichtians inquatuor Priores tomos Minoctium dissertatio critica, scripsit Henricus Orthobios, Fleischer, Lipsiae, 1826.

- Aufsatz über einige Arten der Nominal- apposition (Ber. Über die werh. d. K. S. G. d W. Bd. xiv)

- Fleischer's Beiträge zur arabischen Sprachkunde.

«دراسات فى اللغة العربية»

(gesammelt in den kleinen Schriften, Leipzig, 1885 -1888, 5 Bände, 844 Seiten)

- Catal. Libr. MSS Biblioth. Senator Lips. كتالوج المخطوطات

- Hundert Sprüche Ali's الأقوال المائة لعلى بن أبى طالب

* Flügel

- Mani, seine Lehre und seine Schriften. Leipzig, 1862.

مانى، مذهبه وكتبه

- Dissertatio de arabicis scriptorum graecorum interpretibus, Misenae, 1941.

- Al- Kini, gennant "der Philosoph der Arber", Leipzig, 1857

- Die arabischen grammatischen Schulen, Leipzig, 1862.

* Frähn كتاب ابن فضلان

- Ibn Abī - Jaᶜkūb el - Nadim's Nachricht von Schrift der Russen in dem Mém. de l'Acad. Imp. Des Sciences Tom III, Sér VI, Petrsburg ,1835.

* Freytag, George Wilhilm

- Lexicon Arabico- Latinum / Halle, 1830 - 1837, 4 Bände, dezu ein behändiger Auszug 1837.

- Selecta Hist. Halebi

* Geitlin مختصر تاريخ حلب

- Die Grammatik der persischen Sprache قواعد اللغة الفارسية

* Gildmeister

- Scriptorum Arabum de rebus Indicis Loci, 1838.

* Golius

- Notae in Alfragani, Dreissig Kapitel des Alfragani Amestefodami, 1669.

- Astronomiche Tafeln in Alfragani. Not.

* Gratz

- De interpretipus et explanatopibus Euclidis Arabicis, Halle 1823

* Guthrie - Gray

- Allgemeine Weltgeschichte مجمل تاريخ العالم

* Haarbrücher

- Religionsparteien und Philosophenschulen, 1850 - 1851

ترجمة الملل والنحل للشهرستاني.

- Histor. Orient.

- Berichte der kön. sächs. Gesch. d. Wissensch. zu Leipzig

* Habicht, Maximilian

- Herausgeber des arabischen Textes der 1001 Nacht (Alf Laila Waleila. Tausend und eine Nacht. Arabische Erzählungen hrsg. und übersetzt. Bl.III 1825.

Fortgesetzt von H.L. Fleischer 12 vols. Breslau, 1825 - 1843.

ترجمة ألف ليلة وليلة، قام فلايشر بتحقيقها ونشرها

* Hamaker, Hendrik

- Engelin Weijers

– عاون في وضع فهرس المخطوطات العربية في جامعة ليدن ١٨٣٠ . نشر «فتح صنف والإسكندرية» للواقدي مع تعليقات لاتينية في جزءين، ليدن ١٨٣٥

* Hammar. Purgstall.von

- Literaturgeschichte der Araber (Geschichte der Literatur und Wissenschaft der Araber)Wien, 1850.

- Ancient Alphabet, Wien, 1850 - 1856.

- Geschichte des Assassines تاريخ الحشاشين

* Hall

- Encycl. Sect II Band XXII

* Harlis

- Fabric Bibl. gr.

* Hartmann. Martin :

- Edrisii Africa, Lieder der Libyischen Wüste, 1897.

الإدريسى الإفريقى

* Hoffmann, Adereas Gottlieb

- Grammaticae Syriacae libritres 1800. النحو السريانى

* Hottinger. Johann Heinrich

- Historia ecclesiastica, 1660.

- Historia Orient.

- Promtuarium sive Bibliotheca Orientalis Exhibens catalogum sive, centurias aliquot tam authorum, quam librorum Hebraicorum, Syriacorum, Arabicorum, Aegyptiacorum, Aethiopiorum etc. Heidelberg, 1658.

- Liber de viris quibusdam illustribus apud Arabes des Leo Africanus (im Bibliothecarius quadripartitus)

* Hübner

- Commentarii in Diog. Laert.

* Jaubert

- Übersetzung von Idrisi, Géographie d'Edrīsī traduite de l'arabe in Français d'apres deux mss. de la Bibliothéque du hoi et accopagnêe de notes, Paris, 1830-1840 .

ترجمة الإدريسى

* Jöcher

- Catalog der Leipz. Ratbibl. Cod.

* Johnboll. Theodor Willem

- Kitāb al- harāg des Jaḥya ibn Adam (1907-1908).

كتاب الخراج ليحيى بن آدم

- Lexicon geographicum (d. h. einen auf den rein geographischen Stoff beschränkten Auszug aus jakut) 1852-1864

* Jong. p. de Jong

- Catalogus codd. or. bibl, acad. Scient., Lugd. Bat. 1862.

* Journal of the Amer. Orient. Soc.II

* Journal of the Royal As. Soc. جورنال المجمع الآسيوى الملكى

* Jourdain

- Biogr. univers, xxvi

* Journal des Savants. جريدة العلماء

* Julian. St

- Livre des récompenses et des peines

- Kön. Sächs. Gesch. der Wiss. zu Leipzig, ph. - h.cl.

المجلة الملكية لجمعية ساكسون العلمية بليبزج للغات والتاريخ

* Kloproth

- kaukasische Sprachen اللغات القوقازية

* Kosegarten

- « النصوص المختارة» منشورة من مخطوطات باريس ، وجوتا، وبرلين مع معجم وتعليقات، ليبزج، ١٨٢٨ .

-Hudailiten diwan edierte – حقق ديوان الهذليين

* Lane

- Manners and Customs übers. von Zenker im Index u.d.w. Herzb.

- Liber dictus Elchavi i. e. Complectens omni quae ad medicinam spectant Impressam. Brixiae, 1846

- Liber quartus de morbis et pulmonis

* Leyd

Catalogus codd. or bibl. acad. Lugd Bat. ed. Dozy, de Jong, de Goeje et Houtsma, vol. I-VI Lugd

Bat. 1851 - 77. Catalogus codd arab. ed II auctoribus M. J. de Goeje et M. Th. Houtsma, vol. I Lugd Bat. 1888, vol. II Pars auct, M.J. de Geoje et W.Th.Juynboll, 1907.

* Libanius

- Anthol. gramm.

* Lydner Codex Nr. xx

* Malcolm

- The History of Persia

* Mirchond

- In der Übersetzung von Shea

* Mohl

- Le Livre des rois par Abū'l Ḳāsim Firdausi, Publié, traduit et commenté, Pairs, 1828 7 Bände. كتاب الشاهنامه .

* Moursinge. A

تحقيق «طبقات المفسرين» للسيوطى (مع شروح لاتينية، وسيرة جلال الدين السيوطى)، ليدن، ١٨٣٩ .

* Nicoll. Alexander

- فهرس المخطوطات الشرقية فى المكتبة البولندية ، ليانوشى، الجزء الثانى من المجلد الأول اكسفورد، ١٨٣١ .

* Nöldeke. Theodor

- Gött. gel. Anzeigen, 1862

- Geschichte des Ḳorans / Göttingen, 1860 تاريخ القرآن

* No. et Extr.

* Ol. Borrichii

- Conspectus

* Panth

- Ägypt. lib.

* Pelagii Graeci

- Democritum Abderitam de arte Sacra Borelli

* Plinius xxx 2

- Sophar Persa, magister Ostanes Medus Democriti proecepto.

* Pococke

- Specimen Historiae Arabum sive Gregori Abul Farajii Maltienis .. Oxoniae, 1650, Historia compendiosa Dynastiarum authore , von White

تاريخ العرب

- Die Schrift des Abdellatif über Ägypten Gregorii Abul Farajii Maltienis / Bibliotheca Arabica, 1663. eine Andere Auflage von White, 1806 .

تاريخ مختصر الدول

* Quatremère

- Journal Asien.

- Übersetzung von Maqrīzī, Geschichte der Mamluken von Ägyten. Histoire des Ṣultans Mamluks de l'Egypte, Paris, 1837-1844.

ترجم للمقريزى «تاريخ المماليك » الجزء الثانى من كتاب «السلوك فى معرفة الملوك» .

- prolégomèn es d'Ebn Khaldown. Texte arabe (Notices et Extraits den Manuscripts, Paris, 1858. de la Bibliotheque Imperiale. Academie des Inscriptions et Belles- Lettres 3 Bände.

تحقيق لمقدمة ابن خلدون

- Mém. geogr. et histor. sur l'Egypte

مذكرات جغرافية وتاريخية عن مصر

* Reinaud, Joseph - Toussaint

- Relation des Voyages faits par les Arabes Persans dans l'Inde et la Chine au Ixe Siècle de l'èere Chrétienne, Paris, 1845.

- Discours Préliminaire zur Relation des Voyages.

- Mémoire Géographique, Historique et Scientifique sur l'Inde Paris, 1849

مذكرات عن الهند

- Géographe des Abu'l Fida. Paris, 1840 .

تحقيق لجغرافية «أبو الفدا»

* Reiske, Johann Jakob

- ᶜAbd. Jaschuᶜ ben Bahira عبد يشوع بن بحيرا

* Rödiger :

- Jahres ber. D M G für, 1845 - 1846

* Rosen

- The Algebra of Mohammed ben Mūsa, London, 1831 .

جبر محمد بن موسى

* Sachau, Edward

- Die traditionelle Literatur der Parsen

الأدب البارسى القديم (التقليدى)

- Scriptorum Arab. de rebus Indicis loci Sachac

تحقيق الجواليقى

* Sédillot

- Traité des Instruments astronomiques des Arabes (1834 - 1835)

* Seetzen, Ulrich Jasper

- Seine Reisen durch Syrien, Plästina, die Transjordanländer, - Arabia Petraea und Unterägypten (Fr. Kruse / Berlin, 1854)

* Shea and Troyer

- The Dabistan.

* Sprenger, A

- Life of Shy^c^ah (Bibl. Ind.) حياة الشيعة .- List of Shy^c^ah's Books ed. A. Springer and Mawlawy Abdul- Haqq. Calcutta, 1853- 1855 .

فهرس كتب الشيعة للطوسى (أبو جعفر)

* St. Julian

- Livre des récompenses et despeines.

* Steiner, Heinrich

- Die Mu^c^taziliten oder die Freidenke im Islam, 1865 المعتزلة

* Steinschneider, Moritz

-- Die hebraischen Übersetzungen des Mittelalters und die Juden als Dolmetscher, ein Beitrag zur Literaturgeschichte des Mittelalters, meist aus handschriften, Quellen, 1893

- Costantinus Africanus und seine arabischen Quellen .

قسطنطين الإفريقى ومصادره العربية

* Tornberg, Johann

- Die Chronik des Ibn al- Atīr (1851-1876) 14 Bände und Supplement

تحقيق الكامل لابن الأثير (١٤ جزءاً) مع ملحق

* Vansleb

- Nouvelle Relation d'nu Voyage fait in Egypte, Paris 1677.

* Verger

- Vie de Mahomet, Paris, 1837 .

حياة محمد (النص الوارد فى تاريخ أبى الفدا مع ترجمة وتعليقات)

* Veth

- Suppl. Ann. S.v. تحقيقه لتاريخ أبى الفدا

* Von Bohlen

- Das alte Indien . تاريخ الهند القديم

* Von Dom

- Drei astron. Instrumente ثلاث آلات فلكية

- Das alte Indien.

- Eischenhorn's Rep.

- Catalogue des Manuscripts et xylographes Orientaux de la Bibliothéque imper. publique de St. Pétersburg.

* Von Dyk

- Neuste arab. Übersetzung des A. T.

الترجمة العربية الحديثة للعهد القديم

* Von Schlözer

- Abu Dolef Misaris ben Mohalhel de intinere asiatico Commentarius. Berlin 1845.

* Von Tornauw

- Das moslemische Recht الشريعة الإسلامية

* Vullers

- Gr. linguae pers.

مقارنة قواعد اللغة الفارسية بقواعد اللغتين السنسكريتية والزندية، جيسن ١٨٤٠ .

* Weil

- Geschichte der Chalifen, Stuttgart, 1846 - 1851, 2 Bände.

- Mohammed, der Prophet : Sein Leben und seine Lehre Stuttgart, 1843.

محمد الرسول حياته ومذهبه

* Wenrich

- De auctorum Graecorum Versionibus et commentariis Syriacis arabicis armeiasis persicisque commentatio 1842

* Wiener Catalog

- Die arabischen, persichen und türkischen Handschriften der K.K. Orientalischen Akademie zu Wien von A. Kraft. Wien 1842.

* Wolf

- Die Drusen und ihre Vorläuer
الدروز وزعماؤهم.

* Wright

- Arabic Grammar 1859 - 1862.

- Al- Kāmel of al- Mubarrad 1864 - 1874 .
الكامل للمبرد

* Wüstenfeld

- Register zu den Genealogischen Tabellen der arabischen Stämme und Familien, 1952 .

سجل جداول أنساب القبائل والأسر العربية.

- An account of the Manners and customs of the modern Egyptians, London, 1836.

. القبائل العربية للمقريزى ، تحقيق فيستنفلد

- Geschichte der arabischen Ärzte, Göttingen, 1840.

- Lib. Class.

ZDMG = Zeitschrift der morgenländischen Gesellschaft.

مجلة المستشرقين الألمان .

* Zenker

- Sitten und Gebräuche der heutigen Ägypter. 3 Bände, 1852.

رسالة المقريزى عن القبائل العربية التى هاجرت إلى مصر (ترجمة زنكر)

- Dictionaire turc - arabe - persan, 1866 - 1876 in Bibliotheca Orientalis I .

مؤلفات جوستاف فليجل كاملة

Flügel, Gustav (1802-1870)

1829 - Der vertraute Gefährte des Einsamen in schlagfertigen Gegenreden von Abu Manssur Abdu'lmelik ben Mohammed ben Ismail Ettsalebi aus Nisabur. Übersetzt, berichtigt und mit Anmerkungen erläutert durch G. Flügel. Nebst einem Vorworte des Herrn Hofrathes J. Ritter von Hammer. wien

- Catalog der arabischen, persischen, türkischen, syrischen und aethiopischen Handschriften aus der Hof-und Staats-bibliothek zu München. In: Jahrbücher der Literatur. Anzeigenblatt f. Wissenschaft und Kunst Wien 47, 1 - 46

1830 - Einige nähere Andeutungen über die auf der Bibliothek in München befindliche, bey der Entsetzung Ofens im Jahre 1688 durch die Churfürsten Max Emanuel in dem Lager der Türken erbeuteten Schlüssel. In: Jahrbücher der Literatur. Anzeigenblatt für Wissenschaft und Kunst wien 49, 9 - 12

1832 - Sojuti's Leben und Schriften. In: Jahrbücher der Literatur. Anzeigenblatt f. Wissenschaft und Kunst Wien 58, 25 - 40; 59 (1832) 20- 36; 60 (1832) 9 - 29

- Die Geschichte der Araber bis auf den Sturz des Chalifats von Bagdad. Dresden 1832 - 1840. 3 Bände (Allgemeine Historische Taschenbibliothek für Jedermann 36)

2. umgearbeitete und vermehrte Auflage Leipzig 1867 (Aus alter und neuer Zeit I)

1834 - (Hrsg.) Corani textus arabicus ad fidem librorum manuscriptorum et impressorum et ad praecipuorum interpretum lectiones et auctoritatem recensuit indicesque triginta sectionum et suratarum addidit Gustavus Flügel. Lipsiae

- Zweite Auflage 1842, Dritte Auflage 1858

1835 - Lexicon bibliographicum et encyclopaedicum a Mustafa ben

Abdallah Katib Jelebi dicto et nomine Haji Khalfa celebrato compositum. Ad Codicum Vindobensium, Parisiensium et Berolinensis fidem Primum edidit, Latine vertit et commentario indicibusque instruxit Gustavus Flügel. I - VII. Leipzig-London 1835-1859

Nachdruck New Yourk-London 1964

1840 - Andeutungen über die von der königlichen Bibliothek zu Paris an arabischen, persischen und türkischen Handschriften in der neuesten Zeit gemachten Erwerbungen. In: Jahrbücher der Literatur. Anzeigenblatt für Wissenschaft und Kunst Wien 90, 1-16; 91 (1840) 1-10; 92 (1840) 34-60

1841 - Dissertatio de arabicis scriptorum graecorum interpretibus. Misenae

1842 - Zuschrift an S. Exc. den Herren Grafen Moritz Dietrichstein. Die neu erworbenen orientalischen Handschriften der K. K. Bibliothek zu Wien In: Jahrbücher der Literatur. Anzeigenblatt f. Wissentschaft und Kunst Wien 97, 1-31; 100, 1-31

- Concordantiae Corani arabicae. Ad literarum ordinem et verborum radices diligenter disposuit Gustavus Flügel. 2 vols. Lipsiae 1842-1898

2. Auflage Leipzig 1925

Reprint Westmead Farnborough, Hants 1965

Ridgewood. N. Y. 1971

1845 - Definitiones viri meritissimi Sejjid Scherif Ali Ben Mohammed Dschordschâni. Accedunt definitiones theosophi Mohji-ed-din Mohammed ben Ali vulgo Ibn Arabi dicti. Primum edidit et adnotatione critica instruit G. Flügel. Lipsiae

1851 - Über die Bedeutung des Ausdrucks fi hudüd sanah. In: ZDMG 5, 60-77

1852 - Über eine Bibliothek zu Rhodos. In: ZDMG 6, 541-544

1853 - Über arabische und persische vorzüglich in der Mystik, Cabbala und in philosophischen Wissenschaften vorkommende Wortabkürzungen

und die geheime Bedeutung der Buchstaben insbesondere. In: ZDMG 7, 87-92

- Über die versgattung Mawalija. In: ZDMG 7, 365-373

- Aus einem Briefe des Prof. Flügel an Prof. Brockhaus. In: ZDMG 7, 596-597

1855 - Beitrag zu den Berichten der Araber über Du'l-karnain. In: ZDMG 9, 794-797

Zur Literatur der Araber im elften Jahrhunderte der Flucht unter Zugrundelegung des Werkes: Die Auswahl des Denkwürdigen über die ausgezeichneten Männer des elften Jahrhunderts. In: ZDMG 9, 224-230

-Eigenthümlich zusammengesetzte Unterschriften muhammadanischer Manuscripte. In: ZDMG 9, 357-367

1856 - Lesefrüchte. I. Beitrag zu den Monogrammen auf den muhammedanischen Talismanen. II. Zahl der Suren, Verse, Wörter, Sągda, Fatha, Damma, Kasra, Punkte, Hamza und anderer Zeichen im Koran. III. Nachtrag von Prof. Fleischer. In: ZDMG 10, 513-514

1857 - Zur Frage über die ältesten Übersetzungen indischer und persischer medicinischer Werke ins Arabische. In: ZDMG 11, 148-153; Anhang 325-327

- Al-Kindi genannt "der Philosoph der Araber". Ein Vorbild seiner Zeit und seines Volkes. Leipzig (Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes 1,2)

1859 - Über Muhammad ben Ishak's Fihrist al- ᶜulūm. In: ZDMG 13, 559-650

-Bemerkung (zu Enger, Über das Vezirat ZDMG 13, 246). In: ZDMG 13, 707-708

-Über Inhalt und Verfasser der arabischen Encyclopädie, Rasā'il Iḫwan aṣ-Ṣafā; d. i. die Abhandlung der aufrichtigen Brüder und treuen Freunde. Nebst Andeutungen über die Einrichtungen des Bundes der Verbrüderten. In: ZDMG 13, 1-43

1860 - Einige bisher wenig oder gar nicht bekannte arabische und türkische Handschriften. In: ZDMG 14, 527-546

-Eine arabische Inschrift in Granada. In: ZDMG 14, 353-362

1861 - Die Classen der hanefitischen Rechtsgelehrten. In: Abhandlungen der K. Sächs. Gesellschaft der Wissenschaften, Phil.-hist. Classe Bd. 3. Leipzig

1862 - Mani, seine Lehre und seine Schriften. Ein Beitrag zur Geschichte des Manichäismus. Aus dem Fihrist des Abu'l Faradsch Muhammad ben Ishak al-warrak, bekannt unter dem Namen Ibn Abî Ja'kub an-Nadim, im Text nebst Übersetzung herausgegeben von Gustav Flügel. Leipzig

Reprint Osnabrück 1969

- Die grammatischen Schulen der Araber. Nach den Quellen, bearbeitet von G. Flügel. Erste Abtheilung. Die Schulen von Basra und Kufa die gemischte Schule. Leipzig (Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes 2,4) - 265 S.

Reprint Nendeln 1966

-Ibn Ḳuṭlūbuġā. Tāg at-tarāğim fī ṭabaqāt al-Ḥanafīya. Die Krone des Lebens. Beschreibungen enthaltend die Classen der Hanefiten von Zein-ad-Din kasim Ibn Ḳuṭlūbuga Zum ersten Male hrsg. und mit Anmerkungen und einem Index begleitet von Gustav Flügel. Leipzig (Abhandlungen für die kunde des Morgenlandes II,3) - Reprint Bagdad 1962

-Einige geographische und ethnographische Handschriften der Refaija auf der Universitätsbibliothek zu Leipzig. In: ZDMG 16, 651-709

1864 - Zwei Reisewerke der Refaija aus der Universitätsbibliothek zu Leipzig. In: ZDMG 18, 523-569

- Bemerkungen zu dem :Nachtrag: des Herrn v. Kremer (ZDMG 18, 303). In: ZDMG 18, 808-811

1865 - Die arabischen, persischen und türkischen Handschriften der kaiserlich-königlichen Hofbibliothek zu Wien. 3 Bde. Wien 1865-1867 - Reprint Hildesheim 1977

1866 - Ergänzung (zu meinen grammatischen Schulen der Araber). In: ZDMG 20, 444

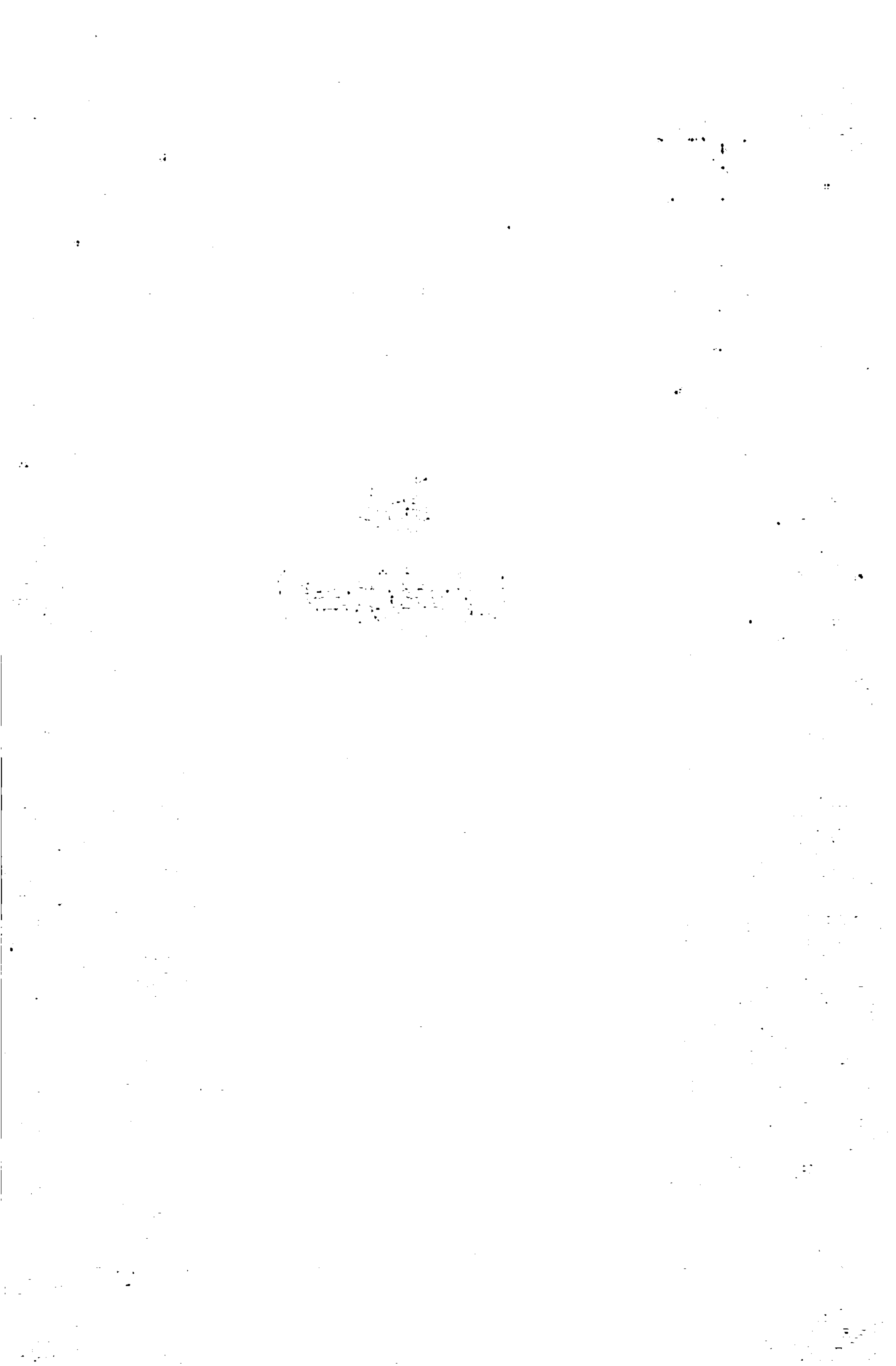
- Scha^c^rānī und sein Werk über die muhammedanishe Glaubenslehre. In: ZDMG 20, 1-48; Nachtrag 21 (1867) 271-274

1868 - Zur Frage über die Romane und Erzählungen der mohammedanischen Völkerschaften.In: ZDMG 22, 731-737; Nachtrag 23 (1869) 306-308

1869 - Babek, seine Abstammung und erstes Auftreten. In: ZDMG 23, 531-542

1871 - Kitāb al-Fihrist, mit Anmerkungen hrsg. von G. Flügel. I. Band (Text), 2. Band (Anmerkungen). Nach dessen Tode besorgt von Johannes Rödiger und August Müller. Leipzig Reprint Beirut 1964

ندوة
(حسين نصار)



حسين نصار المحقق

أ.د/سيد البحراوى

بلغ عدد الكتب التى أصدرها حسين نصار مستقلاً حتى الآن نحو الستين كتابا ، بالإضافة إلى الأعمال المشتركة والأبحاث والمقالات المنشورة بالمجلات والصحف والمراجعات ورسائل الماجستير والدكتوراه التى أشرف عليها . ونعرف طبعًا مدى تنوع إنتاج حسين نصار بين التأليف والترجمة والتحقيق والمراجعة ، فى شتى مجالات الثقافة العربية الأدبية والفنية والتاريخية والفلسفية والدينية .

غير أن نظرة أولية لقائمة إنتاج حسين نصار ، تشير إلى أن التحقيق قد احتل مركزا مميزا فى هذا الإنتاج ، كمًا وكيفًا ، جعله جديرا بإدارة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ، ثم إدارة مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية . فمن بين كتبه ثمة واحد وعشرون كتابًا محققًا ، أى أكثر من ثلثها ، بالإضافة إلى الفصول المحققة المنشورة فى المجلات العلمية ، وعدة مقالات تراجع تحقيقات آخرين ، وكذلك أكثر من ثلاثين رسالة ماجستير ودكتوراه فى ميدان التحقيق ، والمعروف بالطبع أن المشرف على رسالة فى تحقيق التراث ، ربما كان يساهم أكثر من القائم بالدراسة فى عملية التحقيق ، وخاصة إذا كان الطالب مبتدئًا . فهذه الرسائل لايحسب فيها جهد الأستاذ فى التحقيق شريكًا كاملاً فحسب ، وإنما يحسب فيها أيضا جهده فى إنتاج محقق جديد يضاف إلى الساحة العلمية المهمة .

وليس جديدًا أن نؤكد هنا التميز العلمى الذى حققه حسين نصار فى إنجازاته فى ميدان التحقيق ، وإن كان لابد من الإشارة إلى أن التمحيص والدقة الموضوعية كانت أبرز خصائصه ، وهى الخصائص التى تجعلنى أنقل مجمل إنتاج حسين نصار العلمى ، وحياته أيضا . فقد تحلت كل كتابات حسين نصار ، حتى البسيطة منها والتى كانت تنشر فى الأهرام على سبيل المثال ، بهذه الخصائص ، التى لا تلقى الكلام على عواهنه ولا تميل إلى هوى أو انفعال . وهذا نفسه ما عاش نصار حياته على هديه من المبادئ ، سواء فى أعماله الإدارية فى كلية الآداب ، أو خارجها ، وفى مساهماته التى أراها فى غاية الأهمية فى منظمات المجتمع المدنى الثقافية على مدى العقود الستة الماضية .

لقد كان حسين نصار ينطلق فى بحثه وحياته من منطلق العالم الملتزم بأصول العلم . . ومن مقتضيات الالتزام العلمى ، كما علمنا حسين نصار أن يتغيا العالم فائدة أهله وناسه . . . ووطنه .

جهود أ.د حسين نصار فى الدراسات المعجمية

أ.د / وفاء كامل فايد

انصرفت همة أستاذنا ــ فى مطلع شبابه - إلى دراسة ميدان لغوى بكر ، هو مجال الدراسات المعجمية . وكانت رسالته للدكتوراه أول بحث من نوعه يتصدى لتأريخ المعجم العربى فى نشأته وتطوره تاريخًا شاملاً مفصلاً ، على منهج علمى دقيق .

وفى هذه الدراسة بيَّن أن اللغة العربية من أغنى اللغات الإنسانية فى ثروتها اللفظية ، التى تستوعب الحاجات الحسية والمعنوية للأمة . كما بيَّن أن العربية من أقدم اللغات حرصًا على تأليف المعاجم اللغوية المختلفة .

وقد ضم كتابة (المعجم العربى) ــ الذى صدر منذ ما يقرب من نصف قرن ــ أشمل دراسة للمعاجم العربية ، وقد تمكن بدقته ونفاذ بصيرته من استنباط المدارس التى احتوى عليها هذا العلم ، والتى لم يزد عليها أحد من الدارسين مدرسة إلى اليوم .

وتابع جهوده فى التعريف بالمعاجم ، وعرضها ودراستها ، حين استطاع أن يطلع على مخطوط (كتاب الجيم) لأبى عمرو إسحق الشيبانى (ت ٢٠٦هـ) ، فاعتمد على نسخة من هذا المخطوط فى دراسة ألقت الضوء على هذا المعجم ، الذى كاد يضيع دون أن يرويه أحد ، أو يقتبس منه لغوى .

استهل أستاذنا بحثه بعنوان الكتاب هادفًا أن يعرف معناه وسبب تسميته ، فذكر رأيين : أحدهما أن كلمة الجيم تعنى الديباج ؛ فكتاب الجيم سمى بهذا الاسم تشبيها له بالديباج فى حسنه . أما الرأى الثانى فقد ذهب إلى أن حرف الجيم يكثر فيه الغريب ، وكتاب الجيم للشيبانى معنيٌّ أكبر العناية بالغريب والحوشى ؛ فلعل الشيبانى كان يرى فى عبارة (لغة الجيم) دلالة على الغريب والنادر من اللغة العربية .

وانتقل إلى غرض الشيبانى من تأليف كتابه ، فرأى أنه لم يقصد إلى حصر أبنية اللغة ، أو استنباط قواعدها الصوتية ، وإنما كان هدفه تدوين الكلمات الغريبة والنادرة من لغات القبائل .

ثم حدد منهج الشيبانى فى الترتيب ، فبيَّن أن الكتاب مقسم إلى أبواب ، يختص كل منها بحرف من حروف الهجاء . ولم يراع مؤلفه التقسيم الداخلى للأبواب ، ولاترتيب الصيغ ، فلم يصل إلى معالجة المفردات اللغوية مرتبة على أصولها الصرفية أو موادها اللغوية ؛ بل كان يتبع طريقة الترتيب العشوائية التى اتبعتها كتب النوادر .

وانتقد باحثنا هذا الترتيب ذاكرًا أن من نتائجه تشتيت الألفاظ التى ترجع إلى أصل واحد بين صفحات الباب كله ، وتكرير تفسيير بعض الألفاظ . وعقد مقارنة بين كتابى (العين) للخليل و (الجيم) للشيبانى استدل منها على أن الأخير ألف كتابه بمنأى عن كتاب العين .

وحدد أهم الظواهر فى (الجيم) ، وتتمثل فى :

١ ـ تحريه النادر من الألفاظ والغريب من التفسير .

٢ ـ عنايته باللهجات ، حتى إنه يفوق ـ من هذا الجانب ـ جميع المعاجم التى بين أيدينا .

٣ ـ إيراده للألفاظ الغريبة فى سياقها ؛ مما يتمم تفسيرها ، ويوضح طريقة استعمالها فى لغاتها ، ويجعلنا على صلة مباشرة بالتعبير العربى الصميم .

٤ ـ عنايته الكبيرة بالشواهد الشعرية ، وإيراده لكثير من الأخبار والقصص القصير .

٥ ـ تأثره بالرسائل اللغوية على الموضوعات : فكان يتتبع ما يتحدث عنه ، فى أحواله المختلفة ، دون أن يلتزم بوضع كل كلمة فى موضعها تبعا لحروفها .

٦ ـ ميله إلى إيراد المترادف من الألفاظ والعبارات .

٧ ـ ندرة الأعلام ، والشواهد من القرآن الكريم أو الحديث الشريف .

ولاحظ باحثنا على كتاب الجيم وقوع خلل فى وضع بعض الشواهد الشعرية ، إلى جانب اضطراب التفسير . واستكمل عرضه للكتاب بوصف نسخة المخطوط التى اعتمد عليها .

أما دراسته فى كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدى فقد حاول فيها أن يلقى الضوء على أقدم نسخة منه ببغداد ، وهى الموجودة بمكتبة حجة الإسلام السيد حسن الصدر .

١ ـ وبدأ بالتحقق من السند الذى وصل الكتاب عن طريقه . وقد كتب فى مستهل النسخة أنه لم يتعد راوية واحدًا أخذ عن الليث مباشرة . ولكن باحثنا ـ عند فحص الكتاب ـ وجده يعتمد على عدة نسخ سابقة عليه ، اختار الكاتب منها واحدة التزمها وجعلها النسخة الأم ، وحين خرج عليها نبه إلى ذلك . ونقل من هذه النسخ أحيانًا تصحيحًا لبعض الألفاظ الواردة فى تفسير المواد التى يعالجها . ووصل باحثنا إلى أن الكاتب كان بين يديه ست نسخ ـ على الأقل ـ يردد نظره فيها وينقل عنها . وأكثر ما يشير منها إلى نسخة (الحاتمى) .

ومن فحص الباحث للمتن قرر أنه من المحال أن تكون هذه النسخة من كتاب العين قريبة العهد بالليث بن المظفر ، وأن الراوية المذكور فى مستهلها ليس آخر رواتها ، وأكد أن كاتبها كان يعيش فى أواخر القرن الخامس أو ما بعده .

وفى نظرة موسوعية شاملة عرض باحثنا صورة شاملة للمعاجم العربية القديمة موضحًا خصائصها ، وطرق ترتيبها . فبدأ بمعجم (العين) موضحا الأسس التى بنى عليها ، والنقائص والصعوبات التى واجهها . فذكر ترتيب مواده وفقًا للمخارج الصوتية ، ثم التزامه نظامىّ الأبنية والتقاليب . وتابع المعاجم التالية له موضحًا مدى التزامها بالأسس التى سار عليها الخليل فى معجمه ، ومبينًا المعاجم التى عدلت عن هذه الأسس ، وسبب هذا العدول ، ثم المنهج الذى سارت عليه حتى تخلص من مصاعب ترتيب الألفاظ فى المعجم .

ثم عقد مقارنة بين المعاجم القديمة والحديثة فى جانبين ، الأول : ترتيب الصيغ والمعانى داخل المادة اللغوية الواحدة ، والثانى : عدم الدقة ــ عند الخليل خاصة ــ فى ضبط المواد والصيغ بالشكل ؛ مما جعلها عرضه للتحريف والخطأ . وأشار إلى أن المعاجم الحديثة تفادت هذين الأمرين فالتزمت ترتيبًا خاصًا بكل صيغة يضعها فى موضع محدد ، كما التزمت موضعًا واحدًا لكل معنى ، إلى جانب التزامها بالضبط التام .

ووضع الخطوط العريضة التى تبين الصورة المثلى للمعجم عند العرب كمايلى :

ــ الالتزام بالترتيب الألفبائى للحروف الأصلية للكلمة ، بدءًا من الحرف الأول .

ــ الفصل بين المعانى المختلفة لكل مادة .

ــ ايراد الصيغ فى مواضع محددة لاتتجاوزها .

ــ الالتزام بالضبط .

ثم انتقل إلى المعجم العام الشامل لجميع ماتحتوى عليه العربية ، فرأى أنه يجب أن يبدأ بجمع ما بقى عندنا من المعاجم القديمة والرسائل اللغوية ، واستخلاص ماتتضمنه من صيغ ومعان .

يلى ذلك جمع ما بقى عندنا من التراث العربى كله دون استثناء ، فى كل علم وفن ومنحى . ثم تصنيف التراث ــ حسب ما يشتمل عليه من موضوعات ــ تصنيفًا دقيقًا وفقًا لأنواع النشاط الفكرى البشرى . وتقسيم كل صنف منها تبعًا للقطر الذى أصدره ، مهما كان موقعه من العالم . ثم ترتيب هذه الأصناف ترتيبًا تاريخيًا من الأقدم إلى الأحدث .

وتتم تغذية الحاسوب بهذا التراث ؛ لكى نتمكن من معرفة الكلمة فى استخداماتها كلها ، مصنفة على الأقطار ، ومرتبة على السنوات . فنتمكن من تتبع معانيها فى هذه الاستعمالات إن تعددت ، ومن تبين الاختلاف بينها إن تغايرت ، واستنباط أسباب التباين ؛ فيمكننا أن نؤرخ للكلمة . وحين نؤرخ لكل كلمة من كلمات اللغة نكون أرخنا للغتنا وللفكر العربى .

وتصور الباحث أن تحتشد لهذا العمل الكبير جهود هيئات وأجيال وأقطار متضافرة ، ترصد له المال ، وتقسم العمل المتكامل ، وتهيئ له الوسائل المعينة عليه .

وضرب مثالاً بمعجم أكسفورد الكبير فى اللغة الإنجليزية الذى استغرق العمل فيه ما يزيد على سبعين عامًا ، واعتمد على الجهد البشرى وحده ، فكانت معاناتهم فى إخراجه أعظم مما علينا أن نعانيه لإنجاز معجم مثله فى العربية .

وانتقل إلى المعاجم الخاصة بالأدباء ، فذكر أن لكل أديب نهجه الخاص فى التعبير ، سواء فى معانى الكلمات التى يستخدمها أو فى الطريقة التى تتراكب بها الألفاظ عنده . ولن يوضح ذلك سوى معجم خاص بهذا الأديب ، يضم كل ما استعمله من ألفاظ مفردة ومركبة .

وأشار إلى معجم شكسبير فى الإنجليزية ، وإلى جهد عبد الرحمن الحاج صالح فى الجزائر ، ثم إلى جهد قسم اللغة العربية فى كلية الآداب من جامعة القاهرة لتنفيذ الفكرة حين كلف عددًا من طلاب الدراسات العليا بصنع هذه المعاجم ، مع التزام طريقة خاصة فيها .

فإذا أنجزنا معاجم شعراء عصر معين وأدبائه استطعنا أن نعرف اللغة العربية فى هذا العصر معرفة دقيقة وشاملة . وإذا فرغنا من سائر الدواوين والآثار الأدبية استطعنا أن نتعرف على لغتنا الأدبية ، وأن نؤرخ لها من عصر إلى عصر .

ثم انتقل إلى رسم صورة للمعجم الاشتقاقى ، الذى يقسم الكلمات التى يعالجها إلى ثلاثة أنواع : العربى الأصيل ، والمشترك بين العربية واللغات السامية الأخرى ، والدخيل الذى أخذته العربية من غير الساميات .

ونبه إلى أن الأسس المهمة فى المعاجم اللغوية ، وهى ما يجب اتباعه عند وضعها ، هى :

١ ـ تحديد سبب تأليف المعجم ، والغاية التى يهدف إليها ؛ لكى يتلمس الطرق إلى بلوغها .

٢ ـ تمحيص المادة التى يتألف منها ، تبعا للهدف منه .

٣ ـ وضع نظام صارم لترتيبه الهجائى ، يخضع له كل من المفردات ، والصيغ داخل المادة ، وكذلك المعانى .

وإذا تعددت المعانى الأساسية فى المادة الواحدة تقسم وفقًا للمعانى ، وتوضع الصيغة الموافقة لكل معنى تحته على نظامها ، وتقدم المعانى الأكثر شيوعًا على غيرها ، وتؤخر المصطلحات .

٤ ـ تمحيص طرق تفسير المعانى ، والإكثار من الصور عند الحاجة ، ووضع الكلمة فى سياقها .

٥ ـ الدقة فى طباعة المعاجم .

وهكذا أعطانا شيخنا ـ قبل عشرين عامًا ـ صورة واضحة متكاملة مفصلة للمعاجم التى لازالت العربية فى حاجة إليها حتى اليوم .

واهتم باحثنا بمعالجة الظواهر اللغوية التى تندرج فى إطار المعاجم ، فأفرد بحثًا مستفيضًا عالج فيه ظاهرة (الأضداد فى اللغة)[1] ، وطبع فى كتاب بعنوان : (مدخل تعريف الأضداد) ، كما خصص فصلا لمعالجة ظاهرة (الاتباع فى العربية)[2] .

وفى بحثه عن (الأضداد) عرّف الظاهرة ، وأورد آراء علماء اللغة القدامى فيها ، واختلافهم حول وجودها فى اللغة ، ثم انتقل إلى آراء المحدثين حولها ، وأجمل الأدلة التى اعتمد عليها المستشرقون فى إنكار الأضداد .

ثم انتقل إلى الحديث عن أصل الأضداد ، وأسباب نشأتها فى العربية . كما ذكر شروط الأضداد وأنواعها . وتناول أسباب تدوين الأضداد وظهور كتبها . كما أشار إلى بواكير جمع الأضداد ، ورصد أسماء ثلاثة وعشرين كتابًا من كتب الأضداد ، مرتبة وفقًا لتواريخ وفاة مؤلفيها .

---

(١) نشر فى مجلة اللسان العربى ، الصادرة عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط : المجلد ٨ - ج١ ، يناير ١٩٧١ ، المجلد ٩-ج١ يناير ١٩٧٢ ، المجلد ١٠-ج١ يناير ١٩٧٣ .

(٢) فى كتابه (دراسات لغوية) ، ط٢ - الصادر عن دار الرائد العربى - بيروت - لبنان ، ص٤٧-٦٤ ، ١٩٨٦ .

واهتم بإبراز الظواهر التى سادت كتب الأضداد التى وصلت إلينا ، وتوضيح طرق تناول مؤلفيها للأضداد . فعل ذلك فى كل من أضداد قطرب وأبى عبيدة والأصمعى والتوزى وابن السكيت والسجستانى وأبى بكر بن الأنبارى وأبى الطيب اللغوى وابن الدهان والصغانى ، وغيرهم ممن كتبوا رسائل فى الأضداد ، بالإضافة إلى المؤلفين الذين ضمت كتبهم أبوابًا أو فصولاً للأضداد ، وهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، وابن قتيبة ، والثعالبى ، وابن سيده ، والسيوطى .

وأنهى بحثه بنظرة شاملة تحلل موقف كل من المنكرين للأضداد والمؤيدين لها ، ثم حدد المعيار الذى يجب أن تقاس به الأضداد ، ورسم الصورة الصحيحة لكلمات هذه الظاهرة .

وفى بحثه عن (الاتباع) رصد اختلاف العلماء فى تصورهم لهذه الظاهرة ، وعالجها من جوانب أربعة ، على النحو التالى :

١ ـ من حيث المعنى :

رصد آراء المتقدمين التى تتمثل فى اتجاهين : الأول أن اللفظ التابع لا معنى له ، والثانى أن التابع قد يكون له معنى .

٢ ـ من حيث الصورة :

واستحسن تعريف ابن فارس وهو أن الاتباع أن تلى الكلمة كلمة على وزنها أو رويها إشباعًا وتوكيدًا .

٣ ـ من حيث التعبير :

ووضح الإجماع على أن اللفظ التابع لاينفصل عن المتبوع ، سواء أكان له معنى أو لم يكن .

٤ ـ من حيث الغرض :

فرأى أن الاتباع يراد منه للتوكيد .

ثم رصد تقسيم عز الدين التنوخى للاتباع ، وقد عده أشمل تقسيم للظاهرة .

وانتقل إلى عرض ألوان أخرى من الاتباع لاتندرج تحت المفهوم الاصطلاحى للظاهرة ، ولكنها تندرج ضمن ألوان من الاتباع فى المفردات وفى المركبات اللغوية . فقد خضعت

المفردات لنوعين من الاتباع : نوع جرى فى حركاتها ، وآخر فى حروفها ؛ وكلاهما يضم المطرد وغير المطرد . كما تخضع المركبات لاتباع يجرى فى الحروف .

وخلص إلى القول إن الاتباع ظاهرة لغوية جمالية ، تدل على ما يعانيه المتكلم من انفعال ، وتمنح المستمع متعة فنية ؛ فالمتحدث بها لايقصد إلى الاخبار المجرد ، بل يرمى معه إلى المشاركة الوجدانية .

وفى إطار المعاجم المتخصصة تناول كلاً من كتب النبات والإبل والتراث الجغرافى اللغوى عند العرب بالدراسة التفصيلية فى كتابه : (دراسات لغوية) . كما أشار إلى معاجم المعانى حين درس كتب الفروق اللغوية .

وعندما تناول كتب النبات ذكر أن اللغويين العرب تعرضوا للنبات فى كتب خاصة به ، وفى أبواب من كتب عالجت النبات وغيره من الموضوعات التى تعرضت لها الرسائل اللغوية ، وحكم بأن الذين خصوا النبات بأبواب من كتبهم لم يوفوه حقه ، فكانت أبوابهم قصيرة لاقيمة لها ، ماعدا المخصص لابن سيده . وكانوا يحاولون شيئًا من الترتيب الزمنى خاصة ، عندما يتيسر لهم ذلك . ووصل الأصمعى وابن خالويه إلى تقسيم محكم للشجر الى عالجاه فى كتابيهما . ثم التزم أبو حنيفة الدينورى الترتيب على الحروف ، ولكنه كان ترتيبًا قاصرًا . ونضج الترتيب عند أحمد عيسى والأمير مصطفى الشهابى ، ولكنه كان ترتيبًا أجنبيًا . وظهر لون من الترتيب عند صاحبى الإفصاح .

ويمكن القول إن أكثر القدماء اتفقوا فى علاجهم لموادهم على منهج يقوم على الإشارة إلى المفرد والجمع والمشتقات ، وإيراد الشواهد ، ولكنهم اختلفوا بعد ذلك كثيرا .

وفى كتب الإبل ذكر أن العرب تنبهوا إلى معالجة الإبل فى النصف الثانى من القرن الثانى ، ثم توالت الكتابة عن الإبل . ولم يصل إلينا من الكتب الخاصة بها غير كتاب الأصمعى ، الذى كان ذا أثر كبير فى بقية الكتب اللغوية التى تعرضت لهذا الموضوع بعده ، فقد صار هذا الكتاب القدوة التى يحتذى بها ، فى المادة وفى النواحى التى يجب تناولها ، وفى الترتيب .

وتناول التراث الجغرافى اللغوى عند العرب فاختص الذين عالجوا أسماء الأماكن معالجة لغوية أدبية ، فأورد كتبهم ، وأشار إلى أنها جميعا كانت تهتم بالاسم أكثر من المسمى ، باعتبار الاسم من المادة اللغوية التى تعالجها . واعتمدت على الشعر والأخبار العربية فى استخلاص هذه الأماكن وتحديد مواقعها ، كما يعتمد عليه اللغويون فى تفسير

الألفاظ . وأقامت تحديدها للمواقع على ذكر الأماكن المجاورة وأبعادها عنها بالمراحل والأيام والأميال . وكان أدقَّهم ياقوت الذى اعتمد على معلوماته الجغرافية ، حتى كان يحدد المواضع بخطوط الطول والعرض .

وكانت الجزيرة العربية وما تاخمها من أقطار عربية هى موضع دراسة المؤلفين الأولين . ولم يشذ عنهم غير الجاحظ الذى تناول بلاد غير عربية . وبقى الأمر كذلك حتى القرن السادس ، فتناول المؤلفون المدن الإسلامية الأخرى ، ثم توسع العمرانى وياقوت إلى بقية أنحاء العالم القديم . واختلفوا فى ترتيب الكتب ، إلى أن بلغ الترتيب كماله عند ياقوت الذى راعى حروف الكلمة كلها أصلية كانت أو مزيدة .

واتفق البكرى وياقوت على ضبط الأسماء بالعبارة ، وإبانة حقيقة حروفها والحركات عليها ، والإشارة إلى اشتقاقها . وأفادا من المعاجم اللغوية : فاستقى البكرى كثيرًا من رسومه من جمهرة ابن دريد . وأكثر ياقوت من الرجوع إليه وإلى الأزهرى والجوهرى ، فتبادل هذان النوعان من المعاجم التأثير والتأثر .

وذهب إلى أن معجم البلدان لياقوت يمثل القمة التى وصل إليها هذا النوع من التأليف ؛ فقد مزج فيه صاحبه جميع ألوان الثقافة الإسلامية المتصلة .

وأشار إلى معاجم المعانى حين درس كتب الفروق اللغوية وهى الكتب التى تعالج الألفاظ التى تطلق على أعضاء تشترك فيها أنواع الحيوان ، وتأخذ فى كل نوع لفظًا خاصًا . فبدأ بكتاب قطرب ، وذكر أنه تناول الفروق فى ثلاثة أمور فحسب ، هى أسماء الحيوان وأولاده ، وجماعاته ، وأصواته . وأفرد كل حيوان من شاه الوحش ، وذوات البرثن ، وذوات الجناح . وراعى فى التعرض لها ترتيبًا معينًا التزم به .

وذكر أسماء العلماء الذين ألفوا فى الفروق موضحًا أن كتبهم ضاعت كلها إلا واحدًا .

وانتقل إلى كتاب الأصمعى فعقد مقارنة بين الموضوعات التى تناولها الأصمعى وقطرب ، وبيّن أن الأصمعى اكتفى بوضع بعض الأمور المتقاربة متعاقبة ، ولم يراع أى ترتيب .

وانفرد ثعلب – بين أصحاب الموسوعات اللغوية المرتبة على الموضوعات ـ بتخصيص الباب الأخير من كتابه (الفصيح) للفروق ، وضبط كلماته .

ولا أستطيع في هذا المجال إغفال تحقيق أستاذي لمعجمين من معاجم العربية : أولهما الجزء السادس من تاج العروس للزبيدي ، الذي نشر ضمن سلسلة التراث العربي في الكويت ١٩٦٩ ، والثاني هو (معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية) الذي نشرته الهيئة العامة للتأليف والنشر ١٩٧١ ، وطبعته دار الكتب في ستة مجلدات عام ٢٠٠٢ .

وبعد فقد كانت هذه محاولة لتسجيل جهود أستاذنا العلامة في الدراسات المعجمية ، تتبعنا فيها معًا محاولاته الدؤوب - طيلة نصف قرن - في عرض المعاجم وتحقيقها ودراستها ، ورسم منهجها ، وتبين الثغرات التي يجب علينا ملأها لنستكمل النقص في معاجمنا ، ونصل بها إلى مستوى المعاجم المتقدمة ، التي تأخذ بالتقنيات المعجمية الحديثة .

أ.د/ حسين نصار محققًا للنصوص المعجمية

د/ عشري محمد على

أولاً : تنوع الإنتاج العلمى وغزارته .

يُعَدّ الأستاذ الدكتور حسين نصار علمًا من الأعلام البارزة فى حاضر الثقافة العربية ، وذلك لما يتحلى به من ثقافة موسوعية استوعبت العديد من الجوانب العلمية التراثية والمعاصرة ، وكان من نتيجة ذلك أن تنوَّعَ إنتاجه العلمى ، فلم تقتصر جهوده على فرع واحد من فروع العلم ، بل امتدت لتشمل مجالات متعددة ، منها ما يتصل بالدراسات اللغوية والأدبية ، ومنها ما يتعلق بالتاريخ والحضارة العربية والإسلامية وغيرها ، كما اختلفت طرق معالجته لهذه الدراسات ما بين التأليف والتحقيق العلمى والترجمة . وقد عكف سيادته على خدمة التراث العربى لسنوات طويلة امتدت لأكثر من نصف قرن ، أثرى خلالها المكتبة العربية بستين كتابًا ، مما يشهد له بالتمكن والريادة .

ثانيًا : تميز الإنتاج اللغوى وضرورة الثقافة اللغوية للمحقق .

لايقف المتأمل للإنتاج العلمى لأستاذنا عند تنوعه وغزارته فقط ، وإنما يدرك للوهلة الأولى تميزه الواضح فى هذا الإنتاج لاسيما اللغوى منه ، فعلى الرغم من صعوبة التأليف فى تاريخ المعجمات العربية إلا أنه قد اختار العمل فيه ، ويعد كتابه المعجم العربى : نشأته وتطوره المصدر الرئيسى للباحثين فى هذا المجال ، وذلك لما وجدوا فيه من علم غزير واطلاع واسع ونظرة شمولية للتدوين اللغوى بعامة والمعجم العربى على نحو خاص .

ولما كانت الثقافة اللغوية شرطًا أساسيًا لكل محقق ، احتاج التحقيق العلمى إلى إحاطة واسعة بعلوم اللغة ، فالتحقيق – فى جوهره – يسعى إلى إقامة نص سليمة لغته ، بغض النظر عن نوعية هذا النص .

ثالثا : الحاجة إلى المعاجم اللغوية .

على الرغم من وفرة المعاجم اللغوية القديمة إلا أنها لا تفى بحاجة العصر ومقتضياته ، لوقوفها عند فترة زمنية لم تتجاوزها ، وهى القرن الثانى بالنسبة لعرب الحواضر ، والرابع بالنسبة لعرب البوادى ، مما أصاب اللغة بالجمود وعاقها عن التطور(١) ، كما وقفت كذلك عند حدود مكانية لم تتعدها ، وهى وسط شبه الجزيرة العربية(نجد) ، و«معظم هذه المعاجم قد تصونت عن إثبات ما وضعه المولدون والمحدثون فى الأقطار العربية من الكلمات والمصطلحات والتراكيب» (٢) .

واللغة دائما أوسع من المعاجم ؛ لأنها ظاهرة مفتوحة ولاتستقر على حال ، لذلك أكد أستاذنا على ضرورة أن نتدارك ما أهمله أصحاب المعاجم القديمة من الألفاظ المولدة ، وقد حاول أحمد تيمور باشا أن يطلعنا على بعض الألفاظ العباسية التى أهملتها المعاجم فى مقالاته التى نشرها فى مجلة المجمع العلمى بدمشق(٣) .

غير أن هذه المقالات لم تغن عن صناعة المعاجم التى تُخصَّص للعاميات المعاصرة فى الأقطار العربية المختلفة ؛ لتبين مدى العلاقة بين هذه العاميات واللغة العربية الفصيحة ، من هذا المنطلق اعتنى أستاذنا بتحقيق «معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية»(٤) لمؤلفه أحمد تيمور باشا ، يقول : «أصبحنا فى حاجة كبرى لوضع كتاب كافٍ ، يكشف عن أصول الكلمات العامية ومعانيها ، ويحل معقودها ، ويوضح غامضها ، ويبين مرادفها من الفصيح»(٥) .

وترجع القيمة العلمية لهذا المعجم إلى المكانة العلمية واللغوية التى وصل إليها مؤلفه ومحققه فى آنٍ معًا ، حيث كان الأول عضوًا فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، والمجمع العلمى العربى بدمشق ، والثانى عضوًا مراسلاً فى مجمعى اللغة العربية فى بغداد ودمشق .

ولاغرو ، والأمر كذلك ، أن اعتبر المحقق هذا المعجم «أكبر كتاب فى العامية : أكثرها ألفاظًا ، وأوسعها مجالاً ، وأشدها وصلاً بين العامية واللغة الفصحى ، وبين العامية المصرية وغيرها من العاميات ، وأشملها للجوانب المختلفة من اللغة العامية ، وأحسنها تصويرًا لها فى مفرداتها وقواعدها وأدبها ، وأقربها عهدا بنا ، وأسهلها ترتيبًا»(٦) .

رابعًا : محتويات المعجم .

يقع المعجم فى ستة أجزاء ، خصَّص المحقق الجزء الأول للقواعد ، والسادس للفهارس(٧) ، وبقية الأجزاء لمتن المعجم ، وقد شملت مداخل المعجم «المفردات التى استعملها العامة من معاصريه ، ومن الأجيال السابقة عليهم . أما العامى المعاصر له فقد أخذه من أفواه من اتصل بهم من المصريين ، وحاول ما استطاع الاستقصاء والتنويع فى هذا الأخذ فوردت فى كتابه ألفاظ من جهات متفرقة من ربوع مصر المتباعدة . . . وأما العامى القديم فالتقطه من بطون الكتب . . . وحاول فيه أن يبين منشأه ، بأن يذكر أقدم مصدر ورد فيه اللفظ العامى . وقد أفاد ذلك الكتاب ثراء فى المادة ، واتساعًا فى مجال البحث فلا تتحدد بمصر وحدها ، ونهجًا تاريخيًا - أو ذا مسحة تاريخية - فى التناول»(٨) .

وكان لابد أن ترتب مداخل المعجم وفق نظام معين ، وقد «رأى [المؤلف] أن أيسر سبيل لترتيب هذه الألفاظ النظام الألفبائى ، تخضع له من حرفها الأول فالثانى فالثالث إلى آخر الحروف ، لافرق فى ذلك بين حرف أصلى ومزيد»(٩) .

وكان الغرض من هذا المعجم «إحياء اللغة العربية الصحيحة بذكر العامى ، وتفسيره ، ورده إلى نصابه من الصحة إن كان عربى الأصل ، أو بيان مرادفه ـ إن لم يكن كذلك ـ ليحل محله ، ويرجع إليه فى الاستعمال . فإن جهلناه اقتصرنا على تفسير المعنى وتوضيحه ، ليتسنى لمن وجده بعدنا أن يتمم ما بدأنا به»(١٠) . والصلة بين العامية والفصحى لايشك فيها أحد ، وكل ما فى الأمر أنها قد تتفاوت فى العاميات المختلفة وهنًا وقوة ، بل فى العامية الواحدة فى الأطوار الزمنية التى تمر بها (١١) .

خامسًا : جهود المحقق فى إعداد المعجم .

ما إن بدأ المحقق المراحل الأولى فى تحقيق المعجم حتى ظهرت له مجموعة من الصعوبات ؛ نظرا لطبيعة المعجم من ناحية ، وطريقة صاحبه فى التأليف من ناحية أخرى . يقول المحقق : «تصورت الأمر يسيرا ، فإن لى بعض الدربة على التحقيق ، ولكن دراسة ما خلّفه المغفور له أحمد تيمور باشا قد بددت هذا التصور ، وكشفت أن الأمر ليس تحقيقًا مجردًا ، بل لابد من عمل يضاف إليه»(١٢) .

وترجع الصعوبات التى قابلت المحقق فى تحقيق الكتاب إلى أن مؤلفه قد تركه على هيئة مسوَّدة ، يقول المحقق : فقد تبين أن النسخة التى حصلت عليها مسوَّدة دون أدنى شك ، وأن المؤلف لم يجد فسحة من الوقت لتبييض الكتاب»(١٣) . مما يضاعف من دور المحقق ، ويجعل الكتاب فى حاجة إلى التهذيب والإعداد حتى يخرج بالصورة التى ينتفع بها الباحثون ، وقد بذل المحقق جهدًا كبيرًا للتغلب على هذه الصعوبات ، ونوضح ذلك فيما يلى :

١- صعوبة ترتيب القواعد .

من أُولى الصعوبات التى واجهت المحقق صعوبة ترتيب القواعد ، « فقد خصَّص المؤلف كراسين كبيرين للقواعد ، وأفرد مجموعة من الأوراق لكل ظاهرة من الظواهر اللغوية التى تحدث عنها دوَّن فيها ما عثر عليه من النصوص والأقوال والآراء التى يمكن أن تندرج تحتها . وبمرور الوقت ، اكتشف ظواهر لم يفطن إليها فى أول الأمر ، فمنحها مجموعة من الأوراق

الأخيرة . وعندما أعاد النظر فى هذه الظواهر المتجمعة عنده ، وجد أنه يجمل به أن يجرى شيئا من التغيير فى ترتيب هذه الظواهر ، لأن بعضها يتصل بظواهر بعيدة عنه . فأشار إلى الموضع الذى يراه أهلاً لهذه الظواهر»(١٤) .

فالمؤلف كان يكتب القاعدة مرة واثنتين وثلاثًا فى الموضع الواحد ، تقاربت هذه المواضع أو تباعدت.. وقد يفطن القارئ إلى أن المواد المدونة ترد حسب موضعها من مصادرها الأصلية ، ولكن الكاتب لم يلتزم ترتيب الأجزاء فى الكتب التى قرأها ، وقرأ الكتاب الواحد أكثر من مرة ، فاستدرك ما فاته فى القراءة السابقة(١٥) .

على هذا النحو خلت المادة من الترتيب ، وتُركت بعض الظواهر غير محددة الموضع ، وكان على المحقق أن يتدخل ، يقول : «وكان محالاً أن نترك المادة على هذه الفوضى التى لم يقصد إليها المؤلف ، وتطرد القارئ ، وتحجب الفائدة . فرأيت أن أخضعها للترتيب الذى اضطرنى إلى التقديم والتأخير فيها ، وإلى زيادة بعض العناوين من عندى بين معقوفين ، وإلى حذف العناوين المكررة التى تبين انتماء الخبر . وشجعنى على ذلك أن الكاتب نفسه أوصى بشئ من ذلك فى بعض المواضع . فأوصى بنقل الحديث عن الباء من فصل المؤنث والمذكر إلى حرف الزاى»(١٦) .

٢ - صعوبة تدوين العناوين بلا معلومات .

ومن المشكلات أيضًا تدوين العناوين بلا معلومات تحتها ، يقول المحقق : «وجدت بعض العناوين لم يسجل تحتها شيئًا ، فاحتفظت بها ؛ لتبين أنها واحدة من الظواهر العامية ، وإن لم يكتب[تيمور] عنها شيئا »(١٧) .

٣ - صعوبة الفصل بين المتن والحاشية . .

ومن المشكلات أيضا مشكلة الفصل بين المتن والحاشية ، ف« لم يدون الكاتب بعض النصوص واكتفى بالإشارة إلى المرجع وموضع ذلك فيه ، خاصة النصوص الطويلة والعلاج المستقصى للظواهر . فرأيت أن ذلك يكون قائمة غنية بمراجع كثير من الأبحاث (ببليوجرافيا) ، وهى عظيمة النفع لأنها تهدى الباحث وتضىء سبيله ، ولكنها ثقيلة أمام القارئ لا يستطيع أن ينفذ خلالها ، واعتقدت أن الموضع اللائق بها الحاشية . فأنزلت إليها هذا القسط من المادة أو أغلبه ، وبالرغم من أن الكاتب لم يفرق بين متن وحاشية . وحافظت جاهدًا ـ فى الحاشية ـ على عبارة الكاتب»(١٨) .

٤ ـ صعوبة ترتيب مداخل المعجم .

تعد مشكلة ترتيب المداخل المعجمية من أهم المشكلات التى واجهت المحقق ، وذلك لما يحتاجه هذا الترتيب من عمل يكاد يضارع الصناعة المعجمية نفسها ، ولابد من التفرقة أولا بين نوعين من هذا الترتيب ، يتمثل النوع الأول فى الترتيب الخارجى للمداخل ، وهو يعتمد على ترتيب الجذور ، فالجذر أ خ ذ مثلا يأتى قبل الجذر ض ر ب ، ويمثل النوع الثانى الترتيب الداخلى للمداخل ، وهو يرتبط بترتيب مشتقات الجذر الواحد ، كتقديم الأفعال على الأسماء مثلاً .

وبالنسبة للنوع الأول من الترتيب فإن معجم تيمور قد رتبه مؤلفه ترتيبًا ألفبائيًا إلا أن طريقته فى القراءة والتأليف قد اضطرته فى كثير من الأحيان إلى إضافة مداخل جديدة استدركها على المداخل القديمة ، وقد قام المحقق بترتيب هذه المداخل ، يقول : « رأيت المداخل فى حاجة إلى إعادة ترتيب ورودها ، فرتبتها»(١٩) .

وبالنسبة للنوع الثانى من الترتيب فقد لاحظ أستاذنا أن المادة العلمية فى مداخل المعجم جاءت متناثرة ومكررة أحيانًا . فكانت فى حاجة إلى من يرتبها ؛ ليجعلها مماثلة للمداخل المعتادة فى المعاجم اللغوية وصالحة للقراءة النافعة .

ولذلك قام المحقق بإعادة ترتيب المادة فى هذه المداخل ، يقول : «رأيت المعلومات فى داخل المداخل فى حاجة إلى إعادة تنظيم ، اضطرنى إلى شىء من الحذف والعطف ، ففعلت دون أن أضيف شيئا من عندى غير أدوات العطف فى أحايين قليلة»(٢٠) .

هكذا رتب أستاذنا الدكتور حسين نصار المداخل المعجمية داخليًا وخارجيًا ، وحرص على تقديم المعجم فى صورة هى أقرب ما تكون لمبيضة المؤلف ، ثم يقول : «سميت ما فعلت (إعدادًا وتحقيقًا) . ولم أشعر أننى أخون أمانة الكتاب ، بل أؤمن أننى خلقت من الأمشاج التى تركها تيمور باشا كتابًا سويًا»(٢١) .

الهوامش

(١) انظر : البحث اللغوى عند العرب ، أحمد مختار عمر ، ص ٣٠٠ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٦م .

(٢) مقدمة المعجم الوسيط ، (١ / ١٢) ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الطبعة الثالثة .

(٣) راجع المعجم العربى : نشأته وتطوره ، حسين نصار ، (٢ / ٦٠٥) ، مكتبة مصر ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م .

(٤) قام الدكتور حسين نصار بتحقيق الجزء السادس من تاج العروس للزبيدى ، ١٩٦٩م ، والجزء الثالث عشر ، ١٩٧٤م ، سلسلة التراث العربى ، الكويت . كما قام بمراجعة المعجم العربى الأساسى ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، توزيع لاروس ١٩٨٩م .

(٥) معجم تيمور الكبير فى الألفاظ العامية ، افتتاحية المؤلف أحمد تيمور ، (١ / ١٨) الطبعة الثانية ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .

(٦) المصدر السابق ، (١ / ١٣) .

(٧) قام الدكتور حسين نصار بالتخطيط للفهارس وقام الأستاذ صابر إدريس بصناعتها .

(٨) المعجم ، مقدمة المحقق (١ / ١٢) .

(٩) المصدر السابق ، (١ / ١٢) .

(١٠) المصدر السابق ، (١ / ١٨) .

(١١) المصدر السابق ، (١ / ٦) .

(١٢) المصدر السابق ، (١ / ١٣) .

(١٣) التعامل مع نسخة المؤلف . د . حسين نصار ، ص ٢٣ ، بحث منشور ضمن مجلة تراثيات ، مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية ، العدد الثالث ، ٢٠٠٤م .

(١٤) المعجم ، مقدمة المحقق (١ / ١٣ ، ١٤) .

(١٥) انظر : المصدر السابق ، (١ / ١٤) .

(١٦) المصدر السابق ، (١ / ١٥) .

(١٧) المصدر السابق ، (١ / ١٤) .

(١٨) المصدر السابق ، (١ / ١٥) .

(١٩) المصدر السابق ، (١ / ١٣) .

(٢٠) التعامل مع نسخة المؤلف ، د . حسين نصار ، ص ٢٤ .

(٢١) المصدر السابق ،الصفحة نفسها . .

أ.د/ حسين نصار
القدوة والمنهج فى تحقيق التراث العربى ونشره

د/ سيدة حامد عبد العال

مقدمة :

قامت دار الكتب المصرية بدور مهم فى الحفاظ على التراث الفكرى المصرى والعربى والإسلامى وعلى مدى عدة قرون ، حيث قامت لجنة إحياء الآداب العربية وبعدها القسم الأدبى والذى أنشئ عام ١٩١٤ بإثراء المكتبة العربية بتحقيق ونشر أمهات الكتب التراثية ومنها :

١ - صبح الأعشى للقلقشندى فى ١٤ مجلدا من ١٩١٠ - ١٩٢٠م .

٢ - الخصائص لابن جنى فى ثلاثة أجزاء من ١٩١٣ - ١٩٥٢م .

٣ - كتاب الأصنام ، وأنساب الخيل لابن الكلبى : هشام بن محمد السائب سنة ١٩١٤م .

٤ - عيون الأخبار لابن قتيبة من ١٩٢٥ - ١٩٣٠م .

٥ - الأمالى لأبى على القالى فى جزءين ١٩٢٦م .

٦ - نهاية الأرب فى فنون الأدب الأجزاء ١ - ١٨ طبعت من ١٩٢٦ - ١٩٥٥م . الأجزاء من ١٩ - ٣١ من ١٩٧٥ حتى ١٩٩٨ ، عندما أدمجت دار الكتب المصرية فى هيئة الكتاب .

٧ - التنبيه على أوهام أبى على القالى فى أماليه لأبى عبيد البكرى ١٩٢٦م .

٨ - الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، نشر الجزء الأول منه سنة ١٩٢٧ م وتوالى نشره حتى سنة ١٩٥٥م .

٩ - النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى سنة ١٩٣٠م .

١٠ - الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى) فى عشرين جزءاً طبع ١٩٣٣-١٩٥٠م .

١١ - تعريف القدماء بأبى العلاء ١٩٤٤م .

١٢ - إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى سنة ١٩٥٠م .

ومن الدواوين الشعرية :

١ ـ ديوان مهيار الديلمى فى أربعة أجزاء ١٩٢٥ - ١٩٣١م .

٢ ـ ديوان علم الدين أيدمر المحيوى ١٩٣٠م .

٣ ـ ديوان جران العود ١٩٣١م .

٤ ـ ديوان نابغة بنى شيبان ١٩٣٢م .

٥ ـ ديوان صرّ در ١٩٣٤م .

٦ ـ ديوان الهذليين ١٩٤٥م .

٧ ـ ديوان سحيم عبد بنى الحسحاس ١٩٥٠م .

٨ ـ ديوان حميد بن ثور الهلالى ١٩٥١م .

٩ ـ ديوان تميم بن المعز ١٩٥٧م .

وهكذا نجد أن القسم الأدبى قام بدور مهم فى الحفاظ على التراث العربى وتحقيقه ونشره ، إلى أن ودع المثقفون ــ اضطرارًا ـ هذا القسم الأدبى وألغى .

وقامت دار الكتب المصرية بإنشاء معهد تحقيق التراث ونشره ، كانت الدراسة فيه مسائية يمنح درجة الماجستير بعد سنتين من الدراسة وقام بالتدريس فى هذا المعهد قمم التحقيق فى مصر منهم : عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) ، جمال الدين الفندى ، سعيد عاشور ، حسن حبشى ، حسنين ربيع ، حامد عبد المجيد ، محمد أمين ، محمود فهمى ، الأب قنواتى ، وصاحب الحفل والتكريم اليوم حسين نصار .

ومالبث أن توقف هذا المعهد وتحول إلى مركز تحقيق التراث ونشره ، وشكل هؤلاء العلماء لجانًا علمية للتحقيق فى : الأدب ، النحو ، التاريخ ، الفلك ، الجغرافيا ، الفلسفة ، وغيرها .

وقد حقق وأشرف وراجع الدكتور/ حسين نصار من سنة ١٩٦٨ ــ ٢٠٠٤ فى مركز تحقيق التراث فقط :

ــ ديوان الخرنق بنت بدر أخت طرفة بن العبد لأمه - طبع ونشر ١٩٦٩ .

ــ ديوان ابن الرومى فى ستة أجزاء ما بين سنوات ١٩٧٣ - ١٩٨١ م .

٣ ـ شرح لزوميات أبى العلاء فى أربعة أجزاء من ١٩٩٢ ـ ١٩٩٨م .

٤ ـ نثر الدر للأبى ـ جـ ٦ ، ٧ .

٥ ـ منتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون طبع منه جزآن ١٩٩٩م وقد حققت اللجنة كل أجزاء الكتاب ، إلا أن تأخير إجراءات الطبع جعلت الدكتور/ محمد نبيل طريفى بلبنان يحقق أجزاء الكتاب ، ويعجل بنشره ، وضاع مجهودنا فى نشر بقية الأجزاء .

٦ ـ مستوفى الدواوين لمحمد بن عبد الله الأزهرى ٢٠٠٣م والجدير بالذكر أن الأستاذ الدكتور/ حسين نصار أول من وافق على وضع أسماء أعضاء لجنة الأدب على الغلاف كمحققين ، إعلانًا وثقة منه فى قدرتهم على القيام بالتحقيق ، وإيذانًا بميلاد جيل جديد من المحققين تحت إشرافه ومراجعته .

والأستاذ يتابع تلاميذه الذين تقلدوا مناصب خارج مركز تحقيق التراث ويشملهم برعايته كأب وتوجيهاته كمعلم وأستاذ ، ويقدمهم للمحافل الثقافية .

منهج وأسلوب الأستاذ الدكتور/ حسين نصار فى تحقيق التراث

هناك شخصيات ورجال تقف أمام أعمالهم وأسمائهم موقف الإجلال والتفكير فى هذه العقلية التى أنتجت هذه المؤلفات والأفكار والتعليقات التى أنارت النصوص ، وأزالت إعجامها .

الدكتور نصار ـ كما يحلو لنا تلامذته أن نناديه «أو الأستاذ» ـ من أعلام المصريين والعرب الذين يشار إليهم فى كل محفل أدبى ، فله جهد دائم ودائب فى مختلف المجالات الأدبية واللغوية والدراسات الإسلامية ، تأليفًا وتحقيقًا .

ويعود بنا قطار العلم إلى أكثر من ثلاثين عامًا حيث أنشئ معهد تحقيق التراث التابع لدار الكتب المصرية ، لدراسة التراث وتخريج جيل جديد من المحققين ، ومنحهم الدرجات الجامعية ، وجمع رواد التحقيق فى مصر آنذاك منهم الأساتذة : عائشة عبد الرحمن ، سعيد عاشور ، محمود حجازى ، حسنين ربيع ، جمال الدين الفندى ، الأهوانى ، حامد عبد المجيد ، محمد أمين ، الأب قنواتى ، كمال جعفر ، وأستاذنا حسين نصار .

رأيته أول مرة كما أراه الآن : هادئًا ، باحثًا ، متعمقًا مدققًا فى اختياراته ، باحثًا عن القيّم فى التراث العربى ، شعرًا ونثرًا ، المنهج يدل على الرجل ، والأسلوب هو الرجل نفسه .

وقد بدأ مسيرته فى تحقيق التراث منذ وقت بعيد حيث قام بتحقيق عدد كبير من المخطوطات بمفرده أو مع لجنة الأدب التى أشرف أن كنت عضوا فيها ، وهو لا يتبع مناهج التحقيق التى لاتوضح النص ولاتخرجه كما أراده مؤلفه ، ولهذا لم يتبع المنهج الاستقصائى الذى يتبعه معظم المستشرقين وكان سائدًا فى ذلك الوقت ، لأنه لايوضح النص كما يريده ، ولم يتبع المنهج التقليدى ، بل عمد إلى منهج المدققين فى النص ، الذين يحسنون اختيار الموضوعات .

وقد بدأت تعلم التحقيق فى مدرسته عام ١٩٦٩ فى ديوان «الخرنق بنت بدر» أخت طرفة بن العبد لأمه . حيث كان التدريب على قراءة المخطوط . وأنواع الخطوط المشرقية والخطوط المغربية ، ثم جمع النسخ ، ونسخ المخطوط ، ووزن الأشعار عروضيًا ، ضبطها وتخريجها ونسبتها إلى قائليها ، ومقابلة النسخ ، والتدريب على كيفية كتابة التعليقات ورغم علمه الغزير إلا أنه يحفزنا إلى البحث ، ويطلب منا أن نبحث عن معنى كلمة واحدة ويناقشنا فى مدلولها مع السياق ، ونظل نبحث لتصحيح كلمة محرفة لأوقات طويلة وجلسات نناقش فيها الآراء والاختيارات ، ودائما يفسح صدره لطفولتنا العلمية كى تنمو وتشتد .

قام الأستاذ بتحقيق مكتبة متنوعة الموضوعات والعصور ، فجمع وحقق ديوان جميل وظافر الحداد ، والخرنق ، وابن وكيع التنيسى ، وعبيد بن الأبرص ، وابن سناء الملك . . وغيرهم .

ولعل تحقيقه لديوان ابن الرومى ، أبرز أعمال التحقيق التى قام بها ، وهى شخصية ابتعد عن الاقتراب منها أو مجرد التمثل بأشعاره الكثيرون ، وارتبط اسمه بالشؤم عند بعض الناس والمثقفين أيضًا ، لما أحاط طبع وتحقيق ديوانه بكثير من الأحداث المؤسفة ، مما جعل بعض المحققين يعزفون عن شعره ، واختار د . حسين هذا الشاعر وديوانه الضخم ، لتحققه لجنة الأدب التى يشرف عليها ، اختاره لأنه قد ظلم فى حياته وبعد مماته ، ولأنه قدر شاعرية هذا الشاعر ، كعملاق يمثل عصره ويلقى الضوء على الحياة العامة والخاصة للشاعر وللشخصيات التى يخلص فى مدحها ، وللأخرى التى يخلص أيضا فى هجائها .

وأثناء العمل فى ديوان ابن الرومى – والذى استمر ثمانى سنوات – تعلمت البحث والدقة وكيفية توثيق النصوص ، وتذوقها والأمانة العلمية وعدم الاعتماد على الذاكرة فى توثيق النصوص ، وكان الأستاذ حريصًا على إعطاء من سبقه فى تناول ديوان ابن الرومى حقه من الثناء والمدح ، قال عن الشيخ محمد شريف سليم فى مقدمة الديوان ص٧ :

«وقد بذل المحقق جهدًا بالغًا جديرًا بالثناء ، فى تصحيح الشعر وفهمه وشرحه سواء فى الجزء الأول الذى وضع فيه تعليقاته فى أسفل الصفحات ، أو الثانى الذى أخر فيه تعليقاته إلى الصفحات الأخيرة ، ولكن عمله وقف عند الجزءين اللذين أصدرهما» .

كما عرض لكل من سبقه إلى الشروع فى هذا العمل سواء من العرب أو من المستشرقين . والتحقيق ثمرة تحصيل كثير من علوم العربية ، والثقافات الكثيرة الواسعة ، كالأمثال ، الأشعار ونسبتها إلى قائليها ، الاقتباس ، علوم القرآن ، التراجم . . . إلخ .

ومن نماذج الاقتباس بيت ابن الرمى :

أصبحتُ شيخًا له سمت وأبهة . . . يدعوننى البيضُ عما تارة وأبا

كتب فى الهامش : تأثر فيه بقول النمر بن تولب :

دعانى الغوانى عمَّهن وخلتُنى . . . لم اسم فلا أُدْعَى به وهو أوّلُ

وعند مقابلة نسخ المخطوط لا يكتفى بذكر الروايات ، بل يحللها ويؤيدها أو يفندها فى ج١ / ١٦٨ من ديوان ابن الرومى البيت ٩٨ :

لم لا وذكراهم له . . . روح إذا ما ألهم نابه

فى التعليقات :

نابه : كذا فى (ع) ، وفى ق ، وهامش نسخة أخرى : رابه . وهى رواية جيدة وفى د . آبه . ولا يعدى الفعل آب بنفسه .

والروايات أيضا توثق ويدقق فيها ويميز الصحيح من الخطأ لغويًا ونحويًا وفى توثيقه للنصوص لايسكت عن الكلمات أو الأعلام التى لا ذكر لها فى المصادر والمراجع من ذلك ما ذكره فى ابن الرومى ص١٥٣ ، عن أبى جعفر محمد بن على بن إسحق النوبختى يقول فى التعليق :

«النوبختى لم نجد عنه إلا ماذكره ابن الرومى ويتبين منه أنه كان عاملاً على النعمانية وأن صاعدًا حبسه بعد ولايته وقد مدحه ابن الرومى وعاتبه» .

هذه هى الأمانة العلمية ، لكى يفسح المجال لمن يأتى من بعده ، هذا هو منهج الأستاذ لقد بذل الجهد ، وهذا ما وصل إليه ، وتراجمه يميل فيها إلى الإيجاز والتعريف بأهم ملامح الشخصية ثم يورد المراجع ليرجع إليها من يريد المزيد عن هذه الشخصية .

وتنوع إنتاج الأستاذ فى التحقيق والجمع ، ومن إنتاجه :« يونس بن حبيب» فى سلسلة أعلام العرب ، والذى صدر عام ١٩٦٨ وهو أحد علماء النحو فى القرن الثانى الهجرى ، يقول فى فصل «حياته» فى توثيق نسبه ص٧ : ولكن أبا أحمد العسكرى روى خبرا إن صح أبطل هذه الأقوال ، قال : أنشدنا الهزانى قال : أنشدنا الرياشى قال : حدثنا ابن أبى رجاء قال : حدثنا أبو ثوبان قال يونس : أرسلنى أبى إلى رؤبة اسأله : كيف ينشد هذا البيت :

ابنـــيِ لُبَيْنَــى لستــمُ بيـــد ... إلا يـــدُ ليســتْ لهـــا عضـــد

أم يداً؟ فقال : كيف شئت :

والخبر يصرح أن «أباه» هو الذى أرسله إلى رؤبة مستفهمًا ، وبالرغم من ذلك فإننى أشك فى هذا الخبر أو فى صورته هذه ، فلم أجد أحدا ممن أرخ للغويين والنحويين ترجم لهذا «الأب» ولم أجد أحدا روى عنه أو أورد أخبارًا أخرى عن يونس عنه ، وأظن أن تحريفًا وقع فى نص الخبر ، وأن صحته :

«أرسلنى أبو عمرو إلى رؤبة أسأله ، فسقط عمرو فغير أحد النساخ «أبو» إلى«أبى» . دقة البحث وتقصى النسب والوصول إلى النص الصحيح وهذا ما عهدناه فى الأستاذ : صبر طويل ، ودقة فيما يكتب ويحقق ، وعطاء الأستاذ بحر لا ينضب لمن يعرفه ، ولمن لايعرفه ، حيث المشورة الصادقة والعلم الغزير ، لم يبخل علينا أبدًا ، نجلس حوله فى حلقة التحقيق ، حول الأب الذى غرس نبتة ويتأمل نموها وازدهارها ويتابعها بالرعاية والمساندة ، يزودنا بالمراجع والمصادر من مكتبته الخاصة ، ولا أذكر أنه انقطع عن جلسات التحقيق إلا مرات تعد على أصابع اليد ، كان فيها لايقدر على مغادرة منزله لوعكة صحية ، وغير ذلك فهو مواظب على الحضور - وقبل معظم الزملاء - كان يحضر أحيانًا وقبل فتح باب دار الكتب فى باب الخلق ، حيث كانت تفتح أبوابها فى الثامنة صباحًا ، كان يوجد قبل هذا الوقت .

وجلسات التحقيق التى تصل إلى أكثر من ثلاث ساعات بواقع ثلاثة أيام فى الأسبوع ، لايضيع منها إلا الثوانى القليلة التى تتنقل فيها إلى إحضار كتاب نبحث فيه وندقق ، وغير ذلك فالوقت كله للعمل المضنى الشاق ، وهو لايرفع عينه عن الفكرة ، وإذا ماورد عليه من يسأله فإنه يضع القلم على السطر الذى يحققه ثم ما يلبث أن يعود ، حاضر الذهن ، قوى الذاكرة ، ولم أره يرجح رأيًا له على رأى ، إلا بعد أن يفسح لنا مجال التفكير والبحث ، ثم يعرض رأيه .

وهو مشارك لنا فى جميع مراحل التحقيق حتى ولو كان هو المراجع ، يشارك فى وضع الفهارس ويراجعها معنا ، ونجد ابتسامة الرضى على وجهه عندما يجيد أحد تلاميذه . لم ينفعل على أحد منا فى يوم من الأيام وطوال الثلاثين عامًا أو تزيد ، علاقاته الجيدة بكثير من العرب والمستشرقين ساعدتنا على الحصول على بعض نسخ المخطوطات وأماكن وجودها فى مكتبات العالم .

ولا تقف جهوده فى التحقيق على اللغة الفصحى ، بل قام بتحقيق معجم تيمور للألفاظ العامية ، بصفته أستاذ الأدب المصرى .

وكم من الرسائل الجامعية أشرف عليها وناقشها ، وأصبح له قبيلة كبيرة تدين له بالفضل والعرفان . لقد أحب الأستاذ العلم ، فى الداخل والخارج ، وأحب بلاده ، فعلا اسمه ، علمًا وخلقًا وقدوة نادرة الوجود .

هذا العالم العلامة المصرى تقلد عدة مناصب علمية وأدبية أهمها :

ـ منصب عميد كلية الآداب ـ جامعة القاهرة فى الفترة ١٩٧٩ ـ ١٩٨٢م .

ـ رئيس أكاديمية الفنون ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢م .

ـ مقرر المجلس القومى للثقافة والفنون والإعلام والآداب .

ـ عضو اتحاد الكتاب ، رئيس الجمعية الأدبية المصرية ، ورئيس الجمعية اللغوية المصرية .

ـ عضو لجنة التراث فى المجلس الأعلى للثقافة .

ـ حصل أستاذنا على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى ١٩٨٣ .

ـ حصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب ١٩٨٦ .

ـ حصل على جائزة فيصل العالمية فى الآداب ٢٠٠٤ .

ـ رشحته جامعة حلوان لنيل جائزة مبارك فى الآداب عن عام ٢٠٠٤م .

إن السيرة الذاتيه لهذا العالم العملاق ، القدوة ، جعلت قامة تلاميذه تعلو ، ولا نستطيع إلا أن نسير على الدرب الذى عودنا أن نسير فيه : الأب . . القدوة . . والأستاذ المعلم .

أمد الله فى عمره . . ومتعه بالصح والعافية ، ،

ندوة
(لويس ماسينيون)

لويس ماسينيون والعولمة الروحية
(١٨٨٣-١٩٦٢م)

أ.د / عفت الشرقاوى

١ - النزعة الصوفية فى فلسفة ماسينيون

تقدم حياة ماسينيون وأعماله مثلاً واضحًا ونموذجًا حيًا فى الدعوة إلى العولمة الروحية. والعولمة الروحية مصطلح جديد، أتيح لى فى مناسبات ثقافية سابقة فى الجامعات المصرية وغير المصرية أن أقدمه لمن يهمه الأمر من الباحثين فى علم الأديان المقارن. وهو يقوم فى إيجاز على دعوة جديدة إلى التواصل الروحى بين أديان العالم. وبهذا المفهوم تكون العولمة الروحية المأمولة مواجهة صوفية مستنيرة لتلك العولمة السياسية الشهيرة التى تسيطر عليها دوافع الاستغلال، وتدفع حضارة الإنسان اليوم دفعًا نحو مصير مجهول من الضياع والهلاك بتأثير قوى عالمية تحرص على الهيمنة الاقتصادية والسيطرة السياسية. تلك العولمة تفرق أكثر مما توحد، وتغرى بالخلاف والتقاطع أكثر مما تحرص على الوفاق والتواصل. لكن العولمة الروحية التى قدمت لها فى مناسبات سابقة، والتى أرى ماسينيون مثلاً واضحاً لحقيقتها مشروع صوفى مقترح نحو حل الأزمة الأخلاقية للإنسان المعاصر. ولدى متصوفة المسلمين، كما لدى غيرهم من متصوفة العالم فى ذلك ما يقدمونه إلى البشرية من أجل بناء عالم جديد يقوم على مبدأ السلام الروحى بين الشعوب، والتعايش الأخلاقى العالمى بين الأمم ليصبح الشعار الروحانى للعالم الجديد. «يامتصوفة العالم اتحدوا».

كان ماسينيون، كما هو الأمر فى صميم هذه الدعوة، يؤمن أن التصوف هو فطرة التدين الأولى فى عقائد البشرية المختلفة، باعتباره العمق الروحى لعقائد الإنسان أينما كان. وهذا العمق قد يتجاوز كل التناقضات الميتافيزيقية التى تختلف حولها الثقافات المتنوعة. ذلك أنه من الممكن أن تشترك أفراد الإنسانية - مهما اختلفت الأشكال والطقوس الظاهرة لتجاربها الروحية - فى هذه الحقيقة الصوفية التى هى فطرة الإيمان فى قلب الإنسان فى شوقه المستمر وسعيه المتواصل نحو تحقيق الاتصال بينه وبين المقدس.

على أن فكرة التواصل الروحى بين معتنقى الأديان المختلفة فيما نسميه بالعولمة الروحية، التى تقوم حياة ماسينيون وأعماله شاهدًا واضحًا عليها، تختلف اختلافًا تامًا عن

فكرة وحدة الأديان التى يقدمها ابن عربى فى فلسفته الخاصة إذ يعبر فى أبيات شهيرة عن هذه الوحدة بقوله :

لقد صار قلبى قابلاً كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف ... وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ... ركائبه ، فالحب دينى وإيمانى

وهى أبيات توحى بتصورات معينة لدين كلى ، تصدر عن ابن عربى على أساس بعض الاعتبارات العقلية الغالبة على فلسفته الصوفية التى تختلف عن فلسفة الحلاج الصوفى الأثير لدى ماسينيون بتجربته التاريخية وحقيقة آلامه الواقعية ، فالتصوف عنده تجربة فى الألم تحمل من مر بها على أن يتسامح مع الناس جميعا على اختلاف الأجناس والأديان . مثل هذا المتصوف يمكن أن يصبح طبيبًا روحانيًا كما يقول إبراهيم مدكور يعالج آلام الآخرين ، يكشف عن الداء ويصف لهم الدواء . فمهمة المتصوف عند ماسينيون لا تقتصر على الخلوة والوحدة أو التأمل الفلسفى للعلاقات الوجودية بين المطلق والمحدود ، بل على الصوفى أن يعد نفسه للتضحية فى سبيل الآخرين . وقد كان ماسينيون متصوفًا حقًا بهذا المعنى ، يقف بجانب الضعفاء وينتصر للمظلومين . وتصوفه وثيق الصلة بدراساته وآلامه الاجتماعية . وفى التصوف كل القيم الأساسية للإسلام إذ يبدأ بالعبادة ويسمو إلى النورانية وهو فى كل حال تصوف يشجع على التضحية والفداء فى سبيل الحق .

والواقع أن ماسينيون لم يكن ممن يعجبون بفكرة الدين الكلى ، ويبدو أنه ــ بالرغم من حماسته لأصالة التصوف الإسلامى ـ لم يوافق على ما آل إليه الأمر فى فلسفة ابن عربى التى نقلت تجربة التصوف من واقعها الحى عند رابعة العدوية والبسطامى ثم عند الحلاج ، إلى محض فلسفة تأملية تقوم على مجرد الاعتبار العقلى لعلاقات الوجود المطلق ومثل هذا التصوف يموج فى عقل الصوفى ، وليس فى واقع التاريخ .

لقد كانت شخصية الحلاج هي الشخصية المحورية المؤثرة فى حياة ماسينيون وفى أعماله ، بما توحيه فى تصوره من رجعة المسيح وتناسخه فى التصوف الإسلامى فى القرن الثالث الهجرى . وفى حلاج ماسينيون غائبة الشخصية الملحمية بكل ما تمثله من رؤية ميثولوجية لايعرفها إلا بطل ملحمى فى التراث الأسطورى .

فباسم التعاطف العميق مع مأساة الحلاج ، والفهم الحقيقى لمغزى الألم العظيم فى حياة كل من الحلاج والمسيح - كما فهمه - استشعر ماسينيون أخوة التجربة الروحية بين الإسلام والمسيحية ، وأكد أن الاتحاد الصوفى بالمعنى الحلاجى ممكن عقلاً ، وهو واقع فعلاً . وقد حظى به الحلاج بين متصوفى الإسلام ، إذ لامعنى للحياة إلا إذا قامت على أساس روحى يمكن أن يصل بالصوفى إلى لحظة الاستشهاد فى سبيل الحق كما كان الأمر فى فداء الحلاج .

ومن هنا كان ماسينيون يؤمن بأخوة الأديان ، وإمكان تعايشها السلمى ، وخصوصًا بين المسيحية والإسلام واليهودية وكان يعتقد أن الأديان الثلاثة ، وثيقة الصلة بشريعة إبراهيم عليه السلام ، وإن كان لكل منها سياقه التاريخى ، ومرحلته الحضارية الخاصة فى تاريخ الإنسانية . لقد رأى ماسينيون أن محمداً ﷺ كان يتعبد قبل أن يبعث فى غار حراء على سُنة إبراهيم الخليل أبى الأنبياء ، وأن رهبانًا من النصارى هم الذين بشروا ببعثته ، بل يشترك المسلمون والمسيحيون فى تقديس أهل الكهف ، والتعبد بقصتهم التى اهتم بها ماسينيون كثيراً . وإذن فهناك أخوة واضحة بين الأديان شغلت ماسينيون ، وملأت قلبه ، واستولت على روحه حتى كان يعد أكبر مسلم بين المسيحيين ، وأكبر مسيحى بين المسلمين ، كما يصفه إبراهيم مدكور . فباسم هذه الأخوة استنكر الحروب الصليبية فى الماضى ، وباسمها أيضًا استنكر العدوان على فلسطين فى الحاضر . وهكذا وقف ضد المسيحيين ، كما وقف ضد اليهود دفاعًا عن المسلمين فى كل حال . ذلك أن ماسينيون كان يعيش بروحه ولروحه ، والأرواح فوق الأوطان والأجناس والعصبيات ، ويمكن أن تكون أوثق رباط بين الإنسان وأخيه الإنسان . ولهذا فإن ابراهيم مدكور يراه يخاطب رابعة العدوية ، كما كان يخاطب القديسة تريزة ، ويتحدث عن الحلاج كما يتحدث عن جان دارك ، وهو ما يعبر عن معنى العولمة الروحية التى أشرنا إليها .

ولعل أبلغ ما أحدثته قراءة ماسينيون العميقة لتجربة الحلاج قدرته على تجاوز النزعة التاريخية Historicism التى غلبت على بعض معاصريه من المستشرقين ، حيث كانوا يتلمسون الأشياء الظاهرة الخارجية فى الغالب الأعم ، بحثًا عن عوامل التأثير والتأثر . وهو منهج خال من العمق الروحى والثقافى ، يصفه الباحثون بأنه ينطوى على مصادره وإفراط . وعلى العكس من ذلك كان ماسينيون قادرًا على الاستبطان ، وإضفاء روحانية عميقة على ظواهر مختلفة فى تاريخ الأديان والمذاهب ، لم يستطع أحد أن يلتفت إليها من قبل ، وإن اختلف بعضهم معه فى مغزى ما ذهب إليه من تأويل لهذه الظواهر .

ومن المؤكد أن السبب فى هذه النزعة الروحية عنده كان استعداده الفطرى الخاص من جهة ، والسياق التاريخى للاستشراق الفرنسى بطبيعته التأويلية الغالبة من جهة أخرى بالإضافة إلى اهتمام ماسينيون اهتمامًا متواصلاً بفهم أسرار الصوفية التى تعنى بتجاوز الظاهر بحثًا عن معنى أعمق ، والكشف الباطنى الكامن خلف الرمز الظاهر .

ولقد ساعد ماسينيون على ذلك تمتعه بإيمان عميق بالكاثوليكية التى كان ينتمى إليها ، والتى لم تكن تتعارض مطلقًا مع إيمانه الأعمق وحبه الأسمى الواسع الذى يضم فى داخله كل المعانى السامية فى كل الأديان من كتابية أو غير كتابية ، سماوية أو غير سماوية ، موحدة أو غير موحدة ، مما جعله أقدر على فهم دقائق الإيمان فى كل الأديان ، كما يرجح كثير من الباحثين .

ومع ذلك فقد كان اختياره الرسمى هو الكاثوليكية منذ عاد إلى إيمانه فى سن الخامسة والعشرين . على أن ماسينيون لم يكن وحده الذى ازداد إيمانًا بالكاثوليكية متأثرًا بما قرأ عن الإسلام ، وعرف من المسلمين ، ودرس من أحوال التصوف الإسلامى وهى معادلة طريفة النتائج ، كما هو واضح ، فقد كان هناك آخرون ، عاشوا كما عاش فى الشمال الأفريقى ، وتأثروا مثله بالنزعة الصوفية فى الإسلام ، فكان ذلك دافعًا لهم إلى تجديد إيمانهم بالكاثوليكية . وهى ظاهرة اهتم بدراستها عبد الرحمن بدوى عند بعض كبار المفكرين الفرنسيين ، وقد كان يتمنى أن تتاح له الفرصة لنشر نتائج دراسته التى توضح كيف أدى الإعجاب بالإسلام إلى بعث الإيمان الدينى بالكاثوليكية فى نفوسهم ، وإن لم ينتهوا إلى اعتناق الإسلام . غير أننى لم أتابع ذلك فى مؤلفاته ، ولم يتح لى أن أجزم بما انتهى إليه الأمر فى هذا البحث . ومع ذلك فإن من المشاهد المعروف فى شأن كثير من المستشرقين الذين أتيح لنا معرفتهم عن كثب أنهم يضمرون إعجابًا كبيرًا بالإسلام ، ولكنهم لايعلنون صراحة عن اعتناقهم له . وهذه ظاهرة من ظواهر العولمة الروحية التى أشرنا إليها فى مطلع هذه الدراسة ، إذ تعبر عن تسامح فى العلاقات الروحية بين الأديان ، بحيث تقوى الظاهرة الإيمانية نظيرتها فى الدين الآخر وهى ظاهرة حملت ماسينيون أن يردد فى حياته فى مناسبات عديدة آيات قرآنية معينة مثل قوله تعالى :«قل لن يجيرنى من الله أحد»(الجن - ٢٢) ، أو أن يتلو عندما وافته المنية ، وفقا لما توقعه عبد الرحمن بدوى ، قوله تعالى : «يستعجل بها الذين لايؤمنون بها ، والذين آمنوا مشفقون منها ، ويعلمون أنها الحق» (الشورى-١٨) . ذلك أن الحلاج نفسه ، وهو المثل الأعلى لماسينيون ، والصورة المتخيلة للمسيح المصلوب فى القرن الثالث الهجرى كان يردد هذه الآية الأخيرة فى أوج لحظات

عمره . أى فى لحظة الاستشهاد فى سبيل الحق ، فالصلة وثيقة بين الحلاج والمسيح فى عقيدة ماسينيون من حيث المغزى الفلسفى للألم ، وغائية التطهير العقدى والخلاص الروحى . فموت الحلاج يثبت عند كثير من المسلمين ، المتفاوتين فى النزعة الصوفية ، أنه لابد من التألم من أجل الخلاص ، وأن الصلب الذى عاناة الحلاج فداءٌ وقداسة . ومنحنى حياة الحلاج كله ، ومناظر محاكمته تجعل الحلاج يشبه المسيح ظاهريًا فى رأى ماسينيون ، مؤكدًا أن غايتنا أكبر من نشأتنا ، وأن أمثال هذه النفوس العاشقة التى تلقت رسالة الفداء والتألم من أجل الجميع مستمرة فى غنائها وتنمية غيرها بالشفاعة بعد موتها ، وليس الإخفاق ولا الموت قادرين على القضاء نهائيًا على الإرادة الطيبة القادرة على الازدهار مرة أخرى ، والإثمار أخيرًا عندنا وعند غيرنا على السواء .

وهكذا أعاد ماسينيون إيمانه بحقيقة الكاثوليكية عن طريق عشقه المتجدد للحلاج فى فكره وتراثه . وظلت هذه العلاقة التأويلية بين الحلاج والمسيح مسيطرة على موقفه الفكرى والعقدى فى رؤيته للتصوف الإسلامى والترجمة لبعض أعلامه ، وأهمها كتاب الحلاج شهيد التصوف فى الإسلام .

وبالرغم من ذلك الموقف الحلاجى الذى سيطر على تصوره للعلاقة بين الإسلام والمسيحية فقد قدر فيه الباحثون إيمانه برسالته الإنسانية القائمة على الإيمان الروحى بالأديان ، فهو مؤمن عميق الإيمان ، يتفجر إيمانه من قلبه وعقله ، ويفيض به لسانه ، ويتسم به وجهه . وقد آمن بالحقيقة النقلية إيمانه بالحقيقة العقلية ، وقضى حياته فى تعمق أغوارها والكشف عن أسرارها ، وسواء لديه أتلقاهم عن عيسى أم عن محمد عليهما السلام .

من أجل ذلك يدرك من يتتبعون أعماله أنه كان يرى أن للعقل حدودًا يقف عندها ، وأن «فى الوحى والإلهام ما يصل ما انقطع» كما يروى عنه إبراهيم مدكور ، وأن هذا وحده هو الذى يربطنا بعالم اللانهاية . أما الحقيقة النقلية فهى عنده خالدة خلود الدهر ، يقينية يقين الإيمان ، تمتزج بالروح والقلب ، وتتفق - بعد التدبر - مع النظر والعقل .

وقد ترتب على هذه النزعة الروحية فى فهم رسالة الأديان أنه أحب الناس جميعا ، وكانت صلته بالمسلمين على الخصوص تدل على أنه واحد منهم .

يشهد على ذلك كثير من العلماء الذين عرفوا الرجل أو تتلمذوا عليه ، أو زاملوه فى مجمع اللغة العربية . ومع إيمانه الوثيق بالمسيحية واستمساكه بها ، وإغراقه فيها ، بل وتصوفه فيها أيضًا ، كان يكثر الدعاء للمسلمين فى أعقاب صلواته . وكان أهم شئ لديه شئونهم السياسية وأحوالهم الاجتماعية . ولم يكن يكره شيئًا كما كان يكره الاستعمار الأجنبى لبعض البلاد الإسلامية ، ويكره أشد الكره استعمار وطنه فرنسا لشمال أفريقية . وقد تعرض فى نفسه وجسمه لكثير من الأذى بسبب هذا الموقف . وقد سعد فى حياته أعظم ما سعد حين حرر المغرب الأقصى ، وحين عادت لشمال أفريقيا حريته كاملة موفورة ، كما يشهد على ذلك من خالطوه فى هذه الفترة من حياته .

وماسينيون بذلك رجل سياسة بأحسن معانيها ، ويذكر د . كامل حسين(الطبيب) زميله المجمعى أنه كان يراه يغضب غضبًا شديدًا حين لايعمل أولو الأمر فى فرنسا بنصائحه السياسية فيما يتعلق بأمور الشرق الذى عرفه وأحبه ، وبذلك يقعون فى المحظور وقد غضب أشد الغضب لوقوع بعض المدن الفلسطينية فى يد الصهيونيين ـ أما جهاده وعزيمته فى الدفاع عن الجزائريين فى فرنسا ، وما تعرض له من أذى من جراء ذلك فهو أمر يذكره له تاريخ الاستشراق الفرنسى بكل التقدير والإعجاب .

لقد طالب بوضع حد لحرب الإبادة التى سار عليها المستعمر الفرنسى ، وصام من أجل شهداء الجزائر ، وقاد مظاهرة صامتة تدعو للمقاومة السلبية للسياسة الفرنسية القاسية فى الجزائر . وكان يجمع التبرعات للاجئين ، ويزورهم فى أماكنهم بصحبة زوجته وأولاده كما يقرر يحيى الخشاب فى حفل رثائه ، ويتحدث بأقوى حجة لإعادتهم إلى ديارهم . وكان يردد فى شأنهم قوله تعالى : ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ (الحج - ٤٠) ، وذلك كعادته دائما حين كان يستشهد بآيات من القرآن الكريم . فى مواقف الشدة والرجاء .

وفى الصفحات التالية نتأمل معا السياق الثقافى والتاريخى الذى أنتج هذا الرجل الذى كان مثلا خاصًا بين المستشرقين ، فقد كان حريصًا على ربط الثقافات بعضها ببعض ، وتلاقى الشرق والغرب ، ساعيًا لتحقيق السلام «فما كان أحب السلام إلى نفسه ، وما كان أشد تعلقه به» .

لقد دعا إليه بإخلاص ، وأنفق حياته فى سبيل سلام الأفراد والجماعات ، ورأى فى الإخاء والمحبة خير رباط يربط بين بنى الإنسان ، فهذا هو الذى يحقق سلام الدنيا وسلام الآخرة ، اللذين يترابطان ويتكاملان عنده تمام الترابط والتكامل .

٢ ـ السياق التاريخى لاستشراق الفرنسى :

قد يبدو غريبًا أن تتجلى شخصية «ماسينيون» العلمية على النحو الذى تقدم ، من حيث هذا التعاطف العميق مع رموز التصوف الإسلامى ، والتمثل الذاتى لآلام الحلاج الشهيد الأكبر لهذا التصوف ، وذلك بالإضافة إلى تلك النزعة الروحانية الغالبة التى تنفعل بمظاهر العشق الإلهى فى ثقافة الأديان والمذاهب المختلفة بكل التقدير والإجلال ، حتى وصفه بعض المستشرقين بأنه «نبى هذا القرن» .

وإذا كانت بعض اللغات الأجنبية تسمح بمثل هذه العبارات المجازية التى تطلق أحيانًا على سبيل المبالغة ، فإن من المؤكد أن «ماسينيون» كان ابنًا مخلصًا للاستشراق الفرنسى بنزعته التأويلية الغالبة .

إن ماسينيون نتاج رحلة طويلة من تاريخ هذا الاستشراق بطابعه التأملى الخاص ، إذ لايجوز لنا من وجهة النظر المنهجية أن نتصور ماسينيون تصورًا بطوليًا منفصلاً عن ظروف عصره وبيئته ، والتراث الاستشراقى الذى كان يشيع فى فرنسا على أقلام أساتذته ومعاصريه .

غير أننا يجب أن نسلم ابتداء أن قدرًا كبيرًا من ملامح هذه الشخصية ذات الطابع الإيمانى العميق بكل ما هو مقدس فى التجربة الروحية للإنسان ، إنما يرجع إلى عوامل ذاتية بعضها فطرى يتصل بتكوينه الأصلى ومزاجه الشخصى ، ونزوعه الوراثى ، وبعضها بيئى قريب يتصل بنشأته الأسرية ، ورحلاته العلمية ، وصداقاته المفضلة وهذا ما يتبين لنا جانب منه فيما بعد .

أما ما يهمنا الآن فهو الإشارة إلى الملامح الغالبة على الاستشراق الفرنسى ذى العلاقة الممتدة تاريخيًا بين فرنسا والشرق الأدنى . وهو استشراق يتميز فى رأينا عن مدارس الاستشراق المعاصرة بطابع خاص يمكن للباحث أن يتمثل بعض سماته على سبيل التصور المبدئى والتعميم الأولى الذى لايخلو من المجازفة ، وإن اقتضته الضرورة المنهجية الراهنة .

ذلك أن علاقة فرنسا بهذا الشرق تمتد منذ عهد الحروب الصليبية . وقد زادت هذه العلاقة بتبادل النشاط التجارى ، والسفارات الدبلوماسية والرحلات العلمية وغير العلمية . وقد كان لاحتلال فرنسا لشمال أفريقيا الذى امتد زمنًا طويلاً ، ثم حملة نابليون على مصر ، ثم فتح قناة السويس ، والانتداب الفرنسى فى سوريا ولبنان ، أثره الواضح فى تزايد هذه العلاقات والصلات المتنوعة .

وقد وقف كثير من المؤرخين عند هذه العلاقات التاريخية بالدراسة والتحليل والتأمل ، ولاسيما أنها صلات اختلطت فيها عوامل الحرب والسلم ، والتجارة والثقافة جميعًا .

ولقد اهتمت فرنسا بتوطيد هذه العلاقات ، والعمل على بنائها على أسس ثقافية أصيلة ، وخصوصًا عندما توسعت سياستها الاستعمارية فى الشرق ، ولاسيما فى دول شمال أفريقيا التى لاتزال آثار الحضارة الفرنسية واضحة فى بعض مناهجها الثقافية بعد الاستقلال .

وفى اعتقادى أنه لو أتيح لباحث بعض الوقت والجهد للمقارنة بين آثار المدّين الاستعماريين الإنجليزى والفرنسى فى هذه المنطقة من العالم فسوف يجد أن الاستعمار الإنجليزى كان يسعى إلى السيطرة السياسية عن طريق بسط النفوذ العسكرى ، دون الاهتمام الخاص بالجانب الثقافى فى حضارات الشعوب المحتلة . على عكس ما كان يفعل الاحتلال الفرنسى الذى كان يستعين بهذه السيطرة السياسية والعسكرية لتحقيق الاحتلال الثقافى للشعوب المفتوحة . ذلك أن الاستعمار الفرنسى كان يصدر عن أحلام بسط نفوذ الجمهورية الفرنسية فى كل الدول التى دخلها وتحويل هذه الشعوب جميعًا إلى ثقافة فرنسا الأم ، من أجل بناء الإمبراطورية الفرنسية الواسعة ـ ربما بأحلام الإمبراطورية الرومانية القديمة ـ ولذلك كانت العناصر الثقافية عناصر مهمة فى احتكاك الحضارات خلال الغزو الفرنسى للشرق . ويصل الأمر إلى درجة أن العالم الفرنسى كان يحل حيثما يحل الجندى الفرنسى ويقف إلى جواره ينقب فى آثار هذه الشعوب المفتوحة ويستكشف أسرارها ، ويحاول أن يفسر معنى مايبدو فيها من معالم الحضارة المحتلة . ولعل هذا كان سببًا من أسباب النزعة التأويلية فى الاستشراق الفرنسى ، التى تبلغ أقصى مداها الروحى عند ماسينيون .

ذلك أن تفسير هذا المستشرق لتجربة الحلاج على الرغم من تعاطفه الجميل ، وصدقه الروحى المتدفق إنما يجب أن يفهم فى إطار سياسة استعمارية حريصة على التغلغل الثقافى فى البلاد التى تسيطر عليها رغبة فى الإدماج . وسواء أكان «ماسينيون» على وعى بهذه الفلسفة فيما قدم من نتاج استشراقى ، أم غير ذلك ، فإنه بالضرورة كان يعيش فى سياق هذه النزعة التأويلية لثقافة ذات سياسة استعمارية تنحو منحى ثقافيًا خاصًا من أجل دمج حضارات الشعوب المفتوحة فى حضارتها الخاصة ، أو بالأحرى نقل قيمها الخاصة إلى حضارات هذه الشعوب .

وفى ذلك يقرر المستشرق «هانوتو» G. Hanotaux ، الذى كان عضوًا فى المجمع اللغوى الفرنسى ووزيرًا ومؤرخًا من الطبقة الأولى ، عن رسالة فرنسا بين المسلمين الذين خضعوا لسطوتها أنها تحرص على أن تنقل إليهم قيم المدنية وروحها . وهى تلك القيم التى يحملها شعب آرى مسيحى جمهورى إلى شعب إسلامى سامى الأصل ، له تقاليد وعادات تغاير عادات وتقاليد المسيحيين الآريين بكل أصالتها ونضجها السياسى والحضارى .

هذه النزعة الثقافية الخاصة تميز المد الاستعمارى لفرنسا عن غيرها من الأمم . وقصة الحملة الفرنسية على مصر وآثارها الثقافية معروفة . فقد أحضر نابليون معه ضمن حملته العسكرية كثيرًا من العلماء الذين استطاعوا أن يكشفوا عن أسرار الحضارة المصرية القديمة بفضل دورهم فى كشف حجر رشيد . ولقد عكفوا فى صبر على وصف مصر . وفى هذه المناسبة أمر نابليون بإنشاء المعهد المصرى وجعل نفسه نائبًا لرئيسه ، الذى رأى أن يكون من العلماء . ولايعنى هذا أن الحملة الفرنسية لم تكن نهايتها حزينة بالنسبة لفرنسا . لقد كانت هزيمة عسكرية وسياسية ، بعد أن هرب نابليون من مصر وترك قواته ، ولكننا عند الاحتكام إلى قيم التاريخ ، وماذا بقى منه ، سوف نجد أن التاريخ قد عصف بالسياسة والسياسيين ، كما عصفت الحرب بالعسكريين ، فى هذه القصة الحربية ، كما فى غيرها دائمًا ، ولم تبق إلا عناصرها الثقافية خالدة وحدها على الزمن .

لقد استطاعت الحملة الفرنسية المهزومة أن تحقق ثقافيًا خلال عامين مالم يحقق الاستعمار الإنجليزى خلال ما يقرب من سبعين سنة .

والواقع أن هذا المعهد الذى أنشأه نابليون فى مصر لم يكن هو المعهد الوحيد الذى أنشأته الحكومة الفرنسية لأغراض ثقافية فى بلد كان يخضع للاستعمار هو مصر ، بل كان هناك عدد كبير من المعاهد المتخصصة فى أماكن مختلفة ، مثل المعهد الكاثوليكى فى باريس (١٨٧٥) ، والمعهد الفرنسى للآثار الشرقية فى القاهرة (١٨٨٠) الذى أنشأه ماسبيرو ، ومدرسة الآداب العالية فى الجزائر(١٨٨١) التى تحولت بعد ذلك إلى جامعة الجزائر ، ومعهد الدراسات المغربية العليا فى الرباط (١٩٣١) والمعهد الفرنسى فى دمشق(١٩٢٢) والمعهد الفرنسى فى طهران (١٩٤٨) ، وغير ذلك كثير من المعاهد وذلك بالإضافة إلى الجامعات التى عنيت بإنشاء كراسى للغات الشرقية ، مثل جامعة السوربون (Sorbonne) التى بدأ إنشاؤها (١٢٥٧) وجامعة تولوز Toulouse التى أنشأها رجال الدين ، وجامعة بوردو Bordeau (١٤٤١) وجامعة ليون Lyon(١٨٠٨) وغيرها .

وقد زاد اهتمام فرنسا بالكشف عن أسرار الشرق مؤخرًا فأنشأت منذ سنة ١٩٥٧ ضمن برامجها فى التعليم الثانوى ، مواد جديدة تتصل بثقافة الحضارات الكبرى ، ولا سيما الحضارات الشرقية القديمة والفرعونية منها على الخصوص ، فقد نال العرب والإسلام منها حظًا موفوراً .

ولقد ساعد على تزايد هذا الاهتمام أن فرنسا منذ وقت مبكر عنيت بالكشف عن أسرار الحضارات الشرقية ، وذلك بإنشاء عدد كبير من المكتبات الشرقية المعنية بمثل هذه الدراسات ، وخصوصًا ما تتضمنه مكتبة باريس الوطنية الشهيرة (١٦٥٤) ، والتى تحتوى على ملايين عديدة من الكتب والمخطوطات ليس لها نظير فى أماكن أخرى . ومن هذه المكتبات ما أنشئ ملحقًا بالجامعات والمعاهد الاستشراقية المختلفة ، كما أن منها مكتبات خاصة كان يقتنيها بعض المستشرقين ، ثم وقف بعضها على المكتبات العامة ، واقتنى بعض المكتبات البعض الآخر .

وهناك مكتبات فى شمالى أفريقيا فى المغرب والجزائر وتونس ، ولها فهارس شاملة لما تحتوى عليه من كتب ومخطوطات . وإلى جانب المراكز الاستشراقية والمكتبات التى أشرنا إليها على النحو السابق ، تحسن الإشارة أيضًا إلى ماحفلت به فرنسا من المطابع الشرقية ، التى بدأت الطباعة بالعبرية فى باريس (١٥١٩) ، ثم بالعربية ، وغيرها بعد ذلك ، وقد ساعد ذلك على نشر بعض النصوص العربية والإسلامية والدراسات الاستشراقية ، وخصوصًا أن المجلات الشرقية كانت قد نشطت فى الاهتمام بالتراث الشرقى ، وعلى رأسها المجلة الأسيوية JOURNAL ASIATIQUE, PARIS,(١٨٢٢) التى تعد من أوسع مصادر الاستشراق فى الغرب وأوثقها فى رأى كثير من الباحثين .

فى هذا البيئة الجادة من العمل الاستشراقى النشيط نشأ «ماسينيون» وعاش فى باريس ، وبدأ اهتمامه بفروع علمية مختلفة كان من بينها اللغة العربية التى عاش لها وبآثارها الثقافية بقية عمره ، كما سنرى فيما بعد . ونعود إلى ما بدأنا به هذه السطور من حيث تفسير هذه النزعة التأويلية فيما اهتم به ماسينيون من دراسات . وليس من المبالغة أن ننسبها ابتداءً إلى استعداده الخاص ، ثم إلى مايغلب على النشاط الاستشراقى الفرنسى الذى لايكتفى برصد الظواهر ، وإنما يحاول التغلغل إلى أعماقها بالتفسير أو التأويل وهذا تصور عام على كل حال ، ولكنه لايخلو من معنى إذا قارنا هذا الاستشراق بنظائره فى بيئات أخرى .

فقد بدأ لنا أن الاستشراق الألمانى يميل إلى الاهتمام بالظواهر اللغوية بالدرجة الأولى ، كما مال الاستشراق الإنجليزى إلى ما يتصل بالتفكير العقدى أو التشريعى ، إذا ماقورن بالاستشراق الفرنسى باتجاهاته الثقافية ذات الطابع التأويلى ، ولاينفى هذا الحكم العام وجود استثناءات كثيرة هنا وهناك ، لاتتفق وهذه الملاحظة التقريبية .

والمقصود بهذه النزعة التأويلية عدم اكتفاء الباحث والمحقق بتسجيل الظواهر الأولية الثابتة للنصوص والآثار المعروضة ، وإنما حرصه على أن يسعى إلى كشف الأسرار التى تختفى وراء هذه الألفاظ الصريحة والمعالم الظاهرة باعتبار أن الأديان تتضمن رموزًا قابلة لما لانهاية له من أنواع التفسير ، كما يقول عبد الرحمن بدوى . ولايعنى ذلك أن هذه الحقائق التاريخية لاتحتل مكانها الطبيعى فى عمل المستشرق الفرنسى ، فإن اهتمام «ماسينيون» مثلا بمغزى تجربة المتصوف الشهيد ، خلال دراسته للحلاج ، قد دفعه إلى توسيع خطته فى المعالجة مما يضفى على كتابه أهمية تاريخية تجعله أكبر من أن يكون سيرة حياة موجزة ، فهو من هذه الجهة كتاب تاريخ من الدرجة الأولى .

إن كثيرًا من كبار علماء التاريخ الإسلامى يعتقدون أن ثبت المراجع الذى تولد عن عناية ماسينيون بأخبار الحلاج كنتاج فرعى لعمله ، يعد إسهامًا أعظم فى مجال التاريخ الإسلامى من التأويل الذى قدمه ماسينيون فى دراسته لشخصية الحلاج ، بل ربما تبدو تلك الجوانب التى تتصل بخلفية الحلاج التاريخية وبالتصوف الإسلامى أهم بكثير مما كتبه عن الحلاج ذاته . وفى تقدير مؤرخى المسلمين أن دراسة ماسينيون عن الحلاج ، تنطوى على طموح واسع لدراسة البيئة الاجتماعية والثقافية ، وخصوصًا ماقدمه ماسينيون من التعريف بأساتذة الحلاج الذين تتلمذ عليهم ، ورحلاته التى قام بها . والفلسفات الصوفية التى كانت سائدة فى المجتمعات التى رآها والتيارات الدينية التى صادفها .

وفى اعتقاد الدكتور محمد عبود أن ماسينيون كان شديد الاهتمام بالنواحى الصوفية للحلاج باعتبارها عناصر كانت تسود أسلوب حياته هو ومذهبه وتعاليمه ، كما أن الصرامة التى اتسم بها قانونه الأخلاقى ، والمثال الذى ضربه إبان حياته الخاصة -على مايبدو- يضفيان على نظريته صفة القوة ، باعتبار أن ماسينيون كان كاثوليكيًا ، وفى وسعه أن يربط تفسيره الذاتى لصلب المسيح ، تضحية منه فى سبيل خلاص البشرية ، بحياة الزاهد والتقشف التى عاشها الحلاج ، والتى ادعى أنها تضحية وقربان إلى اللّه تعالى .

ويبقى سؤال جوهرى فى هذا المقام : هل كانت النزعة التأويلية فى الاستشراق الفرنسى نابعة حقًا من طموح قومى تحركه قوى سياسية ووطنية عسكرية ، كما سبقت الإشارة أم نقول إن هناك ملامح خاصة للعبقرية الفرنسية فى طريقة التفكير ، ومعالجة المسائل الثقافية ، هى التى مهدت السبيل لهذا النحو الذى نرجحه فى أعمالهم الاستشراقية؟ وليست الإجابة العلمية الدقيقة ميسورة عن هذا السؤال ، ولكننا نملك أن نحيل أنفسنا إلى مجال المقارنة فيما يتصل بالمذاهب الفلسفية المعاصرة ، وموقف الفلسفة الفرنسية منها ، فقد نجد فيها مايوحى أيضًا بملامح خاصة للفكر الفرنسى بين مذاهب الفلسفة الحديثة ، قد ترجح ما نذهب إليه .

ذلك أن الفلسفة الفرنسية هى التى أنتجت «سيجموند فرويد» مثلا (١٨٥٦- ١٩٣٩) وماقام به من تحليل للعقل الإنسانى ، واكتشاف اللاشعور ودوره فى تأويل سلوك الأفراد ، وذلك فى مقابل ، وليام جيمس (١٨٤٢ ـ ١٩١٠) مثلا ، مؤسس البراجمتية الأمريكية باتجاهاتها النفعية العملية .

ومن جهة أخرى فإن الفلسفة الفرنسية هى التى قدمت لنا هنرى برجسون (١٨٥٩ ـ ١٩٤١) الذى عاصر ماسينيون وحمل لواء الاتجاه الروحى الحيوى ، ودعا إلى الرجوع بالإنسان إلى ينبوع الروح والحياة المتطورة ، وبذلك يعلن استقلال الحياة النفسية عن الجسم المادى ، ويجعلها مرتبطة بالروح الحية ، التى تعيش ديومة خلاقة ، وتعتمد على الحدس فى عملية تطلع كلى والتحام مباشر بالحقيقة والكشف ، وذلك - مثلاً - فى مقابل النزعة التحليلية عند برتراند راسل الإنجليزى (١٨٧٢ - ١٩٧٠) . ومثل هذه المقارنة يمكن التوسع فى عرض أمثلتها . فهل نملك أن نقول فى ختام هذه السطور إن الإبداع الفرنسى يتسم فى مجمله بهذه النزعة التأويلية التى تركت أثرها فى الاستشراق الفرنسى من جهة ، وفى ماسينيون من جهة أخرى ، باعتباره نتاجًا طبيعيًا للسياق التاريخى لهذا الاستشراق؟

٣ ـ لويس ماسينيون : سيرة حياة

ماسينيون علم كبير من أعلام المستشرقين . ويذكر مؤرخو حياته أنه ولد فى ناجنت - سير - مارن Nagent-sur-Marne سنة ١٨٨٣ . وترجع أصوله إلى مقاطعة بريتانى ، وكان أبوه طبيبًا مولعًا بالفن وبخاصة النحت والتمثيل .

وقد تلقى تعليمه الثانوى فى ليسيه لوى لوجران Louis Le Grand . وقد التقى أثناء دراسته بهنرى ماسبيرو Henri Maspero ، الذى شجعه على أن يلتحقا معًا «بالمدرسة الوطنية الشرقية الحية» وهى المدرسة التى يذكر المؤرخون أنها خرجت أجيالاً متلاحقة من المستشرقين

الفرنسيين . وقد حصل ماسينيون على البكالوريا – القسم الأدبى سنة ١٩٠٠ ، ثم على البكالوريا – قسم الرياضيات سنة ١٩٠١ .

وهذا يفسر سر اهتمامه طوال حياته بالرياضيات إلى جانب ما اهتم به من الدراسات الإسلامية والتصوف على الوجه الذى سبقت الإشارة المجملة إليه .

وقد حصل ماسينيون فى الأعوام الأربعة التالية على ليسانس الآداب ، ودبلوم الدراسات العليا فى التاريخ والجغرافيا ، ودبلوم اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية ، وقد أتيح له أن يدرس السنسكريتية والعلوم الدينية بالسربون ، وعلم الاجتماع فى الكولج دى فرانس .

وتتميز حياة ماسينيون باهتمامه المبكر بالرحلات العلمية ، فقد سافر أولاً إلى مراكش سنة ١٩٠٤ وكتب بحثًا صغيرًا عنها ، نال به دبلوم الدراسات العليا فى السوربون بجامعة باريس بقسم العلوم الدينية ، حيث تتلمذ على المستشرق الفرنسى هارتنج داربنور H. Derenbourg (١٨٤٤- ١٩٠٨) ، الذى كان أستاذًا فى اللغة العربية فى مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، وعمل بقسم المخطوطات فى مكتبة باريس الوطنية . وإلى جانب هذا الاهتمام اللغوى كانت له متابعة لدراسة الإسلام من الناحية الاجتماعية ، وقد تابع فى ذلك محاضرات أستاذه لوشاتلييه Le Chatelier ، ثم ازداد اهتمامه بدراسة اللغة العربية فى صورتيها الفصحى والعامية ، فالتحق بالمدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ، وحصل على دبلوم منها سنة ١٩٠٦ .

ولقد أتيح لماسينيون أن يتعرف على المستشرقين الكبيرين جولد زيهر Goldziher ، وأسين بلاثيوس Asin Palacios خلال المؤتمر الدولى الرابع عشر للمستشرقين الذى انعقد فى الجزائر سنة ١٩٠٥ ، ومن ثم بدأ حياته الاستشراقية الحقيقية التى تميزت فى بدايتها بمجموعة من الرحلات إلى بعض البلاد الإسلامية . وقد أتيح له بذلك أن يعرف العالم الإسلامى حق المعرفة ، وأن يتصل بالمسلمين فى أقطارهم المختلفة ، وأن يشاركهم فى السراء والضراء ، وتوفرت له بذلك بينهم صداقات متينة جعلته على معرفة عميقة بالعالم الإسلامى فى ماضيه وحاضره ، فى تراثه ومجده ، فكان كما يصفه إبراهيم مدكور «كأنه عاش فيه ومن أجله ، فجاء درسه له دقيقًا مستوعبًا ، وحكمه عليه دقيقًا مدعمًا» .

ولقد أمضى معظم وقته خلال السنوات الأربع من ١٩٠٦ –١٩١٠ فى مصر والعراق وتركيا ، حيث قام بعدة أبحاث . وفى هذه الأثناء عهد إليه بمهمة القيام بأبحاث وحفائر أثرية فى العراق . وقد قام بهذه المهمة عامى ١٩٠٧ ـ ١٩٠٨ .

ويبدو أنه أراد أن يفيد من وجوده فى العراق فى تتبع الأخبار التاريخية للحلاج ، فأقام فى بغداد ، حيث نزل ضيفًا على أسرة الألوسى ، وهى أسرة حسينية النسب ينتمى إليها عدد من أعلام الفكر العربى فى العصر الحديث .

وقد رحبت أسرة الألوسى بالمستشرق الفرنسى ، وأعانته فى مهمته ، فقام بحفائر كان قد حددها فى مناطق مختلفة من العراق وتمكن من زيارة مشاهد الشيعة كلها فى جنوبى بغداد ، حيث توجد كربلاء والنجف وغيرها من المدن التى تحفل بمشاهد أئمة الشيعة .

وكان من اهتمام ماسينيون بالتراث الشيعى ، ورموزه الثقافية والروحية أنه حرص على زيارة قبر سلمان الفارسى الذى عنى بدراسة حياته وأفكاره فى بحث عنوانه :«سلمان الفارسى والبواكير الروحية للإسلام فى إيران» ، وذلك فى محاضرة ألقاها على «جماعة الدراسات الإيرانية» سنة ١٩٢٣ ، يرد فيها على نظرية هوروفتس Horovitz التى قدمها فى بحث له عن سلمان الفارسى سنة ١٩٢٢ . وفيها يحاول هذا المستشرق التشكيك فى الشخصية ووجودها التاريخى . وفى هذا الصدد يؤكد ماسينيون أنه على الرغم من أن أسطورة سلمان الفارسى قد نمت وحفظت بفضل عناية المسلمين الفرس على الخصوص ، فإن القصة كانت قد تكونت من قبل وتحددت فى صورتها العربية الأولى فى الكوفة . وهى بعد ذلك لم تفرض نفسها شيئًا فشيئًا على العناية الشعبية الإيرانية إلا لأن ذكرى هذا المولى العجمى من صحابة الرسول قد بقيت بعد أن قال الرسول ﷺ فى شأنه : «سلمان منا أهل البيت» . وينتهى ماسينيون بذلك إلى تأكيد حقيقة صورة سلمان ، وأنها لم تخترع بواسطة الاندفاع اللاشعورى للانتقام الشعوبى العنصرى عند الفرس ، كما توهم بعض المستشرقين .

وكانت لماسينيون حفائر أخرى تتصل بشخصيات إسلامية غير سلمان الفارسى . وقد جمع ماسينيون نتائج أبحاثه فى هذه البعثة الأثرية فى كتاب ضخم فى مجلدين بعنوان : بعثة إلى مابين النهرين : قصر الأخيضر ، والطبوغرافيا التاريخية لبغداد(نشر المعهد الفرنسى بالقاهرة) ١٩١٠ ، ١٩١٢ .

وهكذا يمكن تصنيف مؤلفات ماسينيون إلى مؤلفات تتصل بالآثار والتخطيط وأخرى معنية بالتصوف وبحوث الأديان ، ومجموعة ثالثة اهتمت بقضايا الاجتماع والحضارة . وقد اختير ماسينيون بسبب هذا الاهتمام المتنوع بالتراث الإسلامى ، أستاذًا زائرًا بالجامعة المصرية (القاهرة الآن) ، خلال العامين ١٩١٢ ، ١٩١٣ .

وقد تقدم ماسينيون ببحثين للحصول على درجة الدكتوراه ، الأول بعنوان : عذاب الحلاج ، شهيد التصوف فى الإسلام ، والثانى بعنوان : مجموع نصوص لم تنشر تتعلق بتاريخ التصوف فى بلاد الإسلام .

وفى هاتين الرسالتين يشير ماسينيون إلى صلة الرهبانية بالتصوف ، مستشعرًا أثر التراث المسيحى فى الثقافة الروحية لمتصوفة الإسلام . وقد اهتم بعد ذلك بالتأليف فى علاقة التصوف الإسلامى بالتصوف المسيحى فى العصر الوسيط . وكان لماسينيون فى مجال التحقيق والنشر العلمى المتصل الفضل فى تقديم نصوص تتعلق بالسيرة الحلاجية ، ألف بينها ماسينيون ليتخذ منها مصدرًا فى دراسته لشخصية الحلاج ، وقد نشرت هذه النصوص بعنوان الأصول الأربعة فى باريس سنة ١٩١٤ . وهناك إلى جانب ذلك كتاب أخبار الحلاج الذى اعتنى بنشره بمعاونة بول كراوس سنة ١٩٣٦ . وهذا هو النص الرابع من الكتاب السابق بعد الزيادة والتنقيح .

وقد نشر ماسينيون أيضًا مما يتصل بهذا الموضوع ديوان الحلاج ، سنة ١٩٣١ ، ثم الطواسين ، وقد بدأ به ماسينيون رحلته مع الحلاج سنة ١٩١٣ .

وقد ظل تاريخ التصوف وقضاياه موضع الاهتمام الأول فى أعمال ماسينيون ، على الرغم من أنه أمضى وقتًا من حياته ضابطًا فى العسكرية الفرنسية ، بعد أن طلب إلى الخدمة فى بداية الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨ ، ومع ذلك فهو لم يغفل مطلقًا مهمته الأساسية فى حياته العلمية . وقد ساعد على ذلك أنه ألحق أولاً بوزارة الخارجية بوصفه ضابطًا ملحقًا بمكتب المندوب السامى الفرنسى فى سوريا وفلسطين ، وكان ضمن الجيش الذى دخل القدس سنة ١٩١٧ .

ومن المؤكد أن هذه الخدمة قد أضافت أبعادًا ثقافية ولغوية جديدة إلى حياته ، حين تفرغ بعد ذلك لأبحاثه الاستشراقية المختلفة ، وأهمها رسالتا الدكتوراه اللتان أشرنا إليهما .

وفى مجمع اللغة العربية الذى اختير ماسينيون عضوًا فيه سنة ١٩٣٣ كان له اجتهادات مهمة فى توجيه الدراسات اللغوية بالمجمع على نحو متجدد . ولقد كان من بين البحوث التى تقدم بها فى مؤتمرات المجمع أبحاث تتصل بالمعاجم الأوربية الحديثة ، ومدى ما تستفيده المعاجم العربية منها ، وخواطر مستشرق فى فلسفة التضمين ، وأشياء ضرورية لوضع أطلس مصرى لمصطلحات الحرف العملية ، والأصول الثلاثية فى اللغة العربية ، والتعادل الثقافى بين اللغة العربية ولغات الغرب ، والمصطلحات العربية فى القرى وإكرام الضيف ، وخطرات فى

الاحتفاظ بعبقرية النحو العربى ، وميتافيزيقا اللغة ، وقيمة الخط العربى لتأسيس فن النقش المجرد ، وافتراضات فى مستقبل الخط بالحروف وانعكاسها على استيفاء الخط العربى ، وهى كلها منشورة فى أعداد مختلفة من مجلة المجمع يستطيع الباحثون الإطلاع عليها ومتابعتها متابعة منهجية .

وعلى الرغم من أن هذه الأبحاث معظمها موجز لايستوفى جوانب الموضوع ، فإنها تفتح أمام الباحثين آفاقًا من التأمل فى مشكلاتنا اللغوية ، وكيف كان يتصورها هذا المستشرق العظيم الذى كان يعتقد أن للعربية وظيفة دينية إلى جانب وظيفتها التواصلية ، فهى تعبر عن أوامر الله ، وهى وسيلة التأمل والمناجاة .

كان ماسينيون يحب اللغة العربية حبًا عظيمًا ، ويؤمن بأنها لغة الوحى ، كما يؤمن كل مسلم ، ويعتقد أن مجد العربية إنما يقوم على هذه القداسة التى تربطها بالنص الكريم .

وفى هذا يقرر إبراهيم مدكور زميله المجمعى أن ماسينيون أحب العربية لأنه وجد فيها نفسه ، وتعمق فيها ، وكشف عن كثير من أسرارها التى لم تكشف لغيره ، وهذه شهادة رجل عظيم كان رئيسًا للمجمع اللغوى ، فى رجل عظيم آخر كان عضوًا بالمجمع اللغوى منذ نشأته سنة ١٩٣٣ حتى وفاته سنة ١٩٦٢ .

وقد حصل ماسينيون بفضل علمه وإخلاصه على تقدير المجامع والهيئات العلمية فى العالم بأسره ، فاختير عضوًا فى مجامع السويد والدانمرك ، وهولندا ، وبلجيكا ، وروسيا ، وإيران ، وسوريا ، والعراق . وقد توفى سنة ١٩٦٢ بعد أن أمضى نحو ستين عامًا يشارك فى التأليف والترجمة والمؤتمرات ، وبعد أن أخرج عددًا كبيرًا من الكتب على النحو الذى نبينه فيما يلى وفقًا لما جاء فى ترجمة نجيب العقيقى فى كتابه : المستشرقون ، الجزء الأول ، ص ٢٨٧ .

٤ ـ أعماله :

تربو مؤلفات ماسينيون على ٦٥٠ مؤلف بين مصنف ومحقق ومترجم وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ، ومقدمة وسيرة ، منها :

١ ـ جغرافية المغرب ، فى الخمس عشرة سنة الأولى من القرن السادس عشر ، نقلاً عن كتاب وصف أفريقيا لليون الأفريقى ، فى ٣٠٥ صفحات .

٢ـ ٣٠ خريطة (الجزائر ١٩٠٦) .

٣ ـ آلام الحلاج ومذهب الحلاجية (منوعات ديرنبورج ١٩٠٩) .

٤ ـ بعثة إلى مابين النهرين : قصر الأخيضر ، والطبوغرافية التاريخية لبغداد فى مجلدين (المعهد الفرنسى بالقاهرة ١٩١٠ - ١٢) .

٥ ـ الحلاج والشيطان فى نظر الزيدية .

٦ ـ كتابا الزيدية المقدسان (مجلة تاريخ الأديان ، ١٩١١) .

٧ ـ محاضرات فى تاريخ المصطلحات الفلسفية العربية ، تحقيق زينب الخضيرى ، المعهد الفرنسى ١٩٨٣ .

٨ ـ الطواسين للحلاج ، فى ٢٢٣ صفحة ، و ٣ فهارس ، متضمنة النص العربى والترجمة الفارسية عن مخطوطات استانبول ولندن (باريس ١٩١٣) .

٩ ـ تاريخ تأليف رسائل إخوان الصفا (مجلة الإسلام ، برلين ١٩١٣) .

١٠ ـ الأمثال البغدادية للطالقانى ، عن مخطوط آيا صوفيا (القاهرة ١٩١٣) .

١١ ـ أربعة نصوص متعلقة بالحلاج (١٩١٤) .

١٢ ـ مجلة العالم الإسلامى : أصول عقيدة الوهابية ، وفهرس بمصنفات مؤسسها (١٩١٨ - ١٩) .

١٣ ـ المدخل إلى دراسة المطالب الإسلامية (١٩٢٠) .

١٤ ـ وثائق عن المطالب الإسلامية (١٩٢٠) ثم أساليب تطبيق الفنون لدى شعوب الإسلام (سيريا ١٩٢١ ، وقد ترجمها إلى التركية برهان طبرق ، استنانبول ١٩٣٧ ، وإلى الإسبانية إميليو جارثيا جوميث ، مجلة الغرب ١٩٣٢) .

١٥ ـ آلام الحلاج ، شهيد التصوف فى الإسلام ، أول رسالة دكتوراه من السوربون فى جزئين يربوان على أكثر من ألف صفحة ، أثبت فيها أصالة التصوف فى الإسلام (باريس ١٩٢٢) .

١٦ ـ بحث فى نشأة المصطلحات الفنية للتصوف الإسلام(تتمة الرسالة ، باريس ١٩٢٢ ، ثم نشرها منقحة ومضافًا إليها ، باريس ١٩٥٤) .

١٧ ـ تقويم العالم الإسلامى ، وهو إحصائى ، تاريخى اجتماعى ، اقتصادى ، (مجلة العالم الإسلامى ١٩٢٢ ـ ٢٣ ، وعلى حدة فى ٣٥٦ صفحة ، باريس ١٩٢٤ ـ ٢٦ ـ ٢٩ ـ والطبعة الرابعة منقحة ومضاف إليها ، بمعاونة مونتايل فى ٤٢٩ صفحة ، وأربعة تذييلات ، باريس ١٩٥٤) .

١٨ ـ التجربة الصوفية والأساليب الأدبية (مستخرج من سلسلة ليلون ١٩٢٧) وترجمة ابن سينا لابن سبعين ، وابن سبعين والنقد النفسانى (منوعات هنرى باسه ، المجلد الثانى ، باريس ١٩٢٨) .

١٩ ـ مجموعة نصوص غير منشورة تتعلق بتاريخ التصوف فى بلدان الإسلام ، فى ٢٥٩ صفحة (باريس ١٩٢٩) .

٢٠ ـ ديوان الحلاج ، فى ١٥٨ صفحة (المجلة الآسيوية ١٩٣١ ، ثم ترجمته إلى الفرنسية ، والطبعة الثانية متممة ١٩٥٥) .

٢١ ـ أثر الإسلام فى تأسيس المصارف اليهودية وحركتها فى العصر الوسيط (مجلة الدراسات الشرقية ١٩٣١) .

٢٢ ـ المسيح فى الأناجيل حسب الغزالى (مجلة الدراسات الإسلامية ١٩٣٢) .

٢٣ ـ شرح المذهب الكوفى (منوعات ماسبيرو ، ١٩٣٥) .

٢٤ ـ الأصول الشيعية للأسرة المستوزرة ابن الفرات (منوعات جودفروا ـ ديومبين ١٩٣٥) .

٢٥ ـ المتنبى والعصر الإسماعيلى فى الإسلام (مذكرات المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٣٥) .

٢٦ ـ إمام العصر الإسماعيلى فى الإسلام (بيروت ١٩٣٦) .

٢٧ ـ كتب القرامطة (الدراسات الشرقية ، لبراون ١٩٣٢ – ٣٣)

٢٨ ـ أخبار الحلاج ، بمعاونة كراوس (باريس ١٩٣٦ والطبعة الثانية ، ١٩٥٧) .

٢٩ ـ بحوث عن الشيعة المتطرفة فى بغداد فى أواخر القرن الثالث للهجرة(المجلة الشرقية الألمانية ١٩٣٨) .

٣٠ ـ فاطمة بنت الرسول (ايرانوس ١٩٣٨ ـ ٣٩) .

٣١ ـ ثبت مراجع عن القرامطة (منوعات ديسو ١٩٣٩) .

٣٢ ـ حال الإسلام (الإذاعة الباريسية ، وعلى حدة ١٩٣٩).

٣٣ ـ أهل الكهف (مؤتمر المستشرقين ، ٢٠ ، ١٩٤٠) .

٣٤ ـ حديث الرقية (مجلة تاريخ الأديان ١٩٤١) .

٣٥ ـ أسطورة الحلاج فى بلاد الأتراك (مجلة الدراسات الإسلامية ١٩٤١ ـ ٤٦) .

٣٦ ـ كيف السبيل إلى إعادة الدراسة الحرفية للثقافتين العربية واليونانية - اللاتينية وإرجاعها إلى قاعدة واحدة؟) فى كتاب بوده ، باريس ١٩٤٣ ، وأعيد طبعه فى مجلة القاهرة ، وترجم إلى التركية ، أنقرة ١٩٤٦) .

٣٧ ـ النفحة فى الإسلام (المجلة الآسيوية ١٩٤٣ ـ ٤٥) .

٣٨ ـ دراسة فى الإسناد (منوعات فليكس جرا ، باريس ١٩٤٦) .

٣٩ ـ حياة الحلاج بعد وفاته (١٩٤٦) .

٤٠ ـ المنحنى الشخصى لحياة الحلاج (نقله إلى العربية الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه : شخصيات قلقة فى الإسلام ١٩٤٧) .

٤١ ـ مراجع جديدة عن الحلاج (ذكرى جولدزيهر ، الجزء الأول ، بودابشت ١٩٤٨) والششترى ، الشاعر الصوفى الأندلسى المدفون فى دمياط (مجلة الأندلس ١٩٤٩) .

٤٢ ـ الفلسفة وماوراء الطبيعة فى التصوف الحلاجى (منوعات ج . ماريشال ، الجزء الثانى ١٩٥٠) .

٤٣ ـ السراب البيزنطى فى المرآة البغدادية منذ ألف سنة (منوعات هـ . جريجوار ، الجزء الثالث ١٩٥٠) .

٤٤ ـ الأثر الثقافى الدولى لتعاون المفكرين الإيرانيين ، من العصر الوسيط ، فى تقدم الحضارة العربية (فى كتاب روح إيران لمؤلفه جروسه ، وهز ماسه ، باريس ١٩٥١) .

٤٥ ـ البيرونى والقيمة الدولية للعلم العربى (منشورات الجمعية الإيرانية ، كلكتا ، ١٩٥١) .

٤٦ ـ الزمن فى التفكير الإسلامى (ايرانوس ١٩٥٣ وقد نقلها إلى العربية الأستاذ بركات ، مجلة الأديب ، بيروت ١٩٥٣) .

٤٧ ـ فلسفة ابن سينا وألفباؤه الفلسفية (منوعات ابن سينا ، الجزء الرابع ، ١٨ صفحة ، نشرة المعهد الفرنسى بالقاهرة ١٩٥٢) .

٤٨ ـ سيرة البقلى ومؤلفاته (منوعات بدرسن ، كوبنهاجن ١٩٥٣) .

٤٩ ـ الحركة الفكرية المعاصرة فى الشرق الأدنى (هسبيريسى ١٩٥٣ ، وهى محاضرة كان قد ألقاها فى زيورخ) .

٥٠ ـ تفسير خريطة البصرة (منوعات تشودى ، بال ١٩٥٤) .

٥١ ـ قصة حسين الحلاج (منوعات نيبرج ، ستوكلهم ١٩٥٤) .

٥٢ ـ استشهاد الحلاج فى بغداد (المجلة الفرنسية الجديدة ١٩٥٤) .

٥٣ ـ ديوان حسين منصور حلاج (باريس ١٩٥٥) .

٥٤ ـ المباهلة فى المدينة وفاطمة (باريس ١٩٥٥) .

٥٥ ـ أهل الكهف فى المسيحية والإسلام (مجلة الدراسات الإسلامية ، ١٩٥٥ ـ ٦٢) .

٥٦ ـ تاريخ العلم عند العرب (التاريخ العام للعلوم ، باريس ١٩٥٧) .

٥٧ ـ النصيرية (فى كتاب تطور العقيدة الإسلامية ، باريس ١٩٦٢) .

٥٨ ـ فى دائرة المعارف الإسلامية مباحث عن : القرامطة ، والنصيرية ، والخطابية والسلمانية ، والزندقة ، والزهد ، والزمن فى التفكير الإسلامى ، والكندى ، والمحاسبى ، والنوبختى ، والششترى والترمذى إلخ .

الموسم الثقافى الرابع
٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م

* إحسان عباس
* فؤاد سيد
* محمود الطناحى
* محمد بن تاويت الطنجى
* شوقى ضيف
* فريتس كرنكو

ندوة
(إحسان عباس)

إحسان عباس وتحقيق التراث

ا.د / حسين نصار

فى أربعينيات القرن الماضى ، كنت أنا والراحل فى قسم اللغة العربية واللغات السامية من كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول (القاهرة حاليًا) غير أننى كنت أسبقه بسنتين ، فلا أذكر أن لقاءً شخصيًا حدث بيننا فى ذلك العهد . ولكننى أعتقد أنه سمع عنى ؛ لأننى كنت أحد ثلاثة كانوا طلبة الامتياز فى فرقتنا ، وهم المرحوم أ . د ناصر الحانى من العراق ، وأ . د ناصر الدين الأسد ، أمد الله فى عمره ومتعه بوارف الصحة ، وأنا .

وإنما كان البدء الحق لصداقة العمر بعد تخرجنا ، لاشتغالنا بأطروحاتنا . فقد اتخذ هو الشعر العربى فى صقلية موضوعًا للماجستير ، ونزعة الزهد وأثرها فى الأدب الأموى موضوعًا للدكتوراه ، وناقش الرسالة الأولى فى ١٩٥١م ، والثانية فى ١٩٥٤م . واتخذت أنا نشأة الكتابة الفنية فى الأدب العربى موضوعًا للماجستير ، وناقشتها فى ١٩٤٩م ، والمعجم العربى موضوعًا للدكتوراه ، وناقشتها فى ١٩٥٣م .

وطبيعى أن يكثير بيننا اللقاء فى الجامعة ، وفى دار الكتب المصرية ، بسبب بحثينا ، وبسبب أننا كلينا بدأنا فى الاهتمام بتحقيق المخطوطات ، فعمل هو فى كتاب «خريدة القصر» الذى صدر فى ١٩٥١م . وعملت أنا فى ديوان سراقة البارقى الذى صدر فى ١٩٤٧م ثم فى شعر ابن وكيع التنيسى الذى صدر فى ١٩٥٣م .

وعندما قضيت سنة فى السودان عند افتتاح فرع جامعة القاهرة بالخرطوم ، كان بيته أحد البيوت القلائل التى ترددت عليها ووجدت فيها الترحيب الدافئ ، الذى كان بشيرًا بما وجدته ـ بعد ذلك ـ فى بيروت ، إبان عمله فى الجامعة الأمريكية ، وعملى فى جامعة بغداد بالعراق ، مما يسر لى قضاء الصيف فى لبنان سنة وراء سنة ، فكان هو ومن يكلفه من الأصدقاء من يختارون الفندق الذى أنزل فيه ، سواء كان ذلك فى بيروت أو فى الجبل .

وقد كان هو والصديق د . صلاح الدين المنجد اللذين وصلا بينى وبين دور بيروت وصادر والثقافة من دور النشر اللبنانية .

لقد كان نعم الصديق الودود المضياف ، المرح ، الذى يجد الإنسان من أمثالنا عنده : الخلق الحبيب والحوار العلمى النفيس . فكان من الطبيعى أن يسرع أحدنا إلى لقاء الآخر ، فى أى بلد عربى نحل به .

وكان الراحل العزيز أمة فى ثقافته العربية . له إسهامه المتميز فى ثقافة كل قطر عربى أو كان عربيًا ، فى كل عصر من عصور الثقافة العربية ، وفى كل مجال من مجالاتها .

وقد اخترت لنفسى الحديث عن مجال (تحقيق التراث) . وأستخدم كلمة «الحديث» عن عمد ؛ لأن الفقيد حقق الكثير من المخطوطات المتنوعة ، التى تحتاج دراستها إلى وقت وجهد طائلين ، لا أستطيع توفيرهما لكلمتى هذه ولذلك ألجأ إلى الاختيار ، والاقتصار على نماذج مما أصدر .

رأيت أن أعتمد فى كلمتى على أول ما أنجز «قسم شعراء مصر من كتاب خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهانى ، وكتابين من مرحلة النضج ، هما «فوات الوفيات والذيل عليها» لمحمد بن شاكر الكتبى ، الصادر فى أيلول (سبتمبر) سنة ١٩٧٣م ، و«الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» لعلى بن بسام الشنترينى ، الصادر فى سنة ١٩٧٩م . وذلك لأنى أعتقد أن الأستاذين اللذين شاركاه فى الكتاب الأول قد أضافا إلى ما كان حصله من قراءاته ودراساته من تصور عملية التحقيق . فوضع فى يده مفاتيحها ، التى ستزداد قدرة وثراء مع الزمان . أما الكتابان الآخران فيكشفان صورة عملية التحقيق فى أكمل مراحلها .

وأول ما يلحظه الناظر فيما حققه الفقيد : القدرة الفائقة على تمييز الغث من السمين ، واختيار ما يستحق الضوء من المخطوطات فى جميع أعماله ، ثم السعى المتواصل وراء مخطوطات ما ينوى تحقيقه من كتب إلى أن يهتدى إلى أجود النسخ ، ويحرزها ، ويتخذ منها واحدة أصلاً ، وبقيتها عونًا على التحقيق . ويمكن القول بأن هذه الخطوات أهم خطوات العملية الأصلية للتحقيق . ولا يبقى إلا حسن قراءة الأصل المعتمد ، ولا أحد يستطيع أن ينكر هذا على الفقيد .

كشف الفقيد فى الذخيرة هدف التحقيق فى رأيه ، فأعلن أن الهدف الأهم والأكثر جدوى إقامة نص سليم (٩/١) .

وأرى أن هذا هدف يحتاج إلى شىء من التوضيح ، فالأكثر جدوى حقًا هو إقامة نص سليم . ولكن الهدف الأهم - بل الوحيد - رد الكتاب إلى الصورة التى خرج بها من يد المؤلف .

ولما كان محققو الخريدة لم يجدوا منها غير قطعتين غير ملتحمتين اضطروا إلى الاعتماد على أصل واحد ثم استعانوا بمختصر لها صنعه على رضائى وبالمصادر الأخرى .

ولما كان الفقيد قد عثر على نسخة من «فوات الوفيات» بخط المؤلف ، محفوظة بمكتبة أحمد الثالث ، فقد اتخذها أصلاً للتحقيق ، وجعل بقية النسخ معينة عليه .

أما فى الذخيرة فاختلف منهجه فيها عن الكتابين الآخرين ؛ لأن النسخ التى عثر عليها منها لم يجد فيها نسخة ترتفع جودتها عن بقية النسخ إلى مستوى يجعلها جديرة أن تكون أصلاً للتحقيق ، وتكون الأخريات معينات له . ولذلك أثبت فى المتن أصح القراءات [فى نظره] ووضع ما يعد فى الدرجة الثانية من حيث احتمال الصحة فى الحاشية» . وأعلن - محقا ـ أن هذا أمر ذاتى اجتهادى لا يمكن تعليله فى كل مرة . (٩/١) .

وكان طبيعيًا أن يوجه الفقيد القسط الأعظم من عنايته ـ كما صرح - إلى تقويم النص ، وإزالة ما أصابه الزمن والنساخ به ، مع التصريح بما فعل . جاء فى الخريدة : «وكُتب أمان الأمانى بمهارق الفلاح» وجاء فى التعليق : «مهارق : جمع مهراق ، وهى الصحف . . . وفى الأصل هكذا : بمرايق ، وهو تحريف» . (وانظر ٤/١ ، ٩ ، ٢٢ ، ٢٥-٢٧ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٤-٤٦ ، ٤٩ ، بل كل صفحات ما حقق من كتب) .

ولما كان إثبات روايات النسخ المتعددة عملاً أساسيًا لكل المحققين ، فإننى لن أعيره كبير التفات ؛ لأنه أمر متوقع من مثل الفقيد . ولكن أشير إلى أنه لم يقنع بالمقابلة بين نسخ المخطوط ، وتعداها إلى المقابلة بين المخطوط والمصادر التى تذكر ما يذكره . وعنى بإثبات روايات هذه المصادر ، أحيانًا دون أن يفاضل بينها ، كما نجد فى قول العماد :

وجُبنا الفلا حتى أتينا مباركًا   على بركة الجُبِّ المبشر بالقصر

وفى التعليق عليه : «رواية الروضتين : أصبنا «بدلا من أتينا» (الخريدة ٨/١ ـ وانظر ٦ ، ٨ ، ١١ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٧ ، ٣٨ . . . ؛ فوات ١٥/١ ، ١٧ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٧ . . .) .

ومن المصادر التى عنى بالمقابلة بينها وبين النصوص التى بين يديه دواوين الشعراء كما نرى فى قول قلاقس :

يا ثعلبَ الصبح ، لا سرحاته أوله   خُذِ الثريا ، فقد صادفت عنقودا

وقوله فى التعليق : «فى الديوان ، وفى أعيان العصر (رقم ١٠٩٤ تاريخ بدار الكتب المصرية جـ ٢ ورقة ٢٢٠) : الفجر (فوات ١٤٦/١ . وانظر ٢١/١ ، ٢٢ ـ ٣٠ ، ٧٢ ، ٧٥) .

وأحيانًا فاضل – فى الفوات - بين الروايات ، بل وصل به الأمر إلى تفضيل رواية المصدر وإن كان وضعها فى التعليقات . جاء فى المتن : «فأظهرت أزاهر المعانى التى انثرت فأشرق الكون بتبسُّمها» . وقال فى التعليق : «كذا فى ص - ولعلها «افترّت» كما هو فى المطبوعة (٩/١) . وجاء : «وكانت جنازته مشهودة» وقال فى التعليق : «الأصوب» مشهورة كما فى الوافى . (٣٣/١ . وانظر ٤٦ ، ٤٨) .

وأحيانا فضل رواية المصدر وأثبتها فى المتن . جاء فى الوافى (٤٢/١) :

إلى أن أقرت جيزة النيل أعينا كما قر عينا ظاعن حين يرجع

وقال فى التعليق : «ص : حيرة . والتصويب عن ياقوت والوافى» .

وفعل الأمر نفسه مع الدواوين . جاء فى الفوات (٢٦/١) :

ثم لوى جِيد كعاب ما حليه إلا الغَيَدْ

وجاء فى التعليق : «ص : خلته . وأثبت رواية الديوان .

وفى الذخيرة عد من مزايا تحقيقه مراجعة النص على المصادر التى استمدت من الذخيرة ، وعلى سائر المصادر الأندلسية . (٧/١ ، ١١ ، ١٤ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥١ ، ٥٥ . . .) .

وقد مكنه استقصاء الروايات الأخرى من تصويب السياق ، كما نرى فى قصيدة العماد :

ويعاطينى المدام به لان عند الوصل معطفُه

التى أصلها – محقًا – إلى :

ويعاطينى المدام وقد لان عند الوصل معطفه

(فوات ١٤/١ . وانظر ١٨ ، ٣٨ ، ١٤٥ . . .)

وزوده بما يملأ الأماكن التى تركها المؤلف أو الناسخ خالية (كما نرى فى فوات ٥٠/١) .

وزوده بما أبان به المطموس فى أصوله . (فوات ٥٥/١ . خريدة ٥٢/١ ، ١٥٨) وزوده بأبيات أهملها المؤلف أو الأصول ، فاستدركها هو لضرورتها ، ووضعها فى التعليقات . (فوات ٤٧/١) .

ولم يهمل الطبعات السابقة من الكتب التى يحققها ، فأشاد بمن حققوا أقساماً من الذخيرة قبله معلناً : «أبادر لأقرر ـ مخلصاً ـ أن أعضاء اللجنتين اللتين تولتا هذا العمل تحقيقاً وإشرافاً قد بذلوا فى إخراجه من العناية ما يستحق كل تقدير . أقول هذا ، وأنا قد اطلعت على أصول الذخيرة ، ووقفت على مدى ما فيها من صعوبة ناشئة عن حال النسخ نفسها . . .» (٦/١) .

ومع ذلك قابل الكتاب كله على الطبعة السابقة ، وصحح عدداً غير قليل من أخطائها : وأشار فى التعليق إلى رواياتها المخالفة . (انظر ٦/١ ، ١١ ـ ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٩ . . ؛ وفوات ١٣/١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٣ ، ٤٥ . . .) .

وإذا تركنا المصادر وما قدمته من عون ، والتفتنا إلى عملية التقويم فى ذاتها ، وجدناه يحس بما سقط من السياق ، دون أن يترك له فراغ ويقترح ما يملؤه من عنده ، جاء فى متن الخريدة :

أيا لين العطف ، قاسى الفؤاد بعيشك [بالله] لن واعطف .

وجاء فى التعليق : «فى الأصل : بعيشك لن واعطف ، والشطر بهذا تنقصه كلمة ، وقد وضعناها بين حاصرتين للدلالة على أنها فريدة» (١٥/١ ، وانظر ٤٨ ، ٥٩ ـ ٦٢ ، ٦٧ ، ٧٣) .

وأحس بالزائد وحذفه . جاء فى متن الخريدة :

والخاطر الأسعدىُّ يخطر فى بلاغةٍ ، ذيلُ فضلها ذائلُ

وفى التعليق : «فى الأصل : بلاغة فى ، وكلمة «فى» زائدة» (٦٠/١) .

وأجلى المطموس . جاء فى المتن :

قد طال دنى لكم فطَوِّلْ طَولاً بجاهى العريض كُمِّى

وفى التعليق : «الدن : من دنّ ودندن ، إذا طنّ ونغّم . وفى الأصل : دينى ، وبعدها كلمة كشطت واخترنا أن تكون «لكم» . (الخريدة ٥٢/١ ، وانظر ١٥٨) .

ومن أجل التوثيق : عنى فى صدر ترجمة كل واحد من الأعلام بإيراد عناوين المصادر التى ترجمت له ، ومواضع هذه الترجمة فيها . (انظر على سبيل المثال الخريدة ٣٥/١ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٤ . . ؛ والفوات ١٣/١ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٣١ – ٣٣ . . ؛ والذخيرة ٣٥/١ ، ٤٨ ، ٥٩ . . .) .

وأشار فى الخريدة إلى أحد مصادر الشعر الذى ذكره العماد (١/٨١ ، ١٤٦) .

واتسع فى التخريج فى الذخيرة حتى قال : «وفقت إلى تخريج كثير من الشواهد الشعرية التى أدرجها المؤلف فى الكتاب» . (١/٧ . وانظر ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٤ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٧) . وقد ساعده هذا فى نسبة ما أهمل المؤلف نسبته من شعر . (فوات ١/١٥) .

ومن أجل توضيح النص أمام القارئ الحديث عنى كل العناية بشرح الغريب من الألفاظ . فنكاد نجد فى كل صفحة شرحًا للفظة أو أكثر . مثال ذلك قوله فى تعليقات أول صفحة من الخريدة : «أزكياء : جمع زكى ، وهو طاهر النفس (١/٣ - ٥ ، ٧ - ٢٥ . . .) .

وقلل هذا الشرح فى الفوات ، قال مثلا : «النقد : صغار الغنم (فوات ١/١٨ . وانظر ٣٩ ، ٤٤ . . .) .

ثم عاد إلى الإكثار منه وقننه فى الذخيرة ، فشرح «الألفاظ التى تتطلب شرحًا . وخاصة بعض المصطلحات الأندلسية مثل حنبل وطولق وقلبق ، وما أشبه ذلك من ألفاظ غير مألوفة أو معروفة لدى المشارقة ، إذ قد يستغرق البحث عن معانيها وقتًا طويلا لا يتيسر لكل قارئ (١/١١ - ١٢ ، ٣٧ . . .)

ولم يقنع بشرح الألفاظ ، فعنى بتوضيح السياق :

● إما بتوضيح الإشارات الأدبية ، كما جاء فى النص :

وكم مُطْمِعٍ فى خيره بشرُ وجهه ومشتمل منه على شرّه الإبطُ

وقيل فى التعليق : قيل يريد العماد أنه يُبطن الشر . وقد استخدم هذه الكناية من قصة تأبط شرًا الشاعر الجاهلى . وهى قصة مشهورة» (الخريدة ١/٣٠ ، وانظر ٢٥ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٦٧ ، ٩٩ . . .) .

وإما بتوضيح الإشارات التاريخية . جاء فى النص :

وحطت دمياط إذ أحاط بها من برجوم البلاء يقذفها

● وقيل فى التعليقات : «يشير إلى نزول الفرنج دمياط سنة ٥٦٥ ، ومقاومة صلاح الدين لهم حتى رحلوا عنها بعد خمسين يومًا . انظر الروضتين ١/١٨٠» . (الخريدة ١/١١ . وانظر ٤ ، ٥ ، ٥١ ، ٩٨ ، ١٤٦ ، ١٥٠ ؛ فوات ١/١٥ . . . ؛ الذخيرة ١/٣٨ . . .)

● أو بإبانة المقصود . جاء فى النص : «وعم الخلق جميعًا بنعمته» فقيل فى التعليق : «معطوف على (جعل) فى أول الرسالة» (الخريدة ١/٥٧) .

وجاء فى النص :

وعللىْ فعل يقول الزمانُ   لإجباره إنه مُجْبَرُ

فقيل فى التعليق : «يقول : إنه يأتى عمله عن حرية وإرادة ، فكأنه ممن يؤمنون بأن الإنسان يخلق أفعاله . وهم المعتزلة القائلون بفكرة العدل ، وفى الوقت نفسه يجبر الإنسان على ما يريد ، فكأنه من أهل الجبر الذين يقولون بأن كل شىء يقع بقضاء وقدر . وهى مشاكله أو طباق بين عدل وجبر» (الخريدة ٧٩/١ . وانظر ٦٨ ، ٦٩ ، ٨٨ ، ٩١) .

● أو بإبانة مضارب الأمثال . جاء فى النص : «وكل الصيد فى جوف الفرا . ومن قال غير هذا قيل له : أطرق كرا» . وقيل فى التعليق عن الجملة الأولى : «مثل يضرب لمن يتفوق على أقرانه . والفرا : حمار الوحش» وقيل عن الجملة الثانية : «مثل يضرب لمن يخدع بكلام يلطف له ويراد به الغائلة» . (الخريدة ٥٠/١ ، وانظر ١٤٨ . . .) .

وعنى عناية كبيرة بتعريف ما ذكره المؤلف من أعلام وأشباه أعلام ، مثل أعلام الأشخاص (الخريدة ٥/١ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٩ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ . . . ؛ فوات ٢٠/١ ، ٢١ . . . ؛ الذخيرة ٦/١ ، ١٢ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٣٦ ، ٣٨ . . .) ، وأعلام الأماكن (الخريدة ٧/١ ، ٨ ، ١٦- ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، . . . ؛ الذخيرة ٦/١ ، ١٩ ، ٣٧ . . .) والمذاهب (الخريدة ١٠٧/١ . . .) وأسماء النباتات (الخريدة ٨/١ ، ٢٧ ، ٤٧ ، ٦٢ ، ٨٩ . . .) والنجوم والأبراج (الخريدة ٣٦/١ ، ٧٣ ، ٩١ . . .) والحيوانات (الخريدة ٩/١ . . .) وعناوين الكتب (الخريدة ٤٩/١ ، ٥٠ . . .) .

وعنى فى (الفوات) بما عثر عليه فى هوامش نسخة من حواش فأثبتها فى تعليقاته جاء فى ١٣/١ تعليقًا على قول ابن شاكر بأن إبراهيم بن أدهم دفن فى جزيرة البحر فى بلاد الروم : «بهامش ص تعليق : ليس هو فى جزيرة بل هو فى الساحل قريبًا من طرابلس» .

والتفت إلى فوائد نافعة للنص ، مثل تاريخ نظم إحدى القصائد .

قيل فى تعليقات الخريدة : «نقل صاحب كتاب الروضتين عن البرق الشامى أن العماد قال : إنه نظم هذه القصيدة بتاريخ انسلاخ شعبان سنة ٥٧٠ ، وصلاح الدين على بعلبك يحاول فتحها . انظر الروضتين ٢٤٧/١ ، (الخريدة ٢٥/١) .

وقال فى تعليقه عن ابن صصرى فى (فوات ٢٧/١) : «توفى سنة ٧٢٣» .

ونقل عن ديوان ابن سهل أن موشحته الموجودة فى النص نظمت فى أبى بكر الطلبى وقال عن خرجتها : «الخرجة عامية فى الديوان ، والظاهر أنها قد حورت عن المشارقة» (فوات ٢٨/١) . ونقل تعليقًا يدل على الإعجاب ببيتين للشاعر الملقب عين بصل : «جاء فى الزركشى أن ابن خلكان قال بعدما سمع البيتين : أنت عين بصر» (فوات ٣٥/١) .

ومجمل القول أن إحسان عباس كان واسع الثقافة كثير الاهتمامات متعدد النشاطات ، وأنه كان - فى التحقيق - واحد من الجيل الذى أحسن تلقيه عن شيوخه . ثم أدخلوا عليه ما أقام ما كان فيه من عوج . وأكملوا ما كان فيه نقص وأضافوا إليه ما زاده كمالاً ووصلوا به إلى الدرجة التى ننعم بها اليوم .

منهج إحسان عباس فى التحقيق
(قراءة فى رسالة التعزية، لأبى العلاء)

أ/ عصام الشنطى

(١)

تمهيد :

على الرغم ممّا عُرف عن إحسان عبّاس أنه متعدد الجوانبِ ، إلا أننى لا أجانبُ الصوابَ إذا زعمتُ أن ميدانه الأول ـ مساحة ـ هو تحقيق النصوص . لقد طاف إحسان فى نصوص التراث العربى ، شرقيِّها وغربيِّها ، وحقَّق منها عشرات الكتب على مدى ما يزيد على نصف قرن .

لقد أسهم إحسان بعد هذه التجربة الطويلة فى وضع قواعد تحقيق النصوص ومناهجه ، دون أن يضع كتابًا مُفْرَدًا بهذا العنوان أو المعنى ، كما فعله كثيرون فيما بعد ؛ فى طليعتهم : عبدالسلام هارون ، وصلاح الدين المنجِّد . ولكننا يمكن أن نستخلص القواعد التى سار عليها بتتبع أعماله ، وأن نستنبط منهجه ، وهو العالِم البصير بمشكلات النصوصِ ، وتعدّد نسخها المخطوطة الموزَّعةِ فى أنحاء شتّى من العالم .

أول خطوةٍ خطاها إحسان فى الاشتغال بالتحقيق - إصداره رسالة أبى العلاء المعرِّى (ت ٤٤٩ هـ) فى تعزية أبى علىّ بن أبى الرِّجال فى ولده أبى الأزهر ، عام ١٩٥٠م .

ولا شكَّ أن نجاحه فى هذا العمل هو الذى رشّحه لأن يُشاركَ أستاذيه : أحمد أمين ، وشوقى ضيف ـ فى تحقيق قسم شعراء مصر من كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر» ، لـ العماد الأصفهانى (ت ٥٩٧ هـ) ، الذى صدر فى جزءين سنة ١٩٥١-١٩٥٢م . يقول الدكتور شوقى ضيف فى مقدمة الكتاب : «عهدتُ إلى تلميذى وصديقى الأستاذ إحسان عبّاس أن ينقله من المصورتيْن المذكورين ؛ لما أعهده فيه من حسٍّ لغوىٍّ وذوقٍ أدبىٍّ ، ففعل ذلك مخلصًا ، وأدّاه على خير وجه من الصحة والضبط والدقة» .

ولكى نتوصل إلى منهج إحسان فى تحقيقه رسالة أبى العلاء فى التعزية - لا بدَّ لنا من تتبع عمله من خلال خدمته للنصِّ التى تجرى ـ وَفْق ما استقرّ عليه منهج التحقيق- فى أربعة حقول ، هى : المقدّمة التى يتمُّ إنجازها بعد تحقيق النصِّ ، وإن كان موقعها من الكتاب

المنشور قبله . والثانى تحقيق النصّ ، وما يلحقه من مكمّلات وإضافات . والثالث الملاحق والذيول . والأخير صنع الفهارس . وعلى هذا النظام سننظر فى كلّ حقلٍ منها :

(٢)

المقدّمة :

أول ما يطالعنا إحسان فى المقدمة اهتمامه بتجميع النُّسَخ المخطوطة . ونراه اعتمد على نسخةٍ مصوّرة من إستانبول من القرن السابع الهجرى ، وجعلها النسخة الأمّ ، ونسخةٍ متأخرةٍ مساعدة بدار الكتب المصرية (من القرن الحادى عشر الهجرى) .

واكتفى إحسان بهاتين النسختين ، مع الإشارة إلى طبعة المستشرق مرجوليوث ، وطبعةٍ أخرى فى بيروت .

ومن ثمّ توجه المحقّق إلى التثبّتِ من عنوان الرسالة ، خاصةً أن هناك روايتين ذات صلة بشخصية المعرّى . وخلص إحسان بعد الرجوع إلى المصادر والمراجع إلى رواية النسخةِ الأمُ ، واطمأنَّ إليها .

وانتقل المحقّق إلى دراسة النصّ ، وفهمه فهمًا جيّدًا ، وأعانه على هضمه أنه نسخه بنفسه كلمة كلمة ، واستطاع أن يقسّمَ النَّص إلى : مقدّمة ، الإنسان والموت ، الحيوان والموت ، خاتمة . يقول إحسان فى هذا الصددِ : «إن التراث لا يتحقّق درسُه بغير إحيائه» .

ولِسَعَة اطّلاع المحقق على التراث ، وعمقِ معارفه ـ استطاع أن يوفّقَ فى بيان مصادر أبى العلاء ، ودواوين الشعراء التى رجع إليها لصياغته نصّه . وانتهى فى دراسته إلى أنّ أبا العلاء كان متّبعًا فى صوره لا مبتدعًا ، معتمدًا على الغريب فى ألفاظه ، ملتزمًا بالسجع فى موسيقاه . وهى ملاحظاتٌ دقيقةٌ اتّصفَ بها إحسانٌ فى دراسته النقدية ، وتميّز بها عمقًا واتساعًا .

وختم إحسانٌ هذه المقدّمة بتوصيفٍ كافٍ للنُّسخ الخطيّة التى اعتمد عليها ، والإشارة إلى ما وقع فيه مرجوليوث ، وطبعة بيروت ـ من تصحيفٍ وتحريفٍ . أما فروق النسخ فلم يضعها فى حواشى النصّ ، وإنما صنع لها قائمة مع الفهارس ، على نحو ما سنُبيِّن بعد قليل .

ونلحظ أنّ إحسانًا لا يُنبّه على أخطاء رأى أن إصلاحها واجبٌ ؛ لأنها تعود ـ فى الغالب - إلى جهل الناسخ . ولم يُثبت فى المتن إلا وجه الصواب ، ولم يُدرج فى الحاشية إلا القراءة المحتملة .

ونلحظ أيضًا أن المحقق لم يحرص على إثبات ترجمة للمؤلف ، على غير المألوف فى مقدّمات المحقّقين . ويفسّر إحسان هذا الإهمال من جانبه بعدم الرغبة فى تكرار مادة سوف لا تضيف إلى مقدّمته جديدًا ، خاصة أن كتب التراجم القديمة والمؤلفات الحديثة قد أتت على ذكر حياة أبى العلاء المعرّى وإنجازاته . ونعدُّ هذا الصنيعَ تفردًا من إحسان يتمرّد فيه على القواعد ، ولا يطبّقها تطبيقًا صارمًا ، ما دامت خصوصية النصّ الذى يحقّقه تقتضى ذلك .

(٣)

النصّ :

ضبط المحقّق النصّ ضبطًا كاملا وصحيحًا ، لم يترك للقارئ شبهة إشكال ، وأخضعه لعلامات الترقيم المختلفة ، وقسّمه إلى فِقْرات ، تُعين كلها على فهم النصّ فهمًا سليمًا .

أما الحواشى فنراها مستوفاة ، جمع فيها المحقّق معانى الألفاظ الواردة . وبإزاء إكثار أبى العلاء من الغريب لم يفت المحقّق أن يُوضّحَ النصَّ بالشرح ؛ لأنه - كما يقول - لايقدّمه للمتخصص فحسب ، وإنما للمثقّف العربى الذى يقرأ التراث . وأثرى إحسان حواشيه أيضًا بتعريف الأعلام ، وبيان المصطلحات فى الجاهلية ، وردّ الشعر لقائله فى الدواوين ، أو فى المجموعات الشعرية .

(٤)

الملاحق والذيول :

لا نجد عند إحسان فى هذه الرسالة شيئًا من هذا القبيل ؛ لأنه لم يَعرض له ما يُوجب إثباته ، مع ما نعرف من حرصه على متابعة عمله وهو فى المطبعة ، فإذا عرض له شيءٌ ألحقه عاجلاً فى حقل الملاحق والذيول . وقد لجأ إلى مثل هذا فيما بعد ، خاصةً فى تحقيقه الدواوين الشعرية ، أو مجموعاته . نذكر من ذلك : تحقيقه ديوان لبيد بن ربيعة العامرى (ط . الكويت ، ١٩٦٢م) ، وديوان الصنوبرى (ط . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٠م) ، فقد ألحق بهما ما يندرج تحت هذا الحقل ، مما وجده فى مصادر لم يكن قد اطّلع عليها عند إنجاز العمل ودفعه للمطبعة . وبهذا اتّصف حسان بشغفه بالمعاودة والمراجعة فيما يُحقق ، فيضيف إلى هذا الديوان أو ذاك ما ينبغى أن يُلحقَ به .

(٥)

الفهارس :

لم يتقيد إحسان فى صنع الفهارس التقليدية لكل النصوص التى توفرّ على تحقيقها ؛ لأنه آمن أن لكل نصّ خصوصية تُملى على المحقق الفهارس التى ينبغى أن يصنعها .

لقد صنع المحقق لهذه الرسالة فهرسًا واحدًا خصصه لأسماء الحيوانات والنباتات والنجوم وغيرها من المعارف . وقد ألحق به فهرسًا للمراجع ، منها مراجع باللغة الإنجليزية التى يتقنها .

أما الفهرس الأخير فهو فهرس خصّصه لمقارنة النُّسَخ الخطية ، وإثبات الفروق بينها . ونعلم أن قواعد تحقيق النصوص اعتادت أن تجعل ذلك فى الحواشى ، غير منفصلة عن النصوص . ولكن شخصية إحسان رُكِّبت على أن لا يطبِّق هذه القواعد تطبيقًا صارمًا . وكان كثيرًا ما يخالفها إذا اقتضت الضرورة ذلك . ظهر هذا الاتجاه عنده منذ البداية فى تحقيق هذه الرسالة لأسباب عديدة ؛ أولها : أنه لا يريد أن يزحم حواشيه بأكثر مما ازدحمت ، ثم إن هذه الفروق - مع قلّتها - لا يعنى بها إلا العلماء من ذوى الاختصاص ، فلا بأس أن تكون منفصلة عن النصّ . أما حواشيه الأخرى فهى لازمة الاتصال المباشر بالنصّ ؛ يقرأها وينتفع منها القارئ المثقّف . ولعلّ أقلّ هذه الأسباب أهمية ضرورات الإخراج الطباعى ؛ لأن وضعها فى آخر الكتاب أيسر على الطباعة من وضعها فى الحواشى منفصلة عن التعليقات الأخرى بفاصل .

غير أن إحسانًا قد أغفل صنع فهرس للشعر ، وهو وإن قلّ عدد الأبيات فى الرسالة (عشرة أبيات متفرقة فى تضاعيفها) - إلا أنه كان من المفيد إثباته مرتَّبًا على القوافى .

(٦)

مقارنة :

حين نلتفت إلى بعض النصوص التى حُقِّقت فى زمن قريب من زمن تحقيق إحسان هذه الرسالة ، أو قبل ذلك ، نجد على سبيل المقارنة كتاب «لباب الآداب» لـ أُسامة بن مُنْقِذ (ت ٥٨٤هـ) ، بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، الذى صدر فى طبعته الأولى عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م ، أى قبل تجربة إحسان هذه بخمس عشرة سنة .

لقد حقق الشيخ شاكر الكتاب على نسخة واحدة، وهى نسخة المؤلِّف، كُتِبت له فى حياته، سنة ٥٧٩هـ، وعليها إهداء منه لابنه مرهف. وقد اكتفى المحقق بهذه النسخة بالرغم مما بها من خَرْم فى نحو ست ورقات. وأثناء طبع الكتاب وقع على نسخة أخرى بدار الكتب المصرية، كُتبت سنة ١٠٦٦هـ، وعندها أفادته فى التصحيح، فى مواضع عديدة.

وترجم المحقق للمؤلِّف ترجمة مطوّلة(١٧ صفحة). أما دراسته للنص فجاءت مقتضبة فى سطور لا تتجاوز عدد أصابع اليدين.

والحق أن المحقق ضبط النصّ ضبطًا كاملاً وصحيحًا، خاصة ما ورد فى الكتاب من الشعر.

وقد خلط فى الحاشية بين ما نبّه على تصحيحه من النسختين المعتمدتين، وشروحه ومعانى المفردات، وفروق النسختين.

وأثبت فى آخر الكتاب، وقبل الفهارس، استدراكات مطبعية، أو سهوًا منه ـ كما يقول ـ وقد أحصيتها فوجدتها ١٠٢ استدراكًا، ملأت ست صفحات.

أما فهارسه فهى متنوعة، ويحمد له أنه أشار ـ فى هذا الوقت المبكّر ـ إلى أهمية الفهارس، وأنها مفاتيحُ الكتب.

والمقارنة الثانية للأستاذ مصطفى السَّقَّا فى تحقيقه «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع»، لأبى عُبَيْد البَكْرِى الأندلسى (ت ٤٨٧هـ)، الذى صدر فى أربعة أجزاء، بين سنتى ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م، و١٣٧١هـ/ ١٩٥١م، أى فى فترة زمنية غير بعيدة عن فترة إحسان.

لقد جاءت دراسة المحقق للنص مستفيضة وعميقة، فيها استقصاء ومناقشة ومقارنة. وعرف المحقق بمؤلِّف الكتاب دون إطالة (٤ صفحات). واعتمد على ثلاث نسخ من دار الكتب المصرية والأزهر، وصفها وصفًا كافيًا، وحدَّد منها النسخة الأم. وانتفع فى الجزء الرابع بمصورتين خطيتين جلبهما معهد المخطوطات العربية من إستانبول.

واطّلع السَّقَّا على نشره فردناند وستنفلد (ت١٨٩٩م)، التى أصدرها فى طبعة حجرية فى ألمانيا، فى مجلدين كبيرين. وقد أشاد المحقّق بعمله؛ لحرصه على جمع نُسَخٍ خطيّة كافية، ومقابلته عليها، وتقديمه للنص، وختمه بالفهارس المتنوّعة.

وحين نعود إلى صنيع الأستاذ السقا ، نجده قد ضبط النصّ ضبطًا كاملاً وصحيحًا ، وأثبت تعليقاته فى ذيول الصفحات ، لا فى آخر الكتاب ، أو عند نهاية كل حرف ، كما يفعل المستشرقون . وخلط فى الحواشى بين فروق النُّسَخ والشرح . وختم عمله بفهارس متنوعة متقَنة .

غير أنه أُخذ عليه سقطة كبيرة ، وهى اعتداؤه على النص ، بفعل ليس من حقه أن يفعله ، وهو تغييره ترتيب حروف المعجم التى وضعها البَكْرِىّ بالنظام المغربى ، فجعلها المحقق بترتيب أهل المشرق . فقدّم فى النصّ وأخّر ، وكأنه يقدّم الكتاب للمشارقة فحسب . وكان ينبغى أن يُبْقى على ما هو عليه ، ويضيف إلى فهارسه فهرسًا بترتيب الحروف المشرقية ، ومواضيعها من الكتاب .

(٧)

خاتمة :

رأينا إحسانًا فى تحقيقه الرسالة قد درج ـ عمومًا ـ على قواعد مقرَّرة ، ومنهج واضح ، وأنه لم يقصِّر على سابقَيْه . وتميَّز باهتمامه البالغ فى تحليل النص ، ودراسته الوافية .

واهتم كذلك بضبط النصّ ضبطًا كاملاً ، دقيقًا وصحيحًا ، وأثراه ـ فى الحواشى ـ بإضاءات وتعليقات وشروح نمت عن سعة اطّلاعه على مصادر التراث المختلفة .

وأفترض ـ وهو افتراض صحيح ـ أن قلّة من أبناء العربية الذين أخذوا يشتغلون بالتحقيق ، فى وقت مبكّر ـ ومنهم إحسان ـ اطلعوا جميعهم على منهج المستشرقين فى تحقيقهم التراث العربى ، منذ القرن التاسع عشر الميلادى ، وهو منهج كان قد وُضع فى أوروبا قبل ذلك ببضعة قرون لتحقيق نصوصهم الإغريقية واللاتينية .

ومهما أُخذ على إحسان من هنات فى تحقيق الرسالة ، فواضح أنه خاض بحر التحقيق قويًا محصّنًا بأمانة علمية ، وتوافر شروط المحقّق لديه . يقول إحسان فى هذا الصدد : «التحقيق العلمى لن يكون مخذولا ما دامت تتولاه أيد أمينة» . وقد ظل على مدى نصف قرن متمسكًا بضرورة التحقيق العلمى المنهجى للتراث ، وميَّز بينه وبين طبع الكتاب ، أو نشره غير محقّق . ورأيناه يسبح مع تيار التحقيق بسلاسة ويُسر واقتدار ، ويتميَّز بشخصية متفرِّدة ، واستطاع على مدى السنين أن يقوم بمفرده ـ من ناحية الكم والنوع ـ بما لم يستطيع امرؤ أن يقوم بمثله أوْ يُقاربه .

أهم المصادر والمراجع :

- إحسان عباس عالم موسوعى من فلسطين ، بحث لـ داود القاضى ، مجلة «الباحث» ، العدد ٢٤ ، تموز ، كانون أول ١٩٨٢م ، ط . بيروت ـ [من صفحة ٢٤٣ - ٢٥٧] .

- إحسان عباس وتحقيق الشعر ، بحث لـ يوسف بكّار ، فى كتاب «إحسان عباس ناقدًا ، محققًا ، مؤرخًا ، بحوث ندوة مؤسسة شومان ، عمان ، الط . الأولى ، ١٩٩٨م ـ [من صفحة ١٦١ - ٢٠٧] .

- إحسان عباس وتحقيق النثر : بحث لـ محمد إبراهيم حوّر ، فى كتاب «إحسان عباس ناقدًا ، محققًا ، مؤرخًا ، بحوث ندوة مؤسسة شومان ، عمّان ، الط . الأولى ، ١٩٨٨م ـ [من صفحة ٢٠٨ - ٢٣٦] .

- خريدة القصر وجريدة العصر ـ قسم شعراء مصر ، لـ العماد الأصفهانى الكاتب ، نشره أحمد أمين ، شوقى ضيف ، إحسان عباس ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، فى جزءين ، ١٩٥١ - ١٩٥٢م .

- رسالة فى تعزية أبى على بن أبى الرِّجَال فى ولده أبى الأزهر ، لأبى العلاء المعرى ، حققها وقدّم لها إحسان عباس ، الط . الأولى ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٥٠م .

- غربة الراعى ـ سيرة ذاتية ، إحسان عباس ، دار الشروق ، عمان ، الط . الأولى ، ١٩٩٦م .

- لباب الآداب ، لـ أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، الط . الأولى ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م .

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، لأبى عُبَيْد البَكْرى الأندلسى ، تحقيق مصطفى السّقّا ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، فى أربعة أجزاء ، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م ـ ١٣٧١هـ / ١٩٥١م .

*****

على خطى الراعى

أ.د / عبدالكريم سليمان أبو خشان

حضرات السيدات والسادة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

استجابة لدعوة كريمة من دار الكتب المصرية - وبتزكية مشكورة من السيد وزير الثقافة الفلسطينى الأديب يحيى يخلف وبنفس يخالجها الشوق ، ويرودها الحب والوفاء ، أجئ اليوم بينكم - مشاركًا فى الاحتفاء بأهل العلم والمعرفة وتقديرًا للعاملين من هذه الأمة ، وإكبارًا لمن نذروا نفوسهم للبحث عن الحقيقة ، وكرسوا سواد أيامهم ، ليتركوا لنا بعد رحيلهم ما يمكث فى الأرض ، وما ينفع الناس .

أيتها الأخوات . . أيها الأخوة

دومًا نهبط مصر طلابًا ، ونجوز عتباتها الخضر بشوق المريدين ، لنقبس من نورها حين تظلم الدنيا وتزوغ الأبصار ، وننهل من نيلها الحانى أن تعتكر المشارب ، وتنشد الدروب ، وتتجهم الأمصار .

نسعى إليها من أقصى الأرض . . . فتطالعنا ذوائب النخل وتهدينا عصائب الطير ، ويجمعنا صوت المحاريب . . . نهلل فى خشوع للذى جعل فيها خزائن الأرض . . . وأنبت فى خافقيها الحياة .

فى غمرة الشعور بنشوة اللقاء . . أيها الأخوة والأخوات . . أخالنى لا أنسى هذه الدار التى جمعتنا ، ولا أنسى وارف دوحتها التى فاءت وتفئ على كل من سعى طالبًا للعلم . . متعبداً فى محاريبه . . نعم . . دار الكتب القيمة . . جمعتنا وما انفكت من مشارق العربية ومغاربها . . على مائدة شيوخ هذه الأمة وعلمائها .

لها منابر الأبناء . . وخشوع العارفين بالفضل . . وثناءُ الغير على خزانة العلم وديوان العرب . . . ثناؤنا لا ينقطع دومًا لسدنة هذا المحراب ، وحملة المشاعل فى هذا البيت . . رعاهم ورعاه العلى العليم ، فمنهم وبهم تسطع أنوار المعرفة وتزهو النفوس .

شرف لى كبير - أيها الأخوة الكرام - أن أجئ إليكم ومعكم رغم وعورة المسالك ، وانسداد الآفاق ، مشاركًا لكم فى يوم تكريم «الراعى» من «عين غزال» ، الذى ترك خرافه عند

أقدام حيفا ويمم شطر قاهرة المعز يلتمس فيها العزاء ، بعد أن أمضه الألم ، وحداه بارق الأمل لينهل من معينها الثر سائغ الشراب ، ويقيم فيها بين الأهل والعشيرة ، ويأنس فيها كما أنس فى شامة إفريقيا السمراء «الخرطوم» برهط من الصفوة الخيرة وكرام القوم .

أما المعلم أيها الأحبة ، فإنه يفتح نوافذ قلبه مثلما يفتح أبواب بيته ، لثلة من العلماء من أصقاع الأرض العربية الطيبة ، ينشدون لديه المعرفة الحقة والحجة السديدة ، والرأى الثاقب .

ها هو إحسان عباس يستدعى تلك الأيام مع الأستاذ المعلم محمود محمد شاكر فيقول : «كان لقائى به فاتحة عهد جديد فى حياتى العلمية ، كنت أقرأ له شعرًا ونثرًا فى مجلة الرسالة ولكن اقترابى منه فتح لى عالمًا جديدًا من المعرفة ، أصبحت أجد لديه إجابات متقنة عن أسئلة كثيرة تدور فى رأسى ، ووجدت فى مكتبته الغنية ما أحتاج إليه من مصادر ، وفى زائريه وضيوفه وشهود مجلسه شخصيات من أبرز شخصيات العالم العربى والإسلامى . . . هنالك عرفت يحيى حقى ، وعبد العزيز الميمنى ، وعلال الفاسى ، وصالح بن يوسف ، وعبدالله التل . . وكثيرين غير هؤلاء من أبرزهم المفكر الجزائرى الإسلامى مالك بن نبى . . هذا إلى كثير من الأدباء والشعراء المصريين ، وفى مقدمتهم الشاعر محمود حسن إسماعيل الذى كنت معجبًا بشعره .» [غربة الراعى ، ص ٢١٢].

تلك إذن أحجية السفر واللقاء . . تماس حميم مع من عرفهم على صفحات الكتب وجوانب الصحف ،غير أنه تماس يلزم صاحبه الآن أن «ينهج» سعيه إن صح القول ، وأن يجعل وكده الارتقاء الحثيث فى السلم الأكاديمى ، وهنا . . يجد ضالته فى إهاب رجل طوع التراث إلى بصيرته ، واستأنس الشارد منه ، وأحسن تهذيبه وتبويبه . . . إنه المعلم الكبير : الدكتور شوقى ضيف . . . يهش له ويقربه ، ويؤنس غربته . . . وحين تنزل نازلة الوطن وتعبس الدنيا فى وجه عباس . . يقف المعلم إلى جانب تلميذه ، يأخذ بيده ويواسيه ، ويبادر إلى فتح باب الرزق أمام ناظريه . . ويكف عند شيئا من غوائل النكبة .

إحسان عباس محققًا :

حين تتطابق الدلالة مع المعنى ، فإن التحقيق فى أول معانيه هو «البحث عن الحقيقة» واستخلاصُها من كل ما اكتنفها من شوائب وما قد يلحق بها من الأهواء والأضاليل . . ولسنا هنا فى موضع من يفرد القول فى تعداد جهود إحسان عباس فى هذا الباب ، ولكنا نحاول أن ندرك معكم أهمية هذا التوجه لديه ، وطبيعة الأدوات التى كرسها لهذا العلم .

لم يكن التحقيق عند إحسان عباس مجرد إخراج المادة المحققة فى ثوب قشيب ، ثم يضع اسمه على غلاف المخطوطة وكأنها قد بُعثت من العدم . . ! لا . . لم يكن الأمر على هذا النحو من البساطة حتى لا نقول التبسيط ، بل لقد فهم التحقيق على أنه «المعرفة» فى أزهى تجلياتها ، إنه ، أى التحقيق ، عشق للحكمة أو الفلسفة كما أسماها الإغريق ، فهو إذ يعمل على تحقيق مخطوطة ، إنما يصدر عن فهم جلى بأسرار اللغة وسيرورة التاريخ ، وتفاصيل المكان ، وتوجهات النقد ، بل والمدارس النفسية الحديثة التى سخرها لمقابلة النصوص ، وترجيح الراجح ، ونفى الضعيف ، فقد كان التراث بالنسبة له كما يقول : «مؤازرًا بعملة الأكاديمى وكان ضرورة لابد منها لاستكمال بعض جوانب المعرفة» [غربة الراعى ، ص٢٢٧].

إن جهد إحسان عباس فى تحقيق مخطوطة كانت قد حققت ونُشرت من قبل ليدل دلالة واضحة على أنه لايكتفى بما هو متوفر دون تمحيص وتدقيق ، فقد راض نفسه على الاستقصاء ، واستمرأ نصب المثابرة من أجل الوصول إلى المستوى الذى يطمئن إليه ، وهو حين يمتدح منهج أستاذه محمود شاكر فى الدراسة والتحقيق ، إنما يضع لنفسه سنة فى العمل ، ونموذجًا متميزًا فى معين هذا العلم .

لنصغ إليه وهو يتحدث عن هذه المناقبية : «والميزة الكبرى فيه أنه ذو رأى عميق واطلاع واسع ، وليس هنالك من هو أقدر منه على فضح التفسيرات التى تزيف التاريخ والحقائق ؛ إذ يستمد رأيه الواضح ويبلوره من تأمله الذاتى وعودته إلى الأصول ، دون النظر إلى رأى سائد يردده الآخرون . . . كان محمود وما يزال يعتمد فهم الأسباب ويحسن ربط النتائج بها على نحو دقيق متفرد لم أجده عند غيره » [غربة الراعى ٢١٢].

إن اطلاعنا المتواضع على سيرة إحسان عباس ليؤكد لنا المرة تلو الأخرى أن هذا الرأى الذى أسبغه على أستاذه محمود شاكر إنما ينطبق عليه كلمة كلمة ، وهو حين يشتد بهذا المنهج ، يعطينا على النحو موارب قليلاً ، أنه يتبنى هذه المناقبية ويترسم خطاها .

وتتعدد الأمثلة - أيها الجمع الكريم - فى سيرة إحسان عباس عن أخذه لنفسه بحزم الباحث ، ودقة المحقق ، بيد أننا نود أن نتأمل معكم تلك القضية التى جاءت فى سيرته ، حيث كان قد هيأ نفسه لإعداد أطروحة الدكتوراه عن «حياة الزهد وأثرها فى الأدب الأموى» وكان هذا الاختيار مبنيًا على بعدين ، أحدهما ما أسماه بـ «حقبة الجوع» إثر نكبة فلسطين عام ثمانية وأربعين ، حيث اهتم بدارسة سيرة الزهاد والنساك رغبة منه فى ترسم خطاهم فى

مقاومة الجوع ، والرضى من الحياة بما يقيم الأود . أما العامل الثانى ، فقد تولدت لديه فكرة مبكرة أن الدولة الأموية قد لحقها كثير من الضيم والغبن ، فأراد أن ينتصف لها ، ويحقق فى الروايات المتعددة التى تحط من قدرها ، وتزرى بصنيعها ، وهذا فى اعتقادى أمر قد راود ويراود كثيراً من الباحثين والمؤرخين ، غير أن موضع الشاهد لم يأت بعد ، فقد تمثل فى تحصله على قناعة أخرى ، ربما ناقضت هدف الانصاف هذا بل واستبعدته تمامًا ؛ ذلك أنه درس أدب الخوارج الذين كانوا ألد الخصام مع تلك الدولة ، وكتبوا ما كتبوه لتورية نار الثورة عليها ، فما كان منه إلا أن جمع ديوانًا لشعر الخوارج وقدم له . بعد أن طرح جانبًا فكرة الانصاف تلك ، الأمر الذى يشهد له بالدقة ومخالفة الهوى حين تأكد له أنه قد يقوده إلى التجنى أو الشطط .

مهما يكن من أمر ، فإن التكريم الحقيقى لإحسان عباس هو فى مواصلة سنته التى ألزم نفسه بها من حب التراث ودقة التحرى عن دراسته أو تحقيق مخطوطاته ، كما أن على من يسلك هذا المسلك أن يصدر عن معرفة ووعى موسوعيين ليغرى من يقرأه أنه أمام جهد متميز وعقل خلاق .

وبعد . . فإن هذه المداخلة المتواضعة ، إنما تجىء مجرد مقدمة أولية لإعادة النظر فيما كتب إحسان عباس وبيان فضله على لغتنا العربية ودارسيها ، وحجم ما يمكن للمثابرين المخلصين أن يعطوا ، كما أجدها سانحة لأتقدم بوافر الشكر وموصول التقدير لدار الكتب والوثائق القومية ، بكل الذين عملوا فيها ويعملون ، واسمحوا لى أيها الكرام أن أخص بالشكر السيد الدكتور أحمد مرسى مدير هذه الدار ، على مبادرته الطيبة ، وأشد على أيدى جميع العاملين مباركًا لهم جهدهم ، كما أشكر سعادة الأخ محمد صبيح سفير فلسطين فى القاهرة الذى بادر بإيصال الأمر إلى غايته من خلال هذه الدعوة ، كما أشكر معالى وزير الثقافة فى فلسطين ، الأديب المبدع السيد يحيى يخلف الذى شرفنى بلقائكم ، وأدعو العلى القدير أن يكون عونًا لشعبنا المجاهد فى تصديه الفذ لجرائم الصهيونية ، وأن يأخذ بيد زعيمنا وقائد مسيرتنا لنبلغ به ومعه بر الأمان إنه نعم المولى ونعم النصير .

أحييكم بكل التقدير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ندوة

(فؤاد سيد)

فـؤاد سيـد

أ.د./ عبدالستار الحلوجى

نجمان تألقا فى سماء المخطوطات فى مصر منتصف القرن العشرين ، وكان مصدرين من أهم مصادر المعلومات لكل من يدرس المخطوطات أو يرجع إليها ، لا فى مصر وحدها وإنما فى العالم العربى كله . ولعلى لا أبالغ إذا قلت إنهما استطاعا أن يحققا شهرة عالمية فى هذا المجال مع إنهما لم يتخرجا من جامعات شرق ولا غرب ، ولم يحصّلا من التعليم النظامى غير أقل القليل ، كلاهما كان عصاميًا ، وكلاهما كان يحفر فى الصخر ليجد لنفسه موضعًا لقدم بين علماء كبار ، وكلاهما كان فارسًا فى مجاله لا يُشق له غبار ، وكلاهما كان على ثغر من ثغور المخطوطات ، أحدهما فى قسم المخطوطات بدار الكتب وهو فؤاد سيد ، والآخر فى معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وهو رشاد عبدالمطلب .

ولد فؤاد سيد فى القاهرة فى أكتوبر ١٩١٦م . ولم يتجاوز المرحلة الإبتدائية من التعليم ، فقد التحق بالعمل فى مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٩ م وهو دون الخامسة عشرة من العمر ، ومن المطبعة إلى مخازن الدار ، ومنها إلى الفهارس ثم إلى قسم المخطوطات الذى ارتبط به حتى توفى فى ديسمبر ١٩٦٧م . وبين الميلاد والوفاة كانت حياة خصب ثرية سأحاول أن أعرض بعض جوانبها ، وإن كنت أعلم سلفًا أننى لا أستطيع أن أوفّى الرجل حقه من التقدير والتكريم .

والذين تعاملوا مع فؤاد سيد عن قرب - وأزعم أننى واحد منهم - يعرفون أن الله سبحانه قد أنعم عليه بنعمتين جليلتين كانتا خير عون له على التعامل مع المخطوطات فهرسه وتحقيقًا ، وأعنى بهما ، قوة البصر وقوة الذاكرة حتى ليمكن القول إنه كان فهرسًا متحركا يمشى على الأرض . لا تسأله عن كتاب إلا ذكر لك نسخه المخطوطة والأماكن التى توجد فيها ، وربما ذكر لك أرقام تلك النسخ فى مكتباتها دون الرجوع إلى الفهارس المنشورة .

وكان مثالاً لدماثة الخلق ورقة الطبع وسعه الصدر وشدة الالتزام . كما كان يتمتع بذكاء فطرى وبصيرة نافذة . والأمثلة على ذلك كثيرة أذكر منها أنه تدرج فى عدة مناصب فى قطاع المخطوطات بدار الكتب المصرية ، رئيسًا لقسم ، ومديرًا لإدارة ، ولكن هذه الألقاب والمسميات لم تكن تغريه ولم يستخدمها قط ، فقد كان حريصًا دائمًا على أن يقدّم نفسه على أنه «أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية» لأنه كان يدرك ما تعنيه عباره Keeper of Manuscripts عند

العلماء الأجانب الذين يتعاملون مع المكتبات ومع المخطوطات ، وكان يعرف أن هذا المسمى الذى ابتُذل عندنا - بكل أسف - كما ابتُذلت كثير من المسميات والألفاظ ، له مكانته الكبيرة فى الغرب ، وأن أمانة المخطوطات فى أية مكتبة أوربية لا يتولاها إلا كبار الأساتذة والعلماء .

رافقتُه فى العمل بدار الكتب أربع سنوات ، لم يكن يمضى يوم دون أن أراه وأحادثه وأناقشه وأستمع إليه وأستفيد منه . وكان يلفت انتباهى أنه كان من أكثر الموظفين التزامًا بمواعيد العمل ، ومن أوائل الذين يدخلون الدار كل صباح ، وكان إذا انفرد بنفسه أو بمن يأنس إليه ساعات الصباح طاب له أن يشدو بأغانى عبدالوهاب وأم كلثوم . وكان صوته عذبًا رخيمًا . كما كان يبهرنى فيه هدوؤه وسماحته التى لا حدود لها . فما سمعت له صوتًا عاليًا ، ولا رأيته فى يوم من الأيام غاضبًا أو حاقدًا على أحد ، أو مغضبا لأىّ من زملائه ومرءوسيه .

وكان هواه مع اليمن وتراثه المخطوط . أحب هذا البلد الشقيق وأحب علماءه ، وزاره أكثر من مره كانت أولاها فى ديسمبر ١٩٥١م عندما اختير عضوا فى البعثة العلمية التى أوفدتها الحكومة المصرية برئاسة الدكتور خليل نامى لدراسة مخطوطات اليمن وتصوير نفائسها ، وبعد عودته نشرت له مجلة معهد المخطوطات فى مجلدها الأول (ص١٩٤- ٢١٤) دراسة عن مخطوطات اليمن عرَّف فيها بتسع من المكتبات اليمنية العامة على رأسها مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، وقد شغل الحديثُ عنها وعن نفائسها فى الأدب واللغة والنحو والتاريخ والتفسير وعلوم القرآن والحديث والعقائد وعلم الكلام والفقه الزيدى وأصوله وغيرها من الموضوعات أكثر من نصف عدد الصفحات ، كما ذكر خمس عشرة مكتبة خاصه لم يكن لأحد علم بها . وقد بلغ عدد المخطوطات التى عرَّف بها فى هذه الدراسة أكثر من تسعين مخطوطًا ، وهى تكشف عن براعة فائقة فى التعرف على النوادر والتقاط الجواهر النفيسة من بين الأصداف .

وقد نشأت بينه وبين علماء اليمن وكبار مسئوليه صداقات كثيرة وعميقة استمرت حتى آخر يوم من حياته ، وأكبر ظنى أن حب اليمنيين له وصلتهم به قد استمرت بعد وفاته ، وأن الدكتور أيمن ما زال يعيش فى أجوائها العطرة .

وعن طريق فؤاد سيد تعرفت على كبار علماء اليمن أمثال القاضى محمد بن على الأكوع رحمه الله وشقيقه القاضى إسماعيل أطال الله عمره ، وقامت بينى وبينهم صداقات أعتز بها أشد الاعتزاز .

تلك بعض الجوانب الشخصية لفؤاد سيد كما عرفته . أما الجوانب العلمية فإننى ألخصها فى كلمتين هما : الفهرسة والتحقيق .

ففى مجال الفهرسة يُذكر لفؤاد سيد مجموعة من فهارس المخطوطات التى تتميز ببياناتها التفصيلية والدقيقة فى آن واحد ، فهو الذى أعد أول فهرس للمخطوطات تصدره دار الكتب المصرية ، إذ كانت الدار تجمع بين المخطوطات والمطبوعات فى فهارسها حتى سنه ١٩٥١م . وعندما بدأ فصل المخطوطات عن المطبوعات عهد إلى فؤاد سيد بإعداد أول فهرس يصدر ، يقتصر على المخطوطات وهو فهرس «مصطلح الحديث» الذى نشرته الدار سنة ١٩٥٦م متضمنًا كل ما تقتنيه من المخطوطات فى هذا العلم سواء كانت تلك المخطوطات من رصيدها العام أو من المكتبات التى ضُمت إلى الدار كالتيمورية والزكية ومكتبة طلعت ، ولعل أصدق وصف لهذا الفهرس هو شهاده صلاح الدين المنجد التى قال فيها إن فؤاد سيد وصف فيه المخطوطات «أحسن وصف ، وساعده على ذلك خبرته بالمخطوطات وتتبعه شئونها «وإنه» فهرس دقيق يغنيك – أحايين كثيرة – عن رؤية المخطوط الموصوف نفسه»[1] . وليس اكتمال بيانات الوصف ودقة تلك البيانات هى كل ما يميز هذا الفهرس ، وإنما يميزة أيضا أن فؤادًا ألحق به كشافًا بأسماء المؤلفين لتيسير التعامل معه وتعظيم الإفادة منه .

ويحسب له أيضا أنه صاحب «فهرس المخطوطات التى اقتنتها الدار من سنة ١٩٣٦م-١٩٥٥م» الذى نشر فى ثلاثة مجلدات فى الأعوام ١٩٦١م ، ١٩٦٢م ، ١٩٦٣م ، والذى يقف شامخًا بين الفهارس التى أصدرتها دار الكتب .

وإلى جانب هذين العملين الكبيرين نشرت له دار الكتب في سنه ١٩٥٠ م قائمة ببليوجرافية بمؤلفات ابن سينا وشروحها المحفوظة بالدار ، ونشرت له «مجلة معهد المخطوطات العربية» فى مجلدها الثالث سنه ١٩٥٧م مقالاً عن مخطوطات مكتبة أحمد طلعت (١٩٢٨م) وعن الجهات التى وزعت عليها ونصيب دار الكتب منها . وقد تضمن المقال تعريفًا

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٢ (١٩٥٦م) ، ص٣٧٤ .

بمائة وأربعين مخطوطًا من نفائس مخطوطات هذه المكتبة فى التاريخ والجغرافيا والأدب واللغة والنحو والتفاسير والقراءات والحديث والمصطلح والعقائد والتصوف[1] .

وفى الفترة من ١٩٥٤ م إلى ١٩٦٤م أصدر له معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية عده فهارس للمخطوطات المصورة بالمعهد حيث صدر الجزء الأول سنه ١٩٥٤م . والجزء الثانى الخاص بالتاريخ (القسمين الثانى والثالث) فى ١٩٥٨م ، ١٩٥٩م ، والجزء الثالث الخاص بالعلوم بقسميه الثالث (الرياضيات) والرابع (الكيمياء والطبيعيات) سنه ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣م على التوالى ، والجزء الرابع الخاص بالمعارف العامة والفنون المتنوعة سنة ١٩٦٤م .

وهذه الفهارس والقوائم البيليوجرافية التى أعدها فؤاد سيد فى جملتها تكشف لنا مفهرس عالم مدقق ، يقدم لنا عن المخطوط كل المعلومات التى تساعد على التعرف عليه ، كما تكشف لنا عن براعة فائقة فى اكتشاف نفائس تراثنا المخطوطات .

أما الجانب الآخر من جوانب هذه الشخصية الثرية فهو جانب التحقيق الذى تميز به فؤاد سيد عن رفيق دربه رشاد عبدالمطلب ، فقد صدرت لفؤاد عدة كتب محققه ليس هنا مجال حصرها ، ويكفى أن نذكر منها «طبقات فقهاء اليمن» و«العبر فى خبر من غبر» و«الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط» وفى تقديرى أن كتاب «طبقات الأطباء والحكماء» الذى ألفه ابن جلجل فى الأندلس سنه ٣٧٧ هـ وحققه فؤاد سيد وألحق به «تاريخ الأطباء والفلاسفة» لإسحق بن حنين (ت ٢٩٨ هـ) يعد نموذجًا رائعًا من نماذج التحقيق ، ويكشف عن جهد الرجل ومنهجه فى العمل .

وقد نشر المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة هذا الكتاب سنه ١٩٥٥م ، ثم صدرت منه طبعة ثانية عن مؤسسة الرسالة فى بيروت سنة ١٩٥٨م .

ويبدأ الكتاب بمقدمة طويلة بلغت ٤٢ صفحة يستهلها المحقق ببيان قيمة الكتاب ، وأنه وثيقة مهمة فى تاريخ العلوم وتطور حركة التأليف والترجمة فى القرن الرابع الهجرى ، كما أنه أول كتاب أندلسى فى طبقات الأطباء فضلاً عن أنه مؤلفه قد رجع فيه إلى تراجم عربيه لأصول لاتينية خلافًا لمن سبقه من المؤلفين الذين كانوا يعتمدون على مصادر يونانية ، وبعد ذلك ينتقل فؤاد سيد إلى الحديث عن المؤلف ومصادر ترجمته ، وهو لايكتفى بسرد سيرة

---

(١) مجلة معهد المخطوطات العربية ، مج٣ (١٩٥٧م) ، ص١٩٧-٢٣٦ .

ابن جلجل وإنما يثير عدة تساؤلات ويحاول أن يجيب عنها ، فيتساءل مثلاً عن اسمه وهل هو عربى أم أسبانى معرب ، كما يتساءل عما إذا كان ابن جلجل قد ترجم لنفسه كما نص على ذلك فى آخر الكتاب مع أن هذه الترجمة لا وجود لها فى النسخة المخطوطة ، ويقرر أن الرجل ترجم لنفسه وأن ابن الآبار أطلعه على هذه الترجمة واعتمد عليها فى كتابه «التكملة» ، ويورد النص الذى ذكره ابن الآبار .

ثم يتساءل عن تاريخ وفاة ابن جلجل ، ويناقش هذه المسألة بتفصيل ينتهى منه إلى أن الرجل توفى بعد سنة ٣٨٤ هـ وقبل سنة ٣٩٩ هـ (آخر سنة فى ولاية المؤيد بالله هشام ابن الحكم) .

وبعد هذا العرض الشيق ينتقل فؤاد سيد إلى الحديث عن مؤلفات ابن جلجل وما وصلنا منها ويتوقف بنا عند كتابه «طبقات الأطباء والحكماء» واختلاف المصادر فى تسميته ، ويتساءل عما إذا كان ابن جلجل قد وضع له عنوانًا صريحًا أم لا . ويرجع صحة العنوان الذى نشر به الكتاب مستندًا فى ذلك إلى خمسة أدلة يسوقها تأييدًا لما انتهى إليه من رأى .

ثم يقدم لنا فؤاد سيد ثبتًا بالكتب التى ألفت فى تراجم الأطباء ونوادرهم وأحوالهم ، أو تضمنت مثل هذه التراجم ، ويعرضها فى تسلسل زمنى بدءاً بتاريخ يحيى النحوى للأطباء والحكماء الذى ترجمه إسحاق بن حنين وضمنه كتابه ، وانتهاءً بكتاب «حالات الحكماء الذى ترجمه إسحاق بن حنين وضمنه كتابه ، وانتهاءً بكتاب «حالات الحكماء» وهو بالفارسية . وقد بلغ عدد هذه الكتب ٢٤ كتابًا من بينها قد تختلف معه فى تصنيف إياها ضمن كتب التراجم مثل «فهرست ابن النديم» و «تاريخ اليعقوبى» و «التنبيه والإشراف» للمسعودى و «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمرى .

وبعد ذلك ينتقل فؤاد سيد إلى الحديث عن مصادر الكتاب ويقسمها إلى فئتين :

الأولى : كتب ينقل عنها المؤلف ، فيعرف بأربعة منها تعريفًا مفصلاً ، ويجمل الحديث عن بقيتها مكتفيًا بالعنوان فى بعض الأحيان .

الثانية : أخبار مروية بالسماع . وهنا يذكر العلماء الذين أخذ عنهم ابن جلجل معارفه التى ضمنها كتابه ، ويعرف بهم تعريفًا قد لا يتجاوز سطرين وقد يزيد على عشرة سطور ، كما

يذكر مثالين للنصوص الهامة التى تفرد ابن جلجل بإيرادها ، ويبين أهميتها فى تاريخ العلوم ، وثلاثة أمثلة على الأوهام التاريخية التى تورط فيها .

ويختم هذه النصوص بنصين نسبتهما بعض المصادر إلى كتاب ابن جلجل ولا وجود لهما فى الأصل المخطوط للكتاب . وهو لا يكتفى بذكر النصين وإنما يناقشهما مناقشة مستفيضة تدل على عقلية ناقدة بصيرة .

وبعد هذه الجولات المتعددة التى صحبنا فيها فؤاد سيد ، والتى ناقش فيها كل مايتصل بالكتاب ومؤلفه ، يعرض لنا طريقته فى إخراج النص . فيصرح بأنه اعتمد على نسخة وحيدة قابلها على النصوص المنقولة من ابن جلجل فى المصادر الأخرى مثل «عيون الأنباء» لابن أبى أصيبعة ، و«أخبار العلماء» للقفطى ، و«طبقات الأمم» لصاعد الأندلسى ، و«مختصر تاريخ الدول» لابن العبرى ، و«وفيات الأعيان» لابن خلكان ، و«مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمرى ، ويحدد خمسة قواعد التزمها فى التحقيق ولم يحد عنها . ويختم حديثه بوصف النسخة المخطوطة وبالتعريف بناسخها وبرحلتها حتى انتهى بها المطاف إلى خزانة أحمد خيرى فى روضة خيرى بمحافظة البحيرة .

وهكذا نرى أن فؤاد سيد قد أرسى فى هذه المقدمة دعائم مدرسة علمية فى التحقيق تستحق كل تقدير ، وأنه لم يكن يترك مسألة خلافية إلا ناقشها بكل تفاصيلها ، وانتهى فيها إلى رأى يطمئن إليه ، وهو لايسوق رأيًا إلا مشفوعًا بالأدلة والبراهين التى تثبت صحته . ويبدو أنه كان مغرمًا باقتحام الصعاب ، وأن هذا الهدوء وتلك السلاسة الظاهرة فى شخصيته كانت تخفى وراءها عقلية عنيدة مولعة بالتحديات العلمية ، وقادرة فى الوقت نفسه على مواجهة تلك التحديات والتغلب عليها بشجاعة واقتدار . فتحقيق كتاب من نسخة واحدة يعد مغامرة علمية غير مأمونة العواقب ، وهى مغامرة لا يجرؤ عليها إلا أولو العزم من المحققين .

رحم الله فؤاد سيد ، وبارك فى ابنه أيمن ، وجعله خير خلف لخير سلف .

فؤاد سيد... العالم العصامى

أ.د/أيمن فؤاد سيد

فؤاد بن سيد عمارة، عالم مصرى اشتهر بمعرفته الواسعة بعالم المخطوطات العربية وتحقيقه ونشره للنصوص القديمة . ولد فى القاهرة فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩١٦م فى حى الدرب الأحمر، ولم يصب من التعليم غير مرحلة الكُتّاب ثم أربع سنوات بالمرحلة الابتدائية، حيث اضطرته ظروفه العائلية إلى الالتحاق بمطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٩م صبيًا بقسم جمع الحروف .

وبعد عدة سنوات انتقل منها للعمل فى المكتبة التيمورية ليشارك فى معاونة المطالعين والباحثين فى هذه المكتبة حيث تعرف على نخبة من العلماء والأدباء والمؤرخين العرب والمستشرقين الذين كانوا يفدون على دار الكتب فى هذه الفترة .

ونتيجة لما أبداه من نشاط واطلاع واسع ومعرفة بالكتب وموضوعاتها عينه منصور بك فهمى - مدير الدار فى ذلك الوقت - فى قسم الفهارس العربية فى سنة ١٩٣٧ م حيث توثقت صلته بالشيخ محمد عبد الرسول، الذى أعاد تنظيم فهارس القسم العربى بالدار، وكان رحمه الله حجة فى المخطوطات العربية فتتلمذ عليه فؤاد سيد وعمل تحت إشرافه فترة قصيرة .

وقد اضطر فؤاد سيد فى هذه المرحلة من حياته أن يأكل من نسخ الكتب وكان يفخر بذلك ويقول إنها مهنة العلماء كياقوت الحموى صاحب (معجم الأدباء) وقد حَصَّل بفضل هذا النسخ كثيرًا من المعارف ووعت ذاكرته مالا يحصى من أسماء الكتب، وجعلته فى مرحلة تالية قادرًا على تمييز الخطوط وردها إلى العصر الذى كُتبت فيه استنادًا إلى الخط وطريقة الكتابة ونوع الحبر وكثافة الورق .

وأصبحت خطوط العلماء متميزة فى عينيه عارفًا لخصائصها . ومع الوقت أصبح فؤاد سيد نسيجًا وحده فى قراءة ما يكتب فى صدر المخطوط من إجازات أو تملكات أو توثيق، وبيان زيفه من صحيحه مع قدرة فائقة على قراءة الكلمات المصحفة وتقويم العبارات المزالة عن وجهها . فقد كان فؤاد سيد وريث تلك المدرسة الجليلة التى أحبت المخطوطات العربية ووقفت عليها مالها ومنحتها كل حياتها مدرسة محمود بن التلاميذ الشنقيطى وأحمد زكى باشا وأحمد تيمور باشا .

وفى سنة ١٩٤٣ اضطر فؤاد سيد - بعد أن سلخ من عمره ٢٧ عامًا - أن يحصل على الشهادة الابتدائية ليُحَسِّن وضعه الوظيفى وينتقل إلى طبقة الكتبة والموظفين بدار الكتب ، فقد كان النظام الوظيفى يعتمد فى أساسه على الشهادات الدراسية التى حصل عليها الموظف وليس على كفايته الخاصة ، ولكن حبه للمخطوطات ونهمه إلى المعرفة جعله يقوم بدراسات شخصية متخصصة فى المكتبات والمخطوطات والتراث الإسلامى من خلال صلاته التى توطدت بالعديد من علماء العصر وباحثيه الذين قرأ عليهم العلم وتلقاه على أيديهم .

ومنذ أواخر الأربعينيات توطدت صلاته بمعاهد الاستشراق فى مصر وشارك فى أنشطتها وعلى الأخص المعهد العلمى الفرنسى ومعهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان ، وتعرف بعدد من كبار المستشرقين الذين كانوا يترددون على الدار من أمثال لويس ماسينيون L.Massignon وجاستون فييت G.Wiet وشارل كونتس CH.Kuentz وأمبرتو ريتزيتانو U.Rizzitano والأب جورج قنواتى. G.C.Anawati.

كذلك فقد ربطته صلات وثيقة بأجلاء العلماء والباحثين العرب الذين كانوا يفدون على دار الكتب مثل : الشيخ محمد زاهد الكوثرى ، والشيخ خليل الخالدى ، والأستاذ محمد كرد على ، والأستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، والأستاذ خير الدين الزركلى ، والأستاذ حمد الجاسر .

وهكذا وجد فؤاد سيد نفسه فى هذه البيئة العلمية الخالصة ، ولما رأت إدارة دار الكتب فصل المخطوطات عن المطبوعات فى سنة ١٩٥١ م عهدت إليه مهمة الإشراف على هذا القسم الجديد بصفة شرفية وأصبح يعرف بـ «أمين المخطوطات» حيث أخرج فى الفترة بين سنتى ١٩٥٦و١٩٦٢ م أربعة أجزاء من فهارس مخطوطات الدار . وغدت غرفة المخطوطات التى كان بها مكتبه ، هى المعبر الذى اجتازه على مدى سنين عديدة كبار المستعربين والمهتمين بالدراسات الإسلامية الذين كانوا جميعًا فى أشد الحاجة إلى استشارته حول المخطوطات التى يعملون بها وإلى أخذ المعلومات الببليوغرافية والعلمية عن مختلف الموضوعات التى يدرسونها . ولم يكن أحد يخرج من تلك الغرفة دون أن يفوز بطلبه وأن يستولى عليه الإعجاب بالمعرفة غير المحدودة التى كان يتحلى بها ذلك العلامة المتواضع فى حقل المخطوطات والذى اجتمعت فيه دماثة الخلق ورقة الطبع وبسمة الوجه ، وحسن اللقاء ، وسمر الحديث ودقة المعرفة ، والبذل والعطاء حين يرضى ويحب فكان كما قال الشاعر :

تراه إذا جئته متهللاً كأنك معطيه الذى أنت سائله

ولم يقف نشاط فؤاد سيد محصورًا داخل دار الكتب ، بل تعداه إلى كل الهيئات المعنية بالتراث العربى فعندما أنشأت جامعة الدول العربية معهد إحياء المخطوطات العربية سنة ١٩٤٦ م كان من أوائل الذين استعان بهم المعهد وعُيِّن خبيرًا به ابتداءً من عام ١٩٥٤م فأخرج جميع فهارس المعهد التى صدرت بين سنتى ١٩٥٤و ١٩٦٤م .

وعندما أنشأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة لإحياء التراث الإسلامى سنة ١٩٦١ م كان فؤاد سيد عضوًا بها من أول جلسة ، كما عُيِّن أستاذًا بمركز تحقيق التراث الذى أنشىء ملحقًا بدار الكتب المصرية سنة ١٩٦٦م لتخريج جيل من شباب المحققين . وكان من أهم انجازاته العلمية التى سجلت مكانة متميزة فى عالم المخطوطات ما كشفه من تراث المعتزلة والاسماعيلية أثناء مشاركته فى البعثتين اللتين أوفدتهما الحكومة المصرية إلى اليمن لانتقاء وتصوير نفائس مخطوطاتها فى سنتى ١٩٥١و١٩٦٤ م . كذلك انتُدب فى سنة ١٩٥٧م لزيارة مكتبة دير سانت كاترين بسيناء وقدم تقريرًا عما تحتويه من مخطوطات أثرية والخطوات التى يجب اتباعها لحفظها وحمايتها .

وقد بذل فؤاد سيد الكثير من العون العلمى للمشتغلين بالتراث العربى والإسلامى وخاصة طلاب الدراسات العليا الذين أشادوا جميعًا بصنيعه فى مقدمات رسائلهم وكتبهم المنشورة .

وقبل وفاته بستة أشهر دعاه المعهد الجامعى الشرقى بنابولى أستاذًا زائرًا يُلقى مجموعة من المحاضرات عن المخطوطات العربية وقواعد تحقيق النصوص على طلبة الدراسات العليا به . وعندما توفى فى الثانى من رمضان سنة ١٣٨٧هـ / ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٧م عن واحد وخمسين عامًا كان اسمه واحدًا من الأسماء القليلة التى لها مكانتها عند علماء المدنية العربية الإسلامية وتراثها العظيم .

أعماله العلمية :

أ ـ قام بتحقيق ونشر الكتب الآتية نشرًا علميًا :

١ - «طبقات الأطباء والحكماء» لابن جُلجُل الأندلسى (من علماء القرن الرابع الهجرى) القاهرة - المعهد العلمى الفرنسى للآثار ١٩٥٥ .

٢- «طبقات فقهاء اليمن» لعمر بن على بن سمرة الجعدى (المتوفى بعد سنة ٥٨٦هـ) .

٣- « الوسيط فى تراجم أدباء شنقيط» ، لأحمد بن الأمين الشنقيطى (المتوفى سنة ١٣٣١هـ) ، القاهرة ١٩٥٨ م .

٤- « العبر فى خبر من غبر» للحافظ شمس الدين الذهبى (المتوفى سنة ٧٤٨هـ) ، الجزئين الثانى والثالث ، الكويت ١٩٦١ م .

٥- « شروط المؤرخ فى كتابة التاريخ والتراجم» ، *مجلة معهد المخطوطات العربية* ٢(١٩٥٦م) ، ص ص ١٦٢ ـ ١٧٧ .

٦- « نصان قديمان فى إعارة الكتب» لليزدى والسيوطى ، *مجلة معهد المخطوطات العربية* ٤(١٩٥٨م) ، ص ص ١٢٥ ـ ١٣٦ .

٧- « العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين» لتقى الدين الفاسى المكى ، ١ـ ٧ ، القاهرة ١٩٦٢-١٩٦٧ م .

٨-جغرافية اليمن من «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق» للإدريسى ، روما ١٩٧١ م .

٩- «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» لأبى القاسم البلخى ، والقاضى عبد الجبار والحاكم الجشمى ، تونس ـ الدار التونسية للنشر ١٩٧٤ م .

ب ـ قام بتصنيف مجموعة من الفهارس العلمية للمخطوطات هى :

١- نشرة علمية بمؤلفات ابن سينا وشروحها الموجودة بدار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٠م .

٢- «فهرس المخطوطات المصورة بمعهد المخطوطات العربية» الأول ١٩٥٤م ، أقسام التاريخ ، الرياضيات ، العلوم ، المعارف العامة ١٩٥٧- ١٩٦٤ م .

٣- فهرس مخطوطات مصطلح الحديث بدار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٥٦ .

٤- نشرة بالمخطوطات التى اقتنتها دار الكتب فى الفترة بين ١٩٣٦- ١٩٥٥م ،١-٣ ، القاهرة ١٩٦١ـ ١٩٦٣ م .

بالإضافة إلى عدد من المقالات والأبحاث المتخصصة نُشرت فى مجلات متخصصة .

مراجع الترجمة :

١- محمود محمد الطناحى : فؤاد سيد العالم الذى فقدناه . مجلة *المجلة* ١٣٥ (مارس ١٩٦٨ م) ، ص ص ٤٠ ـ ٤٦ .

٢- مجموعة من العلماء : فى ذكرى فؤاد سيد . In Memorian Fouad Sayyid

مجلة معهد الآباء الدومنيكان للدراسات الشرقية 588 -543 .pp (1971) 11 ***MIDEO***

٣- أمبرتو ريتزيتانو : مع أساتذتى وزملائى فى الجامعة المصرية . مجلة الأديب اللبنانية (مارس ١٩٧٤ م) ، ص ص ٢٤ - ٢٥ .

٤- الزركلى : الأعلام ، ج ٥ ، ص ص ١٦٠ -١٦١ .

ندوة
(محمود الطناحى)

محمود الطناحى عاشق التراث

أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف

فى الثالث والعشرين من مارس القادم تمر ست سنوات على رحيل محمود الطناحى عن عالمنا ، وسوف تمر ستون سنة ، أو ستمائة سنة أو مضاعفاتها ، ولكن ذكرى هذا العالم الجليل سوف تبقى عالقة بالأذهان مختلطة بالقلوب ، لأنه لم يكن ابن زمانه الذى عاش فيه فحسب ، بل هو ابن الزمن ما بقى ، وابن الحياة ما استمرت ، ولأن الذى خطه بيمينه من كتاب ، وما صبه على الأوراق من علم ينتمى إلى الخلود ، وسوف يبقى ما بقى خط عربى ، وما بقى على وجه الأرض إنسانٌ يقرأ العربية .

لقد كان هذا العالم الجليل محبًا لأمته ، عاشقًا لسالف مجدها ، مؤملاً فى نهضتها ، وابتعاث مآثرها ، فأحب تراثها ، وعشق ما أملته قرائح علمائها ، ورأى أن أمرها لن يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ، فوهب نفسه لإحياء هذا التراث ، وإنهاج سبيله ، وأضاء بنور عينه وبصيرته الطريق إليه ، تهديه فى ذلك سماحة نفس ، وطهارة قلب ، ووضاءة يقين .

لقد كانت نشأته ، ودراسته ، وحياته كلها تؤهله لهذا الدور الذى أنيط به ، والمهمة التى تعشقها ، ونهض لها ، وبرز فيها وصار فيها علمًا مرموقًا . فقد حفظ القرآن الكريم صغيرًا ، ودرس فى الأزهر الشريف كهف التراث وحصنه الحصين ، ودرس فى دار العلوم التى تجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وتمد يديها يدًا للتراث ويدًا للعلوم الحديثة ، فصقلت هذه الدراسة موهبته ، وجلت استعداده وكشفت معدنه الأصيل .

وليس كل من حفظ القرآن الكريم صغيرًا ، ودرس فى الأزهر ودار العلوم مهيأً لمثل ما تهيأ له محمود الطناحى أو مؤهلاً بمثل ما تأهل به ، ولكن موهبة محمود الطناحى الفذة ، واستعداده المتفرد هما اللذان استجابا لهذا الضرب من الدراسة ، ولجحت فيه هذه المواد التى درسها لأنها صادفت فيه هوىً فى الفؤاد كامنًا ، وولوعًا فى النفس مقيمًا ، فثبتته على ما أحب ، وأعلنت ما كان مطمورًا .

إنما تنجح المقالة فى المرء   إذا صادقت هوىً فى الفؤاد

وقد قيض الله له فى سنى شبابه الباكرة أن يتعرف عددًا من رجال هذا العلم المشتغلين به المبرزين إذ أتيح له وهو فى المرحلة الثانوية أن يعمل بالتصحيح فى مطبعة الحلبى وهى معنية بنشر التراث ، وكان المحققون والمؤلفون يترددون على المطبعة ويختلفون إلى أصحابها

يتابعون كتبهم ويطلعون على تجاربها ، فالتقى بكثير من هؤلاء ، وانتقى منهم من اطمأنت إليه نفسه ، وأنس به قلبه ، وكان ذا قلب متودد ، وفؤاد متطلع ، وعقل وثاب ، وقد حدثته نفسه أن يكون مثل هؤلاء فتكون له كتب يحققها ، ويتابع تجاربها كما يفعلون ، فسلك سبيلهم واقتفى أثرهم حتى صار واحدًا منهم .

لقد عرف السيد أحمد صقر محقق تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، وإعجاز القرآن للباقلانى ، والموازنة للآمدى . وكان السيد أحمد صقر يباهى به طلابه ، ويحدثهم عنه . وقد عرفتُ المرحوم محمود الطناحى عن طريق السيد أحمد صقر إذا استضافه ذات يوم ، وكان يمر به على الفصول التى يدرس لها وهو معه يعرّف به ، ويتحدث عنه ، ويثنى عليه ـ وكان حديث التخرج فى دار العلوم ـ وكنت أنا فى السنة الرابعة الثانوية ، وبرغم فارق السن بيننا أحب كل منا الآخر وتعلق ، وظلت هذه العلاقة الحميمة إلى رحيله المفاجئ فى سنة ١٩٩٩م .

وعرف محمود شاكر ـ وهو من هو ـ فأحب كل منهما الآخر حبًا عظيمًا وعنى به عناية فائقة . وقد تأثر به محمود الطناحى تأثرًا كبيرًا حتى إنه ـ لو شاء ـ كتب مثلما يكتب محمود شاكر . وقد أسر إلىّ أنه هو الذى كتب مقدمة كتاب (نمط صعب ونمط مخيف) للأستاذ محمود شاكر ، وكنت قرأت المقدمة والكتاب فلم أحس فرقًا ذا بال فى اللغة والبيان ، فلما حدثته فى ذلك ، قال لى : انظر فهرس الأعلام فسوف تجد اسمى ضمن الأعلام المفهرس لهم فيه وليس لى هناك ذكر على الإطلاق فى الكتاب ، وذلك أن الأستاذ محمود طلب منى أن أكتب المقدمة – وكان مريضًا – فكتبتها له ووضعت اسمى فى نهايتها كما طلب ، وعملت فهارس الكتاب واسمى موجود فى نهاية المقدمة ، ثم عنّ للأستاذ محمود أن يضع اسمه على المقدمة بعد أن طلب منه هذا ، فنزع اسمى من المقدمة وبقى فى فهارس الأعلام . وقد صدقته – وهو عندى دائما صادق – ولكن ما أشير إليه هو تقارب اللغة والبيان بين هذين العلمين . وإنى لأعتقد الآن أن رحيل محمود الطناحى المفاجئ لم يكن إلا نتيجة لعدم الصبر عن فراق الأستاذ ، فليس بين رحيل كل منهما إلا تسعة عشر شهرًا ، وما أطولها على المحب الصادق .

ولقد عرف محمود الطناحى إلى جانب هذين العلمين عددًا من رجال العلم وثقات المحققين منهم الأستاذ عبد السلام هارون ومحمد أبو الفضل إبراهيم وحسن كامل الصيرفى ، ومحمد فؤاد عبد الباقى ، وعبد الستار فراج ، وعلى محمد البجاوى ، وفؤاد سيد ، ومن جيله عبد الفتاح الحلو .

وإنك لتجد أن كل من عرفهم ممن يشتغلون بالكتاب ، ولاسيما الكتاب التراثى ، فهناك طائفة النساخ ـ وكثيرًا ما يعلق فى غير قليل من الثقة أنه اشتغل بالنسخ فى صدر شبابه ـ وهناك طائفة المصححين ، وقد عمل معهم ، وهناك الوراقون الذين كان يعرف منهم نفائس الكتب وذخائر التراث ، وإلى هؤلاء وأولئك عمال المطابع الذين يقول عنهم : «ثم كان لى أيضًا من عمال مطبعة الحلبى ، وبخاصة المسنون منهم ، زاد أى زاد ، وبعض هؤلاء العمال المسنين الذين أدركتهم قد عملوا بالمطابع الشهيرة مثل مطبعة المنار للشيخ محمد رشيد رضا ، والمطبعة المنيرية للشيخ محمد منير الدمشقى ، والمطبعة السلفية للشيخ محب الدين الخطيب» . وفى كتابه (الكتاب المطبوع فى مصر فى القرن التاسع عشر : تاريخ وتحليل) - كتاب الهلال ١٩٩٦م ، وكتابه (مستقبل الثقافة العربية) - كتاب الهلال ١٩٩٩م ، وكتابه (الموجز فى مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم) - الخانجى ١٩٨٥م ، وكتابه (مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى) - الخانجى ١٩٨٥م ، ومقدماته للكتب التى حققها إشارات كافية لكل هذه الطوائف التى عرفها .

وقد امتدت معرفته فى سنى شبابه الباكر ومرحلة التكوين إلى بعض المستشرقين الذين كان يقرأ لبعضهم بعض الكتب القديمة ، ونسخ لبعضهم بعض المخطوطات ، وساعد بعضهم فى تحقيق أمهات كتب التاريخ . من هؤلاء المستشرق الهولندى بونيباكر ، والمستشرق الألمانى روبرت رويمر الذى يعده خاتمة المستشرقين الألمانى الثقات وقد عمل معه حولين كاملين فى أثناء تحقيقه لكتاب (الدر الفاخر فى سيرة الملك الناصر محمد بن قلاوون) المتوفى سنة ٧٤١هـ . وقد أشار هذا المستشرق فى مقدمته إلى جهد الطناحى فى قراءة النص معه مع من ذكر من أفاضل العلماء . يقول الطناحى : «وكنت أزهو بذلك أمام أترابى بكلية دار العلوم إذ كنت طالبًا بها آنذاك ويالها من أيام» . ومن هؤلاء المستشرقين أيضا المستشرق الإنجليزى مارسدن جونز الذى عمل معه أربع سنوات فى تحقيق (المغازى) للواقدى . وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء المستشرقين لم يُجلسوه معهم ليعلموه ، بل ليفيدوا هم من خبرته التى كانت تشق مجراها بقوة فى هذه السن المبكرة ، ومن حماسته للعلم التى لا تنتظر فى مقابلها جزاء بقدر ما كانت تنشد مجالاً للتجلى والظهور . وما أفاده هو منهم لم يعمدوا إليه ولم يقصدوه ، بل جلبته إليه طبيعته اللاقطة المحبة للعلم . ولكن أبى عليه تواضعه وأدبه وصدقه ووفاؤه إلا أن يعدد ما أفاده من علم هؤلاء .

وكان كل شئ فى حياته يقوده إلى ما صار إليه فمن عمله بالتصحيح إلى اشتغاله بالنسخ ، إلى تعرفه العلماء المحققين ، والنساخ والمصححين والوراقين إلى صحبته بعض المستشرقين ومساعدته لهم فى قراءة النصوص العربية ، إلى تعشقه علوم العربية وتراثها . كل هذا ، إلى نفس متطلعة وقلب شغوف ، وعقل نهم . ويمكن القول فى غير ما تردد ولا لجلجة : إن محمود الطناحى ابن بار من أبناء التراث العربى الإسلامى ، بل هو من أبر الأبناء به إذ تشرب منهجه ، وفقه أسراره ، وأتقن المسالك إليه ، وآمن بقيمته وقيمه ، وتعشق رموزه ، وتهدّى بلاغته وحلو بيانه ، وتمثله اعتقادًا وسلوكًا ، ولذلك عاش حياته يطلع الناس على كنوزه ، ويدلهم على غرره وعيونه ، ويعرفهم فرائده وقلائده ، ويشرح أساليبه وغوامضه ، ويدافع عن قيمه ومآثره فى يقين ساطع ، وبيان ناصع ، وتعاطف حميم . يغلف هذا كله بما وهبه من حلاوة الروح ، وخفة الظل ، وهشاشة النفس وحسن القبول .

وقد كان فهمه للتراث شاملاً ، ولذلك وزع نشاطه العلمى فى التحقيق على فروعه المتعددة ، واتسعت همته للتحقيق فى اللغة ، والنحو ، والتفسير والحديث ، والتاريخ ، وكان يؤمن إيمانًا لا يتخالجه شئ من الشك أن التحقيق له قوانينه وأعرافه وأصوله ومصطلحاته وأدواته . وقد أسهم إسهامًا واضحًا فى جلاء جانبيه الأساسين جانب الصنعة الذى يتصل بجمع النسخ المخطوطة للكتاب المراد تحقيقه والموازنة بينها ، واختيار النسخة الأم ثم ما يكون بعد ذلك من توثيق عنوان المخطوط واسم المؤلف ونسبة المخطوط إليه ونسخه والتعليق عليه وتخريج شواهده وتوثيق نقوله وصنع الفهارس الفنية اللازمة له . ويرى أن هذا الجانب يستوى فيه جميع الناس ولا يكاد يفضل فيه أحدٌ إلا بما يكون من الوفاء بهذه النقاط أو التقصير فيها .

وأما الجانب الثانى وهو جانب العلم فى تحقيق النصوص ، فهو الغاية التى ليس وراءها غاية ، وهو المطلب الكبير الذى ينبغى أن تصرف إليه الهمم ، وتبذل فيه الجهود ولاءً لهذا التراث العريق وكشفًا لمسيرتنا الفكرية خلال هذه الأزمان المتطاولة .

ويبين أن عدة المحقق فى تحقيق هذا الجانب هى معرفة الكتب العربية فى كل فن ، وحسن التعامل معها والإفادة منها ، لأن المحقق فى كل خطوة يخطوها مطالب بتوثيق كل نقل وتحرير كل قضية ، بل إن المحقق الجاد - كما يقول - قد يبذل جهدًا مضنيًا لا يظهر فى حاشية أو تعليق وذلك حين يريد الاطمئنان إلى سلامة النص واتساقه .

وقد كان محمود الطناحى - رحمه الله - من أولئك المحققين الأفذاذ الذين أقبلوا على هذا العمل العظيم لا من أجل تحقيق أو نيل شهادة أو ترقية ، بل من أجل الاستجابة لأرواحهم لعالية التى تدفعهم إلى إذاعة النصوص الدالة على عظمة التراث ، الكاشفة عن نواحى الجلال والكمال فيه . وهذا هو المبدأ الأول الذى تجد سلوك محمود الطناحى فى حياته كلها يؤيده شاهدًا عليه .

وهذه شواهد كاشفة ، وعلامات دالة على أن المرحوم محمود الطناحى كان عاشقًا للتراث قولاً وعملاً ، واعتقادًا وسلوكًا .

من ذلك أنه عندما التحق بالجامعة المصرية لم يصنع صنيع زملائه فيما يقدمه لطلابه ، فلم يكتب «مذكرة» أو «كتابًا» يجمع مسائل النحو وقضاياه دون روية أو أناة رغبة فى الكسب السريع ، بل كان ملتزمًا بما يؤمن به وهو توقير التراث وإجلاله ، فكان يقرر على الطلاب شرح ابن عقيل ، ويدعو إلى ذلك ، ويرى أن أصل داء الضعف اللغوى هو الابتعاد عن هذه الينابيع الثَّرة فى التراث يقول : «وأصل الداء عندى سبب واحد : ماذا يتلقى طالب العربية الآن فى كليات اللغة العربية وأقسامها بالجامعات ؟ أمشاج من قواعد النحو والصرف مطروحة فى مذكرات يمليها الأساتذة إملاء أو يطبعونها طبعات مبتسرة تنقص عامًا وتزيد عامًا ، واختفى الكتاب القديم لتحل محله هذه المذكرات . ودفع الطلاب دفعًا إلى الملل من قراءة الكتب ، والملل من كواذب الأخلاق . . ولا بد لصلاح الحال من أن تكون هذه القروح الممدة ، وأن يستأصل هذا الداء الخبيث من قاعات الدرس الجامعى» وينادى بالعودة إلى الأجرومية وشرح ابن عقيل ويقول عنه «إنه كتابًا سهل رَهو علَّم أجيالاً وأقام ألسنة» .

ومن هذا أنه عندما ألف تأليفًا خاصًا دار تأليفه حول الكتاب التراثى وتحقيقه والتعريف بمراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعرف العلوم ، وفى هذا الجانب كتبه : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى ، والموجز ، والكتاب المطبوع بمصر فى القرن التاسع عشر تاريخ وتحليل .

وكتابه الجليل (فى اللغة والأدب : دراسات وبحوث) يدور كله حول الكتاب تصحيحًا وتعريفًا ، وبعض القضايا التراثية كقضية التصحيف والتحريف واستثمار التراث فى تدريس النحو العربى ، وجموع التكسير والعرف اللغوى ، وأوائل المطبوعات العربية فى مصر ، وقضية إنقاذ المخطوطات .

ومن هذا أنه عندما أراد أن يحصل على الماجستير والدكتوراه جعل سبيله إليهما الدراسة والتحقيق ، فحصل على الماجستير عن (الفصول الخمسون لابن معطى) ، وحصل على الدكتوراه عن (ابن الشجرى وآرائه النحوية مع تحقيق الجزء الأول من كتابه الأمالى النحوية) وقد حقق الكتاب كاملاً فيما بعد ، فى ثلاثة أجزاء .

ومن هذا الباب أيضًا تطوعه بعمل فهارس فنية لبعض كتب التراث المفيدة المنشورة وليس بها فهارس ، وأوضح مثال على هذا الجهد التطوعى فهارس كتاب الأصول فى النحو لابن السراج ، وفهرس الأشعار لكتاب ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، وفهارس كتاب غريب الحديث لأبى عبيد القاسم بن سلام . وإذا كان يصنع هذا الصنيع لكتب لم يحققها فما بالك بالكتب التى حققها هو ؟ .

ومن حبه للتراث وحبه لإفادة قارئه أيضًا ما تجده فى حواشيه التى يقدمها للكتب التى حققها ككتاب الشعر لأبى على الفارسى وكتاب منال الطالب فى شرح طوال الغرائب لمجد الدين ابن الأثير وأمالى ابن الشجرى ، فإن هذه الحواشى تربو على الكتاب نفسه أحيانًا إذ لايترك نصًا مشكلاً ، ولا كلمة غامضة ، ولا شاهدًا لم يعلق عليه ، ولا قضية تحتاج إلى كشف وبيان إلا بذل فيها جهدًا مضاعفًا يعينه على ذلك عقل لماح ، ورغبة فى نفع أبناء أمته ، وعلم واسع ، ومكتبة مواتية ، وبيان عذب ، ولغة مشرقة .

وهو فيما يكتب يؤثر الكلمة التراثية ، ويشرحها فى حواشيه ، ويصر عليها ويدافع عنها . وقد كان هذا مسلكه دائمًا ، وقد صحبته فى لجنة المعجم الكبير خمس سنوات كان يمد فيها المعجم بشواهد نادرة من الشعر والحديث الشريف وإذا ناقشه أحد أعضاء اللجنة فيما يورده من غرائب كان يتمسك به ويصر عليه قائلاً : من الذى يحيى هذه العبارات وهذه الكلمات إذا لم نحيها نحن ؟ .

وقد هداه اطلاعه الواسع ، وتمرسه الخبير إلى الإيمان الصحيح بقضيتين أولاهما أن كتب التراث على تنوعها لا يغنى بعضها عن بعض .

يقول ـ رحمه الله ـ إنه شغل بعكس هذه القضية ، وعاش مخدوعًا بها زمانًا حتى ظهر له زيفها وبطلانها بشواهد ومثل كثيرة وبخاصة فى كتب التراجم ومصنفات اللغة ، ويقدم أمثلة دامغة على ما يقول .

والأخرى هى أن مجاز كتب التراث مجاز الكتاب الواحد بمعنى أن هذه الكتب متشابكة الأطراف متداخلة الأسباب ، فمع الإقرار بنظرية التخصص وانفراد كل فن من فنون التراث

بطائفة من الكتب والمصنفات إلا أنك قل أن تجد كتابًا من هذه الكتب مقتصرًا على الفن الذى يعالجه دون الولوج إلى بعض الفنون الأخرى بدواعى الاستطراد والمناسبة وهذا يؤدى لا محالة إلى أن تجد الشئ فى غير مظانه . ويقدم أمثلة متنوعة لهذه المقولة التى يؤمن بها .

أجدنى بعد ما كل ما قلت عن المرحوم محمود الطناحى لم أبلغ معشار ما تمتع بع من عشق طاغ للتراث ، ووله به ، وكل كلمة مما خطت يمينه تشير إلى هذا العشق وتومئ إليه . وقد كان قادرًا بما حباه به الله من هشاشة روح وخفة ظل وحلاوة نفس أن ينقل هذا الحب إلى من يلتقى به ويجلس إليه ، فجزاه الله عن تراث العربية والإسلام خير ما يجزى به العلماء العاملين ، وعليه سلام الله فى الخالدين .

الطناحى ماسة متألقة
فى حمى التراث

أ.د. أحمد كشك

لم أر ممن عاصرت علمًا لغويًا محبًا للتراث ، عاشقًا للعربية ، مستمتعًا بها حانيًا عليها مجريًا عطاءها فى شريانه ووريده مثل الطناحى الذى أحسبه لعشقه للعربية نظمًا فى سياقها وماسة من ماسات عقدها .

إن صلة الطناحى بالنص المخطوط والكشف عنه تبرز أن النص المخطوط له يحيى روح مؤلفه ويجد أنامل ناسخه ، والنص المخطوط عنده تتلاحم فيه صلة النَفَس والنَفْس إنه يكابد أمره ويعانى ليصل فى النهاية إلى هدأة نديّة يطرى بها التراث فالمكابد الكادح فى أول الطريق يصبح مالكًا ثريًا فى خاتمة المطاف . . .

إن قارئ الطناحى عملاً وسلوكًا وفكرًا يدرك أنه عاشق للعربية وتراثها ، ولعل فى بعض الأمور المتناثرة العلمية والحياتية الاتية وهى بعض من كل يكشف عن هذا الوعى التراثى الكبير :

موقفه من درس التراث والدرس اللغوى الحديث

فى هذه المقابلة المعاصرة فى الدرس اللغوى لم يصنع الطناحى توافقًا بينهما ؛ لأنه أخلص أمره للتراث وما كان للتراث لديه أن يشركه فى الهمة شريك .

إنه فى إهدائه لأعلام التحقيق أحمد محمد شاكر وأبى فهر وعبدالسلام هارون والسيد أحمد صقر وعبدالعزيز الميمنى وأحمد راتب النفاخ يبرز أمر الحرص على التراث وحراسته بقوله عنهم :

«الذى قاموا على حراسة العربية وجاهدوا فى سبيلها وكشفوا عن جوانب فنه فيها» (مدخل إلى تاريخ نشر التراث . إهداء) .

وفى تلمذته لشيخه محمود محمد شاكر يقول :

«وحسبه أنه أشعر قلبى حب هذا التراث والعصبية له وتلقّيه بما ينبغى له من الجلال والحيطة والحذر» (الأمالى لابن الشجرى ١/١٢) .

وفى التـأكيـد على دائرة التـراث دون النظر إلى الدرس اللغـوى الحديث أو الدراسـات اللغوية الحديثة يقول رافضًا الدراسات الحديثة :

ودَعْك من الدراسات الحديثة التى تعكس وجهات نظر أصحابها . .

ويقول باثًا الهمة لعجلة التراث :

واصبر نفسك مع تلك الكتب التراثية الموسوعية فى فن التراجم . .

ويؤكد دور هذا الموروث قائلاً :

وليس كالتراجم كاشفًا لتاريخنا الحضارى ومسيرتنا الثقافية مثل سير أعلام النبلاء لأبى عبدالله الذهبى والوافى بالوفيات لصلاح الدين الصفدى وطبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكى .

ويطلب الصبر على التراث وملاومته راكزًا فيه أمر التأمل والتدبر قائلاً : «واقرأ على مهل وتؤدة وأعط نفسك حظها من التأمل والتدبر ولْمح الأشباه ورصد النظائر وسترى أن مفكرينا وعلماءنا رضى الله عنهم كانوا يعملون فى الحل والترحال وعلى المَنْشط والمكره وفى اليسر والعسر ، بل إن بعضهم كان يُبدْع مع تزاحم العلل عليه وتقسّم نفسه مع الأوصاب والأوجاع والصوارف . .» (الأمالى ١/٤) .

وكى يرمى بالباحث فى ظل التراث محيطًا بأمره وهو فى إطار درس النحو يقترح أن تجمع مسائل النحو من بطون كتب العربية المختلفة فإن مجاز كتب العربية مجاز الكتاب الواحد ففى كتب التفسير وعلوم القرآن نحو كثير ، وفى معاجم اللغة وكتب الأدب والبلاغة نحو كثير ، بل إنك واجد فى كتب أصول الفقه والسير والتاريخ والمعارف العامة من أصول النحو وفروعه ما لا تكاد تجده فى كتب النحو المتداولة . . (الأمالى ١/١٠ ، ١١) .

والأمثلة عنده كثيرة يذكر منها لغة أكلونى البراغيث ؛ حيث اعتبر التمثيل بهذا الشاهد باحثًا عن نسبته فلم يجد النسبة فى كتب النحو وإنما وجدها فى كتاب أبى عبيدة «مجاز القرآن» .

لن يجد دارس الطناحى مشقة فى دفعه الدارسين فى الأدب واللغة إلى التراث فحديثه واضح صريح لا لبس فيه ولا التواء ولن يجد مشقة فى صرفه الدارسين عن الدرس الحديث وأوهامه فهو يتهم الدرس الجامعى والأكاديمى بأن طلبته حيل بينهم وبين جهود الأقدمين بسور له باب ظاهره الرحمة بهم والتيسير عليهم وباطنه التضييق عليهم وتفريغ عقولهم (تاريخ

نشر التراث ٩/٨) ورغم وجود هذا الرباط بين الدرس الجامعى والتراث كما نعرف ففى الجامعة درس له ورسائل جمة وعت أمره إلا أن الشك فى الدرس الجامعى قائم لدى الطناحى حيث أصحابه غير مؤهلين له .

أنه يرفض الدرس الحديث جملةً وتفصيلاً ويصفه بالغموض . يقول عما ينشغل به طالب الدراسات العليا فى الجامعة بأنه شُغل «بذلك الحديث العام الغامض عن التفكير الموضوعى ومناهج البحث العلمى . والفرق بين المنهج التاريخى والمنهج الوصفى والمنهج المعيارى والمنهج الاستردادى والعمق فى التناول والبعد عن الأفكار المسطحة وما تبع ذلك من ألفاظ المعاناة وتعصير التراث ، إلى آخر هذه القائمة التى يصدق عليها ما قاله ابن الطراوة الأندلسى فى وصف تأليف أبى على الفارسى «ترجمة تروق بلا معنى ، واسم يهول بلا جسم» .

إن التهكم واضح وطرق الدرس الحديث مرفوضة ، فرفض المناهج الحديثة الغامضة يقابله تعليق منهجى من الموروث فابن الطراوة يأتى حكمه على تأليف أبى على الفارسى بأنه : ترجمة تروق بلا معنى واسم يهول بلا جسم (تاريخ نشر التراث ٩) . ودارس التراث وعاشقه يستغرب من حكم ابن الطراوة – وهو أقل شأوًا من الفارسى فى حسبانى . والحكم رافض عام هائم لايرتكز أمره إلى الموضوعية .

وحكم الطناحى على بعض الحداثيين قاس حين يعلق على كلمة تعصير التراث قائلاً : «أى جعله معاصرًا . وهذه الألفاظ إنما جرت على أفواه أحلاس المقاهى من زعانف الأدباء ثم انتقلت إلى درس الأدب فى الجامعات وصار لها هناك مكان ومكانة» .

هكذا ترد مفردات أحلاس المقاهى وزعانف الأدباء والإشارة بالبعد النفسى للجامعة بكلمة هناك لتعبر عن موقف خاص للدرس الجامعى ؛ لأنه يرى فى هذا الدرس باصطناع المنهج قطيعة للدارس عن التراث . إن الطناحى أستاذ أكاديمى لكنه فى حب نشر التراث ينتصر لمن حافظوا عليه وستروا أمره من أفراد لا من أكاديميات .

إن طريق المنهج لديه تراثى فهو لا يرفض استخدام قيمة المنهج والاهتداء به ؛ لأن الباحث كما يقول : «مطالب بأن ينظم فكره ويخلصه من شوائبه الذاتية أو ما كان يسمى قديمًا بالهوى ثم هو مطالب أيضًا بأن يخضع بحثه لاعتبارات الزمان والمكان والتأثير والتأثر والنظر والتأمل فى حركة الحياة وما تمور به فى أطوارها المختلفة مصبوغًا ذلك كله بالدقة والحذر» (تاريخ نشر التراث ٩) . وكما هو ملاحظ من خلال هذه المطالب نرى المنهج فى

ملكة الدارس وجهده وأمانته وتأمله ودقته وحذره ، وهذه الملكة تُطلب من الراوى ، ومن الموثّق بعيدًا عن المعيارية والوصفية والمقارنة والاسترداد .

إن حب الطناحى للتراث وعشقه له جرى به إلى رفض الدرس الحديث وهو يعلم أن استخدام المناهج الحديثة فى الدرس اللغوى والأدبى المعاصر وهو يعلم أن استخدام المناهج الحديثة فى الدرس اللغوى والأدبى المعاصر عدّدت قراءاتها للتراث ودلالاته وكشفت خبيئًا ما كان له أن يكشف ، وأن هذه المناهج أثرتْ حركة التأليف المعاصر ، وقد سرح فيها أعلام رواد من أمثال على عبدالواحد وافى وإبراهيم مصطفى والسعران وإبراهيم أنيس ويعقوب بكر وحسين نصار وتمام حسان وكمال بشر وعبدالرحمن أيوب وعبدالحميد الدواخلى والقصاص وحسن ظاظا وحسن عون وأحمد مختار وشوقى ضيف .

إن عشقه للتراث وهو يهاجم الأدباء صوّر له الأدب بالمفهوم التراثى ومكنه من فكره وطريقه ، وهو الأخذ من كل فن بطرف ؛ ومن ثم فلا وجود للمناهج النقدية والأدبية كتحليل الخطاب والتناص وتيار الوعى والجوانية والقراءة النفسية والاجتماعية إلى آخر أنماط الدرس الأدبى والنقدى .

إن الطناحى وهو فى إطار كشف الشعر يتحدث عن على الجارم لغويًا نحويًا قائلاً : الشعر باب العربية والشعراء الكبار هم أقدر الناس على معرفة أسرار العربية والوقوف على دقائقها ثم الحرص عليها والذود عنها وما كان ذلك إلا لأنهم قرأوا فأكثروا القراءة وحفظوا فجودوا الحفظ . ولن تجد شاعرًا كبيرًا إلا ووراءه رصيد ضخم من القراءة المحيطة الجامعة للغة فى مجالاتها المختلفة ويظهر هذا الرصيد فيما يسميه أهل زماننا « المعجم الشعرى» للشاعر حروفًا وأبنية وتراكيب ودلالة .

هكذا يتلخص إبداع الشعر فى الوعى بالعربية بالحرص عليها والذود عنها فى قراءتها مرارًا فى حفظها وتجويدها .

وهكذا يصبح منهج أهل الزمان عالة على المفهوم التراثى : فرصيد المعجم الشعرى لدى المحدثين موجود فى باب العربية ، وهمّة الشاعر فى عمله الإبداعى تبدو جلية فى الحرص على العربية والذود عنها ، ومن هنا يحس الدارس من خلال كلامه بأنه لا إبداع إن لم يكن هناك حرص على اللغة ، وهذا أمر يخص بنية الشعر ودلالته وأحسب أن الذود عنها يعتبر من جملة أمور الحارس للعربية شاعرًا كان أو غير شاعر .

النشر والتراث :

للطناحى كتاب خطير حكى فيه أمر طباعة الكتاب وأبان دورًا غامضًا أحيا به شخوصًا عاملة فى مجال الكتاب ومجال التراث وأفصح عن ريادات للمطابع فى العصر الحديث ؛ هذا الكتاب يعتبر سجلاً معاصرًا يكشف تاريخيًا بصدق حركة نشر التراث العربى .

هذه المعرفة وهى جزء من الوعى بتاريخ النشر المعاصر تأتى من خلال تجربته التى صيغت منذ بواكير طلبه للعلم فقد عمل وهو فى مرحلة الطلب بدار العلوم ناسخًا ومفهرسًا ، قبل أن يكون محققًا عالمًا ثبتًا ، فقد نسخ كثيرًا من المخطوطات شرقية ومغربية وأعان بعض المستشرقين على فك طلاسم المخطوط العربى ، فالحديث عن ملكة التحقيق لديه وعن تاريخ النشر وأدوات النشر معرفة المجرب التى صيغت بعد تأنقه فى ثوب الدارس العلمى الذى يحيط بالتراث كما يحوط به هذا التراث . إنه يحدثنا عن كتبى هو قاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد قائلاً عنه :

«الكتبى النابه الخبير . . كان أمينًا كل الأمانة . . ثم هو لم يأكل حقًا من حقوق الأحياء أو ورثتهم . . رحمه الله رحمة واسعة فقد كان من خير الوراقين وأنبلهم وأعلمهم فى هذا الزمان» (١١/١٠) . هكذا تظهر روح المحدث صاحب الرواية يتحدث عن الثقة فى الوراق بأنها ثقة تضارع الثقة فى العالم . فالوراق والناسخ لهما دور ساطع فى تاريخ نشر التراث . فالنباهة قائمه وإعطاء المؤلف حقه وحق ورثته أمر مؤكد .

ومع الحديث عن الكتبى صاحب المطبعة فى النشر الحديث لم ينس الحديث عن دور النساخ ، فهو دور فى الحرص على الموروث كبير . إن النساخ فى حس الطناحى - وقد شاركهم عملهم - لايقلون شأوًا عن المحققين فقد كان للنساخ قديمًا كما يحكى مكان فى الأمصار العظيمة والبلدان الكبيرة ، فهم بمثابة المطابع الحديثة الآن .

إنه فى الحديث عن تاريخ النشر والطباعة يصف الحركة فى البلدان العربية والإسلامية ويكشف عن الدور الريادى فى تاريخ مصر ممثلة فى مطابعها التى تأتى فى مقدمة ريادتها مطبعة بولاق ، والتى كانت بعض مطبوعاتها تنشر على نفقة بعض الناس من محبى العلم ذاكرًا أمر السيدة زينب بنت يوسف فوّاز العاملى سورية المولد والنشأة والتى تعلمت وماتت بمصر ١٩١٤م . ويذكر من مطابع مصر التى قام عليها أمر حفظ التراث مثل : مطبعة عبدالرحمن محمد ومطبعة السعادة ومطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية بأول

شارع محمد على ومطبعة محمد على صبيح وأولاده ومطبعة عيسى البابى الحلبى ومطبعة الخانجى التى نشرت كثيرًا من مؤلفاته التجارية ، ويعّرج على بعض المصحيين لهذه المطابع ومنهم نصر الهورينى الأزهرى الذى أرسل إلى فرنسا ليلىَ بعد عودته رئاسة تصحيح مطبعة بولاق ، ويذكر من مشاهير هذه المطبعة محمد بن عبدالرحمن المعروف بقطة العدوى .

إن حب الموروث وحب بعثه لم يجعل الطناحى يقف عند تجلة من قام بتحقيقه من الأعلام الكبار الذين صنفهم إلى مدارس كالشيخ محمود شاكر والسيد صقر وأبى الفضل إبراهيم وعبدالسلام هارون وعلى النجدى ناصف وشاكر القطان وغيرهم ، وإنما كانت الوقفة شمولية أدخلت الكتبى والناسخ وصاحب المطبعة وكل من أنار سبيلاً فى بعث التراث وتحقيقه .

واقعه العملى مع التراث : تحقيقًا لأمر الرواية التى أراها السمة الواضحة فى سلوك الطناحى بإمكان المعايش للطناحى أن يلمس فى سلوكه أمر الحرص على التراث ، وأنا أحكى بعض مواقف حياتية رجع فيها أمر التراث وأصحابه على العلماء الذين لم يرتكزوا على الموروث .

فى ندوة علمية بجامعة أم القرى ونحن نتحدث عن أزمة اللغة العربية المعاصرة كان حديثى منصبًا حول التدرج فى حل المشكلة راضيًا بأن نقنع الآن بصواب لغوى يحكى أمر الإعراب والمطابقة والحذف والذكر بعيدًا عن التمسك بنماذج الموروث ، فيكفى الآن صواب الجملة المعاصرة إذا ما جرت وفق النظامين النحوى والصرفى ؛ ومن هنا كان قبولى للجملة المعاصرة المشهورة التى كادت أن تصبح سكًا فى لغتنا المعاصرة ، والمعبرة عن الحرص والوعى حتى لا نندم على ما فات ومر ، وهى جملة «حتى لا نبكى على اللبن المسكوب» .

إن هذه الجملة التى لم تخرج عن نطاق النحو ولا الصرف يرفضها الطناحى مثبتًا حق أصلها الموروث الممثل فى قول العرب : الصيف ضَيّعت اللبن . لقد جادلته وأنا أعلم تجلّته لموروثنا وللعربية التى أضحت عشقه وتهيامه ، وكنت أريد إثارته فقال فى الحوار فلتذهب رقاعة المعاصرين الممثلة فى الرخاوة الموجودة فى جملة حتى «لا نبكى على اللبن المسكوب» هباءً ، ولتبق الجملة الصارمة المسكوكة التى لا تحتاج إلى فك غموضها وهى «الصيف ضَيّعت اللبن» . والتجلّة والاحترام لهذه الجملة وطلب بقائها ودورانها فى لغتنا المعاصرة فرض عنده .

فى حوار مثير آخر ونحن نعلم أنه دائم الإعجاب والانبهار بشيخ العربية شيخه وشيخنا محمود شاكر قلل من شأو المبدعين المعاصرين إلى حدّ أن دار حوار بينى وبينه أمام جمع فى كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى حول أديبنا الكبير توفيق الحكيم وقيمة الدور الذى قام به فقد بيّن الطناحى أن دور الشيخ شاكر فى خدمة الحضارة العربية المصرية المعاصرة أجل من الدور الذى قام به توفيق الحكيم . وقد ضاعت محاولاتى أمامه فى إبرازى دور الريادة لتوفيق الحكيم فى كتابة الرواية والمسرحية ، ودوره التنويرى فى ربط الحضارة المعاصرة بأوروبا ولم تجد المحاورة أمامه شيئًا ؛ لأن الطناحى يجل أمر من حمى الموروث على من أضاء حركة المعاصرة .

إن الطناحى يصنف طاقات أعلام المحققين وفق قدرهم فى تحقيق الأعمال الكبرى ، وكان يقول يكفى عبد السلام هارون أن حقق الحيوان ويكفينى تحقيق طبقات الشافعية والأمالى والشعر لأبى على الفارسى . أنا لا أعترف بقدر من يحقق رسائل صغيرة لا تعدو الواحدة منها خمس صفحات ليقيم عليها دراسة أضعاف أضعاف متنها ؛ وهو بذلك يشير إلى عدد من المحققين دخلوا وادى التحقيق وعرفوا به وقد أقاموه فى وريقات . ولهذه الإشارة مغزاها فى تصنيف المحققين لديه إلى أعلام كبار وأعلام صغار .

الرواية والدراية والسماع والقياس :

هذا المحقق الكبير لو أردنا معرفة مفتاح حركته اللغوية ، وجدناه إلى علم الرواية والنقل أقرب منه إلى علم الدراية والعقل ، فاحتكامه إلى السماع أكبر من احتكامه إلى القياس فهو لا يفصّل أمر التوجيهات ولا الأصول ولا التأويلات ؛ فالمفرد الموروث لديه أقوى من قياس مندرج تحت نظام .

إن اللغة لديه تكاد تكون توقيفًا ؛ فحرمة قديمها قائمة ، وموروثها ثابت مستقر وهو يرى الإعجاب فيما جاء غريبًا نافرًا إنْ وضع فى مقابل السهل الميسور ، ولا غربة تبقى فى المسار التاريخى إلا إذا تأكدت بسماع ، ولا صيرورة لميسور إلا إذا برز القياس .

إننى أراه كما أرى ابن الجزرى حين خط طريق القراءات وهو يقول : وجمعتها فى كتاب يرجع إليه ، وسفر يعتمد عليه ، لم أدع عن هؤلاء الثقات الأثبات حرفًا إلا ذكرته ولا خلفًا إلا أثبته ولا إشكالاً إلا بينته وأوضحته ولا بعيدًا قربته ولا مفرقًا إلا جمعته ورتبته . منبهًا على ما صح عنهم وشذ ، وما انفرد به منفرد وفذْ ، ملتزمًا للتحرير والتصحيح والتضعيف

والترجيح ، معتبرًا للمتابعات والشواهد رافعًا إبهام التركيب بالعزو المحقق إلى كل واحد جمع طرقًا بين الشرق والغرب فروى الوارد والصادر بالغرب ، وانفرد بالإتقان والتحرير . (النشر ٥٦/١) .

إننى حين أقرأ هذا الخيط السلوكى لصاحب النشر أقرأ الطناحى سلوكًا ، وأتخيل شخصية الراوى الذى يجعل أمرًا لنص مديرًا عمله حول الحرص عليه والارتقاء به . فهل كان الطناحى بناء وبعيد عن هذا السلوك الذى خطّه ابن الجزرى .

صرامة المدافع عن التراث وجديته ومعادلة النفس :

الطناحى فى الحرص على التراث جاد ، وفى تثبته من أمر التراث حاد ، فلا هزل ولاهزر حول أمره . وقد يُظن أن هذه الحدة جزء من سلوك حياتى يصحبه فى كل آن .

إن المعادل الآخر الذى يكسر حِدّة الجهامة فى طريق الحرص على الموروث هو شخصية الطناحى ، فى واقعه مع الرفاق والأصدقاء والأهل والأسرة والعشيرة والمكان ، فهو رجل من ظرفاء العصر فى القرن العشرين ولو تيسر لدارس أن يسجل أمر هذه الظاهرة الإنسانية لديه لكتب بحثًا جيدًا عن المفارقة والإضحاك التى هى سمة من سمات الروح المصرية ، فالطناحى كان يملك خفة ظل الروح المصرية . تتمناه مسامرًا وتسعد بالمكث معه حيث تشيع البهجة فى جلسته . لقد عايشته خارج مصر وكبُرتُ بالقرب منه وأكبرت فيه تقدير الناس له ، واحترمته وهو يعتز بمصريته ، وأنا لا أسعد بعالم مصرى إلا إذا كان معتزًا بمصريته ؛ بمصر المحروسة بستان العالم وأم الدنيا .

رأيت فيه هذا الظرف الخيالى الذى لم يقلل أبدًا إحساسه بالكرامة والتفرد والكبرياء ، مهما كان مجاز اللحظة مسيطرًا على العقول والأفئدة . إن هذا الظرف الإنسانى اعتبره المعادل النفسى الذى يرطب من أمر الجدية الصارمة فى ضبط التراث .

إن الحديث عن هذا العلم الكبير يطول وما أبثه غيض من فيض فالطناحى رحمه الله :

شريف الهوى فى حب العربية والتراث . . علم كبير من أعلام التحقيق فى تاريخ النشر والتحقيق ، ابن للرواية التى تتضح لديه أكثر من الدراية ، صاحب السماع الذى يفوق أمره عنده قوانين القياس .

الطناحى رحمه الله قيمة لغوية أدركت أن رسالته فى الوجود حمى اللغة والتراث ، فجزاه الله خير ما قدم من خدمة للغة العربية لغة الإسلام . ومنح العربية ودارسيها الصبر على فقد هذه الماسة من عقد العربية الجميل المنظوم .

محمود الطناحي
وتحقيق التراث العربي

د.عشري محمد على الغول

يُعَدُّ الدكتور محمود الطناحي من العلماء القلائل الذى أمضوا حياتهم كلها فى خدمة التراث العربى مطبوعًا ومخطوطًا ، ويكفِى أن يقف المرء على كتابيه الجليلين «مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى»[1] و «الكتاب المطبوع بمصر فى القرن التاسع عشر»[2] ليعرف مقدار ما بذله الرجل من جهد فى الكشف عن جهود الأفراد والهيئات فى نشر التراث العربى وإذاعته .

وفى مجال تحقيق التراث يعتبر الطناحي تلميذ مدرسة الرواد من المحققين ، أمثال : محمود محمد شاكر[3] ، وأحمد محمد شاكر ، ومحيى الدين عبدالحميد ، وعبدالسلام هارون ، وغيرهم من شوامخ المحققين الذين أرسوا دعائم المنهج العلمى الرصين فى تحقيق التراث العربى فى النصف الثانى من القرن العشرين .

ولقد طبق الطناحي من خلال عمله فى التحقيق قرابة أربعة عقود من الزمان ذلك المنهج بجدارة فائقة ، الأمر الذى مكّنه من تحقيق عدد من أمهات كتب التراث فى مجالات مختلفة . ففى اللغة حقّق : «تاج العروس ، شرح القاموس» للمرتضى الزبيدى (المتوفّى ١٢٠٥هـ) ، (الجزء السادس والجزء الثامن والعشرون) ، وفى النحو : «كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة من الإعراب» لأبى على الفارسى (المتوفّى ٣٧٧هـ) ، و«أمالى ابن الشجرى» (المتوفّى ٥٤٢هـ) . و«الفصول الخمسون فى النحو» لابن معطى (المتوفّى٦٢٨هـ) ، و «أرجوزة قديمة فى النحو» لليشكرى (المتوفّى ٣٧٠هـ) ، وفى الفقه : «طبقات الشافعية» لابن السبكى (المتوفّى ٧٧١هـ) (بالاشتراك) ، وفى التفسير والحديث : «غريب القرآن والحديث» لأبى عبيد الهروى (المتوفّى ٤٠١هـ) ، و«النهاية فى غريب الحديث والأثر» و«منال الطالب فى شرح

---

(١) نشرته مكتبة الخانجى ، بالقاهرة ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٢) نشرته مكتبة الخانجى ، بالقاهرة . ١٤١٦هـ/١٩٩٦م .

(٣) كانت تربط الطناحي : بمحمود شاكر علاقة خاصة استمرت أكثر من ثلاثين عامًا ، جعلته من أبرز تلاميذه ومريديه ، وأكثرهم قدرة على تطبيق منهجه الصعب فى التحقيق العلمى لكتب التراث ، انظر : عاطف مظهر : محمود الطناحي محقق التراث ، بحث منشور فى كتاب : محمود الطناحي ، ذكرى لن تغيب ، إعداد محمد محمود الطناحي . القاهرة : مطبعة المدنى ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص٩١ .

الطوال الغرائب» لمجد الدين بن الأثير ، (المتوفَّى ٦٠٦هـ) ، وفى التاريخ : «العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين» لتقى الدين الفاسى (المتوفَّى ٨٣٢هـ) (الجزء االثامن) ، و«أعمار الأعيان» لابن الجوزى (المتوفَّى ٥٩٧هـ) ، و«ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» لأبى عبدالرحمن السلمى (المتوفَّى ٤١٢هـ) .

وكان الطناحى يرى أن التحقيق العلمى لا يعنِى إخراج الكتاب فقط ، ولكن إقامة النص كما أراده مؤلفه ، وفهم جوانبه والتعليق عليه تعليقًا علميًا يفيد النص من جانب ، والقارئ من جانب آخر[1] ، و«كان يُعطِى الكتاب الذى يعمل فى تحقيقه كل ما يحتاجه من العناية والجد والاجتهاد ، والتأنى والتريث ، وطول البحث والتثبت والتوثيق ، بحيث يخرج الكتاب مُبَرَّأً من التصحيف والتحريف ، وعلى الأسس المعتمدة فى تحقيق التراث . وهو يرفض ما يعمد إليه البعض من التعجل فى إخراج وتحقيق الكتب التراثية التى ضنى بها الأوائل ؛ ولا يحبذ التوائب والركض حولها ؛ بقصد إحراز السبق أو الكسب المادى»[2] .

وكان الطناحى يؤمن إيمانًا عميقًا بأن «الخدمة الحقيقية لتاريخنا إنما تكون بإعادة تحقيقه ونشره وفق الأصول العلمية الصحيحة»[3] . وهذا يتطلب إلمامًا علميًا واسعًا بعلوم العربية من لغة وأدب وشعر وفقه وتفسير وحديث وتاريخ[4] ، ولم يكن الطناحى على علم بهذه المجالات المتعددة فحسب ، وإنما ترك بصماته الواضحة على كلٍّ منها ، فلم يترك مجالاً إلا وله فيه كتاب محقق ، ويكفِى أن نعرض لكتاب واحد من الكتب التى حققها ، وهو «كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكلة الإعراب» لأبى على الفارسى كنموذج ؛ لتوضيح منهج الرجل فى التحقيق .

وبداية تجدر الإشارة إلى أن أكثر الكتب التى حققها الطناحى كانت فى مجال اللغة والنحو ، وإذا كان تحقيق المعاجم من الأمور الشاقة لما يتطلبه من الضبط الجيد ، فإن تحقيق نصوص النحو ، وخاصة ما كان منها لأعلام مثل أبى على الفارسى ، يتطلب جهدًا مضاعفًا ،

---

(١) المصدر السابق ، ص٩٢ .

(٢) عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان : الأستاذ الدكتور محمود الطناحى عاشق التراث وشيخ التحقيق ، بحث منشور فى كتاب : محمود الطناحى ، ذكرى لن تغيب ، ص١٤٢ ، ١٤٣ .

(٣) ابن الجوزى : أعمار الأعيان ، مقدمة المحقق محمود الطناحى . القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٩م ص١٦ .

(٤) انظر : عاطف مظهر : محمود الطناحى ذكرى لن تغيب ، ص٩١ .

ومعرفة بأصول علم النحو وقضاياه ، ذلك أن عمل محقق المعاجم يكاد ينحصر في صلب النص ، أما محقق نصوص النحو فيعنى إلى جانب تحرير النص بتخريج الآراء ، وبيان مراد المؤلف ، ومن هنا يتسع مجال القول للمحقق . وهذا ما صنعه الطناحي في تحقيق «كتاب الشعر» فتجاوزت تعليقاته نص أبي علي مرتين أو ثلاثًا[١] .

يقع كتاب الشعر لأبي علي الفارسي في خمسمائة وخمس وخمسين صفحة ، تسبقها مقدمة المحقق في مائة وعشرين صفحة ، ويتلوها مجموعة من الفهارس الفنية صنعها المحقق وبلغت أكثر من مائة وخمسين صفحة ، الأمر الذي يكشف لنا مدى الجهد الذي بذله الطناحي في إخراج الكتاب . ولا عجب في ذلك ، فقد كان يرى «أن نبذل من الجهد في إخراجها (يقصد كتب التراث) ما يقارب ما بُذِل في تصنيفها»[٢]

وتعد المقدمات التي كان يكتبها الطناحي لما نشره من الكتب بحوثًا أصلية تحدد أصول المنهج الذي ينبغي أن يلتزم به مَن يضطلع بالتحقيق[٣] ، ففي بداية مقدمة هذا الكتاب يؤكد الطناحي على ضرورة وقوف المحقق على نسخ الكتاب موضع التحقيق ، يقول : «وقد عرفتُ نسخته الكاملة (يقصد كتاب الشعر) منذ سبع سنوات ، ولعلي أول مَن وقعت عينه عليها في هذه الديار المباركة (يقصد مكة) . وعلى عهد الناس به نسخة وحيدة ، محفوظة بمكتبة برلين»[٤] .

ثم يتحدث عن أخلاق المحقق وما ينبغي أن يتحلى به من إشاعة العلم بين الناس ، يقول : «كنت منذ اشتغالي بعلم المخطوطات على هذا النهج اللاحب المستتبّ ، لا أطوي صدري على ما أعرفه من نوادر المخطوطات التي أراها في البلدان التي أزورها ، أو ما يسقط إليّ من أخبارها ؛ فإني رأيت كثيرًا من الذين يكنزون الكتب ، ويغمُّون أمرها على الناس ، لم يُبارَك لهم فيها ، ولم يُمَكَّنُوا من نشرها»[٥] .

---

(١) انظر : محمد إبراهيم البنا : محمود الطناحي محققًا ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ٤٣ ، الجزء الأول (صفر ١٤٢٠هـ/ مايو ١٩٩٩م) ، ص١٩٢ .

(٢) أبو علي الفارسي : كتاب الشعر ، مقدمة المحقق محمود الطناحي . القاهرة : مكتبة الخانجي ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ، ص ب .

(٣) انظر : محمود علي مكي : محمود الطناحي أديبًا ومحققًا . بحث منشور في كتاب : محمود الطناحي ذكرى لن تغيب ، ص٢٢٦ .

(٤) أبو علي الفارسي : كتاب الشعر ، مقدمة المحقق محمود الطناحي ، ص أ .

(٥) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

وبعد ذلك يشرع الطناحى فى عرض تجربته فى تحقيق كتاب الشعر، منبهًا على أن تحقيق التراث ليس مركبًا سهلاً؛ وإلا أصبح تراث الأمة نهبًا لكل مجترئ، وإنما لابد من خطوات ومراحل يمر بها الكتاب المخطوط حتى يخرج إلى النور. ومن الضرورى أن يبذل المحقق فى هذه الخطوات قصارى جهده؛ ليخرج الكتاب المحقق بالصورة التى أرادها له مؤلفه، وتتمثل تلك الخطوات فيما يلى:

١- مرحلة نَسْخ الكتاب:

يقول الطناحى عن هذه المرحلة: «وكان ما كان من أمرى مع هذا الكتاب: أنى نسختُه بقلمى، وأطعمتُه لحمى، وأسقيتُه دمى»[1]. وهو يذكر هذا مع علمه بما آل إليه أمر النَّسْخ حيث إن كثيرًا من المحققين يعهدون بنسخ الكتاب إلى أبنائهم أو بناتهم، وناهيك عن النُسَّاخ المحترفين الذين يأكلون النَّسخ[2].

٢- مرحلة المقابلة بين النُّسَخ والتعليق على متن الكتاب:

وبعد أن ينتهى المحقق من نسخ النسخة الأم يبدأ فى المقابلة بين النُّسَخ الأخرى للمخطوط، وفى ذلك يقول الطناحى: «وحين عزمت على نشره (يقصد كتاب الشعر) وإذاعته، استعنت الله عز وجل، ثم أخذتُ أخذه، وأعددت له عُدَّته . . . وقابلت بين نسختيه، ثم التمست موارده فى كتب السابقين، وتتبَّعت نُقوله فى كتب الخالفين . . وقد حرصت على ربط قضايا الكتاب ومسائله بالمُتاح لى من كتب أبى على: مطبوعها ومخطوطها، ثم وصل هذه القضايا بكتب النحو»[3].

وهو هنا يبين ما ينبغى أن يتقنه المحقق من صناعة التحقيق من ناحية، وما يلزمه من ثقافة فى العلم الذى ينتمى إليه المخطوط من ناحية أخرى. حيث شرع فى بيان المنهج القائم على معالجة النصوص النحوية وتوثيقها وعرضها على كتب النحو الأخرى، ذلك المنهج الذى قصرت دونه حبال الكثيرين من أدعياء التحقيق[4].

---

(١) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
(٢) المصدر السابق، هامش صفحة ج.
(٣) المصدر السابق، ص١٠٦.
(٤) انظر: تركى بن سهو العتيبى: الليلة الأخيرة. بحث منشور فى كتاب: محمود الطناحى ذكرى لن تغيب، ص٤٢.

والطناحى فى هذا المنهج يترسم نهج شيخه الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذى كان لا يمرر نصًا مُشْكِلا دون أن يتوقف عنده ، ويقول فيه ما بدا له من الرأى ، ولا نرى له فى ذلك نظيرًا ، فكثير من المحققين يطيلون القول أمام النصوص المحكمة ، ويدَعون القارئ حيران أمام متشابهها[١] .

بقى أمر مهم يذكره الطناحى مستنكرًا ما يفعله البعض أثناء شرح نص المؤلف ، يقول : «لابأس من التهويش ببعض الشروح اللغوية التى تعبُ من المعاجم عبًا . وكثيرًا ما يقع فى نقل هذه الشروح أخطاء فادحة ؛ لعدم التنبه للمشترك اللفظى»[٢] .

٣- مرحلة تخريج الشواهد :

وعمل المحقق فى هذه المرحلة يقوم على تخريج ماورد فى نص المؤلف من آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وشواهد شعرية ، وغير ذلك ، ويعيب الطناحى على النماذج الرديئة التى يخرج بها التراث فى هذه الأيام ، والاكتفاء بتخريج الآيات القرآنية من معجم محمد فؤاد عبدالباقى ، والأحاديث من المعجم الذى صنعه المستشرقون ، والشعر من كتاب شيخنا عبدالسلام هارون[٣] .

أما هو فله أسلوبه الذى يسير عليه فى التخريج ، فالخطوة الأولى فى تخريج الشواهد الشعرية عنده أن تردُّ الشاهد «إلى ديوان الشاعر - إن كان الشاهد معروف النسبة - لتتأكد من وجود الشاهد فى ديوان الشاعر ، بهذه الرواية التى سيق بها فى كتابك الذى تحققه ، فإذا لم يكن الشاهد منسوبًا لقائل ، تضاعفت مهمتك ، فكنت مطالبًا بمعرفة قائله ، وتحقيق الرواية التى يدور حولها الشاهد . وأنت فى الحالتين مطالب بالرجوع إلى طائفة من كتب النحو ، سابقة على كتابك وتالية له ، لتوثيق الشاهد»[٤] .

وهذا ما فعله الطناحى فى تخريج شواهد كتاب «الشعر» ولذلك تراه يقول : «وجردت شواهده ، واصطحبتُها فى حلى وترحالى ، أعرضها على ما أعرف من المكتبة العربية»[٥] .

---

(١) انظر : محمد إبراهيم البنا : محمود الطناحى محققًا ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ٤٣ ، الجزء الأول (صفر ١٤٢٠هـ/ مايو ١٩٩٩) ، ص١٩٢ .

(٢) أبو على الفارسى : كتاب الشعر ، مقدمة المحقق محمود الطناحى ، ص ج .

(٣) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٤) المصدر السابق ، ص١٠٧ .

(٥) أبو على الفارسى : كتاب الشعر ، مقدمة المحقق محمود الطناحى ، ص١٠٦ .

ومعنى هذا أنه لم يكن يكتفى بتخريج الشاهد من كتب النحو فحسب ، وإنما قد يلجأ إلى المكتبة العربية بمختلف مؤلفاتها ، وهو ما تجده واضحًا فى قوله : «فهذا هو الحد الأدنى من تخريج الشاهد الشعرى . وقد تكفَّل شيخنا العلامة عبد السلام هارون بالوفاء بهذا الجانب فى كتابه الرائد «معجم شواهد العربية» ولكن شيخنا لم يقل لك : حسبُك هذه المراجع التى ذكرتُها ، ولا تَعْدُ عيناك عنها . إن تخريج الشاهد النحوى ينبغى أن يُسلَكَ به مسالك كتب العربية كلها : من نحو وبلاغة ولغة وعروض وأدب وتفسير وحديث ، وستجد فى تعليقاتى - حين تأتى قراءتك عليها إن شاء الله - إحالاتٍ على كتب هى فى تصنيف الناس خارجة عن كتب النحو ، مثل الأغانى ، ورسالة الغفران ، وشروح الحماسة ، وشرح النقائض ، وشرح المفضليات ، وشروح دواوين الشعر ، والمجاميع الأدبية ، وكتب الجغرافيا والبلدان ، والتاريخ والتراجم ، والمعارف العامة ، بل إنك واجد شيئًا من كتب أصول الفقه»[1] .

٤- مرحلة صنع الفهارس الفنية :

كان الطناحى يرى أن كتب التراث بلا فهارس أو كشافات هى كنوز بلا مفتاح ، وهو لايقصد بالفهارس «صنع فهارس تقليدية ميتة باردة»[2] ، وإنما يقصد «الفهرسة العلمية الفنية ، ولستُ أعنى مجرد تلك الفهارس التقليدية المألوفة ، مثل فهارس الأعلام والقبائل والمواضع والشواهد ، وإنما أريد - إلى جانب ذلك - فهارس العلوم والفنون المختلفة ، وحوادث الأيام المبثوثة فى ثنايا الكتب المحقق ، بضم النظير إلى النظير ، وقَرْن الشبيه إلى الشبيه ، وستكون هذه الفهارس الفنية الكاشفة عُدَّة وعونًا للدراسات والبحوث التى لا تقوم إلا على النص الموثق المحرر»[3] .

ومن يطالع فهارس كتاب «الشعر» يجد أنواعًا لم تؤلف من قبل ، ولا يستغنِى عنها من يريد الإفادة من الكتاب ، وتضم هذه الفهارس :

١- فهرس مقدمة التحقيق .

٢- فهرس أبواب الكتاب .

---

(١) المصدر السابق ، ص١٠٧ ، ١٠٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ج .

(٣) ابن الجوزى : أعمار الأعيان ، مقدمة المحقق محمود الطناحى ، ص١٧ .

٣- فهرس الآيات القرآنية .

٤- فهرس الأحاديث النبوية القولية والفعلية .

٥- فهرس الأمثال .

٦- فهرس الأساليب والنماذج النحوية واللغوية .

٧- فهرس الأمثلة والأبنية والصيغ .

٨- فهرس اللغة التى شرحها أبو على .

٩- فهرس الأشعار وفهرس أنصاف الأبيات وأجزاء الأبيات .

١٠- فهرس الأعلام والقبائل والأمم والفِرَق والطوائف ، وفيه أيضًا : أيام العرب ، وأسماء الخيل والأصنام .

١١- فهرس الأماكن والبلدان .

١٢- فهرس مسائل النحو والصرف ، ويشمل أيضًا : الحروف والأدوات والمصطلحات .

١٣- فهرس البلاغة .

١٤- فهرس العروض والقافية .

١٥- فهرس ضرائر الشعر .

١٦- فهرس معانى الشعر ، ويشمل أيضًا الإنسان وما يتصل به ، والخيل والإبل وسائر الحيوان ، والحرب وآلاتها ، والكون والطبيعة .

١٧- فهرس الكتب التى ذكرها أبو على .

١٨- فهرس مراجع التحقيق .

وقد اهتم الطناحى اهتمامًا فائقًا بتوثيق بيانات المصادر والمراجع التى ذكرها ، وحرص على توثيق عنوان الكتاب ، ونسبته إلى مؤلفه . ومن الأمثلة على ذلك أنه عندما ذكر كتاب «سمط اللآلى» لأبى عبيد البكرى قال : «هذه تسمية الميمنى ، أما كتاب البكرى فاسمه : اللآلى فى شرح الأمالى ، أمالى أبى على القالى»[1] ، وأنه عندما ذكر السيرة النبوية لم يقل :

(١) أبو على الفارسى : كتاب الشعر ، ص٦٩٣ .

السيرة النبوية لابن هشام ، كما هو مطبوع ، وإنما قال «السيرة النبوية لابن اسحاق . رواية وتهذيب ابن هشام»[1] .

رحم الله الدكتور محمود الطناحى ، فقد كان بحرًا يفيض بالعطاء ، وأخرج لنا كنوزًا من أمهات كتب التراث ، وأعطى صورة مُشرِّفة للدور الذى يقوم به المحقق ؛ فاستحق أن يظل حيًّا فى ذاكرة المثقفين من أبناء العربية .

(١) المصدر السابق ، الصفحة نفسها ، وانظر : محمد إبراهيم البنا : محمود الطناحى محققًا ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد ٤٣ ، الجزء الأول (صفر ١٤٢٠هـ/ مايو ١٩٩٩م) ، ص١٩٣ .

محمود الطناحى

(١٩٣٥-١٩٩٩م)

صفحات من حياته

أ/ محمد محمود الطناحى

محمود محمد على الطناحى - رحمه الله - علم من أعلام تحقيق التراث فى مصر والعالم العربى والإسلامى ، ورائد من رواد هذا العلم فى القرن العشرين ، وأحد أبرز كبار المحققين فى الثلث الأخير من هذا القرن . وهو هذا الجامعى الجاد . الذى ضرب مثالاً يحتذى فى سلوك الأستاذ الجامعى فى جامعته وبين طلابه ، وفى أسلوب تعامله مع أساتذته وزملائه وأبنائه ، وفى منهجه وطريقة تدريسه . كما أنه الابن البار الوافى لمشايخه وأساتذته الكبار من أمثال : محمود شاكر وعبد السلام هارون والسيد أحمد صقر وفؤاد سيد - رحمهم الله جميعًا - وهو الأب والأستاذ والأخ والصديق لكل من خالطه وعاشره .

ولد محمود الطناحى فى ١٩٣٥/٣/٢٩م الموافق لـ ١٣٥٣/١٢/٢٤ هـ بقرية كفر طبلوها بمحافظة المنوفية . ومنها انتقل إلى القاهرة فى الثامنة من عمره ، وفى الثالثة عشرة من عمره أتم حفظ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم ، وفى عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٨ حصل على شهادتى الإبتدائية والثانوية من معهد القاهرة الدينى التابع للأزهر الشريف ، ثم حصل من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة على درجة الليسانس فى علوم اللغة العربية والشريعة الإسلامية عام ١٩٦٢م . وعُين الطناحى - رحمه الله - غداة حصوله على الليسانس معيدًا بمعهد الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ، وفى عام ١٩٦٥م آثر ترك الجامعة الأمريكية واتجه صوب معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم «اليونسكو العربية») ليعمل به خبيرًا حتى عام ١٩٧٨م .

وخلال هذه السنوات - منذ دخوله الجامعة عام ١٩٥٨م ، إلى لحظة انتقاله لينعم بجوار ربه فى ١٩٩٩/٣/٢٣م الموافق ١٤١٩/١٢/٦ هـ - اتصل محمود الطناحى بعالم المخطوطات اتصالاً وثيقًا . والحديث عن علاقته رحمه الله بهذا العالم الفسيح حديث طويل وشائق ، يحتاج إلى فضل من القول ، وبسط من البيان . فهو حديث عن رحلة عمر امتدت لأكثر من أربعين عامًا ، حيث بدأ الطناحى أولى خطواته فى هذا العالم ناسخًا للمخطوطات بدار الكتب المصرية ، فألف المخطوط وألفه المخطوط! وهو يقول عن هذه المرحلة من حياته : «بدأت

رحلة مباركة ، ضقت بها فى أول أمرى ضيقًا شديدًا ، إذ كان النسخ عَسِرًا عليَّ العُسْر ، يؤودنى أمره ، وتثقل عليَّ تكاليفه .

لا يعرف «النَّسخَ» إلا من يكابده ولا «الوِرَاقَة» إلا من يعانيها !

ولقد كان النسخ هو بابى إلى هذه الدنيا الرحبة الحافلة بالغرائب والعجائب ، دنيا المخطوطات ، ثم كان هو قائدى إلى تحقيق النصوص ونشرها ، فعرفت تاريخ أمتى» .

ثم جاءت المرحلة الثانية من رحلته الطويلة مع المخطوط ، وهى مرحلة العمل مع المستشرقين ، حيث عمل مع المستشرق الهولندى (بونى بيكر) الذى شاركه فى إخراج كتاب «الشعر والشعراء» لابن قتيبة ، والمستشرق الألمانى (هانز روبرت رويمر) الذى ساهم معه فى كتابه «الدُّر الفاخر فى سيرة الملك الناصر» ، والمستشرق الإنجليزى (مارسدن جونز) الذى عاونه فى كتاب مغازى الواقدى .

وخلال فترة عمله بمعهد المخطوطات العربية ، قرابة الأربعة عشر عامًا (١٩٦٥-١٩٧٨م) ، طوف بالعالم العربى والإسلامى شرقه وغربه ، باحثًا عن المخطوطات ، مثبتًا ما ندر منها ونفس ، جامعًا لما شرد منها . فرحل إلى المملكة العربية السعودية وتركيا والمغرب واليمن وغيرها من بلدان العالم العربى والإسلامى ، وخلال رحلاته هذه اكتشف العديد من المخطوطات النادرة ، كمخطوطة كتاب «الفرق بين صفات الإنسان والحيوان» لثابت ابن أبى ثابت التى اكتشفها بالمغرب ، وكذلك مخطوطة كتاب «تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن يحيى بن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم» والتى اكتشفها بمدينة عنيزة بالسعودية ، ومخطوطة «الصفوة الصفية فى شرح الدرة الألفية» والتى اكتشفها بالمدينة المنورة بالسعودية ، ومخطوطة كتاب «الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم» والتى اكتشفها بالسعودية أيضًا ، ومخطوطة كتاب «المحكم فى نقط المصاحف» لأبى عمرو الدانى والتى اكتشفها بالمدينة المنورة ، ومخطوطة كتاب «أهل المائة فصاعدًا» للحافظ الذهبى . ومن هذه المخطوطات ما كان يظهر لأول مرة ، ومنها مالم يكن كذلك . إلا أنها تعد نسخًا نادرة ، لأنها كتبت بخط متميز ، وحوت تعليقات وشروحًا مهمة لا تحويها النسخة الأولى . وفى هذا كله إشارة واضحة إلى أن الرجل كان محققًا متمكنًا من أدواته ، يعرف الخبايا ، ويحقق المظان ، ويدرك الطرق السليمة للبحث والأدوات المطلوبة . فالتحقيق عنده لم يكن يعنى إخراج الكتاب وحسب ، لكنه كان يعنى إقامة النص بأقرب ما أراد مؤلفه ، وفهم جوانبه ، والتعليق عليه بما يُجلّيه . وكان دائمًا ما يحذر من أولئك الذين يكثرون من التحقيق دون فهم وإدراك صحيح لطرقه وأدواته ، فهم لا

يملكون منهجًا يسيرون عليه . وكان يذكر أن التحقيق عندهم لا يخرج عن عدة خطوات «محفوظة» بلا روح تتمثل فى :

١- نسخ الكتاب ، والله وحده يعلم من الذى يقوم بنسخه؟

٢- التعريف بالأعلام من كتاب خير الدين الزركلى ، وسلخ المراجع والإحالات منه .

٣- تخريج الآيات القرانية من معجم محمد فؤاد عبدالباقى - رحمه الله .

٤- تخريج الأحاديث من معاجم المستشرقين .

٥- تخريج شواهد الشعر من كتب عبدالسلام هارون - رحمه الله .

٦- صنع فهارس تقليدية باردة .

٧- السطو والإغارة على تعليقات الميمنى فى «السِّمط» وعضيمة فى «المقتضب» ونحوهما من أعلام المحققين الرواد .

وهكذا تخرج كتب تراثنا النادرة فى صورة باردةٍ بلا روح ، ولا إضافة علمية تستحق التنويه! .

وطوال خمسة وثلاثين عامًا قضاها فى الحرم الجامعى ضرب الطناحى - رحمه الله - المثل النادر فى سلوك الأستاذ الجامعى ، فلم يحد يومًا عن منهجه الذى اختطه لنفسه منذ أن بدأ حياته الجامعية معيدًا- بمعهد الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة - الذى استمر به مدة عامين (١٩٦٣-١٩٦٥م) ، ثم حين انتدب للعمل أستاذًا مشاركًا بقسم الدراسات العليا العربية بكلية الشريعة بجامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة (كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى الآن) التى عمل بها فى الفترة ما بين عام ١٩٧٨ إلى عام ١٩٨٩م ، وأكمل رسالته الجامعية حينما عُين أستاذًا مساعدًا بكلية الدراسات العربية والإسلامية بجامعة القاهرة فرع الفيوم ، تلك الكلية التى قضى فيها قرابة الخمس سنوات (١٩٩١-١٩٩٦م) ، وفى عام (١٩٩٥م) رُقى أستاذًا ، وبعدها بنحو عام واحد انتقل إلى كلية الآداب بجامعة حلوان ليرأس قسم اللغة العربية وآدابها بالكلية . وخلال هذه الأعوام حل الطناحى أستاذًا زائرًا على العديد من الجامعات العربية فى دولة الكويت والإمارات العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية ، كذلك اختير لعضوية عدد من اللجان فعمل خبيرًا بمجمع اللغة العربيةبالقاهرة ، وكان اسمُه ضمن قائمة المرشحين للعضوية العاملة قبيل وفاته ، وعضوًا بمركز تحقيق التراث التابع لدار الكتب المصرية ، وعضوًا بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية والمجلس الأعلى للثقافة ، ومستشارًا لدارى سفير وهَجَر للنشر .

كما دُعى رحمه الله للمشاركة فى العديد من المؤتمرات والندوات والاحتفاليات العلمية خارج مصر ، حيث شارك فى ندوة (أبناء الأثير) التى عقدتها جامعة الموصل بالجمهورية العراقية (مارس ١٩٨٢م) ، وقد شارك فيها ببحث قيم عنوانه «مجد الدين ابن الأثير وجهوده فى علم غريب الحديث» . كما شارك وحاضر فى الندوات التى نظمتها مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى لدراسة وفهرسة المخطوطات الإسلامية (القاهرة : يناير ١٩٩٤م) و (استانبول : سبتمبر ١٩٩٤م) و (لندن : يونيو ١٩٩٥م) ، كذلك فقد اشترك فى ندوة (تاريخ الطباعة العربية فى القرن التاسع عشر) التى أقامها مركز الشيخ جمعة الماجد للتراث والثقافة بدبى (أكتوبر ١٩٩٥م) ، كما حاضر فى ندوة «المحافظة على كنوز التراث الإسلامى» التى عقدت على هامش الدورة الثالثة للمجلس التنفيذى لمؤتمر وزراء الأوقاف والشؤون الإسلامية (عمان : سبتمبر ١٩٩٦م) . وفى داخل مصر شارك أيضًا فى العديد من المؤتمرات كمؤتمر «التعليم فى مصر» (أسيوط : ١٩٩١م) ، واحتفالية المجلس الأعلى للثقافة بأبى حيان التوحيدى ، والاحتفالية التى أقيمت بمناسبة مرور نصف قرن على وفاة الشاعر الكبير على الجارم ، وكذلك الندوات المتلاحقة لمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة طوال العقد الأخير من القرن العشرين .

وقد أدرك الطناحى - رحمه الله - أن ما يخلد اسم الإنسان بعد وفاته هو ما يتركه من علم وتراث بين أيدى الناس ، لذا فقد شغل حياته وكلها بتحصيل العلم ، وكان دائمًا ما يردد : «إن العلم لا يعطيك بعضَه إلا إذا أعطيته كُلَّك» . وقد ترك - رحمه الله - لأهل العربية الكثير من الأعمال العلمية النافعة ما بين محقق ومؤلف .

ومن أهم أعماله المحققة :

١- النهاية فى غريب الحديث والأثر ، لمجد الدين بن الأثير (ت ٦٠٦هـ) .

٢- طبقات الشافعية الكبرى ، لابن السبكى (ت ٧٧١هـ) - بالاشتراك مع المرحوم الدكتور عبدالفتاح الحلو .

٣- الفصول الخمسون فى النحو ، لابن معطى (ت ٦٢٨هـ) .

٤- كتاب الشعر أو «شرح الأبيات المشكلة الإعراب» ، لأبى على الفارسى (ت٣٧٧هـ) .

٥- أمالى ابن الشجرى (ت ٥٤٢هـ) .

٦- ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات ، لأبى عبد الرحمن السُّلَمى (ت٤١٢هـ) .

٧- أعمار الأعيان ، لابن الجوزى (ت٥٩٧هـ) .

أما عن مؤلفاته فمن أهمها :

١- مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربى .

٢- الموجز فى مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم .

٣- الكتاب المطبوع بمصر فى القرن التاسع عشر .

بالإضافة إلى عدد كبير من البحوث والفهارس والمقالات ، والتى نشر كثير منها فى عدد من أهم المجلات العربية العريقة ، مثل «الهلال» ، «الرسالة» ، و«المجلة» ، و«الثقافة» ، و«الشعر» ، و«الكتاب العربى» بمصر . . ومجلة «مجمع اللغة العربية» بدمشق ، ومجلة «كلية اللغة العربية» بمكة المكرمة ، ومجلة «البيان» بلندن ، كما نشر عدة مقالات بجريدة «الأهرام» بمصر ، و«المدينة المنورة» و «البلاد» بالمملكة العربية السعودية وغيرها من الجرائد العربية .

إن من هو على شاكلة هذا الرجل عندما يغيبه الموت يترك أثرًا كبيرًا فى نفوس زملائه وطلابه ، وجرحًا غائرًا فى قلوب أصدقائه ومحبيه ، لا يداويه الزمان ، ولا تطيبه الأيام .

هذا . . وإن كان الرجل قد لاقى فى أواخر سنى حياته تعنتًا من البعض ، وسوء تقدير من البعض الآخر ، وتجاهلاً من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية - فإنه لم يلتفت إلى هذا كله ، وأمضى ما تبقى من حياته بين أبنائه فى الجامعة وتحقيقاته ومؤلفاته ومقالاته . فقد كان يرى أن هذه هى رسالته التى ينبغى أن يشغل بها أيامه . وفى الجامعة أيضًا حاصرته الأحقاد والضغائن ، ولم تتركه ينعم براحة البال ، بل أصرت أن تصاحبه فى أشرف الأماكن العلمية . ولم تثبط هذه المشاكل عزيمته ، فالرجل كان صاحب فكر ومنهج حورب لتمسكه بهما ، حتى وصل الأمر إلى رشقه باتهامات باطلة تتعلق بميوله الفكرية واتجاهاته الدينية ، كما أُقحم فى مسائل لا ناقة له فيها ولا جمل .

فكم رَمَتْ قسماتُ الحُسْنِ صاحبهَا ... وأتعبتْ قَصبَاتُ السَّبْقِ حاميها
وزهرة الروض لولا حُسْنُ رَوْنقها ... لما استطالت إليها كفُّ جانيها

وكل ما كان يتمناه الرجل قبل وفاته - ولايزال يتمناه أبناؤه وأصدقاؤه ، وعارفو فضله - أن يتم تكريمه فى بلده العزيزة الغالية ، وألا نكتفى بما قام به أصدقاؤه ، وزملاؤه وأبناؤه فى الدول العربية ، وهى الأمنية التى نهضت بتحقيقها دار الكتب المصرية ممثلة فى مركز تحقيق التراث بها .

والدى العزيز . . . . لا أملك سوى أن أردد ما كنت تردده دومًا للشاعر الرقيق والفارس النبيل أبى فراس الحمدانى :

سيذكرنى قومى إذا جَدَّ جدُّهم   وفى الليلة الظّلْماء يُفتقد البدرُ

رحمك الله ، وأسكنك فسيح جناته ، وجعل كل حرف كتبته ذودًا عن لغة القرآن الكريم ، وعنايةً بها ، وحبًا لها فى موازينك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا .

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية مصر

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية

الشهادة الابتدائية

يستحق هذه الشهادة محمود محمد علي الطناحي بن محمد بن علي الطناحي المولود سنة [illegible] في كفر الطنبوصا [illegible] مديرية المنوفية الشافعي المذهب بعد أن نجح في امتحانها المنعقد سنة ١٣٧٢ هجرية ([illegible] ميلادية) وكان ترتيبه فيه التاسع والعشرين من مجموع الناجحين وعددهم [illegible] من المصرية المنتسبين

والله تعالى نسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين ؟

القاهرة في [illegible] شعبان سنة ١٣٧٢ هـ [illegible] أبريل سنة [illegible] م

شيخ الجامع الأزهر

[illegible]

توقيع صاحب الشهادة بخطه

محمود محمد علي الطناحي

هذا كشف الرتبة من الشهادة [illegible]

سجلت في معهد [illegible] (رقم [illegible])



بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية مصر

الجامع الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الإسلامية

الشهادة الثانوية

استحق هذه الشهادة محمود محمد علي الطناحي بن محمد علي الطناحي المولود سنة ١٩٣٥ في
كفر طنبدي مركز شبين مديرية المنوفية الشافعي المذهب بعد أن نجح في امتحانها المنعقد سنة ١٣٧٨
هجرية (سنة ١٩٥٨ ميلادية) وكان ترتيبه فيه التاسع والأربعين من مجموع الناجحين
وعددهم ألف وثلاثمائة وخمسة وسبعون من المعاهد الدينية
والله تعالى نسأل أن يوفقه لخدمة العلم والدين

القاهرة في جمادى الأولى سنة ١٣٧٨هـ ديسمبر سنة ١٩٥٨م

شيخ الجامع الأزهر

توقيع صاحب الشهادة
محمود محمد علي الطناحي

كل كشط أو تحشير يلغي الشهادة نهائيا

قيدت في معهد القاهرة (رقم ...)

نموذج خطي

(حلقة كاملة من أحاديث الطناحي الإذاعية)

بسم الله الرحمن الرحيم

من أسرار اللغة في القرآن والسنة

د. محمود الطناحي

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وسيد المرسلين
اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته أجمعين ومن دعا بدعوته
واهتدى بهديه إلى يوم الدين

أيها السادة المستمعون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يقول ربنا عز وجل،
في الوصية باليتامى، وتسليم أموالهم، ودفعها إليهم إذا بلغوا الحلم: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا﴾. الحوب:
الإثم. ويقال: حُوب، وحَوْب، وحوبة. ويقال: حاب يحوب حوبا: أي أثم. قال الشاعر:

وإن مهاجرين تكنفاها ... غداتئذ لقد خطئا وحابا

وجاء في دعائه صلى الله عليه وسلم: "رب تقبل توبتي واغسل حوبتي" أي إثمي
ومنه الحديث: "اغفر لنا حوبنا". وروي أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل
إلى أهله قال: "توبا توبا، لا تغادر علينا حوبا". أما الحديث الآخر أنه كان إذا
قدم من سفر قال: "آيبون تائبون، لربنا حامدون، حوبا حوبا"، فقد فسروا الحوب
هنا بأنه زجر لذكور الإبل، مثل: حل، لإناثها. فقوله: "حوبا حوبا" بمنزلة
قولك: سيرا سيرا، كأنه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من دعائه زجر جمله.
وفي الحديث: "أن أبا أيوب رضي الله عنه أراد أن يطلق أم أيوب، فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم: إن طلاق أم أيوب لحوب" أي: لوحشة وإثم، وإنما
أثمه بطلاقها، لأنها كانت مصلحة له في دينه. وفي حديثه صلى الله عليه وسلم:
"أن رجلا أتاه، فقال: إني أتيتك لأجاهد معك. فقال: ألك حوبة؟
قال: نعم. قال: ففيها فجاهد". الحوبة هنا: هي الحرمة التي يأثم إن ضيعها:
من أم أو أخت أو بنت. والتقدير: ألك ذات حوبة؟ قال الفرزدق:

فهب لي خنيسا واتخذ فيه منة ... لحوبة أم ما يسوغ شرابها

ومنه الحديث: "اتقوا الله في الحوبات" يريد النساء المحتاجات اللاتي
لا يستغنين عمن يقوم عليهن ويتعهدهن". والحوبة: الحاجة. ومنه حديث
الدعاء: "إليك أرفع حوبتي" أي حاجتي. وجاء في الحديث: "ما زال
صفوان يتحوب رحالنا منذ الليلة". التحوب هنا: صوت مع توجع. أراد به شدة
صياحه بالدعاء. قال طفيل:

فذوقوا كما ذقنا غداة محجر ... من الغيظ في أكبادنا والتحوب

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: وقد يكون التحوب: التعبد والتجنب للمآثم، ومنه
الحديث الذي يروى عن زيد بن عمرو بن نفيل: "أنه كان يخرج إلى هنالك للتحوب".
ومن غريب هذه المادة: الحوباء، وقد جاءت في حديث عمرو بن العاص رضي الله
عنه: "فعرفت أنه يريد حوباء نفسه". والحوباء: هي روع القلب، وقيل: هي

النفس. ويأتي بمعانٍ عامة (حوب) التي ذكرناها ترجع إلى أمرين: أن تكون من الحوبة بمعنى الحاجة والمسكنة، وإلى هذا ذهب ابن فارس، قال: لأن إشفاقه الإنسان على نفسه أغلب وأكثر. وإما أن تكون من الحُوب، وهو الإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الراغب الأصبهاني، قال: والحوباء: قيل هي النفس، وحقيقتها: هي النفس المرتكبة للحوب، وهي الموصوفة بقوله تعالى: ﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾

معنى الكرام. يقول عز وجل في شأن المنافقين، الذين كانوا يترددون بين المسلمين والكفار: ﴿الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾. قوله: ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ أي ألم نغلب على أمركم يا معشر الكافرين ونتمكن منكم فتركناكم وأبقينا عليكم حتى حصل لكم هذا الظفر بالمسلمين. وأصل هذه المادة (حوذ) يرجع إلى معنى الخفة والسرعة. يقال: حاذ الراعي الإبل يحوذها: أي ساقها سوقًا عنيفًا. ويقال أيضًا: حاذ الحمار أتنه يحوذها: إذا ساقها بعنف. قال العجاج:

يحوذهن وله حوذيّ

ومن ذلك: استحوذ عليه الشيطان: وذلك إذا غلبه وساقه إلى ما يريد من غيه وإضلاله. قال عز من قائل: ﴿استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله﴾ ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أعلم الإيمان الصلاة، فمن فرّغ لها قلبه وحاذ عليها بحدودها فهو مؤمن". قوله: "حاذ عليها" أي حافظ عليها — وكذا جاء في رواية — مأخوذ من حاذ الإبل يحوذها حوذًا، إذا حازها وجمعها ليسوقها. وفي الحديث: "ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان" أي استولى عليهم وحواهم إليه. ومن هذه المادة جاء "الأحوذي" وهو الرجل الجاد الحسن السياقة للأمور. ومنه قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "كان والله أحوذيًا نسيج وحده" ويروى: "أحوزيًا" بالزاي أخت الراء.

وجاء في الحديث: "أغبط الناس المؤمن الخفيف الحاذ" الحاذ: الحال والحاذ. وأصل الحاذ: طريقة المتن، وهو ما يقع عليه اللبد من ظهر الفرس، أي خفيف الظهر من العيال. ومن ذلك الحديث الآخر: "ليأتين على الناس زمان يُغبط فيه الرجل بخفة الحاذ كما يُغبط اليوم أبو العشرة" ضربه مثلاً لقلة المال والعيال. وقال الشاعر:

خفيفُ الحاذِ نسّالُ الفيافي ... وعبدٌ للصحابةِ غيرُ عبدِ

فقوله: وعبد للصحابة غير عبد: هو كما قيل: سيد القوم خادمهم.

وإلى اللقاء

صور من حياة محمود الطناحي



* صورة للطناحي أثناء دراسته الثانوية بمعهد القاهرة الديني بالأزهر الشريف، ويظهر خَطُّهُ على الصورة في نفس العام، والتاريخ ١٩٥٥.



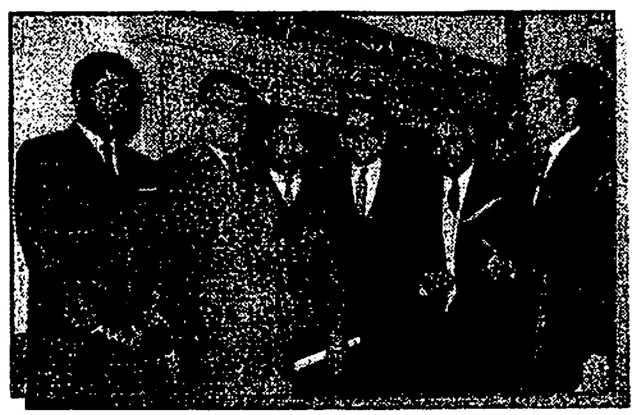
* الطناحي في آخر حياته.



* صورة نادرة للطناحي عقب حصوله على درجة الماجستير من كلية دار العلوم، تجمعه بأعضاء لجنة المناقشة وهم على الترتيب من اليمين:
أ. د/ تمام حسان، أ/ عبد السلام هارون، د/ حسين نصار، وذلك بتاريخ ١٩٧٢.



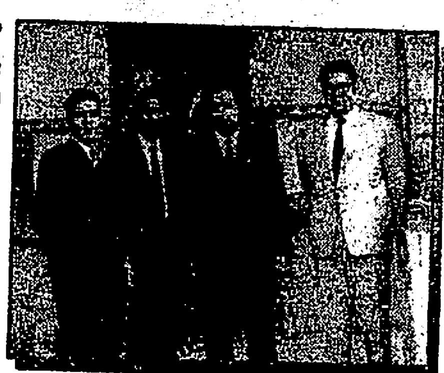
* الطناحي عقب حصوله على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم ــ جامعة القاهرة، يتوسط في الصورة الأستاذ محمود شاكر رحمه الله، والأستاذ أحمد المانع ــ المستشار الثقافي السعودي بالقاهرة آنذاك، والتاريخ ١٩٧٨.



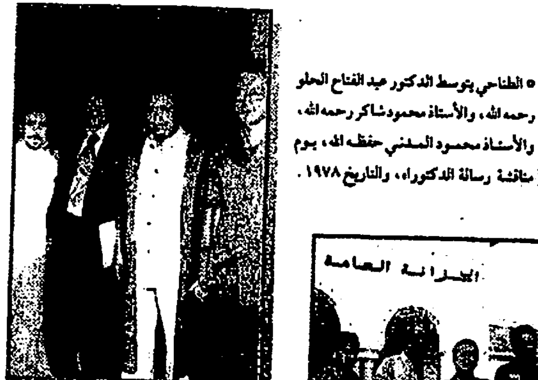
* صورة تجمع الطناحي بالأستاذ السيد صقر والدكتور حسين نصار والدكتور شكري عياد والدكتور عبد الحميد يونس والدكتور الربداوي، وذلك بإحدى قاعات المحاضرات بكلية الآداب بجامعة القاهرة، والتاريخ في ديسمبر ١٩٦٧ .



* صورة تجمع الطناحي بصديق عمره الدكتور عبد الفتاح الحلو رحمه الله، وزميله بمعهد المخطوطات الأستاذ نبيل عبد الفتاح سلّمه الله، والأستاذ محمد رشاد عبد المطلب رحمه الله، وذلك بجامعة القاهرة بتاريخ ١٩٧٢ .



* صورة تجمع الطناحي بالأستاذ الدكتور عبد الفتاح الحلو رحمه الله – من اليمين، والأستاذ الدكتور عبد الله الغنيم سلّمه الله، والشاعر الحساني عبد الله، وذلك بجامعة القاهرة، والتاريخ ١٩٧٢.

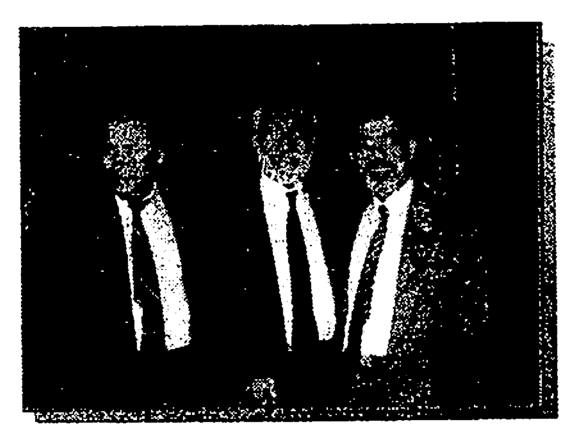


* الطناحي يتوسط الدكتور عبد الفتاح الحلو رحمه الله، والأستاذ محمود شاكر رحمه الله، والأستاذ محمود المدني حفظه الله، يوم مناقشة رسالة الدكتوراه، والتاريخ ١٩٧٨.

* صورة أمام الخزانة العامة بالرباط أثناء بعثة معهد المخطوطات العربية إلى المغرب عام ١٩٧٥، ويبدو الطناحي الأول من جهة اليمين.



* صورة تجمع الدكتور الطناحي بالعلامة الكبير الأستاذ محمود شاكر، بشرفة منزل الأستاذ شاكر رحمهما الله، والتاريخ ١٨/١١/١٩٩٣.



* صورة نادرة تجمع الطناحي مع أستاذه الشيخ شاكر رحمهما الله، وصديق عمره الأديب الأستاذ عبد الحميد البسيوني حفظه الله.

ندوة
(محمد بن تاويت الطنجى)

الطنجي، الطائر المحكي

أ.د. إبراهيم شبوح

يرحم الله محمد بن تاويت الطنجي ، فقد كان نمطًا فريدًا فيمن عرفت من علماء الأمة . عرفته برحلة ابن خلدون قبل أن ألقاه ، وسمعت باسمه في مصر مقرونًا بالتكريم في أوساط المعنيين بالتراث وبالجامعة وبدار الكتب ؛ يذكره من عرفه وجهًا مشرقًا لعلماء المغرب . وسمعت الثناء عليه من أصدقائه ورفاقه : د . عبد العزيز الأهواني ود . جمال محرز وفؤاد سيد رحمهم الله وآخرين ، يذكرون إحاطته العلمية وثقافته الإسلامية وصرامته العقلية وعمق نظره ، ويأسفون على فراقه إلى بلاد الأتراك ؛ فقد كان من الرواد المؤسسين الذين جمّعوا تلك المادة الجيدة الوفيرة من نفائس التراث الإسلامي التي قام عليها معهد المخطوطات العربية في نشأته الأولى ، وعرّفوا بها فيما عُرف بالفهرس التمهيدي .

وكانت إقامته بمصر خصبة كل الخصب ، غنية بمحتواها ، فقد أدرك النخبة الرائدة من رجال الجامعة المصرية ، فأفاد معرفة مناهج البحث العلمي وتجديد وسائل التناول للقضايا ؛ وأدرك الحياة الفكرية والعلمية والجامعة في أوجها ، فأصبح أثيرًا مقدرًا بعلمه وأدبه عند أساتيذه : أحمد أمين وطه حسين وأمين الخولي الذي خصه برعاية متواصلة ؛ وظهر متميزًا بمجلى علمه الذي برز في تحقيقه لرحلة ابن خلدون ، الذي سيبقى «نقلة نوعية» في تاريخ ما يسمونه «تحقيق النصوص» .

عرفته باستانبول في أول رحلاتي إليها في نوفمبر ١٩٦١ فأحببت فيه بساطة العالم الحق وصفاء نفسه وكرمه وعُمقه الإنساني ، وأحاطني برعاية لا أنساها ، فلم نفترق طيلة مقامي بها ، وبقيت تلك عادة تتجدد معنا إما التقينا . عرّفني بدار الخلافة مدينةً وتاريخًا ومعالم وفكرًا ، وخرجنا إلى أطرافها وجزُرها وشواطئها ، وكان يتصادى مع كل ركن فيها لأنها تاريخ الإسلام ومفاخره ، متمثلاً حياتها في أوجها ، مُلمًا بأسرار التاريخ العثماني ودقائقه .

وعرّفني على وُجوه لا أنساها ، أذكر منها المستشرق الألماني «ريتشارد رِتر» الذي قضى بين مكتبات استانبول خمسين عامًا وكتب ملحقًا على بروكلمان ، وكان وقتها في نحو الثمانين من عمره ، واستصغر سني عند تقديم الطنجي ، فأخذ ورقة وكتب فيها بيتًا من الشعر مُهمل الحروف وطلب مني أن أشكله وأقرأه ، وكان ذلك مدخل اعتباري وفاتحة الحديث بيننا .

وفى منزله ببباشكطاش أطلعنى على مكتبته ، وعجبت وقتها من تنوعها وتمددها على فروع شتى من المعرفة الإسلامية ، وأدركت سرَّ مصادره الفكرية التى لمستُها ونحن نثير قضايا التاريخ والتراث في عاصمة آل عثمان ، دار الخلافة ، فالزمان عنده متلاحم ، وحركة المجتمعات تفرز التاريخ وتحمل أعباءه وثمرته الزمان المتجدد والمتنقل فى المكان . لذلك فإن عروق المشكلات والقضايا الحديثة قديمة فى الفكر والسياسة والمجتمعات . وقد قال لى : إن مكتبته متصلة كلها بمقدمة ابن خلدون ، فلا يوجد فرع من فروع المعرفة التى تناولها إلا ولها أدلة وشروح أعدها فيها لإسعافه . وكانت حيرته كبيرة بفصل «الزَّايْرجة» وقصيدة السَّبيتى ، فلا يفتأ يُثيرها يتلمس فك غوامضها ، ومرَّ بى ذات يوم فى الفندق الذى أنزل به فى بايزيد ، وبيده رسالة مخطوطة لايُخفى سعادته بها ، وأخبرنى أنه وجدها بالصُّحفلار فى مكتبة «مظفر بك» وفيها إجابات عن أسئلة استوقفته منذ عشرين عامًا ، وذكر لى بالمناسبة أن الزمن لا يخيفه ولا يَعنيه ! فالمهم ألا يستعجل بغرض «نشر السَّبق» الذى أشاعه بعضُهم فأفسد المعرفة وشوه حقيقتها ولم يكشف عن خفايا المحجب الذى بقى على غموضه . وأذكر أنه عبَّر لى مرة ونحن نزور مقبرة السلطان محمود نبحث بين قبورها الفخمة المهيبة عن أسماء قد نعرفها ، فانطلق يحلل منزلة العلماء الأفذاذ الذين أقاموا مأتم العلم لما بلغهم بناء المدارس النظامية فى بغداد ، «واعتبروها مرحلة فاصلة بين تعلق أصحاب الهمم بالمعرفة لذاتها لتحقيق كمالهم الإنسانى وانتفاعهم بالعلم ونفعهم به ، وبين أن يتداعى الكَسالى الطامعون فى الكسب ، ينشأون على أنماط محدودة تنفصل عن كلىّ المعارف ، وتنعزل وتُهجر معهم علوم الحكمة الشريف» .

وكان فى هذا الموقف المتشدد ينظر إلى العلماء الذين أدركهم لعصره وجلس إليهم بفاس خاصة ، وتأثر بشمولية معرفتهم ودقة إلمامهم بما يُجيدونه وتحليلهم لغامض المسائل فى الحكمة وعلم الكلام والحساب وعلم الهيئة وغير ذلك من علوم الإسلام .

كان يتردد إلى دمشق فى أول الستينيات وأنا مقيم بها خبيرًا بالمديرية العامة للآثار والمتاحف ، وكانت الصداقة والمودة بيننا ممتدة بالمراسلة واللقاء المستمر ، وأذكر عن هذه الحقبة أنه كان ذات يوم يتأبط حقيبة منتفخة وهو عائد من المجمع العلمى العربى بالعادلّية ، وقال إنه كان عليه أن يسلمه للطباعة ، لكن بقيت بعض المشكلات يريد بحثها وتحريرها ، وأثار لى مسألة حسب أن يجد عندى حلها ، وهى نشأة الكتابة العربية كما ذكرها ابن النديم ، فأفدته بما أعلم عن الأصل النبطى للخط ، وعن النقوش القديمة التى تؤكد ذلك ، وبداية الجملة العربية فيها ؛ فكأن اندفاع الباحث الناشىء ، بما تعلمه ولقنه لم ينفعه ، قال إنه من الخير أن

ينتظر أيضًا فربما ينتظره الجواب الشافى فى مطاوى الكتب . وأطلعنى على قطعة منه بخطه ، أفرد فيها النص مضبوطًا بدقة بعد أن قابل نسخة تشستربيتى على نسخة استانبول ، وأثبت الفروق فى حيز خاص . ثم عرَّف بالمؤلفين والكتب وبالمصطلح تعريفًا مركزًا شاملاً وفيه إشارات لأرقام الرسائل والكتب المخطوطة بمكتبات تركيا ؛ وذكر لى أنه استفاد كثيرًا من الكتاب الذى صنفه الشيخ محمد الصفائحى التونسى ورتب فيه كل مخطوطات تركيا على المؤلفين ؛ وأَعْتَبِرُ عمله فى «الفهرست» ، بالجدية والعلم الذى عرف بهما الطنجى من أجرأ مواقف المحققين العاملين فى التراث ، فقد اقتحم العمل فيه تحديًا لتأكيد معرفته الواسعة وقدرته على إنجاز كان يُمكن أن يصرفه للأسهل الميسر ؛ وكان ملتزمًا بنشره فى مجمع دمشق ، الذى يعتبر النشر فيه تشريفًا لا يُثاب عليه .

وعرفت أنه يشتغل دائمًا فى أكثر من عمل ، بحيث يتوقف عن الواحد إلى الآخر إذا أعوزته البيانات عن التوضيح ؛ وصادف مرة أن صدرت فى دمشق نشرة لكتاب لأبى حيان التوحيدى هو «مثالب الوزيرين» فانزعج وكشف لى عن مساوىء العمل والتباس قراءة الشعر بالنثر على محققه ، وقال إنه اهتم بالكتاب ، وربما عاد إليه بهذه المناسبة . ودفعة التحدى إلى مراجعة ما بدأه وتفكيك النص وضبط تسميته ؛ وعاد به بعد نحو شهرين محققًا وقدمه للأمير جعفر الحسنى أمين المجمع وقتها فأُخرج بأولوية تامة باسم أخلاق الوزيرين .

لقد وضع الطنجى بنشره لرحلة ابن خلدون مستوى جديدًا فى فن نشر النصوص لم يُسبق إليه ، وكان زيادةً استعمل فيها وفرة المعرفة المتصلة بالنص على تنوعها الموسوعى ودقة الضبط بحيث قيّد كل شاردة من فرق نصى أو معنًى ، ونفذ إلى خفايا النص والنصوص المتصلة به لغة وفهمًا ومجالاً . وقد أشار إلى «أن الشروح التى أثبتها هى نوافل تعبر عن خبرة خاصة بمقاصد المؤلف أو موضوع الكتاب» . وكانت مقدمته الجامعة إثراءً لتلك الثقافة الموسوعية الملمة ، ومن أدق ما تضمنته ترتيبه للنسخ الخطية التى اعتمدها بعد أن توالد بعضها من بعض ، وهو بذلك يطبق المناهج العلمية الحديثة فى نشر النصوص كما تلقاها من الجامعة المصرية أيام الطلب ، وأثر دروس برجستراسر فى منهج تحقيق النصوص لا يزال يتردد فى رحابها . وقد فصل فروق النسخ عن شروحه وتعليقاته لأنها من طبيعة خاصة ملتحمة بأصل النص ؛ ولم تكن شروحه معتادة فى أسلوبها وضغطها ودقة محتوياتها ووفرة مصادرها المعتمدة ، فقد خرجت على ما تقدمها من الاستفاضة التى تشط فيها الأقلام ، واقتصرت على اللباب ، وكان معيار هذه القدرة الحقيقية فى إدراك معانى النصوص تلك الكفاية العالية

التى باشر بها شرح نصوص ابن الخطيب وما تضمنته من لغة وإشارات ومعارف ولفتات تاريخية و«توريات بمصطلحات العلوم التى كان يعرفها ، وما أوسع ما كان يعرفه ابن الخطيب من العلوم» [تعريف له] وجاءت تعريفاته بالأماكن والبلدان دقيقة فى الغالب حاول جهده أن يجد للمسمى وجودًا على الخارطات الحديثة معرفة بخطوط الطول والعرض ، ولم يلجأ إلى الإشارة إلى المصادر المنقطعة غير المحددة إلا فيما لم يتضح له مما درس وانقطع ، أو تحرفت تسميته فانبهم على القارىء قراءته . وكانت معرفته الواسعة بالعروض واضحة فقد استقامت له قراءة النصوص الشعرية أقوم استقامة ، وهو ما تأكد له بعد ذلك عندما نشر فى المرحلة التركية كتاب «المُكاثرة» .

وبلغت عنايته بالأصول أن جرد منها الكلمات والأسماء التى ضبطها المؤلف بخطه ، ولو خالف نفسه بين ضبط وضبط ، وأردفها فى فهرس مهم بآخر نشرة الكتاب ، وقد شجعنى على مثل ذلك العمل عندما أطلعته بدمشق سنة ١٩٦١ على الفهرس الذى استخرجته من أصل كتاب برنامج ابن الفخار الرعينى الأندلسى للكلمات والأسماء المضبوطة بالشكل وبتوجيهه نشرتُه بآخر الكتاب ، ولعله كان الأول الذى سن هذه السنة .

ورغم هذا الجهد الرائد فى هذا المدخل المثالى الذى أقامه لتحقيق النص ، فقد فاتته فوائت ووقع فى مآخذ ليست بذات شأن يتصل بعضها باستكمال بعض الفهارس كفهرس المصادر والمراجع ، وتعابير ابن خلدون التى تميز أسلوبه فى الكتابة . وربما كان أهم ما ينتظر من مقدمته الجيدة بحث نشأة نص «التعريف» نفسه - وهو تساؤل ما زال قائمًا - هل كتبه بآخر النسخة الحفصية التى لم يبق لها أثر ، أم أنه بدأ فى تحريره بعد الهجرة وضمنه سيرته الذاتية على عادة علماء الشرق . وذلك مثل هذه التراجم التى لم يعرف المغاربة والأندلسيون منها غير فهارس وبرامج الشيوخ والمرويات . وهى من باب توثيق السند العلمى ، أو الرحلات التى تجمع بين التحصيل وتوثيق الأسانيد والجغرافيا الوصفية .

أذكر أنى طلبت إليه ذات مرة أن أزور معه مكتبة كوبرلى زاده ، وهناك انصرف كل منا إلى عناوين يطلبها ويتأملها . واستوقفتنى نسخة قديمة من كتاب الرّخامة لثابت بن قرة الحرانى بخطوط القرن الرابع الهجرى . وأفادنى ونحن نتحادث فى طريق العودة أنه يُجيد صنع الرّخامة ووضعها ، وقد درس أصول علم الهيئة والفلك والرّخامة على الشيخ عبد الحى الكتانى أو الشيخ العلمى - لا أذكر أيهما - فى فاس ؛ وأفاد أنه يهتم بكتاب يحققه على

نسخة فريدة نادرة فى مكتبة الفاتح ، هو كتاب «تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن» لأبى الريحان البيرونى . وأخذ يتحدث - حديث العالم الواثق - عن الرصد وجهد علماء المسلمين المشترك فى اكتشاف وتدقيق أوضاع الأجرام العليا وتجاوزهم لمجسطى بطلميوس وشروحهم عليه ؛ وقد ظهر الكتاب بعد زمن وجيز مجلىً لثقافته الموسوعية ومتانتها .

لقد كانت أيام استانبول ودمشق وبيروت أيامًا لا تنسى ، ففى ذاكرتى صورة لا تغيب ، صورة هذا العالم المتفرد بجملة أشياء لم تجتمع لغيره ، فقد وعى ثقافة أمته الإسلامية وروحها وعلمها ؛ وعاش زهرة حياته يصارع العزلة والصمت الذى يلفه ولا يجد لعلمه سائلاً . ويدرك الذين أحبوه وأحبهم أنه كان إلى وفائه وكرمه وحسن لقائه نقادًا للرجال ، شديدًا فى أحكامه على قاعدة الجرح والتعديل . وقد سمعت رأيه فى أسماء ملأت آذاننا ، وتعجبت ، ثم إذا هو لم يتجاوز حقيقة الأشياء .

رحمه الله ، فقد كان من مفاخر المغرب ، ومن أشمل وأدق علماء التراث الإسلامى .

ندوة
(شوقي ضيف)

شوقي ضيف وتحقيق التراث

أ.د.حسين.نصار

الدكتور شوقي ضيف -في اعتقادي- له صورة واضحة دقيقة في أذهان المتصلين بالثقافة العربية ، هي صورة مؤرخ الأدب العربي ، والأدب العربي القديم بخاصة فهو - في ظني - صاحب أكبر موسوعة أرخت للأدب العربي منذ مولده .

أما الذين تشتد الصلة بينهم وبين الثقافة العربية فيوسعون هذه الصورة بإضافة مجالات أخرى كثيرة ، يقرب بعضها من تاريخ الأدب ، ويبعد بعضها الآخر ، إذ يذكرون مساهماته الأخرى في البلاغة والنقد والنحو والتفسير .

إذن لي الحق أن أقول : إن شوقي ضيف واحد من كبار رجال التراث العربي لا الأدب وحده . وأعني بذلك أحد كبار دارسي التراث . أما تحقيق التراث فلا تضارع جهوده فيه جهوده في الدراسة .

فقد انفرد - فيما أذكر - بتحقيق ستة كتب ، هي :

١- الرد على النحاة لابن مضاء الأندلسي (١٩٤٧)

٢- رسائل الصاحب بن عباد (١٩٤٨)

٣- نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم (١٩٥١)

٤- المغرب في حلى المغرب - القسم الخاص بالأندلس (١٩٥٣)

٥- الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر (١٩٦٦)

٦- السبعة في القراءات لابن مجاهد (١٩٧٢)

واشترك مع الأستاذ أحمد أمين وإحسان عباس في تحقيق القسم المصري من «خريدة القصر وجريدة العصر» للعماد الأصفهاني (١٩٥١) ، ومع د . زكي محمد حسن و د .سيدة إسماعيل الكاشف في تحقيق الجزء الأول من القسم المصري من «المغرب في حلى المغرب»(١٩٥٣) .

ومع ذلك فالدكتور شوقي ضيف عارف أحسن المعرفة بأهمية التحقيق لمؤرخ الأدب ودارسه ، فلا ريب عنده في أن نشر النصوص ودراستها أول خطوة ينبغي أن يبدأ بها من يتحدثون عن أدب أمة من الأمم . (خريدة ق) .

فالمخطوط المحقق قد يحمل الحقائق الأدبية التى نجهلها ، فتدفع الدارسين دفعًا إلى أن يعيدوا النظر فى دراساتهم وما نثروه من أحكام فيها ، فيعدلوا فى هذه الأحكام تارة ، ويلغوها ويثبتوا موضعها أحكاما جديدة تارة أخرى .(المغرب والأندلس ح) .

وراعى الدكتور شوقى ضيف فى الكتب التى حققها أن تكون لها قيمتها الخاصة التى تجعلها جديرة بالإحياء . فقد كان ابن مضاء - مؤلف أول كتاب حققه - «مقرئًا مجودًا ، محدثًا مكثرًا ، قديم السماع ، واسع الرواية ، عارف بالأصول والكلام والطب والحساب والهندسة ، ثاقب الذهن ، متوقد الذكاء ، شاعرًا بارعًا ، كاتبًا» . (الرد ١) .

واستدل من كتابه أنه «صفى النحو العربى ، لا من نظرية العامل فقط ، بل من كل ما يتصل بتصعيبه وتعقيده . وبذلك وضع تحت أعين الباحثين - من بعده - خير الطرق التى يحسن بهم أن يتبعوها فى إصلاح النحو العربى إصلاحًا لا يقوم على اقتراح علل ثوان وثوالث مكان علل قديمة . . وإنما يقوم على احترام العمل القديم ، وتخليصه من كل ما يعوق جريانه وانطلاقه فى العقول والأفهام» . (الرد ١٢) .

وكان ابن عباد - مؤلف الكتاب الثانى - على مكانته فى الأدب ، وذيوع صيته فيه ، وتوليه الوزارة زمنًا مديدًا فى القرن الرابع ، عصر ازدهار الكتابة العربية ، لم تنشر رسائله ، فلم يقدر الأدباء مكانته بين كتاب عصره ، إلا بما قرءوا فى كتب الأدب نُبذا من كلامه ، أو إطراء لأدبه ، أو نقدًا لطريقته . (٢)

وأبان قيمة رسائله ، فرآها فى مجالين :

قيمة تاريخية لأنها وثائق تاريخية مهمة عن العصر البويهى ، وقيمة أدبية أعظم من القيمة التاريخية ، إذ نطلع منها على رسوم الكتابة الديوانية فى إيران لهذه العصور ،لأنه لم يُنشر - قبلها - لوزير من وزراء بنى بويه مجموع من الرسائل يماثلها ، بل لقد ضاعت رسائل هؤلاء الوزراء جملة ، ولم يبق منها إلا قليل موجود فى يتيمة الدهر للثعالبى ومعجم الأدباء لياقوت وغيرهما من كتب الأدب . (ف) .

ورأى القسم المصرى من الخريدة نفيسًا يتميز بمجموعتين من القيم :

أما أُولاهما فقيم ذاتية تصورها المنتخبات التى تنخلها العماد لكل شاعر وما ادخرت من جمال فنى . فقد جمع بين دفتى هذا القسم كل ما استطاع من عيون النماذج وفرائدها ، وغرائب الأساليب ونواصعها ، وبدائع الصور وعجائبها ، ولطائف المعانى ودقائقها .

وأما ثانيتهما فقيم موضوعية ترجع إلى تمثيل هذا القسم لجوانب الحياتين السياسية والاجتماعية فى مصر فى أثناء القرن السادس ، وما اضطرب فيه الشعراء من ظروف مادية وروحية .

فهو إذن أول نص قيم ينشر فى تاريخ الشعر المصرى ، ويمثل عصرًا زاهيًا من عصوره . (ص) .

كذلك عد ابن حزم القمة التى وصلت إليها الآداب والثقافة فى عصر الخلفاء الأمويين والشطر الأول من عصر ملوك الطوائف ، وكل عمل له جديرًا بالعناية والاهتمام . كان - سواء فى شخصيته أو ثقافته أو أدبه - خير ثمرة قدمتها قرطبة حتى عصره للناس ، نشيطًا إلى أبعد حدود النشاط ، ألف فى مختلف فروع الثقافة ، وظهر عبقرية فذة فى كل ما ألف ودون فى الفقه والأصول والمنطق والكلام والفرق والتاريخ . (٤٤) .

ووجد محمد بن فتوح الحميدى - راوى الرسالة - أحد تلامذة ابن حزم ، الذين أجاز لهم رواية جميع كتبه ، ومن أجل ذلك تكون روايته ذات قيمة حقيقية (٤١) .

أما الرسالة فعدها نصًا نفيسًا ، إذ ضمت الخطوط العامة للخلافة الإسلامية والخلفاء حتى عصر ابن حزم ، سواء ما اتصل بإقامة هذا النظام وانتقاله من عصر إلى عصر ، ومن خليفة إلى خليفة ، بعهد أو مغالبة ، وما أصاب هذا النظام من تدهور وفساد ، شهد ابن حزم بعينيه منه جوانب فى بلده . وتفيض فى تفاصيل شخصية كثيرة عن الخلفاء وأبنائهم ونسائهم ، وحتى من تسمى بالخلافة من غير قريش ، ومن أراد أن يتسمى بها ثم امتنع . فهى خير معين لمن يريد أن يدرس نظام الخلافة الإسلامية ، ويطلع على حسناته وعيوبه . فالمؤلف لم يترك من ذلك شيئًا إلا أحصاه ، وله فى ذلك عقلية ممتازة .(٤٤، ٤٥)

ووجد المغرب أيضا كتابًا نفيسًا ، توارثه مؤلفوه الستة مدة مئة وخمس عشرة سنة ، واصلين فيه كلال الليل بكلال النهار ، ينقحون ويهذبون ، حتى لا يعرضوا إلا الصافى الخالص من جواهر الشعر ، وما يخطف سناه الأبصار من الموشحات والأزجال .

وأرجع منزلته الكبيرة إلى أمور ثلاثة :

الأول : أنه حفظ لنا بعض كتب التاريخ ذات الشأن العظيم .

والثانى : أنه ربط بين التاريخ وتقويم البلدان (الجغرافيا) .

والثالث : أنه اعتمد على الرواية الشفوية اعتمادًا عظيمًا .

ووجد نفسه وهو يفحص «الدرر» بإزاء سيرة نبوية محررة ، سيرة لا تعتمد على كتب السيرة المشهورة وحدها ، بل تعتمد أيضًا على كتب الحديث ورواية الموثقين ، مع الموازنة بين الأخبار والأحاديث ، واستخلاص الآراء الصحيحة ، ومع الوفاء بالدقة فى أسماء الأعلام ، ومع التوقف فى موضع التوقف والنفوذ إلى الرأى السليم ، ومع المعرفة الواسعة بالحديث ورجاله وتمييز صحيحة من زائفه . (١٤) .

وكان شوقى ضيف نقادة فى النسخ التى اعتمد عليها فى التحقيق . فاعتمد فى رسائل الصاحب على نسخة كتبها على بن أحمد بن زكريا المعروف بابن الشصاص البغدادى فى همذان سنة ٥٧٧ ، دون عنواناتها بخط الثلث ، وسائرها بخط النسخ ، وأتم إعجامها إلا ماسها عنه ، وميز بين الحروف المهملة الحاء والراء والسين والحروف المعجمة التى تشتبه بها واضحة . وفى الجملة كانت كتابتها واضحة .

واعتمد فى تحقيق الخريدة على نسختين :

إحداهما مصورة عن مخطوطة فى المكتبة الأهلية بباريس . وهى مخطوطة قديمة كُتبت فى عصر قريب من عصر العماد المؤلف ، وربما نُسخت من نفس نسخته . وكُتبت بخط نسخ حسن ، وعنواناتها بخط الثلث ، وإعجامها تام ، وشكلها كامل ودقيق . (ى) .

والثانية مصورة عن مكتبة نور عثمانية بالأستانة . ويغلب على الظن أن تكون كتبت فى القرن التاسع الهجرى . وهى بخط نسخ صغير ما عدا عنواناتها فقد كُتبت بخط الثلث ، وإعجامها كامل ، وشكلها كثير . (و ، ى) .

واعتمد فى نقط العروس على نسخة قديمة محفوظة فى مكتبة بايزيد فى تركيا ، وطبعة سابقة للمستشرق زيبولد .

أما المغرب فقد اعتمد فى تحقيقه على نسخة بخط ابن سعيد ، آخر من توالوا على تأليفه .

واعتمد فى تحقيق الطبعة الأولى من «الدرر» على نسخة نفيسة تملكها الزبيدى اللغوى ووقفها مع ما وقفه من الكتب لانتفاع طلاب العلم بها ، وعليها تعليقات للمؤرخ شمس الدين السخاوى . وأضاف إليها فى الطبعة الثانية مخطوطة أخرى ، عثر عليها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية فى الخزانة العامة بالرباط .

واتخذ شوقى ضيف منهجًا سليمًا للتحقيق . فقد لجأ أول ما لجأ إلى توثيق عنوان الكتاب ونسبته إلى صاحبه . فذكر فى الرد على النحاة أنه جاء فى أول المخطوطة أن مؤلفها ابن مضاء ، وجاء فى تضاعيف الكتاب ما يدل على أن مؤلفه أندلسى ، معاصر للسهيلى المتوفى عام ٨٥١ ، وعلى أنه ألفه بعد هذه السنة لأنه حين ذكر السهيلى أعقبه بقوله : رحمه الله ، وأنه ألفه فى عصر يعقوب ابن تاشفين ثالث خلفاء الموحدين ، الذى امتد حكمه من ٥٨٠ إلى ٥٩٥ . كذلك يلحظ من يقرأ الكتاب أن صاحبه يبيح حذف الفاعل ، وهو رأى نسبه السيوطى فى «جمع الجوامع» لابن مضاء (٢) . واتبع هذا المنهج فى توثيق الدرر والسبعة .

وعرض ما فى رسائل الصاحب على ما رواه له ثقات الأدباء والمؤرخين ، فوجد رسالة منها فى يتيمة الدهر للثعالبى ، وأخرى فى خزانة الأدب للبغدادى . كما عرضها على التاريخ : فوافق ما تضمنته من الأحداث والأحوال ما رواه الثقات من المؤرخين عن دولة بنى بويه . ووجد فيها من أحوال دولتهم وأخبارها وذكر رجالها مالا يدع شكا فى أنها لوزير من وزرائهم ، ومن الأمور التى تخص الصاحب كاستقبال عضد الدولة إياه ، واهتمامه بالمعتزلة ومذهبهم ، ما لا يترك ريبة فى أن كاتبها هو الصاحب إسماعيل بن عباد ، الوزير المعتزلى .

واعتمد فى كتاب «السبعة» على نسختين متأخرتين ، ولكنه أضاف إليهما كتاب «الحجة» لأبى على الفارسى تلميذ ابن مجاهد وشارح كتابه ، فصح له التحقيق .

ووصف منهجه فى تحقيق رسائل الصاحب بأنه صحح غلطها ، وقوم تحريفها ، جهد الطاقة ، ونشرها نصًا كاملاً صحيحًا إلا كلمات قليلة تعوزها المراجعة ، وأثبت بين أقواس كلمات يقتضيها سياق الكلام ، قدر أنها سقطت من الناسخ ، ولم يزد على هذا إلا ترقيم الرسائل فى كل باب ليسهل الرجوع إليها . (أ) .

وهو منهج سليم عندما يعتمد المحقق على نسخة وحيدة .

أما فى تحقيق الخريدة فقد وضع المختصر الذى صنعه على رضائى لها وسماه «عود الشباب» رصدًا على ما عثر عليه منها ، واعتمد عليه فى إعادة ترتيب أصوله التى كانت أوراقًا مشتتة ، وفى التحقيق أيضًا . وتناول النص فرمم ثغراته ، وعرضه على كتب اللغة وكل ما أمكنه من كتب مخطوطة ومطبوعة ، وخاصة تلك التى استمدت منه مثل المغرب ، فأفاد منها جميعا فوائد جمة . (ح) .

وذكر فى المغرب وغيره من الكتب التى حققها أنه أفاد فوائد جمة من معارضة هذا النص على الأصول التى استمد منها ، والفروع التى أخذت عنه ، وخاصة فيما صادفه من محو أو تأكل (الأندلس ح) .

ومن ثم برزت الكتب التى حققها الدكتور شوقى ضيف وضيئة مشرقة ، قد توفرت لها أسباب السلامة والإبانة ، التى يسعى لتملكها كل محقق مجيد .

شوقى ضيف ورحلة التعادل الأكاديمى

بين القديم والجديد

أ.د/ عفت الشرقاوى

عرفت مصر مرحلة جديدة منذ عهد «محمد على» مؤسس مصر الحديثة ، فقد بدأ بذلك عهد الانفتاح على الثقافة الغربية عن طريق بعثاته إلى أوربا . ورويدًا رويدًا ازداد الاهتمام بالتعليم المدنى . وكان من ذلك تكون العديد من اللجان الأهلية واللجان الخاصة لتشجيع إنشاء المدارس منذ عهد الخديوى إسماعيل ، وازداد بذلك عدد المتعلمين الذين كانوا يرون أن التعليم هو الوسيلة التى تعينهم على استكشاف آفاق جديدة من المعرفة للإفادة من كنوز البيئة الجغرافية التى وهبها الله لمصر والمصريين .

وفى ظل هذا الوعى المتزايد بأهمية التعليم تعاونت جهود خاصة على إنشاء الجامعة المصرية التى يواكب افتتاحها سنة ١٩٠٧ مولد أستاذنا الكبير الدكتور أحمد شوقى ضيف سنة ١٩١٠ ، كأنه وهذه الجامعة الناشئة كانا على موعد مع القدر ، ليصبح له ضمن النخبة المتعلمة دور الريادة الفكرية المتوازنة ، بعد أن أتم رحلته العلمية بها بحصوله على درجة الدكتوراه سنة ١٩٤٢ بمرتبة الشرف الممتازة . وكانت هذه الرحلة العلمية الناجحة قد بدأت فى كتّاب ساذج بمدينة دمياط حيث أتم حفظ القرآن الكريم ، والتحق بالمعهد الدينى الابتدائى فى سن العاشرة ، وتخرج فيه ، ثم التحق بالمعهد الدينى الثانوى بالزقازيق ، وانتقل منه إلى تجهيزية دار العلوم ، حيث حصل على «البكالوريا» ، ومنها التحق بجامعة القاهرة طالبًا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب ، حيث حصل على درجة الليسانس سنة ١٩٣٥ ، ثم درجة الماجستير سنة ١٩٣٩ ، ثم الدكتوراه سنة ١٩٤٢ ، كما سبقت الإشارة .

وهكذا بدأ الانفتاح على ثقافة العصر بجهود محمد على باشا لتحديث مصر وسعيه لجعلها دولة عصرية ذات جيش نظامى قومى ، وتطورت هذه الجهود ليصبح الأمر فى أيدى المصريين أصحاب الجامعة الوليدة .

وكان من الطبيعى أن يزداد طموح الرعيل الأول من أساتذة الجامعة ، بتطور الحياة الثقافية والسياسية فى مصر ، فتنشأ تيارات للتجديد ذات حماسة بالغة ، وتنطلق بعض مناهج الدرس الجامعى فى مصر إلى الانفتاح على ثقافة الغرب .

وكان هناك من أصحاب المذاهب المحافظة من يتصدون لهذا الجديد الذى يرون فيه خطرًا على القيم التقليدية لثقافة المجتمع الإسلامى فى مصر ، وخصوصًا فى ضوء الاعتقاد الأوربى بمركزية الثقافة الغربية ، وهى المركزية التى تعرض لها فى النصف الأول من القرن الماضى كل من «اشبنجلر» و «توينبى» بالنقد الصارم والرفض الصريح .

كان كل من المؤرخين السابقين يدعو إلى ثورة كوبرنيكية فى دراسة ثقافات الشعوب تصحح وهم المؤرخين الأوربيين الذين يتصورون حضارتهم قطبًا ثابتًا للثقافات ينبغى أن تقاس على أساسه ثقافات الشعوب الأخرى ، مثلما توهم آخرون من قبل كوبرنيكس أن كوكب الأرض ثابت ، وأنه محور دوران لجميع الكواكب .

وكان لهذا الجدل الفلسفى حول مركزية الحضارة الغربية الواحدة فى مقابل القول بتعدد الحضارات أصداء ثقافية فى مناهج البحث الجامعى لدى أساتذة الجامعة الوليدة التى ارتبطت بنمو الشعور القومى ونشأة الوعى الديمقراطى بالوطنية المصرية ، ، ومن هؤلاء الأساتذة شوقى ضيف . وكان من آثار ذلك ما يمكن تسميته بتأسيس فقه الثورة المنهجية ، فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بالجامعة الناشئة . وقد حمل لواء هذه الثورة ثلاثة أعلام كبار رأوا أن يفرقوا بين الثابت والمتحول فى ثقافتنا العربية ، وأن يفتحوا أبواب المعرفة العالية أمام شباب الجامعيين ، وذلك بالانقطاع المعرفى عما لا ينفع من القديم ، والانفتاح العلمى المتحرر على ما ينفع من الجديد ، ولو على سبيل الشك المنهجى المؤسس على الضبط العلمى الدقيق .

وكان على الجانب الآخر رؤية تتمسك بالمحافظة على تقاليد الثقافة الموروثة ، كما وردت ، والوقوف ضد محاولات النقد والتصنيف والمفاضلة بين الثابت والمتحول . كان الطبع الغالب على هذا الاتجاه انغلاقاً يسد الأبواب ، وهو اتجاه تنتمى إليه جماعات مختلفة داخل الجامعة وخارجها لأسباب تاريخية جديدة ، ترى الأخذ بمبدأ التقليد بحلوله التاريخية الجاهزة التى سادت خلال قرون طويلة قبل العصر الحديث .

كان لهذا الصراع بين القديم والجديد فى الفكر المصرى الحديث صداه فى مناهج الدرس الجامعى ، كما سبقت الإشارة ، وقد تجلى ذلك فى فكر ثلاثة من مؤسسى فكر التجديد فى الجامعة هم الأساتذة طه حسين ، وأمين الخولى ، ومصطفى عبد الرازق .

أما الدكتور طه حسين فكان له دوره فى الدعوة إلى تأسيس منهج علمى يقوم على تجديد التفكير فيما ننظر من قضايا الأدب والثقافة كما هو معروف . وأعلن عن رفض حاد

لمناهج الدراسة الأدبية السائدة آنذاك فى بيئات مصر الثلاث : الأزهر الشريف ، ودار العلوم ، ومدرسة القضاء الشرعى . وقد دعا إلى تبنى منهج جديد يمتحن صحة الشعر الجاهلى مشككًا فيما نقل إلينا منه . وقد أحدث كتابه فى ذلك ضجة وغوغائية ، أدت بعض الأقلام إلى اتهامه فى ولائه الدينى والقومى ، على ما هو معروف فى تاريخ الفكر المصرى الحديث ، وخصوصًا فيما يتعلق بترديد مقولات المستشرقين والترويج لها فى زعمهم .

وعلى الرغم من ذلك أصر طه حسين على حمل رسالته والإعلان عن رأيه فيما كتب من مقالات وكتب ، وخصوصًا فى كتابه «مستقبل الثقافة فى مصر» الذى اعتبره بعضهم طعنًا على القومية العربية فى الصميم .

وأما الداعية الثانى للثورة المنهجية ، فقد كان الشيخ أمين الخولى ، وكانت الجامعة فى أول نشأتها الرسمية فى ختام الربع الأول من القرن العشرين ، قد وجدت الحاجة فى درس الأدب وتاريخه إلى القول فى القرآن الكريم ، بما فى ذلك علاقة النص بالتاريخ الأدبى . وكان من أبحاثها ما لقى معارضة من جهات محافظة وصفها بعضهم بأنها أثارت غوغائية ذات نزعة متحجرة ، ورغبة فى مهاجمة الجامعة والإغارة عليها ، مع أن الشيخ كان يكرر دائمًا أن هدفه هو النظرة البلاغية للنص التى تقوم على رؤية أدبية تتمثل الجمال القولى فى الأسلوب القرآنى ، بصرف النظر عن الإعجاز العلمى أو التاريخى للنص الدينى .

وأما الداعية الثالث للثورة المنهجية فقد كان الشيخ مصطفى عبد الرازق الذى كان أستاذًا فى قسم الفلسفة ، وحمل لواء التجديد فى الفكر الإسلامى بعد الإمام محمد عبده . وكان فى كتابه «تمهيد لتاريخ الفلسفة» قد نقد مقالات الغربيين والإسلاميين فى الفلسفة الإسلامية نقدًا صارمًا وأعلن عن دعوة إلى دراسة الفلسفة الإسلامية ، على أساس من البحث فى نشأة مذاهب أهل الرأى فى الفقه ، فهذه هى الفلسفة الحقيقية التى عنى الفكر الإسلامى بها دون النقل عن ثقافة أجنبية . وعلى الرغم من ذلك فإن مصطفى عبد الرازق لايخفى إعجابه بما بذله الغربيون من جهود فى دراسة الفلسفة الإسلامية وتاريخها ، فقد بذلوا من الصبر والنشاط وسعة الاطلاع ، وحسن الطريقة ، ما يستحق التقدير ، على الرغم من ثورته الفكرية على تأصيل الفلسفة الإسلامية بتقاليدها الموروثة ، فهذا ما يمكن تجاوزه عند التأريخ للفكر الإسلامى على الحقيقة .

عاش شوقى ضيف هذه الثورات الثلاث طالبًا على أيدى هؤلاء الأساتذة ثم زميلاً لهم ، كما عرف فى الوقت نفسه تيارات فكرية ذات نزعة محافظة فى قسم اللغة العربية آنذاك ، لم تكن ترضى عن هذه النزعات التجديدية وتقف منها موقف النقد الصارم وكان هذا من طبيعة

التطور ونظام الحياة الفكرية عبر التاريخ دائمًا : صراع القديم والجديد . الذى شغل الجامعة والجامعيين منذ التحاق شوقى ضيف بها .

لقد اقتضى نظام التقدم فى الحياة أن يكون هناك دائمًا جدل بين القديم والجديد ، إذ لا يمكن اطراح القديم إطراحًا طائشًا فى سبيل الجديد ، كما لا يمكن الانغلاق على القديم دون تجديد . هذه هى حركة الحياة والأحياء . وهذا ما نريد أن ننتهى إليه هنا فى هذه الكلمة ، إذ كان شوقى ضيف حلقة الوصل القوية بين القديم والجديد فى قسم اللغة العربية . كان له منهجه فى دراسة القديم على أسس موضوعية دقيقة لا تجنح إلى الحماسة التى قد توقع فى المبالغة أو الافتراض ، وإنما تقوم على قراءة القديم فى ضوء مناهج حديثة تضعه فى إطاره التاريخى الصحيح ، ولذلك فإن شوقى ضيف أحد المؤلفين القلائل الذين لاتملك أن تختلف معهم علميًا ، سواء كنت من أنصار الجديد ، أم من أنصار القديم ، فسياسة التوازن العلمى القائم على ضوابط منهجية وتاريخية صادقة تدعوك دائمًا إلى الإعجاب بالأستاذ والاعتماد عليه دائمًا ، فيما يقدم من مناقشات علمية . من أجل ذلك ، فأنت لا تستطيع أن تنسب شوقى ضيف إلى أى المناهج الثورية الثلاثة دون أن تكون متجاوزًا لبعض الحقيقة ، فقد تأثر بطه حسين ، وأمين الخولى ، ومصطفى عبدالرازق جميعًا ، ولكنه تأثر بغيرهم من الأساتذة والزملاء على اختلافهم ، دون أن يكون فى النهاية صورة مطابقة لواحد بعينه من كل هؤلاء الذين تتلمذ عليهم أو زاملهم فى رحلته الجامعية .

ويبقى شوقى ضيف دائمًا نسيج وحده : مؤلفًا فى الدراسات الإسلامية ، وله فى ذلك سبعة كتب أهمها كتابه : الوجيز فى تفسير القرآن الكريم ، ومؤلفًا فى الدراسات النقدية ، وله فى ذلك ثلاثة كتب ، ثم مؤلفًا فى تاريخ الأدب العربى فى مختلف عصوره وأقاليمه : ابتداء من العصر الجاهلى إلى عصور الدول والإمارات ، وذلك فى عشرة كتب .

أما كتبه فى الدراسات البلاغية واللغوية فقد بلغت خمسة كتب أهمها كتاب البلاغة : تطور وتاريخ . وفى الدراسات الأدبية كتب شوقى ضيف اثنى عشر كتابًا ، أهمها الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ، والفن ومذاهبه فى النثر العربى .

وكان لشوقى ضيف فى التحقيق جهد يستحق التقدير والإعجاب أيضًا ، فقد حقق ستة كتب منها كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى ، وكتاب السبعة فى القراءات لابن مجاهد . وهناك غير ذلك كثير من المقالات والأبحاث فى المجلات العلمية والمؤتمرات الدولية .

وبعد : ففى اعتقادى أن مؤلفات شوقى ضيف وحدها يمكن أن تؤسس خبرة شبه كاملة لباحث طموح يبحث عن آفاق من التخصصات المتعددة فى هذه المكتبة الشوقيـة الخالدة بضبطها المنهجى الدقيق ، وبتوازنها الأكاديمى الرفيع بين القديم والجديد .

شوقى ضيف

أ.د / عبد الستار الحلوجى

يتهيب المرء ويشعر بالضآلة حين يقترب من شوقى ضيف ، ويتهيب أكثر حين يتصدى للحديث أو الكتابة عنه . فهو بحر زخار وقمة شاهقة ونموذج رائع للعلم والفضل ومكارم الأخلاق . ولذا يصعب على أى إنسان أن يوفيه حقه وأن يستوعب جوانب العظمة فى شخصيته ، والأصالة والإبداع فى مؤلفاته التى أثرى بها المكتبة العربية على مدى أكثر من نصف قرن من الزمان .

كان كالنهر العظيم الذى يتدفق بالخير ، وينشر الخصب والنماء ، وكالجبل الأشم الذى لا يتأثر بالعواصف والأعاصير .

كان كالنهر فى عمقه وصفائه وعذوبته وثرائه ، وكالجبل فى رسوخه وشموخه .

كان وقورًا مهيبًا ، وكان أستاذا بكل معانى الأستاذية ، وإنسانًا بأدق ما تحمله الكلمة من معانى النبل والعطاء والنقاء .

كان قمة فى العلم ، ولم تكن قامته فى السلوك أقل من قامته العلمية . ولعلى لا أبالغ إذا قلت إنه لم يكن قمة واحدة وإنما مجموعة من القمم اندمجت فى شخصيته فى تآلف وتجانس وتوافق منقطع النظير . ولهذا كان قدوة لنا فى حركاته وسكناته وكل تصرفاته ، وكان يمثل فى نظرنا صورة العالم المتبتل فى محراب علمه ، القانع بما يصنع فى هدوء وصمت .

كان عظيمًا وكان فى الوقت نفسه غاية فى البساطة والتواضع ولين الجانب . ولم يكن تواضعه مكتسبًا وإنما كان صفة أصيلة فيه .

كان مهذبًا ورقيقًا وودودًا إلى أقصى درجة . لم يرفع صوته يومًا على أحد من زملائه ولا حتى من تلاميذه ، ولم يُعاد أحدًا من خلق الله رغم كثرة العداوات من حوله . ومن ثم كان من القلائل الذين لا يختلف حولهم اثنان ، والذين يُجمع الناس على حبهم واحترامهم .

لم يسع إلى الشهرة ، ولم تبهره الأضواء فى يوم من الأيام ، وإنما كان على العكس من ذلك تمامًا . فلم يكن من هواة الأحاديث الإذاعية ، ولا من أصحاب البرامج التليفزيونية ، ولا من كتّاب الصحف . وحين كتب للأهرام لم يكن من كتّابها المنتظمين وإنما استكتبته الصحيفة فى رمضان فم تخرج كتابته عن تفسير سورة الرحمن وبعض قصار السور .

لم يسع إلى أى جائزة وإنما سعت إليه أكبر الجوائز لتشرف به قبل أن يشرف بها . وحين رشحه قسم اللغة العربية بكلية الآداب لجائزة الملك فيصل العالمية فى الأدب فى عام ١٩٨٣ ذهب إلى الدكتور حسين نصار (وكان وقتها عميدًا للكلية) يطلب منه ألا يرفع هذا الترشيح إلى الجامعة أو إلى المؤسسة التى تمنح الجائزة . وعندما رشح لجائزة مبارك وأخطأته الجائزة أكثر من مرة لم يكن ذلك إساءة إليه بقدر ما كان إدانة للمسئولين عن الجائزة ، وهى إدانة سجلها يومها أعلام الفكر والأدب ، وسجلتها الصحافة المصرية ، وكان ذلك دليلاً على يقظة ضمير الأمة . ولم تلبث الجائزة أن سعت إليه على استحياء شديد .

أثرى المكتبة العربية بمؤلفاته التى ستظل معينًا لا ينضب لكل مشتغل بدراسة اللغة والأدب والبلاغة والنقد ، وكل باحث فى الحضارة الإسلامية . فقد أرخ للأدب العربى فى موسوعته الضخمة التى لا نظير لها على امتداد تاريخ هذا الأدب ، وكتب عن فنونه كالرثاء والترجمة الشخصية والرحلات ، كما كتب عن أعلامه مثل ابن زيدون والبارودى وشوقى والعقاد . وأرخ للبلاغة العربية ، وألف عن المدارس النحوية وعن تجديد النحو وتيسيره للدارسين . وأصدر تفسيرًا للقرآن الكريم سماه «الوجيز» ، إلى جانب دراسته التى نشرها بعنوان «سورة الرحمن وسور قصار» ، وكتبه عن «محمد خاتم المرسلين» و «عالمية الإسلام» و «الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة» .

وإلى جانب مؤلفاته الغزيرة ، كانت له جهود متميزة فى مجال التحقيق بدأها برسائل الصاحب بن عباد ، ومن بعدها كتاب «الرد على النحاة» لابن مضاء القرطبى . كما حقق «الدُّرر فى اختصار المغازى والسير» لابن عبد البر ، و «السبعة فى القراءات» لابن مجاهد ، وأجزاء من كتابىّ «خريدة القصر» للعماد الأصفهانى ، و «المغرب فى حلى المغرب» لابن سعيد . وختم أعماله المحققة بـ «سراج الملوك» للطرطوشى .

ولا يتسع المقام هنا للتعريف بالنتاج العلمى المتنوع والمتميز لأستاذ الأجيال الدكتور شوقى ضيف وللتحليق فى عالمه الرحب ، وما أظن إلا أن تراثه الذى خلفه لنا سيكون موضع دراسات كثيرة ، لا من جيلنا وحده وإنما من هذا الجيل ومن الأجيال التالية ، وستظل مؤلفاته بحرًا يغرف منه الدارسون ، ومعينًا لا ينضب بالعطاء ، وكنزا يثرى عقل الأمة ووجدانها .

والمتأمل لهذا التراث الضخم الذى تركه لنا الراحل العظيم يلفت انتباهه أمور أوجزها فيما يلى :

أولاً : أنه يتسم بالغزارة والتنوع ، فقد بلغ عدد المؤلفات خمسين كتابًا تناولت الأدب العربى من جميع جوانبه ، فعرفت بفنونه ، واستعرضت تاريخه وتطوره فى جميع عصوره وبيئاته ، كما عرضت المناهج البحث فيه ، وترجمت لبعض أعلامه البارزين فى القديم والحديث .

وإلى جانب الدراسات الأدبية التى تمثل الجانب الأكبر من مؤلفات أستاذنا الجليل ، كانت له مؤلفات رائدة فى اللغة والنحو والبلاغة والنقد والدراسات الإسلامية . كما صدرت له سبعة كتب محققة فى الأدب والدين والتاريخ .

ثانيًا : أنه يتصف بالاستمرارية ، فهو موزع على سبعة وخمسين عامًا تبدأ بأربعينيات القرن الماضى ، ولسنة ١٩٤٣ على وجه التحديد ، وتمتد إلى مطلع القرن العشرين (سنة ٢٠٠٠) بلا توقف أو انقطاع ، وأن فترة الخمسينيات كانت أغزر الفترات إنتاجًا حيث صدر له فيها ثلاثة عشر كتابًا وكتابان محققان ، يليها فترة الستينيات التى صدر له فيها عشرة كتب وكتاب محقق . أما فترة الأربعينات فكانت أقل الفترات إنتاجًا حيث صدر له فيها كتابان هما رسالتا الماجستير والدكتوراه إضافة إلى كتابين محققين ،

ثالثًا : أن ما ألفه فى سلسلة فنون الأدب العربى صدر كله فى الخمسينيات ، أما موسوعته عن تاريخ الأدب العربى فقد امتدت على مساحة زمنية واسعة بدأت بأواخر الخمسينيات واستمرت حتى أوائل التسعينيات وشلمت بيئات أدبية لم يكتب عنها من قبل مثل إيران ودول المغرب العربى والسودان وصقلية .

رابعًا : أن فترة التسعينيات شهدت اتجاهًا واضحًا نحو الكتابات الإسلامية ، فقد صدر له فيها : «الوجيز فى تفسير القرآن» و «عالمية الإسلام» و «الحضارة الإسلامية من القرآن والسنة» . وقد استمر هذا الاتجاه فى سنة ٢٠٠٠ التى أصدر فيها آخر كتبه وهو كتاب «محمد خاتم المرسلين» فكان مسك الختام .

خامسًا : أن بعض كتبه طبع طبعة واحدة ، ولكن أغلبها طبع عدة طبعات بلغت أكثر من عشرين طبعة لبعض أجزاء موسوعته «تاريخ الأدب العربى» .

تلك نظرة طائر على تراث راحلنا العظيم ، وقطرة من بحر علمه الغزير . ولا أجد ختامًا لكلمتى أفضل من قول المصطفى صلى الله عليه وسلم : «خيركم من طال عمره وحُسن عمله» .

وأحسب أن هذا الحديث يصدق على شوقى ضيف الذى فقدته العربية أمة ولسانًا ، والذى سيظل اسمه محفورًا فى ذاكرة الأمة ، وستظل صورته حية فى وجدانها . فمثله يرحل عن عالمنا بجسده لأن كل مولود يموت ، ولكنه يبقى حيًا بفكره وقيمه وعطائه الثرى الباقى على الأيام .

رحم الله شوقى ضيف رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته جزاء ما قدم لتلاميذه ومريديه ، ولكل ناطق بالعربية إلى أن تقوم الساعة ، و «إنا لله وإنا إليه راجعون» .

شوقى ضيف عميد أساتذة الأدب العربى

أ.د/ طه وادى

شوقى ضيف ـ يرحمه الله ـ عالم موسوعى جليل ، وأستاذ جامعى رصين ، يندر أن تجد مثيلاً له فى علمه وعمله : عطاءً وثراءً وحسن خُلق . ولا تعود أهميته إلى كثرة ما ألّف وحقق فحسب ، بل إنه أستاذ لأجيال مختلفة من دارسى الأدب واللغة على امتداد الوطن العربى كله ، ومن لم يتلمذ على يديه مباشرة فى قاعات الدرس ورسائل البحث ، فقد تتلمذ على كتبه ودراساته ، التى تكاد تستوعب معظم مجالات التراث العربى : قديمًا وحديثًا ـ فى الدراسات الأدبية واللغوية والبلاغية والنقدية والإسلامية وتحقيق التراث .

ويصعب ـ إن لم يكن مستحيلاً ـ أن نتحدث عن تراث الرجل ، الذى يربو على (سبعين) مؤلفًا ، فى لقاء علمى واحد ، لأن تراثه يتشعب إلى أربعة مجالات كبرى ، هى :

١ . الدراسات الأدبية .

٢ . الدراسات البلاغية والنقدية .

٣ . الدراسات النحوية واللغوية .

٤ . الدراسات الإسلامية وتحقيق التراث .

لذلك سوف نحصر حديثنا عنه من خلال المجال الأول . . وهو الدراسات الأدبية ، الذى يعدُ واسطة العقد فى تراثه . . وفى الوقت نفسه يعدّ أيضًا المركز الرئيس لتخصصه العلمى ، ومحور التبئير الأول لعمله الأكاديمى .

ولعلّ أهم مجموعة . . أو سلسلة متواصلة فى هذا التراث الأدبى ، الذى يزيد عن (عشرين) كتابًا هى مجموعة . .أو بالأحرى (موسوعة) تاريخ الأدب العربى ـ التى تقع فى عشرة أجزاء هى :

١- العصر الجاهلى (١٩٦٠) .

٢- العصر الإسلامى (١٩٦٢) .

٣- العصر العباسى الأول (١٩٦٦) .

٤- العصر العباسى الثانى (١٩٧٣) .

٥- عصر الدول والإمارات (الجزيرة العربية ـ العراق- إيران١٩٨٠) .

٦- عصر الدول والإمارات (مصر) (١٩٨٤) .

٧- عصر الدول والإمارات (الشام) (١٩٨٤) .

٨- عصر الدول والإمارات (الأندلس) (١٩٨٩) .

٩- عصر الدول والإمارات (ليبيا - تونس - صقلية)(١٩٩٢) .

١٠-عصر الدول والإمارات (الجزائر- المغرب- موريتانيا - السودان) (١٩٩٥) .

وهذه الموسوعة - غير المسبوقة - تستوعب تاريخ الأدب العربى كله منذ النشأة فى العصر الجاهلى ، وحتى مطلع العصر الحديث فى القرن التاسع عشر .

ويمكن أن نضيف إلى هذه الموسوعة .. (مجموعة) أخرى من الدراسات الأدبية .. لعل أهمها :

الفن ومذاهبه فى الشعر العربى

- الفن ومذاهبه فى النثر العربى - الشعر والغناء فى المدينة ومكة فى العصر الأموى - الأدب العربى المعاصر فى مصر - دراسات فى الشعر المعاصر - البارودى رائد الشعر الحديث - شوقى شاعر العصر الحديث - ابن زيدون الشاعر الأندلسى- مع العقاد - فصول فى الشعر ونقده - الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور - البطولة فى الشعر العربى - فى التراث والشعر واللغة - الفكاهة فى مصر - النقد - المقامة - الرثاء - الرحلات - الترجمة الشخصية .

هذه المجموعة من الكتب بالإضافة إلى الموسوعة تعنى بوضوح ومن غير جدال أن شوقى ضيف قد رسم (خريطة) أدبية للأدب العربى وأعلامه وأنواعه ، وقدم دراسات وافية شافية ، تستوعب (الإطار العام) للأدب العربى طولاً وعرضًا ، بمعنى أنه درس الأدب العربى على مستوى العصور والبيئات ، ودرسه أيضًا على مستوى أهم الأنواع والاتجاهات الأدبية ، التى تعكس مظاهره وظواهره ، وصوره ومدارسه عبر عصور الازدهار والتوحّد ، ومراحل الضعف والتشتت .

من هنا يتضح أن شوقى ضيف كان (أمة) فى إهاب فرد ، و(جامعة) فى عباءة أستاذ .. رحمه الله رحمة واسعة ، ووفقنا ـ جميعًا ـ لكى نسير على هديه ، ونمشى على دربه ـ درب العلم ـ الصعب والطويل سلّمه .. وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .. !!

ملامح من شخصية شوقي ضيف ونتاجه العلمي

أ.د. محمد يونس عبدالعال

هو كما يصفه العارفون أستاذ الأساتذة فى الأدب واللغة والهرم الأكبر فى البحوث والإبداع الثقافى ، دلت مؤلفاته الكثيرة على موسوعية واقتدار ، فأفادت جمهورًا كبيرًا من المثقفين شداة العلم بحضارة العرب وآدابهم ، ولم تغب عن أذهان المشتغلين بالدراسات الأدبية فى الكليات والمعاهد فى سائر أرجاء الوطن العربى .

جمعته مع زملائه وتلاميذه وشائج من المودة المتبادلة الصادقة ، وأسر كل من عرفه بتواضعه الجم وعزوفه عن الغرور ، وقدروا فيه مثابرته ودأبه وحرصه على ألا يشغله شاغل عن القراءة والدراسة والتأليف ، وتعففه عن الخوض فيما لا طائل وراءه من الجدل العقيم الذى فتن به آخرون ، وحرصه على استنقاذ وقته ومحضه خالصًا للعلم والدرس دون أن يضيعه فيما يضيعه هؤلاء الذين يلهثون وراء الشهرة والرغبة فى الظهور وتصدر الاحتفالات والمهرجانات .

وقد كثرت مؤلفاته واتسمت بالعمق والشمول ، فبلغت ما يقرب من خمسين كتابًا اشتملت على دراسات متنوعة نقدية وأدبية ولغوية ودينية ، وظل إلى آخر أيام حياته حاضر الذهن حريصًا على العطاء .

من أقدم مؤلفاته كتاباه : «الفن ومذاهبه فى الشعر العربى» ، وكانت طبعته الأولى سنة ١٩٤٣م ، و«الفن ومذاهبه فى النثر العربى» الذى ظهر سنة ١٩٤٦م ، وقد وضح فى هذه البدايات الباكرة لمؤلفاته أنه راغب فى التأصيل حريص على أن يختط لنفسه طريقًا يجعله صاحب ريادة فى الدراسة الأدبية تحمل طابعه الشخصى ، فهو يحاول أن يجعل للأدب - شعره ونثره - مذاهب ، لكل منها سمات فنية وعقلية متميزة ، وهى ثلاثة مذاهب فنية ، لكل منها مصطلح ، هذه المصطلحات الفنية الجديدة هى : الصنعة والتصنيع والتصنع ، وأصحاب الصنعة هم هؤلاء الذين خضعوا فى أدبهم لطائفة من الرسوم والتقاليد ولكنهم فى الوقت نفسه استجابوا فى صنع إبداعاتهم لعوامل التحول والتطور والتأثر بالثقافات الأخرى غير العربية ، ويمثل هذا المذهب كل ما أثر حتى نهاية القرن الثانى الهجرى أو قريبًا منه ، أما أصحاب مذهب التصنيع فقد اعتمدوا تحت تأثيرات مختلفة على الزخارف اللفظية والتنميق

الشكلى والحلى والبديع ، وأما أصحاب التصنع فهم الذين صعبوا طرق الأداء وتطرفوا فى التعقيد حتى صار غاية لهم .

ويمثل كتاب «التطور والتجديد فى الشعر الأموى» الذى ظهر سنة ١٩٥٢م مثالا آخر من أمثلة الرغبة فى التأصيل ومناقشة بعض القضايا التى استقرت لدى الباحثين فتحدث مسهبًا عن تطور الشعر فى العصر الأموى وما استجد فيه من أغراض جديدة لم يكن للأدب العربى سابق عهد بها .

وارتأى د . شوقى ضيف بعد ذلك أن يقدم لقراء العربية سلسلة - أو فلنقل موسوعة - من المؤلفات عن تاريخ الأدب العربى ، بلغت عشرة مجلدات :

الأول عن «العصر الجاهلى» .

والثانى عن «العصر الإسلامى» تنتهى الدراسة فيه بانتهاء الدولة الأموية سنة ١٣٢,

والثالث عن «العصر العباسى الأول» ، ينتهى سنة ٢٣٢,

والرابع عن «العصر العباسى الثانى» ، وينتهى بنهاية الثلث الأول من القرن الرابع تقريبًا .

أما الأجزاء الأخرى فقد جعلها عن عصر الدول والإمارات ، وتشمل قرونًا طويلة بدءًا من سنة ٣٣٤ وانتهاء بالعصر الحديث (أى مع بدايات القرن الثالث عشر الهجرى/ التاسع عشر الميلادى) .

والجزء الخامس عن الجزيرة العربية والعراق وإيران .

والسادس عن الشام .

والسابع عن مصر .

والثامن عن الأندلس .

والتاسع عن ليبيا وتونس وصقلية .

والعاشر عن الجزائر والمغرب الأقصى وموريتانيا والسودان .

وتعد هذه الأجزاء العشرة موسوعة ضخمة اهتمت اهتمامًا شاملاً بالشعر والنثر فى البلاد الإسلامية ، ولم تغفل الحديث عن الجوانب السياسية والاجتماعية والعقلية فى كل بلد من هذه البلدان وما آلت إليه العلوم المختلفة كالتفسير والحديث والفقه والتاريخ والنحو والبلاغة والنقد والجغرافيا والفلسفة وغيرها .

وكان كثير من الدارسين قبله قد ألفوا فى تاريخ الأدب العربى ، فقدم كل منهم تجربته وما رآه مناسبا للدارسين ، منهم على سبيل المثال : جورجى زيدان وكارل بروكلمان ، ولكن على يديه بلغ هذا الاتجاه ذروة كماله ، فقد درس البيئات دراسة علمية موضوعية مستوعبة شحذت الأفكار وأثارت الآراء وألهمت الدارسين كثيرًا من الموضوعات ، حتى أن المطالع لهذه الموسوعة يكاد يجزم بأنها لم تترك قضية من القضايا الأدبية دون إشارة إليها ولم تغفل علمًا من الأعلام دون أن تتحدث عنه مسهبة أو موجزة ، والأهم من ذلك كله أن القارئ يرى د . شوقى ضيف فى هذا العمل متواضعًا منكرًا لذاته ، فهو يقول فى المقدمة التى كتبها سنة ١٩٦٠م لكتاب «العصر الجاهلى» : «هذا الجزء من تاريخ أدبنا العربى الخاص بالعصر الجاهلى - والذى ستتلوه أجزاء أخرى تتناول بقية عصور هذا التاريخ - لا أزعم أنه يحمل إلى القراء الصورة الأخيرة لهذا العصر ، كما لا أزعم أن الأجزاء التالية ستحمل الصورة الأخيرة للعصور المتعاقبة ، وإنما أزعم أن هذه الصورة هى التى استطعت رسمها مع ما بذلت من جهد واصطنعت من نهج وتحريت من دقة ، وقد يأتى بعدى من يعدل فى جانب من جوانبها بما يهتدى إليه من حقائق أدبية غابت عنى فى بعض العصور أو بعض البيئات والشخصيات الأدبية ، وتلك طبيعة الأبحاث يكمل بعضها بعضا ، ولا تزال فى نمو مطرد» .

وقد حلا لبعض الدارسين أن يبدوا بعض الاعتراض على هذا المنهج فقالوا : إن هذا التقسيم تبعًا للعصور التاريخية والسياسية يضر البحث الفنى ويعرض الدرس الأدبى لنقص شديد يمنعه من تتبع النواحى الجمالية ويحد من الغوص فى أعماق التجربة الأدبية وفهمها فهما يتلاءم مع إدراكنا المعاصر . . . إلى آخر ما قالوه من مثل ذلك .

ولكن الحقيقة أن هذا المنهج التاريخى على يدى د . شوقى ضيف قد اقتدر على الإضافة والاستقصاء ، وصحح كثيرًا من الأغلاط ، وبرع فى التحليل ، وأجاد التذوق ، وأظهر الثقافة العربية جلية واضحة تدعو أصحابها إلى الثقة فيها ، مع جدة العرض والحرص على التوثيق العلمى والنقد الموضوعى ، بل إنه فى إطار هذا المنهج قدم تحليلات دقيقة وعرض لاتجاهات فنية كثيرة لحظت فى الشعر والنثر ، ولقد كان د . شوقى ضيف مثل طه حسين

وأمين الخولى وغيرهما حريصًا على غربلة الأفكار وإبداء الآراء والإتيان بالجديد المفيد المثير للقضايا فى مجالات الدرس اللغوى والأدبى .

أما كتابه «البحث الأدبى» الذى صدر سنة ١٩٧٢م فهو كما رآه بعض من تحدثوا عنه : «أهم بحث نظرى فى علم المناهج قديمها وحديثها . . .» ، ومن الواضح أنه نتاج تجارب مر بها مؤلفًا ومشرفًا ومناقشًا لكثير من الطلاب ، فعرف ما يقعون فيه من أخطاء ، وما يصادفونه من مزالق ، فأراد أن يُعبد لهم الطريق ، ويجنبهم العثرات ، بما يوضحه لهم من طبيعة البحث الأدبى وبما يفصل القول فيه من المناهج المختلفة التى ينبغى أن يستضىء بها الباحثون حتى يمكن أن يضطلعوا ببحوث أدبية قيمة .

****

ولا شك فى أن كل مؤلف من مؤلفاته نتاج طبيعى لتجاربه الطويلة فى قاعات الدرس معايشًا مشكلات الأدب العربى وقضاياه ، ولا شك أيضا فى أن كلا منها يحتاج إلى دراسة متأنية تكشف عن نهجه وطرائق عرضه .

* من هذه المؤلفات فى الأدب العربى الحديث :

- الأدب العربى المعاصر فى مصر .
- البارودى رائد الشعر الحديث .
- شوقى شاعر العصر الحديث .
- دراسات فى الشعر العربى المعاصر .
- فصول فى الشعر ونقده .

وقدم كثيرًا من المقترحات لتيسير النحو العربى وإصلاح الأساليب المتبعة فى تدريسه وإعادة النظر فى أبوابه وموضوعاته ، ومن مؤلفاته فى ذلك :

- المدارس النحوية .
- تجديد النحو .
- تيسير النحو التعليمى قديمًا وحديثًا مع نهج تجديده .
- تيسيرات لغوية .
- تحريفات العامية للفصحى .

* ومن مؤلفاته فى البلاغة والنقد :

- البلاغة تطور وتاريخ .
- فى النقد الأدبى .

* ومن دراساته الأدبية :

- الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية .
- الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور .
- فى التراث والشعر واللغة .

* ومن دراساته القرآنية :

- الوجيز فى تفسير القرآن الكريم .
- سورة الرحمن وسور قصار .

* ومن فنون الأدب العربى :

- الرثاء .
- المقامة .
- الترجمة الشخصية .
- الرحلات .

* ومن كتبه الأخرى :

- ابن زيدون .
- مع العقاد .
- الفكاهة فى مصر .
- البطولة فى الشعر العربى .

* ومن التراث المحقق :

- المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد .
- الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى .
- الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر .
- السبعة فى القراءات لابن مجاهد .

وينبغى أن يشار إلى سيرته الذاتية التى ضمنها كتابه «معى» ، وقد تحدث فيه عن بعض مراحل حياته وأشار إلى كثير من أساتذته الذين يدين لهم بالفضل ؛ مثل طه حسين ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين وأمين الخولى . وفى هذه السيرة أيضا تحليل دقيق للعصر وتصوير حىٌ لجوانب من الأحوال السياسية والاجتماعية التى شهدتها مصر .

شوقى ضيف العطاء والبقاء

أ.د / عوض الغبارى

رحل شوقى ضيف عن دنيا الناس ففقدنا برحيله عالمًا جليلاً ، وأستاذًا أصيلاً ، وفارسًا نبيلاً تعلمنا على يديه قيم العلم فى عطائه الإنسانى الرحب ، وروحه الأخلاقى الخصب ، وأثره النافع بعد موت صاحبه ، وسعيه الدائب نحو الحقيقة منزهة عن الهوى ، متجردة لوجه الله الحق .

كانت حياة شوقى ضيف ـ رحمه الله رحمة واسعة ، وجعل قبره روضة من رياض الجنة ـ عطاءً مستمرًا تحرى فيه الصدق والإخلاص فى القول والعمل ، ودافع عن رموز العلم والأدب والثقافة ، فى كتب زاخرة بالرؤى المنهجية السديدة ، والنظرة الأدبية القويمة التى وسمت عقليته الفذة الساعية إلى كل جديد وأصيل .

لقد اتصور أن شوقى ضيف لم يكتب فى رحلة حياته العلمية الحافلة بتأليف الموسوعات الأدبية والكتب العلمية العظيمة ، إلا ما آمن بصوابه علميًا وإنسانيًا ، وكان ، فى تحريه للدقة العلمية ، يشعر فى أعماق نفسه الطاهرة بمسئولية الكلمة ، وتبعات الرأى ، وأثر العلم الباقى بعد فناء صاحبه ، فلم يخادع ، ولم يصانع ، وأقام صرحه العلمى الرفيع على أساس مكين من الزاد المعرفى الواسع ، والخلق العلمى الناصع ، وتقوى الله فيما يكتب ، وكأنه يحقق قول الشاعر الذى ينشد فى المؤلف أخلاق العلماء الأصلاء الذين يخشون الله ، مخاطبًا بقوله :

فلا تكتب بخطك غير شىء

يسرك فى القيامة أن تراه

أثرى شوقى ضيف المكتبة العربية بكتب قيمة أصبحت تمثل مرجعية علمية هامة للمشتغلين بعلوم اللغة العربية وآدابها ، وبالدراسات الإسلامية ، كما أثرى الساحة العلمية والثقافية بتلاميذه الذين انتشروا فى الآفاق مزودين بعلمه مما جعله قطب مدرسة علمية امتد أثرها فى مريديه وتلاميذه ، كما سيمتد فى قراء كتبه إلى ما شاء الله .

كان شوقى ضيف من طراز العلماء الذين أدبهم علمهم ، رقيق الحاشية ، دمث الأخلاق ، عذب الابتسامة ، رفيقًا بتلاميذه ، هادئًا فى اختلافه المنهجى والموضوعى مع مخالفة فى الرأى ، مثلاً يُقتدى فى طلب العلم إلى آخر لحظة من حياته ، رمزًا نادرًا للعلماء فى عطائهم وبقائهم .

أنصف شوقى ضيف أعلام الأدب العربى والمصرى عندما تعرضوا للنقد العنيف من قبل بعض كبار الكتاب . لم تمنعه تلمذته لعميد الأدب العربى طه حسين أن يكتب عن المتنبى ؛ شاعر العربية العظيم مُنصفًا إياه ، مُختلفًا ـ فى هدوء وعقلانية ـ مع أستاذه طه حسين فى كتابه عن المتنبى .

كما أنصف شاعرًا مصريًا أصيلاً من شعراء العصر الأيوبى ؛ هو ابن سناء الملك ، فكشف عن جوانب إبداع هذا الشاعر المصرى الذى تعرض لنقد صاحب حجب بعض جوانب الشخصية الأدبية المصرية الأصيلة ممثلة فى شعر مثل هذا الشاعر الذى أنصفه شوقى ضيف وبيّن من خلال إنصافه العلمى له بعض المعالم الهادية إلى الكشف عن أصالة الشخصية المصرية فى إبداعها المستمر عبر الأجيال .

وكذلك فعل فى دفاعه عن أمير الشعراء أحمد شوقى ، وعن العقاد القيمة والرمز والعلم .

لم تكن الموسوعة العلمية الرائدة التى ألفها شوقى ضيف فى عشرة أجزاء تأريخًا للأدب العربى من العصر الجاهلى إلى العصر الحديث فحسب ، بل كانت نتاجًا لثقافته الواسعة ، ومنهجيته العلمية الرصينة ، وفكره الفلسفى المستنير ، ورحلته المبحرة فى أعماق الثقافة العربية ، والحضارة الإسلامية ، مما مكنه من وضع نظرية فى دراسة الأدب العربى تناولها الدارسون فى كتب وأبحاث ومقالات كثيرة أكدت أنه كان صاحب رؤية نقدية واضحة لمراحل الأدب العربى فى تطوره الفنى من القديم إلى الحديث .

أخيرًا ، فسر شوقى ضيف القرآن الكريم تفسيرًا تجلى فيه هذا الروح العربى الإسلامى الأصيل فى شخصه ـ رحمه الله ـ فقدم فى هذا التفسير خلاصة تجربته العلمية الواسعة التى استخدمها ـ كذلك ـ فى بيان مدنية الإسلام ، والدفاع عن حضارته العظيمة فى هذه المرحلة التاريخية التى تتعرض فيها هذه الحضارة العربية الإسلامية لأعنف الهجوم ، وأقسى الاتهامات من الشرق والغرب . ثم لم ينس قراءات القرآن الكريم ؛ هذا الكتاب العظيم الذى نبغ فى قراءاته المصريون خاصة .

رحم الله شوقى ضيف ، وأسكنه فسيح جناته .

ندوة
(فريتس كرنكو)

فرتس كرنكو

أ.د/حسين نصار

الرجل الذى نحتفل به الليلة رجل تقلبت به الأوطان والأحوال ، ولم ينل ما يستحقه من شهرة ، على كثرة ما أصدر .

الرجل هو فرتس كرنكو ، ولد فى قرية شونبرج Schoenberg فى شمالى ألمانيا ، فى سنة ١٨٧٢م .

وأولع منذ صباه بدراسة اللغات فأتقن من اللغات الأوربية الحديثة الإنجليزية والفرنسية بل يقال سائر لغات أوربا إلى جانب لغته الأم الألمانية . ومن اللغات الأوربية القديمة اللاتينية واليونانية ، ومن اللغات الشرقية القديمة عرف العبرية والآرامية والحميرية . ومن الشرقية الحديثة التركية والفارسية والأُردية والعربية .

درس اللغات الثلاث الأخيرة بدون معلم ، لبعده – فى شبيبته ـ عمن يعلم شيئًا من هذه اللغات فاعتمد على الكتب فقط ، يقول : إلى أن ورد صديقنا كاظم الدجيلى إلى بريطانيا ، ومنه سمعت أول كلمة عربية .

واشتغل أستاذًا للآداب الإسلامية فى جامعة بون . وكان مما درسه هناك كتاب «علوم الحديث» لابن الصلاح .

ولكنه التقى فى برلين بفتاة انجليزية ، فأحبها ، فدفعته إلى أن يرحل إلى لندن ليعيشا ويتزوجا هناك . ويبدو أنه فشل فى العمل بإحدى الجامعات البريطانية ، فاشتغل بالتجارة ، وأسس مصنعًا للأقمشة فى مدينة لستر ، كان يشتغل فيه أكثر من ألف عامل وعاملة ولكن الأحوال لم تصفُ له طويلاً ؛ إذ نكب فى الحرب العالمية الأولى بفقد ابنه الوحيد . ثم منى بخسارة كبيرة فى تجارته .

واضطربت أحواله الاقتصادية ، إذ لم يلتحق بمنصب ، فاضطر إلى أن يحتال للعيش . ولحسن حظه ، كتب إليه أحد أصدقائه من مسلمى الهند أن ينسخ له من الكتب العربية ما يراه جديرًا بالطبع من مكتبة المتحف البريطانى فى لندن ، وجعل له مكافأة سنوية مناسبة .

واتفق مع دائرة المعارف العثمانية فى حيدر آباد الدكن بالهند على أن يتولى تحقيق بعض المخطوطات العربية . وانتدبته جامعة عليكرة لتدريس العربية فيها ، فأمضى نحو سنتين . وزار تركيا فى ١٩٢٧ . واختاره المجمع العلمى العربى بدمشق عضوًا مراسلاً فيه .

وأمضى آخر عمره فى انجلترا حيث وافته المنية فى ١٩٥٣ .

وقد وصفه صديقه الحميم كاظم الدجيلى فقال : «كان كرنكو غزير العلم ، واسع الاطلاع . صادق القول ، أبىّ النفس ، بهىّ الطلعة ، محبًا للشرقيين عامة والمسلمين خاصة» .

وأكد زميله فى مجمع دمشق محمد كرد علىّ على سعة اطلاعه ، حين قال : ما كان يفارق المطالعة طول حياته .

وأكد أيضًا حبه للمسلمين ، إذ قال : «أحب الأستاذ كرنكو العرب والإسلام محبة لاترجى إلا من العريق فيهما ، يتعصب للعرب على سائر أمم الإسلام من الفرس والترك والهند . . . فهو إلى أعماله العلمية العظيمة داعية متطوع فى خدمة الإسلام الصحيح والحضارة العربية» .

وتؤكد آراؤه التى رواها محمد كرد علىّ هذه الأقوال . قال :

يعتقد (كما كتب لى فى ٢٣ آذار سنة ١٩٣٥) أن زوال الدولة العربية -أعنى خلافة بنى أمية – وانتقال مركز الإسلام من دمشق إلى العراق ، وظهور الفرس على العرب ، كان أول سبب فى الحيلولة دون انتشار الإسلام فى الأمم النازلة فى الشمال الغربى ـ أى فى أوربا ؛ وأن الدولة العباسية قام بنيانها على دِمْن (أى تشويه) الدولة الأموية ؛ وأن دخول الفرس فى المناصب العالية أدخل الغش والخيانة فى الأعمال المالية . وما كان الخلفاء ـ إلا ما ندر ـ يفكرون فى شىء من أعمال الشام ومصر (ولا أذكر ما وراءهما من البلاد مثل إفريقية (تونس) والمغرب والأندلس) ، اللهم إلا ما كان من نقل أموال الخراج إلى العراق لشراء الجوارى والجواهر ، وإعطاء الجوائز للمغنين والشعراء ومن ماثلهم . ولو تدبرت مثلاً أولاد الخلفاء لرأيت أن جميع خلفاء بنى أمية ـ سوى مروان بن محمد ، آخر ملوكهم ـ كانوا أبناء حرائر ، وبالعكس كان خلفاء بنى العباس ، فإن أكثرهم كانوا أولاد جوار مجلوبة من غير بلاد إسلامية . وآفة ثانية : وهى جلب الغلمان الأتراك إلى بغداد ، ليجعلوا منهم عُمُدًا للدولة ، فأصبحوا أرباب الخلفاء أنفسهم فى أقل من قرن . وآفة ثالثة : وهى ماكان من الحروب التى نشأت بين أهل السنة والشيعة ، وظلت متصلة إلى زماننا هذا . وقد شاهدت ما غمنى فى بلاد الهند وهنا فى انكلترا ، عندما عيدنا عيد الفطر . فامتنع بعض المتشيعين عن الصلاة خلف إمام سنى . كل هذا مما يهين أهل الإسلام فى عيون الذين لا يعتقدونه .

ويضاف إلى كل هذه الآفات ـ وهو أعظمها فى خمول الأمم الإسلامية ـ استنجاد

السلاطين والأمراء فى حروبهم بالأمم النصرانية من مجاوريهم . وأول من ارتكب هذا الإثم خلفاء العُبيديين (الفاطميين) فى مصر ، عند استيلاء الصليبيين على الشام .

وحكى خليل مردم أنه كان يسمر عند كرنكو ، فكان فى جملة ما تحدث به فى تلك الليلة أمام زوجته سيرة الرسول ـ ص ـ وما كان من أمره مع النساء ، وما عاملهن به ، وما منحهن الإسلام من الحقوق مما لم تعظ مثله أمة قبل العرب ، وبحث فى علاقة رسول الله مع أزواجه ولاسيما مع عائشة أم المؤمنين . وما زال يتدرج فى حواره حتى ذكر كيف خرجت روح الرسول الطاهرة وهو على حجر عائشة . فلما سمعت امرأته هذا الكلام شهقت بالبكاء وخرجت من الغرفة ، فقال كرنكو : إننى أتعمد إسماعها مثل هذه الأخبار لأنها ليست محيطة بكل مافى الإسلام من محاسن .

ولم يقنع باستهجان ما فعله الشيعة فى العيد ، بل فند بعض دعاواهم ؛ فقد زعموا أنه توجد نسخ من المصحف الشريف بخط الأئمة على بن أبى طالب والحسن والحسين ، فرد عليهم قائلاً : لو فرضنا أنهم كتبوها فإنهم لم يكتبوها بالخط الكوفى بل بالخط المكى القديم الذى هو الخط المعتاد الآن .

وتحدث عن واجب العرب فى العصر الحديث ، فرأى أن على أبناء العرب اليوم أن يتحدوا فى منازعهم وينزلوا عن الجدال فى تحصيل الحرية الشاملة ، ويطبعوا فى قلوبهم : إن أرحاء الله ـ تعالى ـ إذا بطء فهى تطحن الجيد .

وهذا ثبت بما حقق الرجل من كتب :

١- أخبار عبيد بن شرية الجرهمى فى أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها . وجد مابقى منه ملحقًا بكتاب التيجان فحققهما وطبعهما معًا .

٢- أخبار النحويين البصريين ، للسيرافى .

٣- إعراب ثلاثين سورة ، لابن خالويه . وأورده محمد كرد على والزركلى باسم : تفسير ثلاثين . . .

٤- الأفعال ، لابن القطاع .

٥- التاريخ الكبير ، للبخارى .

٦- التاريخ المنتظم ، لابن الجوزى . المجلدات الثلاثة الأخيرة منه .

٧- تنقيح المناظر ، لكمال الدين الشيرازى .

٨- التيجان فى ملوك حمير ، لوهب بن منبه .

٩- الجرح والتعديل ، لابن أبى حاتم .

١٠- الجماهر فى معرفة الجواهر ، لأبى الريحان البيرونى .

١١- جمهرة اللغة ، لابن دريد .

١٢- حماسة هبة الله بن الشجرى .

١٣- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ، لابن حجر .

١٤- ديوان بكر بن عبد العزيز العجلى : طبع ملحقًا بديوان النعمان .

١٥- ديوان الحارث بن حلزة اليشكرى .

١٦- ديوان الطرماح بن حكيم : طبع مع ديوان طفيل ، وألحق بهما مقدمة وترجمة وشروح وفهارس مطولة بالإنجليزية .

١٧- ديوان طفيل الغنوى : انظر ديوان الطرماح .

١٨- ديوان عمرو بن كلثوم .

١٩- ديوان مزاحم العقيلى ، مع ترجمة إنجليزية .

٢٠- ديوان النعمان بن بشير الأنصارى .

٢١- شعر أبى دهبل الجمحى ، رواية بكار الزبيرى .

٢٢- طبقات النحاة ، لأبى بكر الزبيدى ، مع مقدمة وشروح باللغة الإيطالية .

٢٣- قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير ، مع مقدمة ألمانية .

٢٤- قصيدة طفيل الغنوى البائية ، مع ترجمة إنجليزية .

٢٥- قصيدتان لمزاحم العقيلى . ذكره محمد كرد على فى مجلة مجمع دمشق ، وأخشى أن يكون هو الديوان الذى ذكره فى الرسالة .

٢٦- المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء وألقابهم وأنسابهم ومختار أشعارهم ، للآمدى .

٢٧- المأثور ، لأبى العميثل الأعرابى ، مع مقدمة ألمانية وفهارس .

٢٨- المجتبى ، لابن دريد .

٢٩- معانى الشعر الكبير ، لابن قتيبة .

٣٠- معجم الشعراء ، للمرزبانى . طبع فى القاهرة .

٣١- من يسمى عمرًا من الشعراء ، لمحمد بن داود بن الجراح .

وإلى جانب هذه الكتب ، نشر الرجل بحوثًا ومقالات متعددة فى مجلات تصدر فى الهند وألمانيا وإنجلترا .

وقد انتفع بوجوده فى بريطانيا وصلاته بالهند وتركيا ومصر وألمانيا ، فاستطاع أن يحصل على أجود مخطوطات الكتب التى حققها ، فقد حصل فى كتاب المأثور على نسخة كتبت سنة ٢٨٠ ؛ وفى جمهرة اللغة على مختصر أنجز فى حياة ابن دريد ، وعلى نسخة من رواية السيرافى ، وأخرى من رواية القالى وهما من تلاميذ ابن دريد ، وعلى نسخة على هوامشها تعليقات من أبى عمر الزاهد تلميذ ابن دريد أيضًا . وفى الدرر الكامنة على نسخة بخط الإمام السخاوى تلميذ المؤلف ، وفيها تصحيحات بخط أستاذه ، وعلى نسخة أخرى بخط تلميذ للمؤلف أيضًا .

وأبان الرجل منهجه فى تحقيق الجمهرة ، فقال :

* بذلت الجهد - بعون الله تعالى - فى تصحيح هذا الكتاب .

* وقابلته بالكتب المؤلفة فى اللغة العربية ... [مثل] المؤلفات التى أخذ أصحابها من الجمهرة ... كالمحكم لابن سيده ، والمجمل لابن فارس .

* وقد قابلت الصفحات التى طبعت فى بغداد من كتاب العين للخليل بن أحمد وعدة دواوين لقدماء شعراء العرب ، مما طبع فى الشرق والغرب .

* وما كان محفوظًا من المخطوطات . [وذلك] لتصحيح ما أورده ابن دريد من الشواهد الشعرية .

* وكثيرًا ما ذكر ابن دريد أبياتًا من الشعر ولم يسم قائلها . فراجعت هذه الكتب حتى وقفت على اسم الشاعر وقد رقمته بعد خط فاصل .

(الجمهرة ١٩/١) .

وأكد ذلك عبد الرحمن بن يحيى اليمانى مصحح معانى الشعر .

(المعانى ١/ل) .

ذلك هو الرجل الذى نحتفل به الليلة : المستعرب الأوربى ، والشاعر الألمانى ، فرتس كرنكو ، أو سالم الكرنكوى كما كان يحب أن يدون اسمه على ما حققه من كتب ، اعتماداً على أن فرتس فى الألمانية بمعنى سالم العربية ، أو محمد سالم الكرنكوى ، اعتماداً على قول بعض أصدقائه إنه اعتنق الإسلام وأطلق على نفسه اسم محمد سالم .

وأعتقد أن ما ذكرته فى مقالى الليلة يجعل هذا القول غير بعيد عن الحدوث .

المستشرق فريتس كرنكو
لمحات من جهوده فى تحقيق التراث العربى

د/أحمد سليم غانم

استهلال :

الاحتفاء بالقيمة والقيم السامقة ركن أصيل وركين ، لا يتجزأ عن القيم السامية التى تتبناها وتبثها هذه الدار المباركة ، فطالما احتفت واحتفى القائمون عليها بالقمم السامقة من العلماء المستعربين والمستشرقين والعرب من المحققين الشوامخ ، الذين عنوا بهذا التراث العربى الإسلامى الجليل ، واشتغلوا به طيلة حياتهم أو ما يقرب من ذلك .

وفى هذا الصدد ، نحتفى اليوم بواحد من خيرة أعلام المستشرقين الألمان والإنجليز على السواء ، ففريتس كرنكو Fritz Krenkow محسوب على الاثنين ، وإذا ما أردنا أن ننسبه أو نحسبه على ثقافة دون أخرى ، فالأمر يتسع ، فقد كتب بالألمانية لغة موطنه الأصلى ، كما كتب بالإنجليزية والإيطالية والعربية ، هذا فيما نعلم[1] .

اتساع ثقافته :

قرأ الرجل عددًا من اللغات ، فقد كان على علم وممارسة ودربة باللغات الأوربية السالفة الذكر ، بطبيعة المنشأ والموطن والمرتحل والثقافة ، ثم ألم بعدد آخر من اللغات ، كالفارسية والأردية والتركية والعبرية والآرامية والفرنسية واللاتينية واليونانية[2] ، وأخيرًا ، كان على اطلاع واسع وتضلع باللغة العربية ، التى حثه على تعلمها المستشرق السير تشارلز ليال[3] ، فأحبها وأحب تراثها الجليل[4] ، وبرز هذا الحب فى عدد غير قليل من تحقيقاته لكتب التراث العربى فى مناحيه ومشاربه المختلفة المتباينة ، كذلك تجلى عشقه للعربية فى عدد من الدراسات التى كتبها بعدد من اللغات ، كان منها اللغة العربية ، ولكنها جميعًا كانت عن العربية وتراثها وعن الإسلام وحوله ، مما خول له أن يكون عضوًا فى المجمع العلمى العربى فى دمشق[5]

---

(١) المستشرقون ، لنجيب العقيقى ٢/٥٣٠-٥٣٢ .
(٢) الأعلام ، لخير الدين الزركلى ٥/١٤٤ .
(٣) معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف إليان سركيس ٢/١٥٥٦ والمستشرقون ٢/٥٣٠ .
(٤) الأعلام ٥/١٤٤ .
(٥) الأعلام ٥/١٤٤ والمستشرقون ٢/٥٣٠ .

اتجاهه إلى الاستشراق :

برز الرجل فى هذا كله ، على الرغم مما واجهه فى مقتبل حياته من صوارف عن الانخراط فى صفوف المستشرقين العتاة ، فقد لفته «زاخاو» فى مقتبل حياته (١٨٩٢م)[١] عن دراسة العربية وعن الانخراط فى ما انخرط فيه المستشرقون ، معللاً له ذلك بأن الاستشراق أمر جلل ، يحتاج إلى كثير من الوقت والمال ، اللذين لم يكن يملكهما كرنكو في ذلك الوقت ، أو لم يكن يملك أن ينفقهما على العربية ودراستها ، فضلاً عن دراسة غيرها من اللغات والآداب الشرقية .

وعلى الرغم من تبحر الدكتور كرنكو فى عالم التجارة وانجرافه في تيارها ؛ بإنشائه مصنعًا للأقمشة - ضم حوالى ألف عامل وعاملة - اضطر إلى إغلاقه بعد الحرب العالمية الأولى ، أقول على الرغم من ذلك نجد له عددًا غير قليل من الدراسات والتحقيقات التى اضطلع بها فى ذات الوقت الذى كان فيه يدير مصنع الأقمشة[٢] ، فحتى عام (١٩٢٧م) كان الرجل على اتصال بعالم المال والأعمال ، ولكنه لم ينس العربية وتراثها ، فأخرج الأصمعيات بشرح ابن السكيت (١٩٠٧م) ، وديوان أبى دهبل الجمحي عن مخطوط ليبزيج (١٩١٠م) ، وتاريخ بغداد والخطيب البغدادى (١٩١٢م) ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني (١٩١٧م) ، وملاحظات على طبع تشارلز ليال أشعار عبيد بن الأبرص ، وعامر بن الطفيل ، وعمرو بن قميئة (١٩٢٢م) ، والجوهرى وابن دريد (١٩٢٤م) ، وكتاب الجيم لأبى عمرو الشيباني (١٩٢٥م) ، وابن الشجرى (١٩٢٦م) ، أخرج هذه التحقيقات والدراسات فى مجلة الجمعية الملكية الآسيوية ، كذلك أخرج تعليق التبريزى على قصيدة البردة لكعب بن زهير ، فى المجلة الشرقية الألمانية (١٩١١م) ، وبمعاونة بيفان فهرست الأمالى لأبى على القالى لندن (١٩١٣م) ، وله : مختصر طبقات النحويين واللغويين لأبى بكر الزبيدى ، وطبقات أبى بكر الأشبيلي مع مقدمة وحواشى بالإيطالية (مجلة الدراسات الشرقية ، ٨ : ١٩١٩ ، ثم فى كتاب مستقل) ، وديوان مزاحم العقيلي متنًا وترجمة إنجليزية (ليدن١٩٢٠) ، وكتاب المجتنى من المجتنى لأبي بكر ابن دريد (دائرة المعارف فى حيدر آباد ١٣٤٢هـ) ، وحماسة هبة الله ابن الشجرى (حيدر أباده١٣٤٥هـ) ، وشعر عمرو بن كلثوم ويليه شعر الحارث ابن حلزة (المطبعة

---

(١) امتدت حياة الدكتور كرنكو من ١٨٧٢م إلى ١٩٥٣م ، انظر المستشرقون ونشر التراث : دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر ، لعلى بن إبراهيم الحمد النملة ، ص٩٧ .

(٢) المستشرقون ٢/٥٣٠ .

الكاثوليكية ، بيروت١٩٢٢م) ، والكتاب المأثور عن أبى العميثل الأعرابى : ما اتفق لفظه واختلف معناه ، مع مقدمة بالألمانية وفهارس (لندن ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية١٩٢٥م)[١] .

ثقافته الإسلامية :

من الملاحظ على اتجاه المستشرق الكبير فريتس كرنكو - أو المستشرق الذى أسلم وتسمى بـ «محمد سالم الكرنكوى» - أن اتجاهه للكتابة حول الثقافة الإسلامية لم يبزغ إلا بعد سنة (١٩٢٧م) ، وهى ذات السنة التى ترك فيها التجارة وانقطع إلى العلم ، ولابد أن نستشف من ذلك بعض الدلالات ، فترك الرجل للتجارة وعالم المال بعد أن كان صاحب مصنع كبير وانخراطه فى الكتابة حول الثقافة الإسلامية ، بعدما لابسها وتلبث عندها ما يربو على الثلاثين عامًا ، واعتناقه للدين الإسلامى وتعاونه الصادق مع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ، فى نشر بعض مطبوعاتها واتصاله الوثيق بالدائرة والعاملين فيها ، حتى أنه لم يقتصر على ما وكل إليه من أمر نشر وتحقيق بعض أمهات التراث العربى والإسلامى مما ينسب إليه فى وضوح ، ولكنه قام بنسخ بعض المخطوطات بيده على الرغم من طول بعضها وضخامته[٢] ، حسبة وتقديرًا للعربية والإسلام ، ولا نجد مبررًا سوى الحسبة والتقدير يدفعه إلى ذلك العمل المضنى ، من النسخ والمقابلة والضبط ، دون أن يكتب اسمه على الغلاف الخارجى بوصفه محققًا للكتاب[٣] ، وإنما ينوه به فقط فى أثناء المقدمة ، وقد حدث ذلك فى كتابين ، أما أولهما فكتاب أبيات المعانى الكبير لابن قتيبة ، وأما الآخر فالكتاب الذى صدر تحت عنوان «الأمالى لليزيدى»[٤] .

هذا ، فضلاً عن تحقيقه لديوان النعمان بن بشير الأنصارى ، وفى ذيله ديوان بكر ابن عبد العزيز العجيلى ، عن مخطوط جامع السلطان محمد الفاتح باستانبول ، الذى انتحل نشره أبو عبد الله السورتى ، وصدر الكتاب باسم السورتى ، على الرغم من أن العمل فيه وقع على كاهل صاحبنا سالم الكرنكوى[٥] .

---

(١) المستشرقون ٥٣١/٢ ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ١٥٥٧/٢ ، ١٥٥٦ .

(٢) كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى ، لابن قتيبة ١/ل ، وانظر أيضًا كتاب الأمالى ، لليزيدى ، ص - يح من المقدمة .

(٣) انظر صفحة العنوان من كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى وكتاب الأمالى .

(٤) لعنوان كتاب الأمالى مبحث فى هذه الدراسة ، يأتى بعد قليل .

(٥) المشترقون ٥٣١/٢ .

من جهوده المجهولة :

وضمن سلسلة جهود صاحبنا الدكتور كرنكو التى قام بها فى الظل ، دون أن يصنع حوله من الضجيج ما قد يصنعه الآخرون ، كان عثوره على نسختين خطيتين تمثلان قسمًا كبيرًا من كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ونقول : إنه من جهوده التى ظلت فى الظل ؛ لأنه كم من عشرات أو مئات المستعينين بكتاب المعانى الكبير ، دون أن يعرفوا أو يلقوا بالاً للجهود المشكورة التى قام بها تجاه هذا السِّفْر الجليل .

وتفصيل ذلك ، أن اسم الدكتور كرنكو ، لم يرد على صفحة عنوان الكتاب المطبوع بأجزائه الثلاثة – كما لم يرد اسم آخر – كذلك لم يرد اسمه ، لا فى بداية ولا فى نهاية المقدمة التى صُدِّر بها الكتاب ، والتى شغلت الصفحات من (أ) إلى (لد) ، فقد أتى فى نهاية المقدمة اسم الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى المصحح بدائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن[١] .

وعلى من يريد الوقوف على جهد الدكتور كرنكو أن يتصفح المقدمة سطرًا سطرًا أو فقرة فقرة ، حتى يقف على اسم صاحبنا مقترنًا بذكر فضله وجهوده .

لقد قام صاحبنا بنسخ الجزء المخطوط من الكتاب فى مكتبة آيا صوفيا باستانبول رقم (٤٠٥٠) ، كما نسخ النصف الثانى من جزء مخطوط بمكتب الهند بلندن فى القسم العربى رقم (١١٥٥)[٢] ، كذلك قام بتصحيح نسخته وحاول تبرئتها مما عانته من كثرة الخطأ والتصحيف ، بمقابلتها على المعاجم وتتبع المظان الأخرى ؛ لتخريج أبيات الكتاب ، فضلاً عن وضعه لعدد من الأثبات الفنية التى تكشف عن مادة الكتاب الغنية ، وكان أولها للشعراء ، والثانى لأعلام الرجال والنساء والقبائل ، والثالث لأسماء الأماكن والمياه والأيام ، والرابع للكتب المذكورة فى كتاب المعانى ، والخامس للقوافى ، والسادس للأمثال[٣] .

كرنكو ومطبعة دائرة المعارف :

قام الدكتور كرنكو بهذا الجهد ، متبعًا إياه بدفعه إلى الإدارة العلمية

(١) كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى ، ١/لد .
(٢) كتاب المعانى الكبير ١/ل .
(٣) كتاب المعانى الكبير ١/لا .

لدائرة المعارف العثمانية لتطبعه ، على أنه لم يتيسر لمطبعة الدائرة أن تثبت جميع ما وضعه من ضبط ، واقتصرت على الضرورى منه فى رأى القائمين عليها[١] .

ويبدو أن هذا الاقتصار على الضرورى من الضبط فى مطبعة دائرة المعارف ، هو ما عبر عنه نجيب العقيقى ، فى أثناء سرده لآثاره ، بقوله : «وكتاب المجتنى من المجتنى لأبى بكر بن دريد - وقد شوهه طابعوه (دائرة المعارف فى حيدر آباد ١٣٤٢هـ)»[٢] ، لاسيما وأن هذا التشويه الذى يتحدث عنه العقيقى تم فى سنة ١٣٤٢هـ ، وأن ما أطلق عليه الأستاذ اليمانى الاقتصار على الضرورى من الضبط تم فى سنة ١٣٦٨هـ[٣] ، مما يوحى أن آلات الطباعة فى مطبعة دائرة المعارف قد تكون تطورت فى مرحلة (الاقتصار) عما كانت عليه من قبل فى مرحلة التشويه ، لاسيما وقد أشار العقيقى أيضًا إلى حذف مطبعة دائرة المعارف للضبط والحواشى الخاصة بكتاب حماسة هبة الله بن الشجرى بتحقيق صاحبنا أيضًا سنة ١٣٤٥هـ[٤] ، مما يتبين معه أن أمر الاقتصار والتشويه والحذف كان مطردًا ، ومنهجًا متبعًا - سواء بقصد أو بغير قصد - فى مطبعة دائرة المعارف .

الاستشراق والمستشرقون :

كل ما سبق يعد ذا دلالة واضحة على حب الرجل للعربية وكلفه بها ، كما يدل على مشاعر صادقة تجاه الإسلام ، منبثقة عن تفاعل مع مبادئ الإسلام السمحة التى تعرف عليها دون وسيط[٥] ، واستطاع أن يفرق بين قيمة الإسلام فى قمته السامقة ، وبين حال المسلمين فى تخاذلهم وانحدارهم فى آن .

ونعود كَرَّةً أخرى إلى القول بأن الرجل كتب بصدق وتفاعل عن الثقافة الإسلامية ، فكتب عن الوحدة فى الإسلام ، وعن السيرة النبوية ، وحلية الأولياء ، وتاريخ الإمام البخارى ، وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه ، كما كتب دراسة أخرى بعنوان مخطوطان عربيان جديدان عن أسبانيا المسلمة اقتناهما المتحف البريطانى (هسبيريس ١٩٣٠م) ، هذا فضلاً عن غيرها من الدراسات والتحقيقات التى تصب فى إطار الثقافة الإسلامية الأصيلة[٦] .

---

(١) كتاب المعانى الكبير ١/لا ، لب .
(٢) المستشرقون ٢/٥٣١ .
(٣) كتاب المعانى الكبير ١/لد .
(٤) المستشرقون ٢/٥٣١ .
(٥) الأعلام ٥/١٤٤ والمستشرقون ٢/٥٣٠ .
(٦) المستشرقون ٢/٥٣٢ .

وقد تباينت المواقف والاتجاهات حول الاستشراق والنظرة إليه ، سواء من الغربيين أنفسهم أو من العرب والمسلمين[١] ، كذلك تفاوتت ردود الفعل بين المسلمين تجاه الحركة الاستشراقية واتجاهاتها المختلفة ، فكتب الكثيرون عن الاستشراق ، وكانوا معه أو ضده بالكلية ، كما اتخذ فريق ثالث موقفًا علميًا حضاريًا ، منبثقًا عن قناعات خاصة بحوار الحضارات والمثاقفة بين الشعوب .

وما بين هؤلاء وأولئك ، وما بين الموافق والمعارض ، والمتابع والمستحسن ، سارت الحركة الاستشراقية فى مسيرتها ، وآتت أكلها وأثمرت ثمارها الدنية الطيبة ، على الرغم من بعض الهنات والسقطات هنا وهناك[٢] .

وفيما أرى ، فكما أن الإسلام خيرٌ كله فى شريعته وعقيدته وعباداته جملةً وتفصيلاً ، ولا ينسحب ذلك - بأى حال - على المسلمين بأفعالهم وممارساتهم الدنيوية والشرعية ، بما يلابسها من اضطراب وأخطاء ، - قلت أو كثرت ، صغرت أو عظمت - كذلك الاستشراق بأهدافه الموضوعة بين دفتى الكتب ، وبما يحمل من قيم سامية تؤدي إلى تواصل الحضارات وتلاقحها وحوارها ، فالاستشراق بهذا الشكل فيه من الخير الكثير والكثير مما يعم على المستشرقين بخاصة ، ويعم الأمة العربية والأمة الغربية بعامة .

ولا ينسحب هذا بالطبع على جميع المستشرقين ، كما لا ينسحب على من وجهوهم وأعانوهم ورفدوهم معنويًا وماديًا ، حتى يقوموا بمهمتهم على خير وجه ، كما أرادها مساعدوهم من حكومات وهيئات مدنية وعلمية .

ويجب أن نتعاطى أمر المستشرقين بشيء من الحكمة ، بمعناها الذي نُصَّ عليه فى الأثر النبوي ، أحكم الناس أعذرهم للناس ، فهم أصدقاؤنا منذ الأمس وحتى اليوم وغدًا ، ومنهم مَنْ جعل التراث العربى الإسلامى صاحبه وأنيسه طيلة حياته ، عازفًا عن مفاتن الدنيا ، مكتفيًا منها به[٣] ، فلا نستكثر عليهم أن نعاملهم بما قال شاعر أهل الحجاز فى الإسلام ، كثير بن عبد الرحمن :

---

(١) تحقيق التراث العربى منهجه وتطوره ، لعبد المجيد دياب ، ص٢٠٢ ، ٢٠٥ ؛ كتاب أسرار البلاغة ، لعبد القادر الجرجانى ، ص٨ .

(٢) المستشرقون ونشر التراث : دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر ، ص٢٠-٢٢ .

(٣) المستشرقون ونشر التراث : دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر ، ص٢٣ .

وَمَنْ لاَ يُغمضُ عينَه عن صديقِهِ وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَتبع جاهِدًا كلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْها ولا يَسْلَم له الدَّهرَ صاحِبُ[١]

وفيما نرى ، أن صاحبنا فريتس كرنكو Fritz Krenkow المحتفى به اليوم ، لم يكن من أولئك الذين ثار الخلاف حول أعمالهم وجهودهم فى التراث العربى والإسلامى ، ولا يغض من قيمة الرجل ما ثار حول بعض تحقيقاته من تشكيك فى دقته العلمية ، لاسيما وأن مَنْ حاولوا التشكيك فى دقته لم يستطيعوا أن ينصرفوا أو أن يصرفوا أنفسهم - فى النهاية - عن الثناء على الرجل ، ونسبة الفضل إليه فى صنيعه ، يقول العالم المحقق المصرى عبد الستار أحمد فراج - رحمة الله - : «ولم أنس أن أذكر كل ما قاله الأستاذ كرنكو من تعليقات ، فنسبتها إليه . . .»[٢] .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر فقد أثنى على صاحبنا بعض معاصرينا من علمائنا الأفذاذ المتضلعين في علوم العربية ، ممن لا يشك فى نزاهتهم العلمية وحصافة رأيهم ، يقول العلاَّمة الدكتور محمود على مكى : «وكان واسع العلم بالعربية وتراثها ، محبًا للعرب والإسلام فى صدق وإخلاص ، حتى أن الأمر انتهى به إلى اعتناق الإسلام . . .»[٣] .

هذا عن صاحبنا بوجه عام ، وأما عن تحقيقاته لبعض مصادر الأدب العربى وما أثير حولها من جدل ، فقد برأت ساحة صاحبنا ، مما نسب إليه من هنات وتهاون ، وأخطاء ، إذ أن أكثرها يعود إلى دار النشر التى تولت طبع الكتاب ، فحذفت كثيرًا من التصويبات والاستدراكات والتعليقات التى ألحقها كرنكو بمعجم الشعراء للمرزبانى ، وعليه ، فقد أتت تلك الطبعة خالية من الضبط وكثرت فيها الأخطاء ، على غير ما كان يريد لها الدكتور كرنكو[٤] .

منحاه فى التحقيق :

وبتتبع ما أخرجه صاحبنا الكرنكوى من تحقيقات لمصادر العربية ، تبين أن للرجل عنايةً خاصة بالكتب ذات الطابع المعجمى ، فضلاً عن المعاجم اللغوية كما نعرفها ، فقد حقق كتاب المعان الكبير فى أبيات المعانى ، لابن قتيبة ، ومختصر طبقات النحاة للزبيدى ،

(١) ديوان كثير عزة ، لإحسان عباس ، ص١٥٤ ، وتخريجهما ص١٥٦ .
(٢) معجم الشعراء ، للمرزبانى : أبى عبيدالله محمد بن عمران بن موسى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ص(ك) .
(٣) معجم الشعراء ، للمرزبانى ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، ص٢٤ وانظر أيضًا الأعلام ١٤٤/٥ والمستشرقون ٥٣٠/٢ .
(٤) معجم الشعراء ، للمرزبانى ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ، ص٢٥ من مقدمة العلامة الأستاذ الدكتور محمود على مكى .

والحماسة لابن الشجرى ، والمؤتلف والمختلف للآمدى ، ومعجم الشعراء للمرزبانى ، كما حقق جمهرة اللغة لابن دريد ، ولا عجب إذن أن يعنى صاحبنا بمعجم الشيخ ومعجم التلميذ - على السواء - وأعنى نشرته لجمهرة اللغة لابن دريد (٣٢١هـ) ، ونشرته لمعجم الشعراء لتلميذه المرزبانى (ت٣٨٤هـ) .

ويبدو أن منحاه الذى زعمت نحو العناية بالمعاجم ، هو الذى أضفى عليه طابعًا خاصًا ، يتبين فى عدم إكثاره من الحواشى ، فلم يكن الرجل من ذلك الفريق من المستشرقين ممن يطيلون التلبث عند فروق النسخ ، وينصون على كل ما تصيدوه منها ، سواء كان لها قدر من الأهمية والفائدة أو لم يكن لها هذا القدر .

ويتبين ذلك جليًا فى تعليقاته الطفيفة ضمن نشرته لمعجم الشعراء للمرزبانى ، وكذلك فى نشرته للمؤتلف والمختلف للآمدى ، حتى أن المطالع للكتابين تصادفه الكثير من الصفحات المتتابعة دون تعليق يذكر من صاحبنا[١] .

ويبدو أن ذلك المنحى يتفق ومنحى العلاَّمة المحقق الأستاذ محمود محمد شاكر - رحمه الله رحمة واسعة بمنه وكرمه آمين - ، فيما استقر عليه وتبناه فى منهجه بشأن التعليق على النص ، حيث ينعى على ضِعاف المحققين المحدثين فى زماننا ، وما يعددونه من ذكر المراجع الكثيرة لأبيات الشعر[٢] ، و«يتكثرون بما لا ينفع الكتاب ولا يهدى القارئ إلى شىء ينتفع به فى قراءة ما بين يديه من الكتاب»[٣] .

على أنه يجب ألا تدعونا الندرة الكمية لتعليقات صاحبنا الكرنكوي على النص ، إلى أن نظن الظنون بقيمة تحقيق الرجل ، فأرى أن تعليقاته - على ندرتها - في الكتابين - المؤتلف والمختلف ومعجم الشعراء - لها قيمة علمية كبيرة ، كتلك القيمة العلمية المشهود لها بالرصانة والدقة والإحكام لتعليقات الأستاذ العلاَّمة أبو فهر محمود محمد شاكر ، مع الفارق فى التشبيه ، ولكن وجه الشبه يقع هنا فى اتجاه كلٍّ من العالمين الجليلين إلى الاقتصار والاختصار فى التعليقات ، وعدم التلبث طويلاً عند مالا يفيد القارئ منها .

---

(١) فقد جاءت الصفحات التالية من المؤتلف والمختلف دون تعليق ، من ص٢٤٤ إلى ص٢٤٨ ومن ص٢٥٤ إلى ٢٦٠ ، وفى معجم الشعراء ، من ص١٢٧ إلى ص١٣٧ ، ومن ص٢٠٤ إلى ص٢١٠ ، ومن ص٢١٤ إلى ص٢١٧ وسوف نعرض لهذا المبحث بالتفصيل لاحقًا .

(٢) كتاب أسرار البلاغة لعبد القادر الجرجانى ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، ص٨ .

(٣) كتاب أسرار البلاغة ، ص٩ .

ونتبين ما قررناه سلفًا فى منحى الدكتور كرنكو ، فى تحقيقه لمؤتلف الآمدى ومعجم المرزبانى ، وما نطالعه من سمات منهجية علمية التزم بها أو ألزم بها نفسه فى الكتابين ، على تفاوت واختلاف ، سنعرض له تفصيلاً فيما .

وتتجلى السمات التحقيقية التى استخلصتُها فى النقاط الآتية :

أولاً : تخريج نصوص الشعر وتحقيقه لنسبته(١) .

ثانيًا : التعريف بالأعلام والترجمة للشعراء وتحقيق أسمائهم وأنسابهم(٢) .

ثالثًا : النص على اختلاف الروايات(٣) .

رابعًا : تفسير الغريب وتوضيح المستغلق(٤) .

خامسًا : ذكر الفوائد والشذرات والإضافات(٥) .

سادسًا : الدقة العلمية والتواضع(٦) .

سابعًا : رصد التكرار فى تراجم الشعراء والفائت منها(٧) .

ثامنًا : الإحالة على الكتب المشابهة فى المنحى التأليفي ، وبخاصة إحالته على معجم الشعراء(٨) .

جهوده فى التعليق على النص :

لا تخفى أهمية التعليق على النص بوصفه ركنًا رئيسًا أساسيًا من أركان التحقيق ، كما لا يخفى ما يندرج تحت مصطلح التعليق من خطوات ومصطلحات ، مثل التخريج ، واختلاف الروايات ، وتدقيقها ، وتفسير الغريب ، وترجمة الأعلام ، والتعريف بالمسائل اللغوية وغير اللغوية ، ووضع الفوائد والشذرات ، وغيرها مما هو معروف مقرر بين أهل الفن(٩) .

---

(١) المؤتلف والمختلف : فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم ، وبعض شعرهم ، ص٩٢ ، ٨٨ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ، ٢٢٢ ؛ معجم الشعراء ، ص١٨٥ .

(٢) المؤتلف والمختلف ، ص٨٩ ، ٩٢ ، ٩٩ ؛ معجم الشعراء ، ص١٢٤ ، ١١ ، ١٣٨ ، ١٦٢ ، ١٨١ .

(٣) المؤتلف والمختلف ، ص٩٧ ، ١٠٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ؛ معجم الشعراء ، ص١٨٣ .

(٤) المؤتلف والمختلف ، ص٩٤ ، ١٠٣ ، ٢٣٦ ؛ معجم الشعراء ، ص٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ٢٩ ، ١٧٩ .

(٥) معجم الشعراء ، ص١٩٦ ، ١٩٠ ، ٢١٣ .

(٦) المؤتلف والمختلف ، ص٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٤٩ ، ٢٦٣ .

(٧) المؤتلف والمختلف ، ص٩١ ، ١٠١ .

(٨) المؤتلف والمختلف ، ص٩٩ ، ١٠٤ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٥١ .

(٩) تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ، لعبدالله بن عبدالرحيم عسيلان ، ص٢٠٩-٢٣٢ ؛ تحقيق التراث العربى منهجه وتطوره ، ص٢٤٦-٢٦٠ .

وقد عُنى الدكتور كرنكو بهذا كله عناية فائقة ، اتسمت بمنحى خاص يتماثل فيه مع غيره من المستشرقين الذين تبنوا منحى الاختصار والاقتصار والدقة والإحكام فى التعليق على النص ، وعدم التزيد والتكثر بما لا يضيف جديدًا يحتاجه قارئ النص ، كما أسلفنا به القول .

وعلى الرغم من ذلك ، فالمتتبع لآثار الدكتور كرنكو فى تحقيق مصادر الأدب العربى تحديدًا ، يستطيع أن يضع كل مصدر منها فى قسم خاص أو فى مرتبة ومنزلة خاصة ، ومختلفة عما قبلها وعما بعدها فى آن .

فالمتتبع لتعليقات صاحبنا على نصوص كتاب معجم الشعراء ، يلحظ ندرتها إلى حد بعيد ، حتى أنه تمر صفحات وصفحات دون تعليق واحد ، وقد يصل عددها إلى العشرة ، أو أقل قليلاً فى مواضع غير قليلة من الكتاب ، هذا فضلاً عن أن ما يربو على نصف تعليقاته النادرة فى معجم الشعراء ، هو مجرد نقل لما وجده على هوامش الأصل .

ويأتى تحقيق الدكتور كرنكو لكتاب المؤتلف والمختلف للآمدى ، فنجد فيه منحىً مختلفًا عن منحاه فى الكتاب السابق ، فالتعليقات أكثر فى المؤتلف والمختلف ، إذا ما قورنت بالتعليقات فى معجم الشعراء ، وخاصةً إذا علمنا أن مؤتلف الآمدى جاء فى (٢٦٣) صفحة ، بينما جاء معجم المرزبانى فى (٤٥٥) صفحة ، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن عدد التعليقات الخاصة بضبط الأصل المخطوط لكتاب المؤتلف ، أو التى نقلت ما جاء على الأصل من هوامش ، أقل بكثير مما كان الأمر عليه فى معجم المرزبانى .

على أن الأمر فى شأن التعليقات يختلف اختلافًا بينًا ، ويتغاير تغايرًا كاملاً إذا ما طالعنا كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى لابن قتيبة الدينورى ، فإن تعليقات صاحبنا كرنكو تتسم بالدقة والشمول للنص النثرى والنص الشعرى على السواء ، فقد تتبع جُلّ الغريب وأعلام الأشخاص والأماكن والبلدان وغيرها ، كما تتبع أسماء الشعراء وما نُسب إليهم من أشعار بالترجمة والتخريج ، ورصد اختلاف الروايات والغريب ، فضلاً عن تحقيقه لأسماء الشعراء والأعلام وأنسابهم ، وتحقيقه لنسبة الشعر كذلك ، إضافة لتصحيح الأصل وتدقيقه .

وكل ما أشرنا إليه قام به الدكتور كرنكو فى الكتابين السابقين ، ولكن كان ذلك دون استقصاء ، ودون تتبع لكل علم وشاعر وبيت شعر وغيرها ، ولا جدال أن ذلك التغاير أو النضوج فى منهج الدكتور كرنكو في التعليق على النص كان لأمرين ، أما أولهما فيختص بالفترة الزمنية الفاصلة بين تحقيقه للكتابين السالفى الذكر (١٣٥٤هـ) ، وبين تحقيقه لكتاب

المعانى الكبير سنة (١٣٦٨هـ) ، وأما الأمر الآخر فيعود إلى اشتراك كل من الأستاذ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى المصحح بدائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد الدكن والأستاذ زين العابدين الموسوى الذى قام بتكاليف التصحيح المطبعى ، ونبه صاحبه «على مواضع غير قليلة مما كان بقى فى المسودة من خطأ»[١] .

كان الأمران السابقان إذن ، هما مرد الاختلاف أو التغاير الكامل فى منهج الدكتور كرنكو فى التحقيق .

منحاه فى تحقيق العنوان :

وللدكتور كرنكو هنا شأن آخر ، وليس هذا الشأن مع كل ما حققه ، حتى لا نغمطه فضله وحقه ، ولكن كان هذا مع البعض ، ومن هذا البعض كانت نسخته التى خطها بيده من مخطوطة «مراثٍ وأشعار فى غير ذلك وأخبار ولغة» ، لأبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدى (ت٣١٠هـ) ، فقد أطلق عليها عنوانين ، أوسماها بتسميتين ، لم تطابق كلتاهما الأصل[٢] .

وتفصيل ذلك ، أنه عندما أحال على كتاب اليزيدى فى إحدى حواشيه فى نشرته لمعجم الشعراء للمرزبانى ، سماه «النوادر» فى قوله «قال اليزيدى فى نوادره : حدثنى محمد بن الحسن الأحول ، قال : سمعت المدائنى يقول : رثى مالك بن الريب نفسه بقصيدته هذه قبل موته بسنة»[٣] .

وعلى ذلك ، فينبغى لمطالع حواشى كتاب معجم الشعراء بتحقيق الدكتور كرنكو ، إذا ما أراد أن يطالع كتاب نوادر اليزيدى أن يبحث عنه بعنوانه ، وسوف يجده بعد زمن طال أو قصر ؛ لأن كتب اليزيدى المطبوعة قليلة ، أو هى بالأحرى تتمثل فى كتاب واحد ، ولكنه مطبوع بعنوان «كتاب الأمالى» وذيل العنوان بعنوان آخر بخط صغير نسبياً «فيها مراث وأشعار أخرى وأخبار ولغة وغيرها» ، وشتان ما بين العنوانين ، مما يوقع الباحث في لبس وحيرة من أمره ، خاصة إذا ما علمنا أن الكتاب طبع مرة أخرى بعنوان آخر ، هو «المراثى» بخط كبير ، ثم ذيل بكلمات أخرى مشابهة لما جاء سلفاً بخط صغير نسبياً .

(١) كتاب المعانى الكبير ١/لب .
(٢) تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ، ص٦٠ ، ٢٣٥ .
(٣) معجم الشعراء ، ص١٣٦ ، ونص عبارة اليزيدى فى كتاب الأمالى ، ص٤٤ .

فماذا يصنع الباحث حيال ثلاثة عناوين لكتاب واحد ، هذه واحدة ، أما الأخرى ، فهى أن العناوين الثلاثة التي ذُكِرَتْ للكتاب- سواء فى حاشية معجم المرزبانى أو فى طبعتيه - لا يطابق أحدها ما جاء على صفحة العنوان/ ظهرية[1] النسخة المخطوطة الفريدة له .

وبتقصى الأمر ، تبين أن الدكتور كرنكو هو أيضًا صاحب اقتراح العنوان الثانى للكتاب - سوى النوادر - «كتاب الأمالى» .

ويبدو أن الأمر يتعلق باتجاه فى البحث أو رؤية خاصة ، سواء من ناسخ المخطوطة الدكتور كرنكو ، أو من ناشرها الحبيب عبد الله بن أحمد العلوى الحسينى الحضرمى ، فقد نص الأخير على أن عنوانها المثبت عليها مراثٍ وأشعار فى غير ذلك وأخبار ولغة . . . ، وعلى الرغم من ذلك فقد غيّر عنوانها إلى «كتاب الأمالى فيها مراثٍ وأشعار أخرى وأخبار ولغة وغيرها عن أبى عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى»[2] .

وقد أشار إلى ما دعاه إلى تغيير عنوان الكتاب بقوله : «وقد آثرنا تسميته بالأمالى لأنها جاءت فى النسخة المخطوطة بخط الدكتور كرنكو ,وهى تسمية مناسبة لموضوع الكتاب - وأما الأصل فليس على ديباجته سوى قوله (مراثٍ وأشعار فى غير ذلك) وقد سماه الأستاذ عبد العزيز الميمنى فى تعليقاته على لآلئ البكرى نوادر اليزيدى فى ص٧ من الجزء الثالث ، وفى مواضع كثيرة من التعاليق ، والأسامي أمرها هين فقد تقدم قريبًا تسمية ابن حزم لأمالي القالى بالنوادر»[3] .

وما صنعه الدكتور كرنكو وظنه الأستاذ الحبيب الحضرمى هينًا ، أحسبه غير ذلك ؛ فإن تغيير عناوين المخطوطات فى أثناء القيام بتحقيقها ونشرها يعد من مشاكل العنوان الرئيسية[4] .

وبناءً على ما سبق ، يبدو أن هذه النسخة المخطوطة تواجه واحدًا من وجوه الإشكاليات فى العنوان ، وهو : «أن يشتهر المخطوط بعنوان غير عنوانه الأصلى»[5] .

---

(١) الظهرية : هى الصفحات الأولى من الكتاب أو صفحات عنوانها ، انظر معجم مصطلحات المخطوط العربى (قاموس كوديكولوجى) ، لأحمد شوقى بنبين ومصطفى طوبى ، ص٢٠٤ .

(٢) انظر صفحة العنوان من الكتاب المطبوع .

(٣) اليزيدى : كتاب الأمالى (يد) .

(٤) عبد الستار الحلوجى : المخطوطات والتراث العربى ، ص٣٢ ، ٣٣ وعلم الاكتناه العربى الإسلامى ، ص١٠١ .

(٥) المخطوطات العربية مشكلات وحلول ، ص١٣ وعلم الاكتناه العربى الإسلامى ، ص١٠١ وعبد الستار الحلوجى : المخطوطات والتراث العربى ، ص٣٢ ونحو علم مخطوطات عربى ، ص١٥٣ .

لاسيما وأن النسخة المخطوطة لا تشير إلى نوع التأليف ، سواء بكلمة تأليف أو بكلمات أخرى عوضًا عنها ، من مثل «تصنيف ، إنشاء ، نظم ، إملاء ، تخريج ، جمع ، عمل ، عنى بجمعه ، مما عنى بجمعه ، مما اعتنى بجمعه ، تحرير ، صنعة ، شرح ، تفسير ، تحشية ، تعليق ، اختصار ، تلخيص ، انتقاء ، استثمار ، تجريد ، تهذيب ، اقتضاب ، انتخاب ، اختيار ، نقل . . .»[١] .

فلم يذكر ناسخ المخطوطة نوع التأليف بأى من الألفاظ التى أوردها الدكتور رمضان ششن فى النص السابق ، وإنما كان على النحو الآتى ، كما يظهر فى ظهرية المخطوطة : «مراث وأشعار فى غير ذلك وأخبار ولغة عن أبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدى عن ابن حبيب وعن عمه الفضل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلى وغيره . . .»[٢] .

وعلى ذلك ,فإن استنباط الدكتور كرنكو والأستاذ الحبيب الحضرمى لا يستند على أى من الأمور التى سلف ذكرها ، وإنما استنادهما يظل قائمًا على نوع التأليف الذى ينتمي بوضوح إلى الأمالى التى انتشرت ، بل ازدهرت فى عصر اليزيدى[٣] ، ونستطيع أن نوافقهما فى ما ذهبا إليه بشأن أن كتاب اليزيدى يعد أمالى ، هذا إذا ما كان الهدف تحديد نوع التأليف ، ولكن إذا كان الأمر يتعلق بتحديد عنوان الكتاب ، فإنه يجب الالتزام بالعنوان المثبت على ظهرية المخطوطة ، حتى لا ينشأ عدد من المشاكل التى تضلل الباحثين .

إذن فالأمالى ليست عنوانًا للكتاب ، بل وصفًا له أو تصنيفًا لجنسه التأليفى ، سواء من الدكتور كرنكو الذى استنسخه لدائرة المعارف بحيدر أباد الدكن ، أو من الأستاذ الحبيب الحضرمى الذى نشر الكتاب .

وقد عاينت ، بل عانيت من هذه المشكلة فى أثناء محاولتى البحث عن عنوان المخطوطة ، حيث وجدته فى أثناء تصفحى للجزء الأول من فهرس المخطوطات المصورة ، الخاص بمعهد المخطوطات العربية[٤] ، فرحت أفتش فى معاجم المطبوعات عنه فلم أقف عليه ، ومن ثم قمت بتصويره من معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، وأخذت أقلب صفحات النسخة المخطوطة ،

---

(١) أهمية صفحة العنوان (الظهرية) فى توصيف المخطوطات ، (ضمن دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر) ، ص١٨٢ .

(٢) مراث وأشعار فى غير ذلك وأخبار ولغة ، نسخة مخطوطة رقم ٧٥٧ أدب ، فهرس المخطوطات المصورة الجزء الأول ، ص٥٢٥ ، وانظر أيضًا أقدم المخطوطات العربية فى العالم ص٢٠٨ .

(٣) المخطوط العربى ، ص١٣٨-١٤٣ والكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات ١/٨٥-٨٩ .

(٤) فهرس المخطوطات المصورة ١/٥٢٥ .

وعندما توقفت أمام أبيات لرجل من بنى أسد[١] وجدتنى أحاول تخريجها من شعر قبيلة أسد وأخبارها فى الجاهلية والإسلام جمع وتحقيق الدكتورة وفاء فهمى السنديونى ، فلم أظفر بشيء ، ولم أقف على الأبيات ، فانتقلت بعد ذلك أقلب فى صفحات ديوان بنى أسد أشعار الجاهليين والمخضرمين جمع وتحقيق ودراسة الدكتور محمد على دقة ، فوقفت على الأبيات ، وإذا بالمحقق يخرِّجها على الأمالى لليزيدى ، وحتى هذه اللحظة فالأمر لا يعدو لدى سوى تخريج أحد نصوص كتاب مخطوط لليزيدى على نصوص كتاب آخر مطبوع له ، ولكنى عندما طالعت كتاب أمالى اليزيدى ، بدأت أدرك الأمر على حقيقته ، وهو أن أمالى اليزيدى الذى يتواتر وروده فى كثير من قوائم المصادر والمراجع للكتب المحققة ، لا يعدو أن يكون هو مخطوطة «مراث وأشعار فى غير ذلك وأخبار ولغة» .

وأعلم أننى قد أطلت ، ولكن الدافع وراء تلك الإطالة أو المبرر لها كان توضيح ما يحدثه تغيير العنوان من لبس لدى الباحثين .

فاللبس الذى حدث لم أستطع الخروج منه إلا بمطالعة أربعة كتب مجتمعة : أمالي اليزيدى مطبوعًا ، ومراثٍ وأشعار مخطوطًا ، وشعر قبيلة أسد . . . ، وديوان بنى أسد . . . حتى أتبين الأمر .

ولولا سعيى وراء تخريج أبيات شاعر بنى أسد ، لما أدركت الأمر فى حينه ، ولتأجل ذلك الإدراك أيامًا وربما شهورًا ، وأرانى أردد مع أحد الباحثين فى قضايا المخطوط العربى قوله عن المفهرس «فإن كل هذه وأمثالها من المشكلات التى يحار المفهرس فى حلها ، فعليه والحال هذه أن يتحلى بالصبر العميق والتأنى الدقيق وتقليب الأمر على وجوهه ، فلا يكل ولا يمل من البحث والتنقير حتى يتبين له الصواب»[٢] .

وختامًا ، فلا يسعني إلا التقدير لجهود عالمنا الجليل المحتفى به فى هذه الليلة الغراء ، المستشرق الدكتور محمد سالم الكرنكوى ، رحمه الله رحمة واسعة ، ونفعه بما علم وعمل من أجل العربية وتراثنا الجليل .

---

(١) مراث وأشعار فى غير ذلك وأخبار ولغة ، الورقة ٣٤/و ، ٣٤/ظ .
(٢) علم الاكتناه العربى الإسلامى ، ص١٠١ .

ثبت المصادر والمراجع

* الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، لخير الدين الزركلى ، ط١٢ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٧م .

* أهمية صفحة العنوان (الظهرية) فى توصيف المخطوطات ، لرمضان ششن ، (ضمن دراسة المخطوطات الإسلامية بين اعتبارات المادة والبشر) أعمال المؤتمر الثانى لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، لندن ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى ، ١٩٩٧م .

* تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره ، لعبد المجيد دياب ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٩٣م .

* تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل ، لعبد الله بن عبد الرحيم عسيلان ، ط١ ، الرياض ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٩٩٤م .

* ديوان كثير عزة ، تحقيق إحسان عباس ، لا :ط ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧١م .

* علم الاكتناه العربى الإسلامى : Arabic Eslamic Palaeography & codicology لقاسم السامرائى ، ط١ ، الرياض ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ٢٠٠١م .

* فهرس المخطوطات المصورة ، الجزء الأول ، لفؤاد سيد ، القاهرة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٨٨م .

* كتاب أسرار البلاغة ، لعبد القاهر الجرجانى ، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، ط١ ، القاهرة - جدة ، مطبعة المدنى ودار المدنى ، ١٩٩١م .

* كتاب الأمالى : فيها مراثٍ وأشعار أخرى وأخبار ولغة وغيرها ، لأبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدى ، ط١ ، حيدر آباد الدكن - الهند ، مطبعة جمعية دائرة المعارف ، ١٩٤٨م .

* الكتاب العربى المخطوط وعلم المخطوطات ، لأيمن فؤاد سيد ، ط١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ١٩٩٧م .

* كتاب المعانى الكبير فى أبيات المعانى ، لأبى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٤م .

* المؤتلف والمختلف : فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، لأبى القاسم الحسن بن بشر الآمدى ، صححه وعلق عليه ف . كرنكو ، ط١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩١م .

* المخطوط العربى ، لعبد الستار الحلوجى ، ط٢ ، جدة ، مكتبة مصباح ، ١٩٨٩م .

* المخطوطات والتراث العربى ، لعبد الستار الحلوجى ، ط١ ، القاهرة ، الدار المصرية اللبنانية ، ٢٠٠٢م .

* المخطوطات العربية مشكلات وحلول ، لعابد سليمان المشوخى ، ط١ ، الرياض ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، ٢٠٠١م .

* مراثٍ وأشعار فى غير ذلك وأخبار ولغة ، لأبى عبد الله محمد بن العباس اليزيدى ، نسخة «مجموعة أشعار» بخط محمد بن أسد أستاذ ابن البواب مخطوطة فى مكتبة عاشر أفندى باستانبول ، برقم ٩٠٤ ، نسخة مصورة عنها فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة ، ٧٥٧ أدب .

* المستشرقون : موسوعة فى تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم ، لنجيب العقيقى ، ط٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥م .

* المستشرقون ونشر التراث : دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر ، لعلى بن إبراهيم الحمد النملة ، ط١ ، الرياض ، مكتبة التوبة ، ٢٠٠٣م .

* معجم الشعراء ، لأبى عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى ، صححه وعلق عليه ف .كرنكو ، ط١ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٩١م .

* معجم الشعراء ، للمرزبانى : أبى عبيد الله محمد بن عمران بن موسى ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، تقديم محمود على مكى ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣م .

* معجم مصطلحات المخطوط العربى(قاموس كوديكولوجى) ، لأحمد شوقى بنبين ومصطفى طوبى ، ط٢ ، الرباط ، الخزانة الحسنية ، ٢٠٠٤م .

* معجم المطبوعات العربية والمعربة ، ليوسف إليان سركيس ، لا :ط ، القاهرة ، مكتبة الثقافة الدينية ، د .ت .

* نحو علم مخطوطات عربى ، لعبد الستار الحلوجى ، ط١ ، القاهرة ، دار القاهرة ، ٢٠٠٤م .

مطبوعات مركز تحقيق التراث

(أغسطس ١٩٦٦ - ديسمبر ٢٠١٤م)

أولاً - الكتب التراثية:

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١	الآبي (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)	نثر الدر	مجموعة من المحققين	٧	١٩٨١ - ١٩٩٠ ٢٠١٠
٢	أحمد تيمور (ت ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م)	معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية	حسين نصار	٦	٢٠٠١ - ٢٠٠٢ ٢٠١١
٣	الأحول، أبو العباس (كان حيًا سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٣م)	شعر كعب بن زهير بن أبي سلمى	عبد العزيز الميمني، ومحمد صالح فرحات	١	٢٠١٤
٤	أرسطو طاليس (ت ٣٢٢ق.م)	الطبيعة [ترجمة: إسحق بن حنين]	عبد الرحمن بدوي	٢	١٩٨٤
٥		المقالة الرابعة عشرة من كتاب طبائع الحيوان	عزة محمد سليم سالم	١	١٩٨٤

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٦	الأرموي (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)	الأدوار في الموسيقى	غطاس خشبة	١	١٩٨٦
٧		الرسالة الشرفية في النسب التأليفية	غطاس خشبة	١	٢٠٠٨
٨	الأزهري (ت في ق ٩هـ/ ق ١٥م)	مستوفي الدواوين	زينب القوصي، ووفاء الأعصر	٣	٢٠٠٣ـ ٢٠٠٥
٩	الأصفهاني، العماد (ت٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)	خريدة القصر وجريدة العصر [القسم المصري]	أحمد أمين، وشوقي ضيف، وإحسان عباس	٢	٢٠٠٥
١٠	الأصفهاني، أبو الفرج (ت٣٥٦هـ / ٩٦٧م)	الأغاني	مجموعة من المحققين	٢٤	١٩٧٠
					١٩٩٢ـ ١٩٩٤
١١	ابن الأعرابي (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م)	كتاب فيه معنى الزهد والمقالات وصفة الزاهدين	خديجة كامل	١	١٩٩٨

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٢	الأقفهسي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م)	أخبار نيل مصر	لبيبة إبراهيم، ونعمات عباس	١	٢٠٠٦ ٢٠١٤
١٣	الآمدي (ت٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)	أبكار الأفكار في أصول الدين	أحمد المهدي	٥	٢٠٠٣
١٤	ابن الأنباري (ت٥٧٧هـ/ ١١٨١م)	البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث	رمضان عبد التواب	١	١٩٧٠ ٢٠٠٩
١٥	ابن إياس (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)	بدائع الزهور في وقائع الدهور	محمد مصطفي	٥	١٩٨٢ـ ١٩٨٤ ٢٠٠٨
١٦	ابن باجة (ت٥٣٣هـ/ ١١٣٨م)	في كتاب باري أرمينياس ومن كتاب العبارة لأبي نصر الفارابي	محمد سليم سالم	١	١٩٧٦

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٧	ابن بسام (ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	لطفي عبد الوهاب	لم يكتمل صدوره	١٩٧٥
١٨	البطليوسي (ت٥٢١هـ/ ١١٢٧م)	شرح المختار من لزوميات أبي العلاء	حامد عبد المجيد	١	١٩٧٠ ١٩٨٤ ١٩٩١ ١٩٩٨
١٩		الاقتضاب في شرح أدب الكتاب	مصطفى السقاء، وحامد عبد المجيد	٣	١٩٨١ ١٩٩٣ ١٩٩٦ ٢٠١٠
٢٠	البقاعي (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)	عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران	حسن حبشي	صدر منه ٥ أجزاء	٢٠٠١-٢٠٠٩
٢١		عنوان العنوان	حسن حبشي	١	٢٠٠٣ ٢٠١٠
٢٢	البكري (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)	التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه	محمد عبد الجواد الأصمعي	١	٢٠٠٠ ٢٠١٢

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٢٣	بهرام شاه، الملك الأمجد (ت ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م)	ديوان الملك الأمجد	غريب محمد علي	١	١٩٩١
٢٤	التبريزي (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)	تهذيب إصلاح المنطق	فوزي عبد العزيز مسعود	٢	١٩٨٧
٢٥	التبريزي، والبطليومي، والخوارزمي (ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م)	شروح سقط الزند	مجموعة من المحققين	٥	٢٠٠٢ـ ٢٠٠٣
٢٦	ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)	المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي	محمد محمد أمين، ونبيل محمد عبد العزيز	١٣	١٩٨٤ ـ ٢٠٠٩ ٢٠١٢
٢٧		مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة	نبيل محمد عبد العزيز	٢	١٩٩٧ ٢٠١٢

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٢٨	تابع/ ابن تغري بردي	الدليل الشافي على المنهل الصافي	فهيم شلتوت	٢	١٩٩٨
٢٩		النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة	مجموعة من المحققين	١٦	٢٠٠٥-٢٠٠٦
٣٠	تميم بن المعز (ت٣٧٥هـ/ ٩٨٥م)	ديوان تميم بن المعز	مجموعة من المحققين	١	١٩٩٥
٣١	التنوخي (ت في ق ٥هـ/ ق ١١م)	القوافي	محمد عوني عبد الرؤوف	١	٢٠٠٣ ٢٠٠٨
٣٢	التيفاشي (ت ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م)	أزهار الأفكار في جواهر الأحجار	محمد يوسف حسن، ومحمد بسيوني خفاجي	١	١٩٧٧ ٢٠١٠
٣٣	التميمي (ت٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م)	طيب العروس وريحان النفوس في صناعة العطور	لطف الله قاري	١	٢٠١٤

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٣٤	التيمي، إسماعيل (ت ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م)	الخلفاء الأربعة	كرم حلمي فرحات	١	١٩٩٩ ٢٠١٢
٣٥	ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م)	درء تعارض العقل والنقل	محمد رشاد سالم	لم يكتمل صدوره	١٩٧١
٣٦	ثامسطيوس (ت ٣٨٨ ق.م)	رسالة ثامسطيوس إلى يوليان الملك في السياسة وتدبير الملك	محمد سليم سالم	١	١٩٧٠
٣٧	الثعالبي (ت ٤٢٩هـ/ ١٠٣٨م)	الظرائف واللطائف واليواقيت في بعض المواقيت	ناصر محمدي جاد	١	٢٠٠٦ ٢٠١٢
٣٨	ثعلب (ت ٢٩١هـ/ ٩٠٣م)	شرح ديوان زهير بن أبي سلمى	القسم الأدبي بدار الكتب	١	١٩٩٥
٣٩	جالينوس (ت ٢٠١م)	فرق الطب للمتعلمين	محمد سليم سالم	١	١٩٧٧

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٤٠	تابع/ جالينوس	الإسطقسات على رأي أبقراط	محمد سليم سالم	١	١٩٨٦
٤١		كتاب جالينوس إلى طرثون في النبض للمتعلمين	محمد سليم سالم	١	١٩٨٦
٤٢		الصناعة الصغيرة	محمد سليم سالم	١	١٩٨٨
٤٣	جران العود	ديوان جران العود	أحمد نسيم	١	٢٠٠٠
٤٤	ابن جُلجُل (ت بعد ٣٨٤هـ/ بعد ٩٩٤م)	طبقات الأطباء والحكماء	فؤاد سيد	١	٢٠٠٥
٤٥	ابن جني (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م)	التنبيه على شرح مشكل أبيات الحماسة	سيدة حامد، وتغريد عبد العاطي	١	٢٠١٠
٤٦		الخصائص	محمد علي النجار	٣	١٩٨٦
٤٧	الجواليقي (ت ٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)	المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم	أحمد محمد شاكر	١	١٩٩٥ ٢٠٠٢ ٢٠١٢

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٤٨	ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)	لقط المنافع في علم الطب	مرزوق علي إبراهيم	٢	٢٠١١ـ ٢٠١٢
٤٩	الجيلي (ت ٨٢٠هـ/ ١٤١٨م	شرح مشكلات الفتوحات المكية	عاطف جودة نصر	١	٢٠٠٣
٥٠	ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)	تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه	محمد محمد أمين	٣	١٩٧٦ـ ١٩٨٦ ٢٠١٠
٥١		درة الأسلاك في دولة الأتراك	محمد محمد أمين	صدر منه جزءان	٢٠١٤
٥٢	ابن أبي حجلة (ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٣م)	ديوان ابن أبي حجلة	أحمد حلمي حلوه	١	٢٠١٤
٥٣	الحظيري الوراق دلال الكتب (ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م)	لمح الملح	يحيى عبد العظيم	٢	٢٠٠٧
٥٤	حميد بن ثور الهلالي (ت ٣٠هـ/ ٦٥٠م)	ديوان حميد ابن ثور	عبد العزيز الميمني	١	١٩٩٥

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٥٥	الحميدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)	تسهيل السبيل إلى تعلم الترسيل	عبد الحميد محمد شعيب، وأحمد محمد مجاهد	١	٢٠١٤
٥٦	الخرنق بنت بدر (ت ٥٠ ق .هـ)	ديوان الخرنق	حسين نصار	١	١٩٦٩
٥٧	ابن خطيب الناصرية (ت٨٤٣هـ/ ١٤٤٠م)	المنتقى من تاريخ مصر	أحمد عبد الستار	١	٢٠١٢
٥٨	الذهبي (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)	تاريخ الإسلام	محمد عبد الهادي شعيرة	لم يكتمل صدوره	١٩٧٥
٥٩	الرازي (ت ٣١١ هـ / ٩٢٣م)	الشكوك على جالينوس	مصطفي لبيب عبد الغني	١	٢٠٠٦
٦٠	ابن رشد (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)	تلخيص السفسطة	محمد سليم سالم	١	١٩٧٢
٦١		تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة	محمد سليم سالم	١	١٩٧٨

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٦٢	تابع/ ابن رشد	تلخيص كتاب أرسطوطاليس في الجدل أو المواضع	محمد سليم سالم	١	١٩٨٠
٦٣		تلخيص كتاب القياس	محمود قاسم، وتشارلز بترورث، وأحمد هريدي	١	١٩٨٣
٦٤		رسائل ابن رشد الطبية	جورج قنواتي، وسعيد زايد	١	١٩٨٧
٦٥		الكليات في الطب	سعيد شيبان، وعمار الطالبي	١	١٩٨٩
٦٦	ابن الرومي (ت٢٨٣هـ/ ٨٩٦م)	ديوان ابن الرومي	حسين نصار	٦	١٩٧٣-١٩٨١
					١٩٩٣-١٩٩٤
					٢٠٠٣

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٦٧	الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)	أساس البلاغة	القسم الأدبي بدار الكتب	٢	١٩٧٢ 1985
٦٨		ربيع الأبرار وفصوص الأخبار	عبد المجيد دياب، ومحمد قرنة، ومرزوق إبراهيم	٤	١٩٩٢- ٢٠٠٨
٦٩	الزمزمي (ت٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م)	ديوان الزمزمي	حسين خضر الصياد	١	٢٠١٤
٧٠	الساوجي (ت ٧٧٨هـ/ ١٣٨٦م)	كتاب المقطعات	ربيع شعبان طرطور	١	٢٠٠٩
٧١	السحماوي (ت٨٦٨هـ/ ١٤٦٤م)	الثغر الباسم في صناعة الكاتب والكاتم	أشرف محمد أنس	٢	٢٠٠٩
٧٢	السخاوي (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)	التبر المسبوك في ذيل السلوك	نجوى مصطفى، ولبيبة إبراهيم	٤ أجزاء	٢٠٠٢- ٢٠٠٦

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٧٣	ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٧م)	النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة	حسين نصار	١	١٩٧٠ ٢٠٠٠
٧٤		المقتطف من أزاهر الطرف	سيد حنفي حسنين	١	١٩٨٤
٧٥	أبو سعيد [عن] الأصمعي (ق ٣ هـ / ق ٩م)	ديوان الهذليين	أحمد الزين ـ القسم الأدبي بدار الكتب	٣ أقسام في مجلد	٢٠٠٣
٧٦	السكري (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)	شرح ديوان كعب ابن زهير	القسم الأدبي بدار الكتب	١	٢٠٠٢
٧٧	ابن سلمة النحوي (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م)	الملاهي وأسمائها من قبل الموسيقى	غطاس خشبة	١	١٩٨٥
٧٨	السمناني (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م)	رسالة آداب السفرة	[ترجمة وتحقيق] شعبان ربيع طرطور	١	١٩٨٧

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٧٩	ابن سودون (ق ٩هـ/ ق ١٥م)	نزهة النفوس ومضحك العبوس	منال محرم	١	٢٠٠٣
					٢٠١٠
٨٠	السيرافي (ت٣٦٨هـ/ ٩٧٨م)	شرح كتاب سيبويه	مجموعة من المحققين	صدر منه ١٧ جزء	١٩٨٦ـ ٢٠١٣
٨١	ابن سينا (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م)	رسالة في الهيئة	مها مظلوم	١	٢٠٠٦
					٢٠١٤
٨٢		المجموع أو الحكمة العروضية في كتاب معاني الشعر	محمد سليم سالم	١	١٩٦٩
٨٣		الشفاء ـ السماع الطبيعي (الطبيعيات)	سعيد زايد	١	١٩٨٣
٨٤	السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)	البرق الوامض في شرح يائية ابن الفارض	هشام الشويكي	١	٢٠١١
٨٥	السيوطي المنهاجي (ت ٨٨٠هـ/ ١٤٧٥م)	إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى	أحمد رمضان أحمد	٢	١٩٨٢ـ ١٩٨٤
					٢٠٠٥

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٨٦	الشافعي(ت ٢٠٤هـ /٨١٩م)	الأم	[مصورة عن بولاق]	٧	١٩٨٧
٨٧	أبو شامة (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م)	الروضتين في أخبار الدولتين	محمد حلمي محمد أحمد	لم يكتمل صدوره	١٩٩٨
٨٨	الشيباني (ت١٨٩هـ/ ٨٠٥م)	الآثار	خديجة محمد كامل	١	٢٠٠٦ ٢٠١٤
٨٩	صردر (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)	ديوان صردر	القسم الأدبي بدار الكتب	١	١٩٩٥
٩٠	صفي الدين الحلي (ت٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م)	العاطل الحالي والمرخص الغالي	حسين نصار	١	١٩٨١ ٢٠٠٣
٩١	ابن الصلاح (٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)	مقدمة ابن الصلاح [مع] محاسن الاصطلاح للبلقيني	عائشة عبد الرحمن	١	١٩٧٤
٩٢	الصيرفي (ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤م)	نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان	حسن حبشي	٤	١٩٧٠ـ ١٩٩٤ ٢٠١٠

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٩٣	ابن ظهيرة (ت في ق ٩ هـ/ ق ١٥م)	الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة	مصطفى السقاء، وكامل المهندس	١	١٩٦٩ ٢٠٠٩
٩٤	عامر بن الطفيل (ت ١٠هـ/ ٦٣١م)	ديوان عامر بن الطفيل	سير تشارلز لايل	١	٢٠٠٣
٩٥	عبيد بن الأبرص (ت نحو ٢٥ ق . هـ/ ٥٩٧م)	ديوان عبيد بن الأبرص	سير تشارلز لايل	١	٢٠٠٣
٩٦	ابن عربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)	الفتوحات المكية	عثمان يحيى	صدر منه ١٤ جزء	١٩٧٥ ـ ١٩٩٢
٩٧	علي مبارك (١٣١١هـ/ ١٨٩٣م)	الخطط التوفيقية	[إعداد] باحثي المركز	٢٠ جزء ١ـ١١	١٩٦٩ ـ ٢٠٠٥ ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
٩٨	العمري، ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٩م)	مسالك الأبصار في ممالك الأمصار	غطاس خشبة	الجزء العاشر ـ الموسيقى	٢٠٠٥
٩٩	العيني (ت ٨٥٥ هـ/ ١٤٥١م)	عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)	محمود رزق	٤	٢٠٠٢ـ ٢٠١٠
١٠٠		عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر المملوكي)	محمد محمد أمين	٥	١٩٨٧ ـ ٢٠١٠
				١ـ٤	٢٠١٠
١٠١		السيف المهند في سيرة الملك المؤيد	فهيم شلتوت	١	١٩٩٨
١٠٢	الغزالي (ت ٥٠٥هـ/ ١١١١م)	جواهر القرآن ودرره	خديجة محمد كامل	١	٢٠١١
١٠٣	الغساني (ت ٧٨٥هـ/ ١٣٨٣م)[منسوب]	نزهة الأبصار في خواص الأحجار	أحمد عبد الباسط، وأحمد عبد الستار	١	٢٠٠٤
					٢٠١٢

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٠٤	الدماميني (ت٨٢٧هـ / ١٤٢٤م)	الفاكهة البدرية	حسن عبد الهادي	١	٢٠١١
١٠٥	الفارابي (ت٣٣٩هـ / ٩٥٠م)	كتاب في المنطق ـ الخطابة	محمد سليم سالم	١	١٩٧٦
١٠٦		كتاب في المنطق ـ العبارة	محمد سليم سالم	١	١٩٧٦
١٠٧		الموسيقى الكبير	غطاس خشبة	٢	٢٠٠٩
١٠٨	الفارسي، أبو الحسن (ت في ق ٨هـ / ق ١٤م)	تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر	مصطفى حجازي، وأحمد فؤاد باشا	٢	١٩٨٤
١٠٩	الفارسي، أبو علي (ت٣٨٨هـ / ٩٩٨م)	الحجة في علل القراءات السبع	علي النجدي ناصف، وعبد الحليم النجار، وعبد الفتاح شلبي	صدر منه ٣ أجزاء ولم يكتمل	١٩٨٢ ـ ٢٠٠٠

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١١٠	الفاسي، تقي الدين (٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م)	إيضاح بغية أهل البصارة في ذيل الإشارة	أحمد عبد الستار	١	٢٠١٢
١١١	الفراء (ت ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م)	معاني القرآن	أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، وعبد الفتاح شلبي	٣	٢٠٠١ـ ٢٠٠٢
١١٢	ابن الفركاح الفزاري (ت ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)	باعث النفوس إلى زيارة القدس المحروس	أحمد عبدالباسط، وأحمد عبد الستار	١	٢٠٠٥ ٢٠٠٩ (طبعة مزيدة ومنقحة)
١١٣	القاشاني (ت ٧٣٠ هـ / ١٣٢٩م)	اصطلاحات الصوفية	محمد كمال جعفر	١	١٩٨١
١١٤	القالي، أبو علي (ت ٣٥٦ هـ / ٩٦٧م)	الأمالي	القسم الأدبي بدار الكتب	٢	٢٠٠٠ ٢٠١٢

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١١٥	تابع/ القالي	ذيل الأمالي والنوادر	القسم الأدبي بدار الكتب	١	٢٠٠٠ ٢٠١٢
١١٦	القشيري (ت ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م)	لطائف الإشارات	إبراهيم بسيوني	٣	١٩٧١ ١٩٨١ـ ١٩٨٣
١١٧	ابن القطاع (ت ٥١٥ هـ/ ١١٢١م)	أبنية الأسماء والأفعال والمصادر	أحمد محمد عبد الدايم	١	١٩٩٩ ٢٠١٠
١١٨	القفطي (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)	إنباه الرواة على أنباه النحاة	محمد أبو الفضل إبراهيم	٤	١٩٨١ ٢٠٠٥ـ ٢٠٠٦
١١٩	القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)	صبح الأعشى في صناعة الإنشا	تصحيح: محمد عبد الرسول إبراهيم	١٤	٢٠١٠
١٢٠	القوشجي (ت ٨٧٩ هـ/ ١٤٧٤م)	عنقود الزواهر في الصرف	أحمد عفيفي	١	٢٠٠١ ٢٠١٠

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٢١	ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠م)	مدارج السالكين	محمد كمال جعفر، وعبد الحميد مدكور	صدر منه ٥ أجزاء	١٩٨٠ ـ ٢٠٠٨
				ج١و٢	٢٠٠٨
١٢٢	ابن الكلبي (ت ٢٠٤ هـ/ ٨١٩م)	الأصنام	أحمد زكي باشا	١	١٩٩٥
					٢٠٠٠
					٢٠٠٣
١٢٣		أنساب الخيل	أحمد زكي باشا	١	١٩٩٥
					٢٠٠٨
١٢٤	الكندي، محمد بن يوسف (ت بعد ٣٥٥ هـ/ ٩٦٦م)	أخبار قضاة مصر	حسين نصار	١	٢٠٠٥
					٢٠١٤
١٢٥	الكندي، يعقوب بن إسحاق (ت نحو ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣م)	رسالة الكندي في خبر صناعة التأليف	يوسف شوقي	١	١٩٦٩
١٢٦	ابن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ/ ٨٥٧م)	الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي	عماد عبد السلام رءوف	١	١٩٧٦

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٢٧	المبرد (ت ٢٨٦ هـ/ ٨٩٩م)	المذكر والمؤنث	رمضان عبد التواب، وصلاح الدين الهادي	١	١٩٧٠
١٢٨		الفاضل	عبد العزيز الميمني	١	١٩٩٥ ٢٠٠٠
١٢٩	مجموعة [من عصور مختلفة]	تعريف القدماء بأبي العلاء	مجموعة من المحققين	١	١٩٨٦
١٣٠	المرصفي، حسين (ت ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)	الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية	عبد العزيز الدسوقي	لم يكتمل صدوره	١٩٨٢، ١٩٩١
١٣١	ابن مطروح (ت ٦٤٩ هـ/ ١٢٥١م)	ديوان ابن مطروح	حسين نصار	١	٢٠٠٤
١٣٢	المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م)	ديوان المعتمد بن عباد	حامد عبد المجيد، وأحمد أحمد بدوي	١	١٩٩٧ ٢٠٠٢ ٢٠٠٨

المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع	م
١٣٣	المعمري (ت ١٠٣٧ هـ/ ١٦٢٨م)	الوافي بحل الكافي في علمي العروض والقوافي	أحمد عفيفي	١	٢٠٠٦
					٢٠١٢
١٣٤	مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ/ ٧٦٧م)	الأشباه والنظائر في القرآن الكريم	عبد الله شحاتة	١	١٩٧٥
					١٩٩٤
١٣٥		تفسير مقاتل	عبد الله شحاتة	٥	١٩٧٩-١٩٨٩
١٣٦	المقريزي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م)	السلوك لمعرفة دول الملوك	محمد مصطفى زيادة، وسعيد عبد الفتاح عاشور	صدر عن المركز ج٣(٣ أقسام) ج٤(٣ أقسام)	١٩٧٠-١٩٧٣
				طبعة كاملة للكتاب، ١٢ مجلد	٢٠٠٦-٢٠٠٧

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٣٧	تابع/ المقريزي	إغاثة الأمة بكشف الغمة	محمد مصطفى زيادة، وجمال الدين الشيال	١	٢٠٠٢
١٣٨	الملاح (كان حيًا سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م)	بلوغ المراد في أخبار الجراد	أحمد عبد الباسط حامد		٢٠٠٩
١٣٩	الملاحمي الخوارزمي (ت٥٣٦هـ/ ١١٤١م)	الفائق في أصول الدين	فيصل بدير عون	١	٢٠١٠
١٤٠	ابن المنجم (ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م)	رسالة ابن المنجم في الموسيقى وكشف رموز كتاب الأغاني	يوسف شوقي	١	١٩٧٦
١٤١	ابن المنجم (ت ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م)	كتاب النغم في الموسيقى	غطاس عبد الملك خشبة	١	٢٠٠٨
١٤٢	ابن منكلي (ت ٧٧٨ هـ/ ١٣٦٧م)	الحيل في الحروب	نبيل محمد عبد العزيز	١	٢٠٠٠

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٤٣	ابن ميمون (ت ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م)	منتهى الطلب من أشعار العرب	منير المدني، وسيدة حامد، وزينب القوصي	لم يكتمل	١٩٩٩
١٤٤	نابغة بني شيبان (ت ١٢٥ هـ/ ٧٤٢م)	ديوان نابغة بني شيبان	أحمد نسيم	١	١٩٩٥
١٤٥	النابلسي (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م)	الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز	[مصورة عن المخطوط بإعداد: أحمد هريدي]	١	١٩٨٦
١٤٦	النويري (ت ٧٣٣ هـ/ ١٣٣٢م)	نُهاية الأرب في فنون الأدب	مجموعة من المحققين	١٩ـ٣٣ ٣٣	١٩٧٥ـ ١٩٩٨ ٢٠٠٧ـ ٢٠٠٨
١٤٧	الهروي (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م)	منية الراضي في رسائل القاضي	محمد يونس عبد العال	١	٢٠٠٧

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٤٨	الهمداني (ت ٣٣٤ هـ/ ٩٤٥م)	الجوهرتين العتيقتين	أحمد فؤاد باشا	١	٢٠٠٤
١٤٩	ابن الهيثم (ت ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨م)	رسائل المكان والضوء وأضواء الكواكب	أحمد فؤاد باشا	١	٢٠١٤م
١٥٠		الشكوك على بطليموس	عبد الحميد صبرة، ونبيل الشهابي	١	١٩٧١ ٢٠١٤
١٥١		شرح مصادرات كتاب إقليدس	أحمد عزب	١	٢٠٠٥
١٥٢	ابن واصل (ت ٦٩٧ هـ/ ١٢٩٧م)	مفرج الكروب في أخبار بني أيوب	حسنين محمد ربيع	٤ـ٥	١٩٧٢ـ ١٩٧٧
١٥٣	ابن وكيع التنيسي (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م)	ديوان ابن وكيع التنيسي	حسين نصار	١	٢٠١٤

م	المؤلف	عنوان الكتاب	المحققون	الأجزاء	سنوات الطبع
١٥٤	اليافعي (ت٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م)	سراج التوحيد الباهج النور في تمجيد صانع الوجود مقلب الدهور ومعرفة أدلة القبلة والأوقات	مجدي يوسف، ومها مظلوم خضر	١	٢٠١٣
١٥٥	مجهول	الرعاية في تحصيل المقامات المذكورة في كتاب الله تعالى من مقامات اليقين للسالكين	عامر النجار	١	٢٠١٤
١٥٦	مجهول	الشجرة ذات الأكمام الحاوية لأصول الأنغام	غطاس خشبة، وإيزيس فتح الله	١	١٩٨٣
١٥٧		شرح اللزوميات	مجموعة من المحققين	٤	١٩٩٢ـ١٩٩٨ ٢٠١٠

ثانيًا ـ الأعمال الأخرى:

م	المؤلف أو المُعد	العنوان	سنة الطبع
١	إبراهيم شبوح، و حسام عبد الظاهر	محمد بن تاويت الطنجي ... المحقق المغربي الموسوعي	٢٠٠٥
٢	أدولف جروهمان	أوراق البردي العربية بدار الكتب المصرية (٦ أجزاء)	٢٠١٢
٣	أدولف جروهمان	محاضرات في أوراق البردي العربية [إعداد جديد: أحمد عبد الباسط، وحسام عبد الظاهر]	٢٠١٠
٤	باحثو مركز تحقيق التراث	إصدارات مركز تحقيق التراث ـ ببليوجرافية تحليلية	٢٠٠٤
٥	برجستراسر	أصول نقد النصوص ونشر الكتب	١٩٦٩ ١٩٩٥
٦	حسام عبد الظاهر	إحسان عباس (١٩٢٠ ـ ٢٠٠٣م)	٢٠٠٤
٧	حسام عبد الظاهر	أحمد محمد شاكر	٢٠٠٣
٨	حسام عبد الظاهر	بنت الشاطئ	٢٠٠٢
٩	حسام عبد الظاهر	جمال الدين الشيال	٢٠٠٣
١٠	حسام عبد الظاهر	الدكتور حسين نصار (ببليوجرافية بأعماله ومختارات من كتاباته)	٢٠٠٤

م	المؤلف أو المُعد	العنوان	سنة الطبع
١١	حسام عبد الظاهر	سندباد المخطوطات صلاح الدين المنجد	٢٠٠٤
١٢	حسام عبد الظاهر	شوامخ المحققين، جزءان [محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث]	٢٠٠٨ ٢٠١٣ـ ٢٠١٤
١٣	حسام عبد الظاهر	شوقي ضيف ... أستاذ الأجيال (١٩١٠ـ ٢٠٠٥م)	٢٠٠٥
١٤	حسام عبد الظاهر	الشيخ حمد الجاسر	٢٠٠٣
١٥	حسام عبد الظاهر	علماء ومؤسسات علمية في الحضارة الإسلامية [محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث (الموسمين السابع والثامن)]	٢٠١٤
١٦	حسام عبد الظاهر	فؤاد سيد ... عاشق المخطوطات (١٩٦١ـ ١٩٦٧م)	٢٠٠٤
١٧	حسام عبد الظاهر، ومحمد أبو العز عبده	في التراث العربي (كتب ـ أعلام ـ قضايا) [محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث (المواسم التاسع والعاشر والحادي عشر)]	٢٠١٤
١٨	حسام عبد الظاهر	القدس في التراث العربي (كشاف عام بالمخطوطات في مكتبات العالم)	٢٠٠٩

م	المؤلف أو المُعد	العنوان	سنة الطبع
١٩	حسام عبد الظاهر	لويس ماسينيون (١٨٨٣ـ١٩٦٢م)	٢٠٠٤
٢٠	حسام عبد الظاهر	محاضرات الموسم الثقافي لمركز تحقيق التراث (الموسمين الخامس والسادس)	٢٠١٢
٢١	حسام عبد الظاهر	محمود الطناحي فارس التراث النبيل (١٩٣٥ـ١٩٩٩م)	٢٠٠٥
٢٢	حسام عبد الظاهر	مصطفى السقا	٢٠٠٣
٢٣	حسام عبد الظاهر	المؤرخ المصري عزيز سوريال عطية (١٨٩٨ـ١٩٨٨م)	٢٠٠٤
٢٤	حسين نصار، وحسام عبد الظاهر	فريتس كرنكو (١٨٧٢ـ١٩٥٣م)	٢٠٠٥
٢٥	صابر إدريس	كشافات كتاب الروضتين	١٩٩٩
٢٦	عبد الله محمود شحاتة	تفسير سورة النور	١٩٨٢

ثالثًا ـ الدوريات:

يُصدر مركز تحقيق التراث مجلة واحدة هي مجلة تراثيات، وهي دورية علمية محكمة نصف سنوية، تعنى بالتراث العربي وقضاياه. صدر عددها الأول في يناير ٢٠٠٣م.